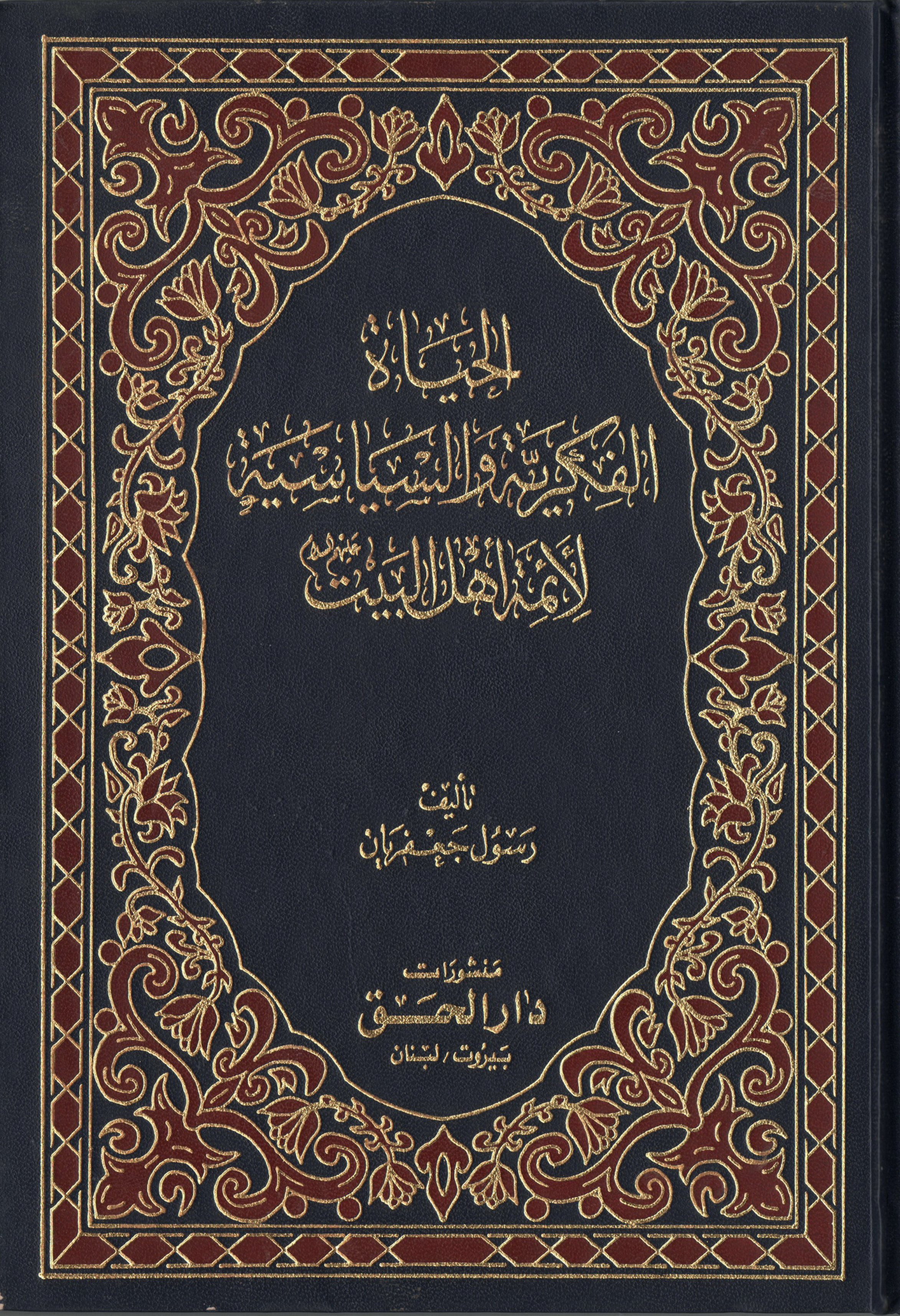


الحياة
الفكرية والسياسية
لأئمة أهل البيت عليهم السلام
تأليف
رسول جعفريان
منشورات
دار الحق
بيروت / لبنان


الحياة
الفكرية والسياسية
لأئمة أهل البيت عليهم السلام


بسم الله الرحمن الرحيم

# الحياة الفكرية والسياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام

المجلد الأول

تأليف
رسول جعفريان

منشورات
دار الحق
بيروت

الطبعة الأولى

١٤١٤هـ - ١٩٩٤م




لبنـان ـ بيروت ـ بئر العبـد ـ قرب محطة دياب ـ بنايـة المهنية اللبنانية .

ص. ب ١٧٩/ ٢٥ خبيري تلفون: ٨٢٥٣١٦ فاكس ٠٠١٢١٢٤٧٨١٨٢٧

# مقدمة الناشر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

برغم ضخامة المؤلَف عن حياة الأئمة عليهم السلام الذي تارة أخذ شكل المجاميع الروائية أو الأخبار التأريخية، لم تأخذ حقها من الدراسة كحياة عظماء جسّدوا الاسلام واعطوا المثال الأروع عنه، وذلك نتيجة ابعاد الاسلام الاصيل عن الساحة، وتصدي النموذج الأبعد عن الاسلام للأمر.

وبعد بزوغ فجر الاسلام من جديد وعودته إلى دوره، كان لزاماً إعادة النظر في جميع مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعسكرية، ودراستها لاستكشاف رأي الاسلام ومنهجه، وبلورة مفهوم صحيح وصالح عنه. وهو شأن المفكرين وذوي الاختصاص.

ومن أهم الجوانب التي يجب التركيز عليها حياة المثال الأروع والمجسد الحقيقي للاسلام الأئمة عليهم السلام والكتاب الذي بين يديك -عزيزي القارىء- جهد مشكور قام به أحد علمائنا الأفاضل، يتناول الجانب الفكري والسياسي للأئمة عليهم السلام، ودراسة حياتهم، وقد جمع في مجلدين، تناول الجزء الأول حياة ستة من الأئمة، وتناول الجزء الثاني بقية الأئمة (سلام الله عليهم).

ودار الحق للطباعة والنشر والتوزيع إذ تضع هذا الجهد بين يدي القارىء الكريم، تأمل من جميع المفكرين وذوي الاختصاص، أن يكون هذا الكتاب بادرة للتوسع في دراسات معمقة ومتخصصة عن حياة أولئك العظماء، ومن القارىء العزيز الاستفادة من هذه الثروة في الاحتذا والاقتداء بأولئك الهداة.

نسأل الله دوام التوفيق.

دار الحق
للطباعة والنشر والتوزيع

# دراسة حياة

# الائمة عليهم السلام شمولاً وعمقاً

**بداية:**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

والحمد لله، وصلاته وسلامه على عباده الذين اصطفى، محمد وآله الطيبين الطاهرين...

**وبعد..**

فان الحديث عن الائمة، وعن حياتهم، ومواقفهم وممارساتهم ليس حديثاً عن أشخاص لهم ميزات وخصائص محدودة، ذات طابع فردي تمتاز بها شخصية مّا على حدّ ما عرفناه والفناه.

وانما هو حديث عن الاسلام بشتى مجالاته، ومختلف ابعاده، واروع

خصائصه، وبكل ما فيه من شمولية، وأصالة وعمق.

انه حديث عن الحياة بحلوها ومرها، وبكل ما لها من اتّساع وامتداد، وغموض ووضوح وهو ايضاً حديث عن هذا الكون الرحب، وعن كل ما فيه من عجائب وغرائب وآيات بينات.

حديث عن الدنيا والآخرة بآفاقها الرحبة، وبجميع ما فيهما ولهما من ميزات، وسمات.

اذن.. فليس بوسع اي باحث أو مؤرخ ان يستوعب حياتهمعليهم السلام. ولا أن يعكس لنا الصورة الدقيقة والطافحة بكل النبضات الحية في شخصيتهم، وفي مواقفهم ومجمل سلوكهم، الا اذا استطاع ان يدرك بعمق كل حقائق الاسلام، ويقف على واقع تأثيراته في كل حياتهم، وفي كنه شخصياتهم، ومن ثم انعكاساته على سائر المواقف، وعلى كل المفردات، والحركات، والسلوك، والتعامل مع كل ما ومن يحيط بهم.

ولا نظن احداً يستطيع ان يدعي انه قد بلغ هذا المستوى او وُفِّق لمثل هذا المقام الرفيع، الا ان كان واحد منهمعليهم السلام، أو من يدانيهم فكراً وعلماً، وفضيلة وخلوصاً، وصفاءً، كسلمان الفارسي وابي ذر واضرابهما واين وانّى لنا بأمثال هؤلاء، أو بمن هم دونهم بمراتب.

ولكن ذلك لا يعني ان نقف هكذا عاجزين، ولا ان نرتد خائبين. بل لابد من خوض غمار البحث، واقتحام هذا العباب الزاخر بالخير والبركات، والعبر والعظات، من اجل ان يستفيد كل منا حسب ما تؤهله له قدراته، وتسمح له به امكاناته، فان ذلك نور على نور وهو محض الخير الذي من شأنه ان يؤهل لخير

اوفى وأوفر واكبر ولبركات أعم واتم واكثر.

وليست هذه المحاولة من الاخ الفاضل والمهذب الكامل حجة الاسلام الشيخ رسول جعفريان، الا من اجل أنه اراد ان يقتحم آفاق النور لتلامس اشراقته قلبه، ويغمر لجين سناه عقله وروحه، فعاد بالخير الكثير، وبالعطاء الوفير، فشكر الله سعيه، ووفقه وهداه سبل الخير والرشاد، والفلاح والسداد.

## آفاق البحث

وإذ قد عرفنا: أن الحديث عن الأئمة عليهم السلام ليس تأريخاً لاشخاص، فيما نعرفه من مفردات التاريخ لهم.

وإنما هو تاريخ الرعاية الإلهية لهذا الانسان، الذي أراد الله له أن تتجسد فيه كل آمال الانبياء وجهودهم، على امتداد التاريخ البشري، فانهم عليهم السلام هم التجسيد الحي، والنموذج الفذ للخلافة الالهية على الارض، بكل ما لهذه الكلمة من معنى، وبجميع، ما تحمله من مداليل. نعم لقد تجسد في شخصيتهم الانسان الكامل الذي واجه الحياة، بالإرادة والوعي والحكمة، والحزم، وواجهته الحياة بكل ما تملك من سلبيات، وما تختزنه من مصاعب ومشكلات وما انطوت عليه من مهالك، وآفات. فقهرتها إرادته، التي هي امتداد لارادة الله سبحانه، واحبط مكرها وعيه، لأنه ينظر بعين الله، وانتصرت عليها حكمته، وأناف على جبروتها حزمه، لأن ذلك منه كان بتعليم الله وتسديده، وتوفيقه وتأييده.

ومن هنا.. فانه يصبح من الوضوح بمكان حاجتنا إلى فهم حياة الأئمة عليهم السلام من خلال فهم كل الظروف، والاحوال التي ساهمت في فرض واقع معين كان لابد لهم من أن يعايشوه، وأن يتعاملوا معه، في كل مجال، وعلى كل صعيد.

سواء في ذلك ما ربما يعتبره البعض أنه يقع في الدائرة الخاصة في حياتهم الشخصيةعليهم السلام أو في ما يفترض انه الدائرة الاوسع من الحياة العامة في ظروف العمل السياسي والاجتماعي والتربوي العام، وما يرتبط بذلك أو ينتهي إليه، بسبيل، أو بآخر.

وكل ما تقدم إنما يدلّل على حقيقة واحدة، ويؤكدها، ألا وهي الصعوبة البالغة وحجم المشاق التي لابد ان تواجه أي باحث يريد أن يفتح نافذة على الافاق الرحبة في حياتهم صلوات الله وسلامه عليهم، ويؤرخ لها ولو في المستوى الادنى، مهما أراد أن يقتصد ويقتصر على الضروري من الشواهد والدلائل.

## سؤال.. وسؤال آخر

ولكن ما تقدم يفرض علينا الاجابة على سؤال ملحٍ، وهو:

هل يكفي ما بايدينا من نصوص ومصادر لهذا المهم، ويفي بهذا الغرض، ويحقق تلك الغاية؟!

وإذا كانت الاجابة الصحيحة والصريحة بالنفي، فان السؤال الآخر الذي يواجهنا هو:

هل استطعنا أن نوظف كل ما لدينا من نصوص؟ وهل استفدنا من جميع المصادر التي بحوزتنا بالشكل الكافي، وبالمستوى المطلوب؟!

وطبيعي أن تكون الاجابة الصحيحة والصريحة هي كالاجابة السابقة بالنفي أيضاً. فان الكل يعلم: أننا لم نستطع أن نستثمر ما بأيدينا من نصوص في مجال فهم حياتهمعليهم السلام، والانطلاق في آفاقها الرحبة واللامحدودة.

بل إننا لن نكون مسرفين في القول، إذا قررنا: أننا حتى الآن لم نقم بما هو ضروري في مجال التحضير للاجواء والمناخات، وتقريب الوسائل التي تؤهلنا، ولو لأن نقدم معلومات عامة منسقة بصورة فنية صحيحة، أو فقل: لم نقم حتى بفهرسة اجمالية تقربنا إلى معرفة القيمة الحقيقية لما نملكه من تراث نافع في هذا المجال، أو ذاك.

فضلاً عن أن نقوم بدراسة النصوص وتمحيصها، ثم ربطها بمناشئها وتأثيراتها في غاياتها بصورة علمية معمقة ومفيدة، ولو في دائرة محدودة.

وإن كنا قد نجد لمحات ولمعات متناثرة هنا وهناك، لم تنل حظها من البحث والتقصي، ولا استطاعت أن تربط نفسها بما عداها، مما كانت لها تأثيرات ـ به أو فيه ـ بمستويات متفاوتة.

## تأريخان.. غير متجانسين

ولعل مما يزيد الأمر صعوبة، واشكالاً: أننا إذا وضعنا تاريخ الأئمة عليهم السلام، إلى جانب هذا التاريخ الذي يدعي أنه يسجل وقائع واحداث الفترة الزمنية التي عايشها الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم، ـ لو وضعناهما ـ أمام باحث أو ناقد لا يملك أية خلفيات تعطيه تصوراً عن حقيقة تطورات الأحداث، وتأثير السياسات، فانه سيجد: أنهما تاريخان غير منسجمين، بل وحتى غير متجانسين، ولسوف يخيل إليه: أن الأئمة لا يعيشون الاحداث ولا يشعرون بما يحيط بهم بل هم عالمهم الخاص بهم، المنغلق والمنطوي على نفسه، وللآخرين عالم آخر، لا يشبه ذاك العالم لا من قريب، ولا من بعيد.

ولكن الباحث الالمعي، والمدقق الخبير، الذي اطلع على حقيقة التطورات،

وما رسمته السياسات في المجالات المختلفة، لسوف يجد عكس ذلك تماماً، ولسوف يكتشف: أن الائمة عليهم السلام يلامسون الواقع عن قرب، ويسجلون الموقف الرسالي المسؤول، والواعي، تجاه كل ما يجري، ويدور حولهم.

ولعلهم عليهم السلام يمثلون في أحيان كثيرة أعمق العوامل تأثيراً في مجمل الواقع السياسي، والاجتماعي، والثقافي، والتربوي، على مستوى الأمة باسرها، فضلاً عن تأثيرهم العميق، في الدائرة التي يبدو ـ للوهلة الأولى ـ أنهم يعيشون فيها، ويتعاملون معها.

## التزوير.. والاصالة:

وفي مجـال فهم عوامل هذا الاختلاف الظاهر بين ذينك التاريخين، لابد من التأكيد على الحقيقة التالية:

وهي: أن ذلك الفريق الذي اهتم بتسجيل بعض اللمحات من حياة الائمة ومواقفهم عليهم السلام. يختلف كثيراً في عقليته، وفي مفاهيمه، وفي طموحاته، ثم في حوافزه ودوافعه، وكذلك في اهدافه وغاياته ـ يختلف كثيراً ـ عن ذلك الفريق الذي تصدى للتأريخ لتلك الفترة الزمنية، التي عايشها الأئمة عليهم السلام.

والأهم من ذلك هو ذلك الاختلاف الظاهر، والاساسي بين هذا الفريق وذاك في مجمل المعايير والمنطلقات التي رضيها كلٌّ لنفسه، وانطلق منها لتمييز الحق من الباطل، والصحيح من السقيم، وعلى أساسها كان الرد أو القبول، والخروج، والدخول، في مختلف المواقع والمواضع.

حيث وجدنا: أن المنطلقات، والمعايير، التي انطلق منها، وتحرك على أساسها أولئك الذين أرخوا لتلك الحقبة من الزمن، وكتبوا ما يسمى بـ«التاريخ

الاسلامي» قد كانت في مجملها مزيفة ومضللة، أريد منها تكريس الانحراف، وتأكيده، وتبريره، والحفاظ عليه، وتسديده.

ولا نقول ذلك تعصباً، ولا تجنياً على التاريخ والمؤرخين، ما دام أن الكل يعترف لنا بحقيقة:

أن التاريخ المكتوب ليس هو تاريخ الشعوب والأمم، ولا يملك القدرة على أن يعكس لنا آمالها، ولا آلامها، ولا معاناتها أو حركتها في واقع الحياة.

وإنما هو تاريخ الحكام والسلاطين، ومن يدور في فلكهم.

وحتى تاريخ الحكام هذا؛ فانه لم يستطع أن يعكس واقعهم بامانة ودقة ونزاهة، مادام أنه غير قادرٍ إلا على تسجيل ما يرضي الحكام، ويصب في مصلحتهم، ويقوي من سلطانهم، مهما كان ذلك محرفاً غير نقي، أو مزوراً وغير واقعي.

فلم يكن ثمة مؤرخ يملك حرية الرأي، ولا هو مطلق التصرف فيما يريد أن يقول أو يكتب. كيف وهو يرى بأم عينه كيف ان رواية واحدة يرويها أحدهم في فضل علي عليه السلام، تثير عليه غضب الحاكم، فيصدر أمره بجلده مئات السياط.

ويروي الطبري حديث الطبري، فيرجم العامة داره، حتى كان على بابه تل من الحجارة.

ويروي أحدهم رواية حول مناظرة بين آدم وموسى عليهما السلام، فيشكل الأمر على أحد الحاضرين ولا يعرف أين اجتمع آدم وموسى، وبين موت ذاك، وولادة هذا المئات من السنين، فيدعو الخليفة له بالنطع والسيف، إلى آخر ما هنالك مما يحتاج استقصاؤه إلى وقت طويل وجهد وافر.

أضف إلى جميع ما تقدم: أن ما كتب وسجل، فانما كتب بعقلية خرافية، قاصرة وغير ناضجة في احيان كثيرة.

ولا أقل من أن كثيراً منهم ينطلق من تعصبات مقيتة، أو من هوى مذهبي رخيص لا يلتزم بالمنطق السليم، ولا يهتدي بهدى العقل، ولا يؤمن بالحوار والفكر كأسلوب أفضل للتوضيح وللتصحيح.

هذا.. إلى جانب اهواء وطموحات لا مشروعة ولا مسؤولة، تتوسل بالتحوير والتزوير. لتتوصل إلى المناصب والمآرب.

ومن خلال ذلك كله، وسواه، فانه يصبح من الطبيعي: أن لا يجد الباحث في كتب التاريخ الملامح الحقيقية للشخصيات التي تقف في موقع التحدي للحكام، ولمخططاتهم، وتتصدى لاصحاب الأهواء المذهبية، والتعصبات العرقية، وغيرها، ولانحرافاتهم.

هذه الشخصيات التي تركت آثاراً عميقة وخطيرة في واقع الحياة السياسية والاجتماعية، والعلمية والتربوية وغير ذلك.

ومن هنا.. فاننا نعرف: أنه لابد من البحث عن الأيدي الامينة والمخلصة التي تستطيع أن ترسم الملامح الحقيقية لهؤلاء الافذاذ من الرجال. ثم محاولة التقاط ما تناثر هنا وهناك من لمعات، أو ندّ من لفتات ولمحات، لم يجد الحكام فيها خطراً، ولربما أراد المؤرخون ان يقضوا بها وطراً.

## بين الافراط.. والتفريط

وبعد.. فاننا نشعر: أن من الضروري الاشارة هنا إلى ذلك النهج من

البحث، الذي يفرط في الاعتماد على الغيب في فهمه لمواقف الائمة عليهم السلام، وتفسيرها. ويفصلهم عن واقع الحياة وحركتها، ويصورهم على أنهم يحركون الحياة، ويتعاملون معها بصورة خفية، ومن وراء الحجب، ولا تكاد تذكر له أمراً عن امام حتى يصدمك بالقول بأن ذاك امام له حكمه الخاص به حتى كأن الامام لا يجوز الائتمام به، وليس قوله وفعله وتقريره حجة علينا وعلى الناس جميعاً.

وذلك إن دلّ على شيء، فانما يدل على أن صاحب هذا النهج من البحث والفكر يعاني من مشكلة فهمه الخاطىء للائمة عليهم السلام، ولدورهم، الذي رصدهم الله للقيام به، الا وهو نفس دور الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم، الذي ارسله الله سبحانه مبلغاً ومعلماً، ومربياً، وقائداً، وقاضياً، وحاكماً إلى آخر ما هنالك من مهمات صرح بها القرآن الكريم، ولهج بها النبي العظيم صلى الله عليه وآله وسلم.

كما أنه لم يأخذ بنظر الاعتبار تأكيدات القرآن والرسل على بشريتهم: **﴿قل سبحان ربي هل كنت الا بشراً رسولاً، وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا: ابعث الله بشرا رسولاً﴾**[1].

**﴿ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً، وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾**[2].

إلى آخر ما هنالك من آيات لها هذا الطابع، أو تصب في هذا الاتجاه.

وفي مقابل ذلك، فاننا لا نوافق الآخرين أبداً، بل نخطؤهم بقوة في نظرتهم المادية إلى الائمة عليهم السلام، بعيداً عن عنصر الغيب، والكرامات الالهية فيفسرون مواقفهم عليهم السلام وكل سلوكهم، وأنحاء تعاملهم، ويفهمونها على أساس مادي،

---

(١) الاسراء ٩٣ و ٩٤.

(٢) الانعام ٩.

خاضع لحسابات رياضية، له آثار ونتائج طبيعية وذاتية بالدرجة الأولى.

وهم يتجاهلون بذلك النصوص التي لها طابع غيبي، على أساس الالطاف الخفية، والكرامة الإلهية لعباد الله الاصفياء، وحججه على عباده، وامنائه في بلاده.

فلا يكاد يقترب من تلك النصوص والآثار التي تسجل ـ على سبيل المثال ـ حقيقة: أنه يوم قتل الحسين عليه السلام لم يرفع حجر في بيت المقدس الا ووجد تحته دم عبيط.

ثم ظهور الحمرة في يوم عاشوراء، وقول زينب عليها السلام لابن زياد افعجبتم أن مطرت السماء دماً ولا يتصدى لبحث ذلك وتأييده، أو رده وتفنيده وليفترض لنا أن زينب عليها السلام إنما تفترض الحدث ولا تنقله وتسجله على أنه حقيقة واقعة.

وهم ابعد ما يكونون عن الحديث عن كلام الرأس المقدس فوق الرمح بالآية الكريمة: **﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم، كانوا من آياتنا عجبا﴾**.

بالاضافة الى حديث ارتفاع جدران المسجد، حينما همّت الزهراء عليها السلام بالدعاء على الذين يضطهدون أمير المؤمنين عليه السلام، ويغتصبون حقه، بعد ضربهم لها واسقاطهم جنينها حين وفات أبيها الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

إلى غير ذلك من نصوص وآثار، تشير إلى ظهور الكرامات، وخوارق العادات لهم عليهم السلام، وشمول الله لهم بالطافه الخفية، تماماً كتلك المعجزات والكرامات التي سجلها القرآن للانبياء، كما في قضية عصا موسى، ونقل عرش ملكة سبأ، وغير ذلك.

نعم.. إن هؤلاء الباحثين والكتاب، لا يكادون يقتربون من النصوص التي

لها هذا الطابع، وتصب في هذا الاتجاه، حتى كأنهم لا يريدون الاعتراف بها، أو أنهم يخجلون من وجودها. تماماً كخجل البعض منهم وإبائه من طرح موضوع الامام المهدي الغائب صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه الطيبين الطاهرين في أي من كتبه وابحاثه، متمحلاً اعذاراً واهية لا تسمن ولا تغني من جوع.

ولا ندري إن كان بعد ثبوت صحة هذه النصوص، وسلامتها، يمكن لهؤلاء أن لا يعتبروها جزءاً من تاريخ الائمة، ومن حياتهم.

وأخيراً.. فاننا نؤكد لهؤلاء ولغيرهم على حقيقة: أن الائمة عليهم السلام إنما يمثلون الرعاية الالهية لانسانية الانسان، من خلال الاعتراف بواقعية وجوده المادي، ثم الانطلاق بهذا الواقع بالذات، والسمو به إلى المطلق الى رحاب الله سبحانه، من خلال الامداد الغيبي حيث يكون ذلك ضرورياً، واكرامه بالكرامات الظاهرة واكتنافه بالألطاف الالهية الخفية اللامحدودة، حيث يصبح محلاً وأهلا لها.

أما أولئك الذين يحجمون دور الائمة، ويقصرونه على الاخلاق، مثلاً أو على الدور الاجتماعي، أو خصوص التحرك السياسي مثلاً، ويصبون كل تصوراتهم في هذا القالب المحدود أو ذاك، فانما يقدمون للآخرين صورة تفقد معظم معالمها الاساسية، ولا يمكن أن يعكس بحث كهذا واقع حياتهم، وحقيقة دورهم عليهم السلام.

## مدخل دراسة، تعوزه الفهرسة

ولقد كان بودّي أن اسهم بدوري ببحوث تتناول بعض جوانب حياتهم عليهم السلام. وهذه أمنية عزيزة علي، وأثيرة لدي. وقد كنت قبل سنوات قد سجلت بعض النقاط، المؤهلة للبحث بصورة اكثر الحاحاً، على أن تمثل بمجموعها

مدخلاً معقولاً لدراسة حياتهم عليهم السلام، وإن كانت ربما تكون لا تستوعب كل ما يجب، وما ينبغي.

وقد بقيت هذه النقاط متناثرة تائهة، يعوزها التنسيق، والتبويب والفهرسة وقد سنح بخاطري الآن ان أقدمها إلى القرّاء كما كانت عليه، علّ أن ينفع الله بها، من يسعفه التوفيق للبحث والتقصي في حياتهم عليهم السلام.

## والنقاط هي التالية:

١ً ـ إن من الطبيعي اعطاء لمحة عن تواريخهم عليهم السلام كيوم الولادة، ويوم الوفاة، والسنة والشهر، ومحل السكنى والاولاد والزوجات، والاصحاب وسائر النقاط التي تمثل الجانب الفردي والشخص لهم عليهم السلام.

وذلك بصورة علمية صحيحة، فيها من التحقيق، ما يزيل كل شبهة وريب أو ترديد.

٢ً ـ لماذا تعدد الائمة عليهم السلام، سؤال لابد من الاجابة عليه.. وهل يمكن أن يكون لما نراه من اختلاف وتميّز المواقف لكل إمام بالنسبة للامام الآخر، فهذا تراه يهتم بالتربية العقائدية، وذاك يهتم بنشر المعارف الفقهية، وثالث يهتم بالناحية السياسية، إلى غير ذلك مما تفرضه عقليات، وحاجات الأمة في الأزمنة المختلفة ـ هل يمكن أن يكون لذلك صلة بتعدد الائمة عليهم السلام، أم أن ذلك لمحض الصدفة واقتضاء الحالات والظروف الطارئة؟ مع العلم بأن بعض الائمة قد تصدوا لاكثر من مجال أيضاً.

٣ً ـ بيان الطرق التي اتبعها الأئمة لمعالجة الانحرافات الفكرية، وايراد امثلة على ذلك، سواء في النواحي العقائدية، أو الفقهية، أو في التفسير، أو في السلوك

الانساني، والأخلاقيات، أو في المواقف من القضايا الحساسة والمصيرية، وغير ذلك.

٤ً ـ محاولاتهم طرح الاسلام العملي، الذي يرتبط بالغيب، ويندفع نحوه، مع مقارنة بين ذلك وبين ظاهرة التصوف الذي اهتم بالرياضة الروحية، وأهمل الجانب الثقافي والعلمي. وبيان الفوارق بينهما وكذلك الحال بالنسبة لذلك الاسلام النظري الذي اهتم بالناحية الثقافية والعلمية، وحشر المفاهيم الجافة والنظريات الفارغة من النفحات الروحية، ومن الارتباط بالغيب.

٥ً ـ الملاحظة الدقيقة لموقفهم عليهم السلام من أهل الحديث، ومن المعتزلة، وسائر الحركات الدينية والفكرية والفرق المختلفة التي كانت تحاول فرض نفسها، وبلورة افكارها هذا بالاضافة إلى مواقفهم عليهم السلام من الفقهاء المنحرفين، وعلماء السوء، ووعاظ السلاطين.

٦ً ـ ولابد أيضاً من إلماحة سريعة إلى سرّ موقفهم عليهم السلام السكوتي في قضية خلق القرآن، وسبب أمرهم شيعتهم بعدم التدخل في الجدل القائم حولها.

مع الماحة سريعة بأهداف طرح مسألة كهذه، ثم النتائج التي تحققت في هذا الاتجاه.

٧ً ـ ثم هناك موقفهم عليهم السلام من الثقافات الغريبة الوافدة عن طريق أهل الكتاب، وعن طريق الترجمات لكتب سائر الأمم، أو اختلاط المسلمين بعد الفتوحات، وغيرها بالأمم الأخرى، واطلاعهم على ما عندها من أفكار ومذاهب.

ولا يجب أن ننسى مواقفهم عليهم السلام من التحريفات، التي كان يتعرض لها

الاسلام الخالص من قبل اليهود والنصارى الذين اظهروا الاسلام. ومن قبل القصاصين، وأهل الحديث من طالبي الشهرة والمال. وكذلك تحريف الحكام والسلاطين للاسلام، ليوافق مذاهبهم ومشاربهم السياسية، ويخدم طموحاتهم، وتوجهاتهم السياسية، ومصالحهم الشخصية، أو القبلية والإقليمية.

٨ً ـ ولابد من بيان موقفهم من تفسير القرآن بصورة غير واقعية، ومن التلاعب بالسنة النبوية الشريفة.

ثم التعرف على الموازين والمعايير والضوابط التي اتبعوها أو أرشدوا إليها والتي يتمكن الناس من خلالها من معرفة ذلك الجانب العريض من النصوص، واستبعاده كما ويتمكن شيعتهم بواسطتها من فهم القرآن فهما سليماً غير متأثر بما هو غريب عن الدين وتشريعاته، وعن الاسلام ومفاهيمه.

ودراسة قضية الكندي هنا تصبح ضرورية لفهم بعض أساليب الأئمة في مواجهة حالات الإنحراف الفكري، إذا كانت منطلقة من شبهة، ولم يكن لها خلفيات، ذات طابع غير اخلاقي، ولا إنساني.

٩ً ـ كما لابد من دراسة السرّ في أنهم عليهم السلام لم يتركوا للناس آثاراً مكتوبة، ما دام أن ذلك يحسم النزاع في أمور كثيرة. مع أن تدوين العلوم كان في زمنهم على قدمٍ وساق، ورغم أن أمير المؤمنين عليه السلام قد كتب الجفر والجامعة وغير ذلك، لكن ما كتبه عليه السلام قد بقي عندهم، ولم يتجاوزهم إلى غيرهم.

وذلك يحتم دراسة صحيفة الرضا عليه السلام، وغير ذلك مما ينسب إليهم عليهم السلام لمعرفة إن كانت من املاءاته، أم أنها من مكتوباته، وقد بقيت لانه كان ثمة فرق بين هذا العلم وذاك، أو بين عصر وآخر، لابد من تحقيق ذلك وإيضاحه.

أضف إلى ذلك أننا نجدهم عليهم السلام يشجعون شيعتهم باستمرار على تدوين العلوم، واتقانها، لابد من تفصيل وقائع ذلك بصورة واضحة.

١٠ً ـ لابد من البحث حول كرامات الأئمة عليهم السلام، والاجابة على سؤال: هل كان الأئمة بحاجة إلى ظهور تلك الكرامات على أيديهم؟ وما الفرق بين الكرامة والمعجزة؟ ثم ما الفرق بين كراماتهم وبين ما ينسب الى غيرهم من المتصوفة وسواهم. وهل كل ذلك صحيح؟ أم أن كرامات الصوفية وغيرهم موضع شك وريب؟ لابد من ذكر مبررات ذلك إن كان. وإذا كان ثمة مبالغات غير معقولة، فلابد من الاشارة إلى ذلك مع التركيز على فهم ظروفه ومبرراته.

كما أنه لابد من دراسة ما ينسب إلى المرتاضين حتى من غير المسلمين من خوارق.. وكذا ما ربما يقال من حصوله لبعض غير المسلمين ممن لهم اعتقادات غير صحيحة.

وهل يدخل في هذا المورد (الكرامات) اخباراتهم عليهم السلام بالأمور الغيبية وعن المستقبل، وهل كانت ذلك من هذا الباب، أم أن بعضه من العلم الخاص، وبعضه ليس من هذا ولا ذاك، وإنما هو معرفة للنتائج من خلال دراسة الظروف الموضوعية بدقة ووعي؟!

كما أنه لابد من معرفة السبب في أن علياً عليه السلام قد كان يهتم باظهار هذا الأمر، اعني الاخبار بالمغيبات، وقد بلغت اخباراته حداً جعل بعض الناس يتهمونه بالتكهن وحتى بالكذب ـ والعياذ بالله ـ.

مع ذكر نماذج مما تحقق من اخباراته الغيبية عليه الصلاة والسلام.

١١ ـ حدود علوم الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم وكيفية علمهم مع

تسجيل الملاحظة التي تقول: إنهم عليهم السلام كانوا باستمرار يؤكدون على أن لديهم من العلوم والمعارف الخاصة ما ليس عند غيرهم، وأنهم إنما تلقوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي هو مصدر الوحي، ومن ذلك قولهم: إن عندهم الجفر والجامعة «كتاب علي عليه السلام» وغير ذلك. وما هو السر في ذلك؟

١٢ ـ محاولة اعطاء وصف دقيق ـ مع الامثلة الكثيرة ـ لشخصياتهم في ابعادها المختلفة، وابراز فضائلهم ومزاياهم النفسية، بالاضافة إلى التعرف على سلوكهم الانساني والاخلاقي.

ثم إعطاء تصور عن حياتهم الخاصة، ووصف دقيق لتعاملهم مع ابنائهم وسائر أفراد عوائلهم، وحركاتهم داخل بيوتهم، وتصرفاتهم مطلقاً، حتى مع ضيوفهم، أو حينما يكون ثمة ما يوجب فرحاً وسروراً أو حزنا وجزعاً.

١٣ ـ ملاحظة مصادر أموالهم وحجمها، من أين كانوا يحصلون عليها وكيف؟ وفي أي شيء كانوا ينفقونها؟ وما هو مدى تأثير المال في حياتهم وفي روحياتهم ونفسياتهم؟

ثم الاشارة إلى حقيقة موقفهم من عطايا الحكام، ومتى تقبلوها، ولماذا؟ وهل كان رفضهم لها يعني ـ بنظر الحاكم الظالم ـ تحدياً، واعلاناً للحرب ضده.

ولابد من معرفة السر في أن أمير المؤمنين عليه السلام قد كان ينفق على نفسه من أمواله في المدينة، وهل كان يأخذ من بيت المال عطاءً، وفي أي شيء كان ينفقه، وكيف جاز له أخذ العطاء، إذا كان يملك من البساتين ما تقدر صدقته، أو غلته بأربعين ألف دينار في السنة؟! وهل كانوا عليهم السلام يتناولون من الخمس شيئاً، وكذا من غيره من الحقوق الشرعية، ولماذا؟

هذا بالاضافة إلى توضيح كيف أنهمعليهم السلام كانوا يصرون على العمل في مزارعهم وبساتينهم بأنفسهم.

ثم البحث عن سرّ مطالباتهم ببعض ما انتزع منهم من أراضٍ، وماذا كان مصير الخمس في عهد عليعليه السلام.

١٤ ـ اساليبهم التربوية لشيعتهم، وأسس وأساليب تعاملهم معهم، وكيفيات ربطهم الناس بقضية أهل البيتعليهم السلام، عقائدياً و عاطفياً وثقافياً وغير ذلك، وتأثيرات هذه المركزية الدينية على الحالة الفكرية وعلى الانسجام في الفهم للامور وفي المواقف والتطلعات، والآمال ـ هذا ـ إلى جانب موقفهم من كل الثقافات الأخرى وأن كل ما لا يخرج من هذا البيت فهو زخرف، ومدى تأثير ذلك في صيانة الفكر والعقائد، والمفاهيم لدى الناس الذين كانوا مرتبطين بهم.

١٥ ـ هذا بالاضافة إلى تسليط الاضواء على الحالة التنظيمية الدقيقة التي ركزوها فيما بين شيعتهم، والماحة الى دور وكلائهم في مختلف الاقطار، وحدود صلاحيات ووظائف أولئك الوكلاء، ثم معالجات الأئمةعليهم السلام للخلافات التي ربما كانت تنشأ فيما بين هؤلاء الوكلاء، مع التركيز الدقيق على الانضباطية في الحالة التنظيمية، حتى إنهم ليرجعون الأموال لاحد الاشخاص، ليدفعه الى الوكيل الذي كان في بلد ذلك الشخص.

١٦ ـ الاساليب الحربية، ومبادئ الحرب عندهم، هذا بالاضافة إلى المبررات التي كانت تكفي ـ في رأيهم الذي هو رأي الاسلام ـ لخوض الحروب ومكابدة ويلاتها. هذا بالاضافة إلى بيان الحدود التي تفرض ايقاف تلك الحرب، ومبررات التخلى عنها.

ووصف دقيق لتعاملهم الانساني مع أعدائهم، ورفض منطق التشفي،

واسباب ذلك وتأثيراته.

١٧ ـ ابراز اهتمام الأئمةعليهم السلام بتربية متخصصين في العلوم والفنون، فهذا متكلم، وذاك فقيه، وآخر كيميائي، وهكذا... ثم اهتمامهم في أن لا يتجاوز كل منهم حدود اختصاصه وارجاع الآخرين حين تمس الحاجة إلى أصحاب الاختصاصات هذه كل حسب ما يتناسب مع ما يطلبه ويريده.

هذا.. إلى جانب ابراز المستوى الثقافي لاصحابهمعليهم السلام حتى لقد أصبحوا في عهد الامام الصادق، والكاظمعليهما السلام هم الطليعة المثقفة والواعية، وارباب الفكر والعلم في الأمة الاسلامية، وهيمنوا على الثقافة العامة بصورة واضحة. ودراسة تأثيرات ذلك على صقل الفكر وانتقاء المقولات لدى أرباب الفرق والمذاهب الأخرى، هذا.. بالاضافة الى تأثيرات ذلك على السياسة والسياسيين ومواقفهم من الائمةعليهم السلام، ومن الشيعة بصورة عامة.

١٨ ـ بيان اهتمام الائمةعليهم السلام بتعليل الاحكام الشرعية وغيرها، حتى لقد ألفت الكتب فيما روي عنهمعليهم السلام من علل أو من حكم ودراسة الطابع والخصائص التي كانت تتميز به تلك التعليلات والموضوعات والنواحي التي ابرزتها أكثر من غيرها.

١٩ ـ بيان أنهمعليهم السلام كانوا لا يستعملون التقية في بعض القضايا الحساسة، رغم خطورة ذلك على حياتهم، كقضية: أنهم الأحق بالإمامة من كل أحد، وقضية النص على عليعليه السلام فما هو سر ذلك؟ وما هي الاساليب التي استفادوا منها لاقناع الناس بهذا الأمر الخطير. ثم إظهار أنهم كانوا يركزون في اثبات ذلك على أمرين: أحدهما: اظهار واثبات: أن لديهم علوماً خاصة، ورثوها عن رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم، ولا توجد لدى أي كان من البشر. الثاني: قضية النص.

٢٠ ـ كيف كان يتم الإتصال فيما بين الأئمةعليهم السلام وبين القاعدة الشعبية، وبسائر أفراد شيعتهم، الذين كانوا في ضيق شديد، ومحنة عظيمة من قبل حكام الجور، وكثير منهم في السجون، أو مشردون في البلاد.

مع إعطاء لمحة عن الاساليب والوسائل التي كان كبار شيعتهم يتوسلون بها للاتصال بهم ولاسيما في الظروف الصعبة والحرجة.

٢١ ـ لابد من إعطاء لمحة عن نشاطات الائمة حينما كانوا في سجون الطواغيت، سواء في ذلك نشاطاتهم فيما بين الناس الذين يسيرون في الخط الآخر، أي في ركاب الحكام أو ينتمون إلى فرق أخرى ليست على علاقات طيبة مع خط اهل البيتعليهم السلام، حتى لنجد يحيى بن خالد البرمكي يشكو إلى الرشيد بأن الامام الكاظم وهو تحت هيمنتهم، ورقابتهم قد أفسد عليهم قلوب شيعتهم.

٢٢ ـ وبعد.. فان الملاحظ هو: أن الامام السجادعليه السلام قد كان يهتم بالموالي وشرائهم وعتقهم بصورة متميزة عن باقي الأئمة باستثناء ما عرف عن امير المؤمنينعليه السلام وكان يعلمهم ويثقفهم، وكان يكتب ذنوبهم في كتاب، ثم يذكرهم بها ويعتقهم وقد اعتق الوفاً كثيرة منهم. لابد من دراسة دقائق تعاملهعليه السلام معهم وظروف عتقه لهم وآثار هذا التعامل ودوافعه. مع الالتفات إلى أن هذا منهعليه السلام يجيء في وقت كان فيه الحكام يمارسون سياسة التميز العنصري، وتفضيل العرب على كل من سواهم.

ثم.. الالماح إلى دور الموالي في نشر الاسلام ولاسيما التشيع لأهل البيت، ثم ما كان لهم من دور في نشر الاسلام في الامم الأخرى بصورة عامة.

كما أنه لابد من دراسة ظاهرة تزوج نفس الأئمةعليهم السلام بغير العربيات بكثرة، حتى ان عدداً منهم قد ولد من هؤلاء النساء بالذات.

كما أن لمعرفة الائمة بلغات الأمم آثاراً لها طابعها الخاص، لابد من الاطلاع عليه والالمام به وبمناشئه.

٢٣ ـ ثم هناك موضوع التمهيد منهم عليهم السلام لغيبة الامام المهدي صلوات الله وسلامه عليه، وكيف بدأوا يحتجبون عن الناس منذ عهد الامام الهادي عليه السلام، ليعودوا شيعتهم على هذه الظاهرة. هذا بالاضافة إلى أن الامام الجواد والهادى قد تصديا لمقام الامامة في سن مبكر جداً، أي في الخامسة أو فوقها بسنوات معدودة. مع ملاحظة مدى تأثير ذلك على موقف الشيعة وعلى فكرهم، ثم على موقعهم بين أهل الملل الاخرى.

مع الاشارة إلى أن الامام المهدي قد غاب وهو صغير السن، وذلك بعد وفاة والده عليه السلام.

٢٤ ـ ولابد من الحديث عن مساهمة الأئمة عليهم السلام في النهضة العلمية، وعن تصريحاتهم أو تلميحاتهم إلى حقائق علمية، لم يمكن اكتشافها، أو فقل إدراكها الا بعد قرون من الزمن. وعن بعض القواعد والمباني التي ساعدت على تحقق هذه النهضة العلمية، مع ذكر امثلة صريحة ويقينية في هذا المجال، مع ملاحظة تنوع العلوم، ومن اشتهر من اصحابه بالتصدي اليها كجابر بن حيان وغيره.

٢٥ ـ ومن الامور الجديرة بالبحث «الدعاء» عند الأئمة، ولاسيما بالنسبة لأمير المؤمنين، والسجاد، والحسين عليهم السلام، مع تقييم وبحث للصحيفة السجادية، ومضامينها المختلفة، وموضوعاتها المتنوعة، السياسية، والعقائدية، والتربوية، والاخلاقية وغير ذلك. مع الاشارة إلى ما يلاحظ من المد والجزر في مستوى اعتمادهم صلوات الله وسلامه على طريقة الدعاء في ابلاغ وتحقيق مقاصدهم الاعلامية والتعليمية والتربوية.

كما لابد من إلماحة ولو سريعة بما كان يعاني منه الناس من جهل مطبق، وتجهيل متعمد لهم بالاضافة إلى ظاهرة التحريف التي كانت تستهدف الاسلام والمسلمين في تلك الفتـرة، حتى إن بني هاشم، وهم أقرب الناس إلى مصدر الوحي والتنزيل كانوا إلى أن مضت سبع سنين من امامة الباقر عليه السلام لا يعرفون كيف يصلون، ولا كيف يحجون.

كما أن من المفيد جداً تقديم دراسة لرسالة الحقوق للامام السجـاد، ولعهد أمير المؤمنين عليه السلام للاشتر، وتوحيد المفضـل، والرسالة الطبية الذهبية.

٢٦ ـ وإذا كنا نجد: أنه لم يكن يعترف بامامة السجاد سوى ثلاثة اشخاص، أو خمسة، حسب اختلاف النقل، فلابد من معرفة الخطوات التي اتخذها الامام السجاد عليه السلام لتهيئة الأجواء لمدرسة الباقر والصادق عليهما السلام.

مع أن الناس بعد قتل الحسين، وبسبب السياسة الأموية البغيضة قد انصرفوا عن اهل البيت، ولم يبق بينهم بنظرهم شخصية كبيرة تعنو لها الحياة بالتسليم والخضوع وكيف استطاع السجاد عليه السلام أن يصبح الرجل العظيم الذي يجله حتى أعداؤه ومخالفوه اكثر من أي إمام آخر، فهل كان ذلك لأنهم رأو فيه انصرافاً عن طلب الحكم والسلطة؟ أم لغير ذلك من أمور.

وما هو مدى صحة ما يقال من أنه عليه السلام قد غاب عن الناس عشر سنين ليعيش في البادية، وما هو تفسير ذلك على تقدير صحته.

٢٧ ـ ما هي دوافع الحركات الشيعية وغيرها كالزيدية وكحركات الغلاة، وكذلك سائر الحركات التي قامت ضد الحكم والحاكمين، مثل حركات الخوارج، وما هو موقف الائمة عليهم السلام من هذه الحركات، وكيف كانوا يوفقون بين آرائهم فيها، وبين حفظ موقعهم وهم يواجهون ظاهرة اندفاع الناس نحوها.

ولماذا نهى علي عليه السلام عن قتال الخوارج بعده. وما هو موقف الشيعة والأئمة منهم.

٢٨ ـ ولابد أيضاً من دراسة حقيقة موقف الأئمة من الحكام وموقف الحكام من الأئمة، وكيف امكن لهم الحفاظ على التشيع، مع أنه كان يواجه الحكام على مدى التاريخ، ومع أن التعاليم التي كان يؤمن بها الشيعة هي على النقيض تماماً مما يسعى الحكام له، ويعملون من أجله.

وقد رأينا: أن حكومة الجبارين ما حاربت مذهباً إلا وخنقته في مهده، وقطعت أوصاله، إلا أن يسير في ركابها ويدور في فلكها ويجند نفسه ويحرف تعاليمه لتصبح في خدمتها، وقد كان المعتزلة فرقة قوية في منطقها وكانت تملك هي مقاليد السلطة على مستوى الخلافة الاسلامية كلها، ولكنها حين رأت السلطة: أنها في غنى عنها وناصرت خصومها فانها أصبحت في خبر كان، وأصبح أصحاب نحلة أهل الحديث، وهي من السخافة بمكان هم المسيطرون، وهم الحاكمون، وبقيت نحلتهم ودامت، وقعدت وقامت، وإن كان الاشعري قد حاول طلاء وجهها ببعض الأصباغ التي لم تستطع التخفيف من بشاعة ملامحها، حين يتأمل بها المتأملون، ويلتفت إلى ملامحها الشوهاء الواعون. ولابد أيضا من التوقف عند الاساليب التي كان ينتهجها الحكام لابعاد الناس عن الائمة، ومنها اسلوب التخويف والملاحقة كما أن من الضروري الالفات إلى أن الشدة وغيرها من الاساليب التي كان الحكام يحاولون من خلالها ابعاد الناس عن أهل البيت عليهم السلام، قد كانت تنتج عكس ما يريدون وخلاف ما كانوا إليه يطمحون، حيث يزداد الناس في كثير من الأحيان تعلقاً باهل البيت، ثم محاولة تفسير ذلك بالشكل المعقول والمقبول.

مع تقديم اطروحة كاملة عن نظرتهم عليهم السلام إلى الحكم والحاكمين، وعن الموقف الشرعي منهم، وأساليب التعامل معهم.

٢٩ ـ ومن اللازم أيضاً تفسير ظاهرة عدم ثورة الأئمة بعد الحسين عليه السلام على الحكام، مع وجود ثورات كثيرة قام بها الزيدية وغيرهم.

كما أن من الضروري معرفة حقيقة موقف الائمة من ثورة زيد والمختار، وكذلك سائر الثورات التي كانت ترفع شعار الحق والعدل، كثورة الحسين الهرش وثورة الحرة بالمدينة بالاضافة الى ثورة الحسين بن علي في المدينة، وسائر ثورات العلويين.

ولماذا كانوا عليهم السلام يرغبون باستمرار هذه الثورات، ويقولون لشيعتهم: «**ما زالت الزيدية لكم وقاء أبداً**»، ويقولون أيضاً ما مضمونه: «**ما زلت أنا وشيعتي بخير ما خرج الخارجي من آل محمد**». أو نحو ذلك.

وكيف يمكن تفسير هذا الكلام، وعلى أي معنى يحمل. مع أننا لا نجد في علاقات نفس هذا الامام بالثائرين، ما يشجع، أو ما يستحق أن يقال عنه: إنه علاقات طبيعية على أقل تقدير، وذلك بسبب وجود كثير من الفجوات والمشاكل فيما بينه وبينهم.

٣٠ ـ يضاف إلى ما تقدم: دراسة محاولاتهم عليهم السلام إدخال بعض الشخصيات الشيعية ـ ولو مع التقية ـ إلى المراكز الحساسة في الدولة التي يحكمها الظالمون، كما هو الحال في ابن يقطين في دولة الرشيد العباسي. وقد بقي بعض الشيعة يحاولون النفوذ إلى بعض المراكز في الحكومات، حتى بعد عصر الأئمة الطاهرين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين.

ولكنهم في نفس الوقت يمنعون صفوان الجمال من كراء جماله لهارون الرشيد حتى لأداء فريضة الحج. فكيف نوفق بين هذين الموقفين.

ومن المفيد جداً أيضاً: التعرف على الاساليب العملية في مجال الدعوة كالدعاء، والشعر، والكرامات، والاخبار بالمغيبات.

بل نجد عطاياهم للشعراء مثيرة للعجب، لكثرتها، حتى ليرد سؤال: أليس الفقراء كانوا أولى بهذا المال من هذا الشاعر؟

كما لابد من دراسة استشهادات علي والحسين عليهما السلام كذلك لحديث الغدير في رحبة الكوفة وفي منى وغير ذلك من المواضع.

وهناك أيضاً موضوع تخصيص الامام الباقر عليه السلام ثمانمائة درهم لنوادب يندبنه بعد موته في منى في موسم الحج لمدة عشر سنين.

هذا بالاضافة إلى حثهم الشديد والاكيد على اقامة مجالس العزاء والبكاء على الحسين عليه السلام.

إلى غير ذلك من أساليب تعليمية وإعلامية اختاروها في مجال دعوتهم إلى الله سبحانه، وكلها مشروعة، ومؤثرة.

٣٢ ـ وإذا كان الاهتمام بالإبتعاد عن مذهب أهل البيت، وبالجعل والاختلاق للحديث ـ قد تجلى في القرن الأول أكثر منه في الذي يليه فاننا نلاحظ قلة المأثورات في الفقه في القرن الأول، ولم يكن ثمة تحديد واضح لكثير من المسائل والاحكام في تلك الفترة، وقد يكون ذلك لأجل تفويت الفرصة على الوضاعين وأعداء الحق. وقد يكون لغير ذلك أيضاً. ثم بدأ التركيز على المسائل الفقهية وتحديدها، وتحديد الحق في غيرها من المسائل العقائدية منها وغيرها ـ قد

بدأ بعد ذلك القرن، أي من زمن الباقر عليه السلام.

أو فقل بعد مضي سبع سنين من امامته كما أشارت إليه بعض النصوص.

كما أن إظهار الجانب العقائدي السياسي والتدبيري قد كان في عهد الامام علي أمير المؤمنين عليه السلام اكثر منه في عهد سائر الائمة من ولده.

٣٣ ـ كما لابد من دراسة مواقفهم عليهم السلام من الثقافات الوافدة، والمعايير التي رسموها لشيعتهم لقبول ما يمكن قبوله منها، ورد ما يجب ردّه، مع بيان ما قبلوه مطلقاً، وما قبلوه بشرط، وما لم يقبلوه مطلقاً أيضاً.

٣٤ ـ وأخيراً.. لابد من معالجة موضوع الغيبة وفوائدها وآثارها وكيف ربى الائمة شيعتهم على الاستقلال الفكري، باعطائهم الضوابط والمعايير العامة التي تمكنهم ـ لو روعيت ـ من اتخاذ الموقف الصحيح في مختلف الحالات والظروف، وعلى مر الزمان.

كما لابد من دراسة الزلزال الكبير الذي احدثته الغيبة رغم الاعداد لها بامامة الجواد والهادي وهما صغيران، وباحتجاب العسكريين عن الناس أيضاً تمهيداً لذلك، وغير ذلك مما يجده الباحث المتتبع.

**جعفر مرتضى العاملي**

## بسم الله الرحمن الرحيم

**﴿قل لا أسألكم عليه أجراً الاّ المودّة في القربى﴾[1]**

### اهل البيت عليهم السلام

لقد تعرّضنا في كتابنا هذا الى البحث عن المحاولات الفكرية والسياسية لأئمة الشيعة عليهم السلام ... الائمة الذين هم المصداق لأهل البيت عليهم السلام والابناء لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام. وما هو مهمّ التعرّض اليه هنا هو الاجابة عن السبب الذي جعلنا نعتمد كلّ هذا الاعتماد على اهل البيت، فلماذا يعتمد الشيعة على أهل البيت كلّ هذا الاعتماد؟ ولماذا قبلوهم ائمة لهم واعتبروا ولايتهم هي الولاية الاصيلة فقط؟.

الحقيقة إنّ اهل السنّة غير الناصبيين يحبّون اهل البيت ايضاً ويحترمونهم أعظم الاحترام. غير أن الامر المهمّ في المسألة هو الاساس الذي بني عليه هذا

---

(١) الشورى: ٢٣.

«الحب» و«الاحترام» الواجب ابرازهما.

فهل اننا لو بنينا على الاكتفاء بابراز المودّة والمحبّة لهم، وحصرها في حدود الاحترامات الظاهرية نكون قد التزمنا بهذا الواجب وامتثلنا الأمر بمحبّتهم؟ وهل أنّ ما بلغنا من روايات عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في فضيلة أهل البيت عليهم السلام على كثرتها[1]، وأمره صلى الله عليه وآله وسلم بمحبتهم ينحصر في هذا البعد الظاهري من المحبة، ونظم أبياتٍ من الشعر في مدحهم؟.

بعيد جدّاً أن يجيب عقل منطقيّ على هذه الاسئلة بالاثبات فيقول بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اراد منا أن نحبّ قرابته فقط، وأنّه لم يأخذ في هذه المحبّة امراً آخر، وأنه إنّما وجبت علينا محبتهم احتراماً للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فإنّهم قرابته!.

لا ريب انّ الانعطاف الذي يبديه عامّة المسلمين تجاه اهل البيت عليهم السلام منشؤه هو التوصيات الصادرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند اهل السنّة التي تتحدث عن أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جعل اهل البيت عليهم السلام، ركناً للدين بعد القرآن لذا فمن غير الممكن لاحد أن يتجاهل اهل البيت عليهم السلام حيث بلغ عدد الكتب المؤلفة باللغة العربية من قبل اهل السنّة وحدهم حوالي ٧٠٠ كتاب عن اهل البيت[2].

لكن كيف انحرف هذا العدد العظيم من الناس رغم وجود هذا القدر من الفضائل الصحيحة بحيث آل الأمر[3] في نهاية المطاف وإثر اصرار جمع من

---

(١) راجع كتاب «فضائل الخمسة في صحاح الستة» لمؤلّفه آية الله الفيروزآبادي.

(٢) راجع مجلّة «تراثنا» مقالة «اهل البيت في المكتبة العربية» لكاتبها السيد عبدالعزيز الطباطبائي، وقد كان ما أُلفّ من الكتب لحد ذلك الحين يبلغ «٣٤٠» مذكورة بالترتيب حسب الحروف الهجائية واستناداً الى ما قاله الكاتب في مقالته فإنّ عدد الكتب بلغ اخيراً ما يقرب من ٧٠٠ كتاب.

(٣) ينبغي الالتفات الى أنّ احمد بن حنبل وحده الذي ثبّت علياً عليه السلام خليفة رابعاً فإلى زمانه لم يكن

المحدّثين والفقهاء امثال محمّد بن ادريس الشافعي الى أن يقف عند حدّ المحبّة حيث قال:

**يا أهل بيت رسول الله حبّكم فرض من الله في القرآن انزله**
**كفاكم من عظيم الشأن انّكم من لم يصلّ عليكم لا صلاة له**[1]

ويسهل الجواب عن هذا السؤال لدى ملاحظة الوقائع التي جرت في عصر النبي ﷺ وبعد وفاته حتى اواسط القرن الثاني الهجري. فهناك رواية تحكي عن مدى ما كانت قريش تضمره من العداء والنفرة لقرابة رسول الله ﷺ في حياته.

فقد روي أنّ العبّاس عمّ رسول الله ﷺ قال له يوماً: «إنّ قريشاً تلق بعضها بعضاً بوجه منبسط، فاذا رأتنا لقيتنا بغير الوجوه التي نعرفها». فغضب رسول الله ﷺ وقال: **«والذي نفس محمد بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبّكم لله ولرسوله»**[2].

فهذه الرواية تدلّ على أنّ قريشاً كانت ساخطة جدّاً على قرابة رسول الله ﷺ في اواخر ايّامه. وقد جاء في المثل أربعة لا تكون في أربعة السخاء في الزبيريّ، والتواضع في المخزومي، وصحة النسب في الشامي، وحبّ آل محمّد في القرشيّ[3].

---

⇐ العثمانية ـ الذين اخذوا يحملون اسم السنة مع اختلاف يزيد وينقص ـ يعتقدون بهذا الأمر راجع كتاب طبقات الحنابلة ج ١، ص ٤٥.

(١) راجع: كتاب القدر ج ٣ ص ١٧٣، والصواعق المحرقة ص ٨٧، وشرح المواهب ج ٧ ص ٧ ومشارق الانوار ص ٨٨، والاتحاف ص ٢٩ والاسعاف ص ١١٩.

(٢) المعرفة والتاريخ للفسوي ج ١ ص ٤٩٩،٤٩٧،٢٩٥ والبداية والنهاية لابن كثير ج ٢ ص ٢٥٧.

(٣) ربيع الابرار للزمخشري ج ٣ ص ٤٢٣.

فالمستظهر من هذه الروايات انه كانت لقرابة رسول الله صلى الله عليه وآله منافسات وعداوات. اضافةً الى ذلك فانّ ما حصل من مبايعة أبي بكر في السقيفة التي تمّت بدوافع متعدّدة منها منافسة الانصار، وطلب عمر الشديد من جميع المخالفين البيعة، وتهديده علياً عليه السلام والزبير وآخرين بحرق دورهم عليهم اذا لم يبايعوا[1]، كان من الطبيعي أن يعقبه موقف جديّ من أهل البيت عليهم السلام هذا الموقف الذي ازداد اتساعاً بمخالفة الإمام لبيعة أبي بكر التي دامت ستة أشهر وظهور الغضب والسخط في وجه فاطمة عليها السلام من الخليفة[2] وهو ما ادّى الى أول نوع من الانقسام بين المسلمين... الانقسام الذي كانت ثمرته مظلوميّة أهل البيت عليهم السلام مظلوميةً بلغت أوجها في كربلاء.

هذا والنبي صلى الله عليه وآله أوصى بهم مراراً على مسمع ومرأى من الناس، وطلب منهم معاملة عترته بالحسنى فضلاً عن الكلمات الكثيرة التي قالها في فضلهم عامّة وفضل كلّ واحد منهم على وجه الخصوص.

فقد روى «ابن شيبة» عن «عبدالرحمان بن عوف» في حديث مسند أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله عمد الى الطائف بعد فتح مكّة، وحاصرها ثمانية عشر او تسعة عشر يوماً فلم تُفتح، وفي أحد الايام او احدى الليالي مشى قليلاً ثم وقف وقال:

**«أيّها الناس إني فرط لكم فأوصيكم بعترتي خيراً. وإن موعدكم الحوض. والذي نفسي بيده ليقيمُنّ الصلاة وليؤتُنّ الزكاة، أو لأبعثنّ إليهم رجلاً منّي او كنفسي فليضربَنّ أعناق مقاتلتهم، وليسبيَنّ ذراريهم» قال:**

---

(١) الامامة والسياسة لابن قتيبة ج١ ص١١، ١٣، وابن أبي الحديد ج٢ ص٨، ١٩.

(٢) راجع كتاب فضائل الخمسة ج٣ ص١٥٦.

**فرأى الناس أنّه أبو بكر أو عمر، فأخذ بيد عليٍّ فقال: هذا»**[1].

وجاء في رواية أخرى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال بعد أن ذكر كتاب الله ووجوب التمسّك به: «**وأهل بيتي، اذكركم الله في أهل بيتي**» كرّرها ثلاث مرّات[2].

ورغم هذه الوصايا، وتأكيد القرآن على تطهير اهل البيت، وفرض سهم ذوي القربى، والصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله التي فسّرها رسول الله صلى الله عليه وآله نفسه بأنّها الصلاة على محمد وآله، واعتباره أجره من الناس المودّة في القربى فانّ التعامل الفظّ لساسة المجتمع في صدر الاسلام ادّى الى اعتزال الناس لأهل البيت حتى قال أمير المؤمنين عن ذلك: «**إنّ الناس نسونا لفرط ما فعلوه بنا**»[3].

ولقد اخذ «أبو ذرّ» صديق رسول الله صلى الله عليه وآله الحميم، الذي اطلق نداء التوحيد عند الكعبة في أوج ظلم ابي سفيان، بمقابض الكعبة ـ وفقاً لما رواه أهل السنة في جوامعهم الحديثية ـ وصاح: «أيّها الناس، من عرفني فقد عرفني، ومن من لم يعرفني فأنا ابو ذرّ الغفاريّ. لا أحدّثكم الاّ ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول، سمعته وهو يقول:

**«أيّها الناس إنّي قد تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي، واحدهما افضل من الآخر، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، وانّما مثلهما**

(١) ابن ابي شيبة ج١٤ ص٥٠٨، ابن عساكر، تاريخ دمشق ج٢، الحديث ٨٧٥ نقلاً عن حاشية ابن ابي شيبة، المعرفة والتاريخ ج١ ص٢٨٢، ٢٨٣.

(٢) المعرفة والتاريخ ج١ ص٥٣٦.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج٩، ص٢٨، ٢٩ و ج٢٠، ص٢٩٩.

**كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تركها غرق»**[1].

هذه هي روايتا الثقّلين والسفينة المشهورتان اللتان توكدان المكانة العليا لأهل البيت ولياقتهم في قيادة المسلمين، وهذا هو ابو ذر الذي قال عنه الرسول ﷺ: **«ما اظلّت السماء ولا اقلّت الارض اصدق لهجة منه»**، يدعو الناس لاهل البيت بهذه الطريقة التي احيا بها خاطرات صدر الاسلام في مكّة. وكما آذاه المشركون حين اطلق تلك الصرخة نفاه الآخرون حين اطلق صرخته هذه المرة!.

وهكذا فانّ احداً ما كان ليمكنه أن يبيّن مكانة اهل البيت على حقيقتها الاّ في المدّة القصيرة التي تولّى فيها الامام عليّ الخلافة. فأحيا في رحبة مسجد الكوفة حديث الغدير، وعدّد فضائل ومناقب اهل البيت، وقد وردت كلماته الرائعة في مكانة أهل البيت السامية في كتاب نهج البلاغة وسائر كتب الحديث والأدب، وقد قمنا بجمع نماذج من خطبه في موضع آخر[2].

غير أنّ تسلّط معاوية وبني سفيان وبني مروان، وسبّهم العلنيّ لعليّ وآله من على المنابر ـ حتى أن عبدالله بن الزبير كان لا يصلّي على النبي ﷺ لئلا يعلو لاهل البيت شأن ـ ما كان ليؤدي الى نسيان أهل البيت وحسب، بل الى رفضهم من قبل الناس. اذ كيف يتوقع والحال هذه أن يذكر شيء من مناقبهم التي نطق بها

---

(١) المعرفة والتاريخ ج١، ص٥٣٨، والروايتان متواترتان. راجع كتاب عبقات الانوار ج٢ من المجلد ١٢ طبعة اصفهان سنة ١٣٤١.

(٢) الحق أن اكثر طرق حديث الغدير الذي رواه أهل السنة سببها ذلك العمل الذي قام به الامام في رحبة مسجد الكوفة، وهذا يدلّ على أنّ الامام لو لم يكن قد فعل ذلك لآل امر هذا الحديث الى النسيان كما آلت إليه كثير من الامور الاخرى.

رسول الله ﷺ بين الناس؟.

فلم يكن ذاكر لعليّ عليه السلام غير الكوفة ـ وهي أيضاً لم تخلُ من بغضه وعداوته ـ فهي وحدها التي أبقت ذكر عليّ حيّاً، واعتبرت آله احقّ بالخلافة من سائر الناس، واقرّت لهم بها في الباطن حتى اقرّ هشام بن عبدالملك بذلك[1]، واعتُرف في نصوص أخرى بأنّ الناس كانوا على استعداد تامّ لقبولهم في مقام القيادة[2] لكنّ بني العبّاس استغلوا هذه الفرصة فيما بعد، وفرضوا انفسهم باسم اهل البيت على الناس البسطاء.

وغير خفّي أنّ تناقل مناقب وفضائل أهل البيت خصوصاً حديث الغدير بين رواة الحديث والمحدّثين الذين ما كان لهم من الانصاف إلاّ القليل دام واستمرّ الى يومنا ممّا جعلنا نملك ميراثاً مثل «الغدير».

غير أنّه قد وقع ما كان يخشى وقوعه إذ انحرفت مسيرة المجتمع الاسلامي فغدا ذلك المجتمع الذي كان ينبغي له أن يتغذى من علوم اهل البيت وينتفع بعلمهم يستند الى اعمال خاطئة وتصرّفات مرفوضة بينما واصل اهل البيت عليهم السلام العمل بما تقتضيه وظيفتهم ويملي عليهم واجبهم ضمن مساحة محدودة هم الشيعة الموالون لهم، وإن استفاد اهل السنّة من كلماتهم أحياناً.

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج ٤، ص ٢٣، يدلّ على ذلك صريحاً ثورة التوابين وحركة التوّابين، وتفصيل القول في ذلك تعرّضنا له في كتابنا تاريخ الاسلام السياسي من العام ٤٠ الى العام ١٠٠ الهجري.

(٢) الكامل في الادب للمبرّد ج ١، ص حيث يهدّد خالد بن يزيد في هذه الرواية عبدالملك بن مروان بأنّ زواج الحجّاج من بنت عبدالله بن جعفر غير صحيح لأنّ الناس يقولون عن بني هاشم اشياء! فهذه الزواج ربما صار عاملاً لزوال حكم بني امية وتولّي الحجّاج الحكم، وهو ما جعل عبدالملك يجبر الحجّاج على تطليق بنت عبدالله بن جعفر خوفاً من عقيدة اهل العراق في بني هاشم.

واستمرّت استقامة الائمّة الاطهار في الفكر والعمل رغم ما كانوا يعانون منه من ضغط وقمع وكبت، واستطاعوا بما كانوا يتمتّعون به من شخصيّة فذّة من الحفاظ على ميراث الشيعة الذي يستند الى القرآن والعترة. وقد حققت الشيعة عملاً ما نادى به ابو ذرّ حيث واصلوا طريق ائمّتهم العظام في الفقه والتفسير والاخلاق والسياسة.

وامّا اهل السنّة فقد أشرنا فيما مرّ الى أنهم كانوا يعلنون المودّة لاهل البيت، ويؤلّفون الكتب في مدحهم والتعرض لمناقبهم، بل قد كتبوا كتباً في سيرة حياتهم ايضاً تعبيراً عن ذلك[1]. لكنّهم لم يكلّفوا انفسهم عناء السؤال والتحقيق عن واقعة الغدير هل كان لاثبات مودّة علي فحسب؟

وعن الامامة التي يقول بها الشيعة لأئمّتهم هل تفتقر الى اساس متين؟

وهل أنّ حديث «الثقلين» الذي ثبت تواتره لم يكن الاّ بصدد الاشارة والارشاد الى تلك المحبّة السطحيّة لأهل البيت عليهم السلام؟ وهل أن حديث «السفينة» لا يعبر عن تشبيه بليغ في وجوب التبعيّة لهم عليهم السلام؟

وإنّ ما يثير العجب أنّ حديث **«الأئمة اثنا عشر»** ـ استناداً لما يذكره السيوطي وآخرون ـ حديث متواتر وإجماعيّ[2]. لكنّ أهل السنة راحوا يحملونه ـ خطأً ـ على بعض الخلفاء وربّما ذكروا أن اربعة منهم مضوا وسيأتي الباقون. أليس هذا يدلّ على أنّ هذه الرواية تنطبق على أئمّة الشيعة فقط؟. وانهم الذين

---

(١) من هذه الكتب تذكرة الخواصّ، والاتحاف، وينابيع المودّة، والائمة الاثنا عشر لابن طولون وغيرها مما ذكره السيّد الطباطبائي في فهرسه المتقدّم في مجلّة «تراثنا».

(٢) تأريخ الخلفاء ص١٠ ـ ١٢ والصواعق المحرّقة ص٧ ـ ١٠.

امتدح الجاحظ الذي عاصر الامام الحسن العسكريّ عليه السلام احد عشر إماماً منهم حيث وصفهم بأنّهم «العلماء، الزهّاد النسّاك، الشجعان الطهرة» وأنهم اللائقون بمنصب الخلافة[1]؟

لقد كان للأئمة عليهم السلام من العظمة أنّه حين ذكر اسم الامام الرضا عليه السلام عند تنصيبه وليّاً للعهد فقيل: «عليّ بن موسى بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن علي بن ابي طالب» قيل: «والله لو انّ هذه الاسماء قرئت على اصمّ أو أبكم لشفي بأذن الله»[2].

وما كان بين أهل السنّة من يدرك اهميّة هذا البيت الاّ عدد قليل منهم، وأما اكثرهم فكانوا يبدون نفرتهم من مقام اهل البيت عليهم السلام الشامخ. إذ جاء في رواياتهم أنّه قيل لزائدة ـ وهو من رواة الحديث ـ: لماذا لا تروي عن جابر الجعفي وابن ابي ليلى، والكلبيّ؟ فقال: «... وأمّا الكلبيّ فقد كنت اذهب عنده واقرأ القرآن فسمعته يوماً يقول: لقد مرضت زماناً فنسيت ما كنت حفظته، فذهبت عند آل محمّد فبصق في فمي فعاد اليّ كلّ ما كنت نسيته» يقول زائدة: «فلم اروِ عنه بعد ذلك أبداً»[3]. ومنه يعلم السبب في مخالفة زائدة للكلبيّ!

وقد كان الشهرستاني ـوهو من أهل السنّة والجماعةـ يرى لأهل البيت

---

(١) آثار الجاحظ ص٢٣٥ نقلاً عن حياة الامام الرضا عليه السلام ص١٤٧، والجاحظ من اكابر الادباء وكتّاب اهل السنّة في القرن الثالث الهجري.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق ج٢ ص١٤٥،٤٧، وكتاب مقاتل الطالبيين ص٣٧٥ ومناقب ابن شهرآشوب ج٢ ص٣٣٩.

(٣) تاريخ يحيى بن معين ج١ ص٢٨٩.

منزلة خاصّة ومكانة عظيمة ويعتقد أنّ علم القرآن عندهم فقط[1].

وحقيقة الأمر انّ أهل البيت عليهم السلام كانوا الحفظة الحقيقيين لسنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ولذا جعلهم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بموازاة القرآن وقال: «**إنهما لا يفترقان**».

وقد ذكرنا في بحوثنا التاريخية عن الحياة الفكرية لأئمة الشيعة مسألة حفظ السنّة تفصيلاً. ونذكر هنا امثلة ثلاثة على ذلك ليتّضح بها المعنى المراد.

* قال أميرالمؤمنين: «**إن كان الدين يدرك بالعقل فباطن القدم اولى بالمسح من ظاهرها لكنّي رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمسح ظاهر قدميه**»[2].

فهذا إحياء لسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مقابل تحكيم «الرأي».

* ينقل ابو موسى الاشعري: «**صلّى بنا عليٌّ يوم الجمل صلاة ذكرناها صلاة رسول الله فإمّا نكون نسيناها أو نكون تركناها عمداً**»[3].

* كان الامام السّجاد عليه السلام إذا اذّن فبلغ «حيّ على الفلاح» اتبعها بلا فصل قوله: «حيّ على خير العمل» ـ التي تركها اهل السنّة ـ وقال: «**هو الاذان الاوّل**»[4] وذلك ليعلم الناس انهم حرّفوا الاذان بحذفهم هذه الجملة.

وهذه التصرفّات وامثالها ممّا يرجع الى سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كثير عند الائمة. واعتماد الشيعة كلّ هذا الاعتماد على أهل البيت عليهم السلام واستنادهم الى اقوالهم وافعالهم انما هو لتأكيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ذلك من جهة ولسيرتهم في حفظ

---

(١) راجع مجلّة «تراثنا» العدد ١٢ مقالة آذرشب حول تفسير الشهرستاني.

(٢) مصنّف ابن ابي شيبة ج ١ ص ١٨١.

(٣) نفس المصدر السابق ج ١ ص ٢٤١.

(٤) نفس المصدر السابق ج ١ ص ٢١٥.

كيان الدين وقاعدته من جهة اخرى.

ولا بأس باستثمار الفرصة هنا لأقدّم النصيحة لعشّاق الحق وطالبيه من أهل السنّة وادعوهم للتحقيق وتحرّي الدقة فيما يخصُّ أهل البيت عليهم السلام والتفكير في حقيقة المناقب والفضائل المنقولة بحقّهم والتبعات الفكرية لها فربّما هدانا الله الى التمسك بهم، وو فّقنا للجواز على الصراط المستقيم[1].

وبعد تقديم الشكر الجزيل لاستاذي العزيز العلاّمة السيّد جعفر مرتضى العاملي الذي كتب مقدّمة ثرّة ومعطاءة لهذا الكتاب اقدّم بحثي المختصر هذ حول حياة الائمة عليهم السلام الى طلاّب طريق الائمة الاطهار.

**رسول جعفريان**

ربيع الاول / ١٤١٠هـ

---

(١) يمكن ذكر كتابين هنا: احدهما كتاب (في مدرسة أهل البيت) وهو من تأليف دار التوحيد. وقد ترجمه الى الفارسية السيد محمد تقي رهبر وطبعت ترجمته منظمة الاعلام الاسلامي. واما الكتاب الآخر فهو كتاب (اهل البيت او الوجوه المنيرة) من تأليف العلمين المرحوم شهاب الدين الاشراقي وآية الله فاضل لنكراني وقد تمّ نشره من قبل مكتب نشر الثقافة الاسلامية.

# الامام علي عليه السلام

قال الحسن البصري في وصف الامام عليّ عليه السلام:

**«اراهم السبيل، واقام لهم الدين إذا اعوجّ»**[1]

قد يدّعي البعض منّا أنّه يعرف أمير المؤمنين عليّ بن ابي طالب عليه السلام أكثر من معرفته بأي شيء آخر، وقد تكون معرفتنا به افضل من سائر الائمة عليهم السلام. غير أننا وإن كنّا جميعاً نعرف عليّاً لكنّ معرفتنا الحقيقية بحياة عليّ الواقعيّة ضئيلة جدّاً. والظاهر أنّ سبب ذلك هو قوّة الاشراق وسعة المساحة التي يتمتّع بها عليّ عليه السلام ممّا يجعل الالمام بحياته واعطاء خطّ بياني كلّي عنه امراً مشكلاً. وامّا معرفته كواحد في كثير، وكثير هو في الحقيقة في شكل الواحد فلا يمكن أن يبين لنا من خلال عدد من المعلومات المشتّتة. بل لابدّ من التفكير بسعة وشمولية مع المحافظة على عنصر التركيز والدقّة في حركات عليّ وخصاله وصفاته ودوافعه واقواله وافعاله لنجد بعد كثير من التأمّل والامعان أنّنا لم نعرف عن تلك الشخصية

(١) مصنّف ابن ابي شيبة ج١٢ ص٨٣.

الاّ جانباً محدوداً من شخصيته وانّا ما زلنا في منعطف الطريق.

## معرفة مختصرة

اسمه عليّ، واسم ابيه ابو طالب (وإن كان يجب تسميته أبا عليّ)، أمّه فاطمة بنت أسد، مولده الكعبة الشريفة في مكّة المكرّمة، سنة ولادته العام الرابع والعشرون قبل الهجرة، مكان نشأته بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث نشأ وترعرع في حضن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وخديجة.

امضى فترة صباه في بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حيث كان أبوه لا يقوى على تحمّل العبء الثقيل لعائلته. فطلب رسول الله إليه إعانته بأن يكفل احد ابنائه لقاء الاتعاب التي بذلها ابو طالب بحقّ النبيّ حين كان يتيماً، فكان علي نصيبه. وهكذا قضت مشيّة الله سبحانه أن يكون لعليّ عليه السلام هذا الفخر الذي ما شاركه فيه احد غير فاطمة عليها السلام.

## إيمان عليّ عليه السلام

استناداً الى اصحّ النصوص التاريخية والحديثية فانّ الامام عليّاً عليه السلام هو أوّل من آمن برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإن تدخلت يد السياسة بعد ذلك فاثارت أوهاماً وشكوكاً حول الموضوع. وما جاء في كتب الحديث والتاريخ قديمها وحديثها صريح في هذا الباب بما لا يدع مجالاً للشكّ والشبهة[1].

---

(١) راجع كتاب الغدير ج٣ ص٢٢١ وما بعدها حيث يصرّح الامام نفسه في عدة مواضع فيقول في موضع: «أنا أوّل رجل اسلم مع رسول الله»، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد، ج٣ ص٢٥٨ طبعة بيروت ⇐

وقد سعى بعض ممّن عرف هذه الحقيقة وصدّق بها الى التقليل من أهميّة الموضوع بادّعاء أنّ الإمام كان حينها طفلاً لم يبلغ الرشد، لكنّ ثمّة شواهد مقنعة تدلّ بوضوح على نضجه الفكريّ آنذاك، بل إنّ عمره يدلّ بوضوح على ذلك.

وقد خصّص محمّد بن عبدالله الاسكافي في كتابه القيّم (المعيار والموازنة) موضوعاً للبحث في هذا الأمر نذكر فيما يلي خلاصته حيث كتب يقول:

«حين نلاحظ النبيّ كيف يدعو عليّاً الى الاسلام يمكننا أن ندرك بوضوح أنّه كان حينها بالغاً وعاقلاً وان النبيّ صلى الله عليه وآله كان يرى اعتناقه للاسلام واجباً عليه. ولو كان عليّ عليه السلام طفلاً آنذاك لم يجب عليه حكم خصوصاً والاسلام في بدايته في ذلك الحين. كما لم يكن المجتمع مجتمعاً اسلاميّاً كي يقوم الناس بتعليم اطفالهم لقبول الاسلام. وكان الرسول صلى الله عليه وآله في ذلك الوقت محتاجاً الى اسلام من يعتنق الاسلام عن علم وبصيرة».

**ثم يضيف فيقول:**

«فان قيل: وكيف يكون بالغاً وسن البلوغ في الاسلام هو اكمال السنة الخامسة عشرة من العمر في الذكر؟ قلنا: إنّ آخر حدّ البلوغ في الاسلام هو السنّ المذكور، اذ به يحصل البلوغ حتى لاضعف الناس عقلاً من الرجال. ولا ريب أن لكل أخير أوّلاً ووسطاً فيصحُّ معه قبول بلوغ إنسان لم يبلغ سنّ الخامسة عشر. وقد كان لأمير المؤمنين من العمر حين آمن بالاسلام ثلاث عشرة سنة وهو ما يعتبر اوّل مراتب البلوغ.

---

⇐ أو يقول: «أنا أوّل من صلّى مع رسول الله»، الاستيعاب ج٢ ص٤٥٨، وفي موضع ثالث يقول ايضاً: «اسلمتُ قبل أن يسلم الناس بسبع سنين» الرياض النضرة ج٢ ص١٥٨.

ويستمر الاسكافيّ في حديثه فينقل رواية عن أهل السنّة مفادُها: أنّ علياًعليه السلام سأل النبيصلى الله عليه وآله وسلم عندما رآه يصلي ماذا يفعل؟ فقال له رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم: هذا دين الله يا عليّ.

ثم عرض عليه الاسلام فقال له عليّ بن ابي طالبعليه السلام: انظرني حتى اتفكّر فيه ليلة» ثم يقول الاسكافي: «وبعيد عن طفل مثل هذا الجواب»[1].

وتوجد اقوال متضاربة في السنّ التي آمن معها عليّعليه السلام حيث أن المنقول إيمانه ما بين ٨ سنين و ١٦ سنة. والذي يبدو من عبارة الاسكافي المتقدمة أنّ الامامعليه السلام اعتنق الاسلام وعمره ١٢ سنة[2].

غير أنه يبدو لي أنّ الزيادة والانقاص في عمر الامامعليه السلام رغم ما يعتريه من عدم الاطلاع الدقيق بذلك، له دوافعه الخاصة التي منها اظهار الامام طفلاً غير بالغ عند إيمانه إما بدافع التقليل من شأن هذا الأمر، أو لاثبات أنّ الامام لم يكن له عهد بالجاهلية (وان كان عمره عند ايمانه بالاسلام ١٣ سنة) وعكس هذا يأتي بالنسبة الى فرض الزيادة في عمره.

واذا كنّا من القائلين بالاخذ باوسط الامور فانّ علينا أن نقبل بقول الاسكافيّ أي أن نقبل بأنه كان لعليّعليه السلام حين اسلامه ثلاث عشرة سنة. خصوصاً وأنّ النبيصلى الله عليه وآله وسلم اوكل اليه امر اعداد الطعام في واقعة الانذار[3]. فلابدّ أن يكون عليّ في ذلك الوقت ـ بعد ثلاث سنين من البعثة الشريفة ـ في سنّ يتوقع منه

---

(١) المعيار والموازنة، ص٦٧ وما بعدها، طبع بيروت تحقيق المحمودي.

(٢) راجع كتاب: ترجمة الامام عليّ بن ابي طالب من تاريخ دمشق ج ١ ص ٤١ ـ ٤٦.

(٣) هي حادثة الدعوة التي دعا فيها رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم عشيرته واهل قرابته الى منزله ودعاهم الى الاسلام إشارة الى الآية الكريمة: ﴿وانذر عشيرتك الاقربين﴾.

صدور مثل هذا العمل منه.

## صحبة عليّ لرسول الله ﷺ

يمكن تقسيم حياة الامام الى مراحل عدّة:

**المرحلة الاولى:** وتبدأ من زمان النبيّ ﷺ وتستمرّ الى حين وفاته. فخلال هذه المدّة الطويلة لم يُرَ عليٌّ عليه السلام بعيداً عن رسول الله ﷺ الاّ نادراً، وما من امر حدث الاّ كان لعليّ فيه معلم واثر. واذا شئنا أن نقوم بتحليل واقعيّ عن علاقة الاخوّة التي اوجدها رسول الله ﷺ بينه وبين عليّ عليه السلام في السنين المتأخرة لكان علينا ان نعتبرها آية على صداقة وصحبة طويلة بينهما ـ كأخوين ـ تمتدّ الى جميع مراحل الحياة.

وقد عبرّ الامام عن هذه الصحبة بعبارات مختلفة وضمّنها قالب تشبيهات جميلة. وانعكست آثار هذه الصحبة وتمثّلت بانتقال علم رسول الله ﷺ وعمله اليه وتجلّي كمالاته فيه، قال عليّ عليه السلام:

**«ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل أثر أمّه»**[1].

وكانت نتيجة هذا الارتباط الوثيق بين الرجلين ما كان من قوله:

**«إني لم ارُدّ على الله ولا رسوله ساعة قطّ»**[2].

وقد منح هذا القرب الذي بينهما الفرصة للامام عليه السلام لينهل من بحر علم رسول الله ﷺ الذي لا يقف عند حدٍّ كما قال هو عن ذلك:

---

(١) نهج البلاغة الخطبة ١٩٠.

(٢) الخطبة ١٩٥.

**«وكان لا يمرُّ بي من ذلك شيء الاّ سألته عنه وحفظته»**[1].

وطبيعيّ انّ النبيﷺ اذا كان مدينة العلم فإنّ عليّاً يجب أنّ يكون بابها لانه الوحيد الذي كان على اتصال مباشر بهذا البحر من العلم.

وقد اختاره النبيﷺ أخاً له لتزداد هذه العلاقة وثوقاً ومتانة وقال في ذلك: «**عليّ منّي**» وقال جبرئيل: «**وأنا منكما**»[2] ولمّا راى الناس ما لعليّ من المنزلة فقد جعلوه واسطتهم عند النبيﷺ وجعلوا يقدّمون اسئلتهم الى رسول الله من خلاله[3].

يقول ابو سعيد الخدري في وصف هذه العلاقة: «كانت لعليّ درجة لم تكن لاحد من الناس»[4].

وعندما يسأل الامام لماذا تروي من حديث النبي اكثر مما يرويه سائر الصحابة فيجيب: «**لانّي كنت اذا سألته انبأني، واذا سكتُّ ابتدأني**»[5].

ومن جملة الادلة التي تؤكّد وجود هكذا علاقة لعليّ بالنبيّﷺ وآثارها البارزة في علم الامام معرفته بشأن نزول الآيات القرآنية وتفسيره الدقيق لها. قال عليعليه السلام: «**والله ما نزلت آية الاّ وقد علمتُ فيما نزلت وأين نزلت**»[6].

وكان الامام خلال الفترة التي كان فيها النبيّﷺ مشغولاً بالدعوة الى

---

(١) الخطبة ٢٠٨ من نهج البلاغة.

(٢) حياة الصحابة ج١ ص٥٥٩.

(٣) التراتيب الادارية ج١ ص٥٨ ـ ٥٩.

(٤) انساب الاشراف ج١ ص٩٨ تحقيق المحمودي، مصنف عبدالرزاق ج١٠ ص١٤١.

(٥) نفس المصدر السابق ج١ ص٩٨.

(٦) نفس المصدر السابق ج١ ص٩٩.

الاسلام والتبليغ يعد نفسه للدفاع والتضحية من اجله.

وعندما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأمر باعلان دعوته، واراد ان يدعو قرابته كان عليّ عليه السلام نعم العون له، يهيئ الاستعدادات اللازمة للمجلس ويبدي بين القوم وفاءه واخلاصه.

وحين كان بعض الافراد امثال ابي ذر تائهين في مكّة بحثاً عن بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان عليٌّ عليه السلام الفتى الشجاع يأخذهم الى منزله سرّاً مراعياً رغم ذلك اساليب العمل السري الدقيقة.

وعندما قاطعت قريش النبي صلى الله عليه وآله وسلم اقتصادياً واجتماعياً وحاصرته في شعب ابي طالب كان عليّ من جملة من كانوا يتحمّلون الصعاب ويسلكون الطرق الوعرة لتوفير الموادّ الغذائية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وسائر الصحابة[1].

وحين كان رسول الله يتّجه صوب الطائف والمناطق الواقعة اطراف مكّة ليعمل بواجبه في تبليغ الرسالة الالهية كان عليٌّ هو الذي يرافقه لكيلا يبقى النبيّ وحيداً وليعينه عند تعرضه للمشكلات.

وحين عزم المشركون ـ الذين وقعوا تحت ضغط دعوة الرسول وتبليغه ورأوا في استمرارها زوال سلطتهم ـ على قتله كان ناصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المضحي معه يعدّان خطة لمواجهة هذه المؤامرة تحتاج الى تضحية وفداء، وكان في قلب عليّ عليه السلام من الحبّ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما جعله يرضى من صميم قلبه أن يعرّض نفسه الى خطر الموت لينجو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الخطر الذي يتهدّده.

---

(١) المعيار والموازنة ص٨٨.

وبعدما هاجر رسول الله ﷺ الى المدينة بايام كان عليّ عليه السلام اقرب الناس اليه يتولى مسؤولية حمل عائلة النبي ﷺ التي كانت عرضة لتهديد المشركين الى المدينة إضافة الى مسؤولية ردّ امانات الناس (التي كانت عند النبيّ ﷺ الى اهلها). وقد لبث رسول الله ﷺ مترقّباً على مقربة من يثرب حتى يعود اخوه علي عليه السلام من السفر ليدخل المدينة معه.

وقد ازدادت هذه العلاقات قوّة واستحكاماً بزواج عليّ من فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله ﷺ وكانت ثمرة الزواج المبارك اولاداً كان رسول الله ﷺ يحبّهم اعظم الحبّ ويسمّيهم ابناءه[1] ولم يكن ذلك لاجل فاطمة عليها السلام وحدها بل لاجل عليّ عليه السلام أيضاً. لأن النبيّ كان يعتبر نفسه وعلياً من شجرة وباقي الناس من اشجار أُخر.

وقد سئلت عائشة عن احبّ الناس الى رسول الله ﷺ فقالت: «امّا من الرجال فعليّ وامّا من النساء ففاطمة»[2].

وكان بيت عليّ عليه السلام من القرب الى بيت رسول الله ﷺ ما جعل عبدالله بن عمر يعتبر ذلك شاهداً على العلاقة الوطيدة بينه وبين النبيّ ﷺ[3] تلك العلاقة التي كان زيد بن ثابت يقبلها رغم كل المعارضة التي كان يبديها لعليّ[4].

واما عن اشتراك الامام في الحروب في صدر الاسلام فقد قيل في ذلك الكثير فبدر وأُحد والخندق ثم معركة حنين كلّها ملاحم رائعة سطّر فيها الامام

---

(١) وهو ما انكره فيما بعد بنو امية وبنو العباس ـ راجع كتاب الحياة السياسية للامام الحسن عليه السلام.

(٢) تاريخ جرجان ص٢١٨، ربيع الابرار ج١ ص٨٢١.

(٣) انساب الاشراف ج٢ ص١٨١ ـ ١٨٢.

(٤) مصنف عبدالرزاق ج١٠ ص١٤١، فتوح ابن اعثم ج٢ ص١٦٥.

تضحياته وبطولاته فان نصف قتلى بدر لقوا حتفهم على يديه.

وحينما فرّ اكثر المسلمين من ساحة المعركة في أحد، ظل هو وعدد قليل منهم الى جوار رسول الله يدافع عنه وعن الاسلام. وفي معركة الخندق كان علي قد ادّخر من الأجر بقتله عمرو بن عبد ودّ ما يعدل عبادة الثقلين وكان في اكثر المعارك والحروب حاملاً لواء جيش الاسلام[1].

إن من يعرف حياة عليّ عليه السلام وقربه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفهم كم بذل من الجهود وتحمّل من المشاق من اجل استقرار الاسلام وانتشاره. اجل لقد كان هو وابوه ابو طالب واخوه جعفر اكثر الناس عزماً وسعياً من اجل الحفاظ على النبي صلى الله عليه وآله وسلم والاسلام[2].

وكانت لعليّ من الشجاعة في الحروب ما جعل بعض العرب يقولون: «**كنا كلما هجمت طائفة فيها عليّ عليه السلام اوصى احدنا الآخر**»[3].

وكان احمد بن حنبل اذا اراد أن يصف عليّاً يقول: «**ما لأحد من الصحابة من الفضائل بالاسانيد الصحاح مثل ما لعليّ رضي الله عنه**»[4].

كما كان اذا دار الحديث في مجلسه ـ وهو احد ائمة المذاهب الاربعة ـ عن علي والخلفاء الثلاثة قال: «**إنّ ابن ابي طالب لا يُقاس بهِ احَد**»[5].

---

(١) حياة الصحابة ج٢ ص٥١٤، ٥١٥، انساب الاشراف ج٢ ص٩١، ٩٤.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج٧ ص١٧٤.

(٣) ربيع الابرار ج٣ ص٣١٩.

(٤) مناقب احمد بن حنبل لابن الجوزي ص١٦٢ ـ ١٦٣، ابن ابي يعلى، طبقات الحنابلة ج١ ص٣١٩.

(٥) نفس المصدر السابق ص١٦٠ ـ ١٦٣.

ولا بأس أن ننقل هنا احدى فضائل الامام بتفسير امام الحنابلة فقد روى محمّد بن منصور الطوسي قال: «**كنّا عند احمد بن حنبل فسأله شخص: ماذا تقول في الحديث المرويّ عن عليّ عليه السلام انّه قال: انا قسيم النار**».

فقال احمد: ولماذا تنكرونه اما روينا ان النبي صلى الله عليه وآله قال لعليّ عليه السلام: «**لا يحبّك الاّ مؤمن ولا يبغضك الاّ منافق**»؟ **فقلنا: بلى. فقال: فاين يكون المؤمن؟ قلنا: في الجنّة. قال: فالمنافق؟ قلنا: في النار، قال: فعليّ قسيم النار**»[١].

وقد منع بنو امية من نقل اغلب هذه الفضائل فيما بعد ولم يكن يجرؤ على نقلها الاّ عدّة معدودة. وكان عبدالعزيز ابو (عمر بن عبدالعزيز) الذي كان احد خلفاء بني امية يقول لولده: «**لو علم هؤلاء الحمير ما نعلمه عن عليّ ما تبعنا اثنان**»[٢].

## سياسة الامام

اذا التفتنا الى طبيعة العلاقات التي كانت تربط امير المؤمنين برسول الله صلى الله عليه وآله والدور المشرّف الذي كان الامام يقوم به لنشر الاسلام منذ اوائل ايامه والى زمان رحيل النبيّ صلى الله عليه وآله والمعبّر عن الايثار والتضحية من اجل الاسلام فسوف نفهم انّ الامام كان من الشخصيات العظيمة واصحاب النفوذ في زمان حياة الرسول صلى الله عليه وآله ورغم هذه المكانة الخاصّة التي كان الامام يتمتع بها تمكّن الآخرون ـ الذين لم تكن لهم هذه المكانة بأدلة ستتضح في حينها ـ ان يقيّدوا حركة

---

(١) طبقات الحنابلة لابن ابي يعلى ج ١ ص ٣٢٠، حديث لا يحبّك الاّ مؤمن، من الاحاديث المتواترة في فضل امير المؤمنين عليه السلام راجع كتاب ربيع الابرار ج ١ ص ٤٨٨.

(٢) ربيع الأبرار للزمخشري ج ١ ص ٤٩٩.

الامام ويستولوا على السلطة بتنفيذ بعض الحيل السياسية الخاصة، وكان من أهمّ ما عملوه في هذه الفترة محو المكانة المتميّزة والفريدة التي كانت لعليّ عليه السلام من المجتمع الاسلامي، لذا راحوا يسعون وبما كان في ايديهم من امكانات الى تضعيف شخصية عليّ عليه السلام، وتمكنوا من فرض العزلة عليه وهذا الامر اعلنه الامام وغيره بصراحة ووضوح[1].

وكان الامام الذي يرى حقّه ضاع منه قد قام معترضاً في بداية الامر لكنّه حين رأى المخالفات ثارت من اطراف وانحاء الجزيرة العربية كفَّ عن المعارضة من اجل حفظ الاسلام. وان كان يبدي بين الحين والآخر احقيته في الخلافة[2]. وكان اذا استشاره الخلفاء في أمر او رجعوا اليه في قضاء يسدي نصائحه إن رأى في ذلك فائدة. وان كان في بعض الموارد الاخرى يأبى ذلك لعلمه بعدم المصلحة في الامر. وكان عليه في مثل هذه الحالات أن يواجه سيلاً من التهم والانتقادات[3]، ولذا تعرضت علاقاته بالخليفة الثالث لحالات من التشنّج لان الامام كان في كثير من فتاوى الخليفة يبدي اراء مخالفة[4].

## خلافته

وبمرور الزمان وتفاقم المشكلات والحوادث وعجز الخليفة ومساعديه السياسيين والعلماء عن حلّها راح الخلفاء يمدّون ايديهم الى الامام طلباً في

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج٩ ص٢٨، ٢٩، ج٢٠ ص٢٩٩، والجمل للشيخ المفيد ص٩٢.
(٢) الغارات ج١ ص٣٠٧.
(٣) مسند احمد بن حنبل ج١ ص١٠٠.
(٤) مسند احمد بن حنبل ج١ ص١٠٠.

المساعدة، وكان هذا سبباً في لفت الانظار الى مكانته العلمية في المجتمع الاسلامي وجعل الناس ينظرون اليه على انه خزانة علوم الاسلام واسراره المنقذة. ومن وجهة النظر السياسية فانّ هناك عدداً من الواعين ممن كانوا يعتقدون أن السياسات الجارية لا تصبّ في مصالح الاسلام اختاروه ليكون مرشّحاً للخلافة اضافة الى أن عدداً من الشيعة الذين كانوا يرون الارضية مناسبة، قد ضاعفوا من نشاطهم للكشف عن وجه الامام الناصع وراحوا يبذلون جهوداً حثيثة ومساعي سياسية متواصلة ليتولّى الامام الحكم، كما أن سائر طبقات الشعب ايضاً اعرضوا عن الخليفة الثالث لأنهم كانوا يرون مسيرة الحكم لا تتفق مع آمالهم واهدافهم من وجهة النظر الدينية والسياسية لذا فانهم أظهروا الحبّ والبيعة والولاء لامير المؤمنين. وقد ادّت هذه العوامل جميعاً الى أن يهجم الناس بعد عثمان على بيت علي عليه السلام ليجلسوه على كرسي الخلافة، وهذه هي المرة الاولى التي يبايع الناس فيها شخصاً ثم يتولّى امور الخلافة بصورة رسمية خلافاً للمرات السابقة التي كان ينصب فيها الخلفاء اوّلاً ثم يدعى الناس لمبايعتهم.

## المبادئ والاصول السياسية للإمام طيلة حكمه

انّ من اهم ثمرات حكومة الامام امير المؤمنين ـ التي دامت خمس سنوات فقط ـ اتخاذه سياسات كان الامام يهدف من خلالها الى تنظيم امور البلاد وتطبيق الوقائع الاجتماعية المهمة عليها، تلك السياسات الاسلامية التي بنيت على اساس من التعاليم الدينية والقيم الانسانية العامّة، ولم يكن الامام مستعداً للعدول ذرّة عنها. نذكر فيما يلي باختصار نماذج منها:

**الف: اصلاح نظام الحكم وتقديمه على الفتوحات:**

ان من احدى المبادئ السياسية عند الامام بنحو قابل لأن يعطي انطباعاً عاماً لجميع مساعي الامام عليه السلام في ايام حكومته هي مبادرته لاصلاح الفساد السياسي المتفشي بين المسلمين، وتقديمه على الفتوحات الاسلامية وتوسعة المناطق التابعة للدولة الاسلامية. فقد كان الإمام يفضّل أن تبقى الدولة الاسلامية منحصرة ضمن مساحة جغرافية محدودة ولا يسود في داخلها الفساد السياسي وانما يتولّى مسؤولية الحكم على الناس فيها عناصر لا شك في صلاحيتهم الدينية والسياسية، ولذا فانّ الامام حين عرض عليه جماعة أن يصبر على معاوية وامثاله رفض ذلك وقال: «**ما وجدتُ الاّ قتال القوم او الكفر بما جاء به محمّد**»[1].

وقال أيضاً: «**لم يكن اللهُ يراني اتّخذ المضلّين عضداً**»[2].

ولهذا السبب كفّ يده طيلة مدّة امامته عن الاستمرار في الفتوحات وحاول تنفيذ سياساته، فعندما خالفه اشخاص مثل الناكثين هاجر الى العراق، وحصل على عون الكوفيين[3] واسرع لقتالهم وتمكّن في الحرب التي نشبت من قتل قادة الناكثين، والقضاء على حركة راكبة الجمل التي قادت المعركة. وكان الامام يرى نفسه موظّفاً لمقاتلة العناصر الداخلية المخلّة بالامن والنظام وكان يقول: «**امرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين**»[4].

وما كان يصبر على معاوية ولم يرضَ ان يكون حاكماً على الشام ولو

---

(١) الانساب ج ١ ص ٢٣٦ المحمودي، المعيار والموازنة ص ١٣٦، ٥٤، وكتاب الفتوح ج ٢ ص ٢٦٦.

(٢) وقعة صفين ص ٥٢، الطبري ج ٣ ص ٤٦٠.

(٣) اذ إن الاموال والرجال بالعراق، الاخبار الطوال ص ١٥٣، الفتوح ج ٢ ص ٢٦٨.

(٤) الانساب ج ١ ص ١٣٨.

لساعة واحدة. فلذا بذل قصارى جهده لازالة هذه العقبة عن طريق الاسلام، وهو وإن وفّق الى حدّ كبير في ذلك لكن الضعف الذي ابداه اهل العراق، واغترارهم بالشعارات الكاذبة التي اطلقها معاوية افقد الامام القدرة على ازالته.

وطبيعي أن تكون نتيجة هذا الضعف الفكريّ الذي اوصل القدرة القتالية لجيش الكوفة الى درجة الصفر هو تسلط معاوية على العراق بعد استشهاده. لكنّ سنّة الامام في الحرب مع القاسطين والظالمين صارت اصلاً دينيّاً مسلّماً عند جميع المسلمين واسّست قاعدة في الاحكام الشرعية فيما يخص حرب البغاة.

وفي قتاله المارقين[1] عندما وجد الامام ان جماعة قد خدعتهم التأويلات الخاطئة للآيات القرآنية وانهم سيجرون المجتمع الاسلامي نحو الفساد اقدم لتفريق جمعهم فحطّم قدرتهم العسكرية. وإن ساعد الحكم الجائر لبني اميّة فيما بعد على انتشار افكار الخوارج المنحرفة مرة اخرى واتسعت دائرة عملهم السياسي لكنهم لم يقووا على الوقوف بوجه علي عليه السلام فقد قمعوا ودمّروا على يديه.

وكان الامام يسير بسيرته هذه في جماعة من المسلمين ابتلوا بانحراف في الدين ووقعوا -عن علم وغير علم- في حبائل الشيطان وصاروا منافقين، يقول الامام في هذا الصدد:

**«ولكنّا انّما اصبحنا نقاتل اخواننا في الاسلام على ما دخل فيه من الزيغ والاعوجاج والشبهة والتأويل»**[2].

لكنّه كان يعتبر الحرب واجباً لاصلاح العناصر المفسدة بين المسلمين التي

---

(١) مرق عن الدين اي خرج عنه.

(٢) الخطبة ١٢٠ وفقاً لتصنيف نهج البلاغة ص٥٠١.

تريد انتهاز الفرصة للاستيلاء على الحكم ويقول:

**«فانّ رأيي قتال المحلّين حتى القى الله، لا يزيدني كثرة الناس حولي عزةً، ولا تفرّقهم عني وحشة»**[1].

طبيعيّ انه لو كان التصالح مع المعارضين ممكناً واعلنوا فروض الطاعة للامام وتوجيهاته ما خاض الامام حرباً ضدهم لكنهم اوجدوا ظروفاً لم يكن لدى الامام معها خيار سوى الحرب فقد روى طارق بن شهاب عن الامام قوله: **«والله ما وجدتُ من القتال بُدّاً»**[2].

**ب ـ الاستفادة من الاسس الاسلامية والاخلاقية في اصلاح الانحرافات:**

وكان من جملة السياسات الاصولية للامام انه لم يكن يعتمد على الطرق والاساليب غير الشرعية في سياسته. وقد اقترح عليه مراراً ان يوقّر شرفاء القوم ليأمن خطر مخالفتهم ويستمدّ العون منهم لكنّ الامام كان يأبى ذلك[3]. إذ لو كان يريد أن يفعل ذلك لسالم معاوية لكنه كان يردّد هذه الجملة دائماً ويعتبرها اصلاً مهمّاً في حكمه حيث يقول: **«أتأمروني أن أطلب النصر بالجور؟»**[4].

لقد كان دأب عليّعليه السلام على شرح سياساته للناس لذا فانّه كان يبيّن الخطوط العامّة لسياسته في خطبه المفصّلة التي كان يلقيها في الناس طيلة مدّة خلافته. وكان يحاول بذلك أن يكون اقدام الناس عن وعي واختيار. وكان كلما

(١) الخطبة ٢٧٥ وفقاً لتصنيف نهج البلاغة ص٣٨٨.

(٢) التاريخ الكبير للبخاري ج٢ ص٦٧.

(٣) الغارات ج١ ص٤٥.

(٤) الغارات ج١ ص٦٧٥، بهج الصباغة ج١٢ ص١٩٦.

خالفوه في امر سعى لتوضيحه لهم. فاذا وجدهم لم يقبلوه لم يفرض عليهم مراده ويقول: «**ليس لي أن احملكم على ما تكرهون**»[1].

وفي مقام آخر قال بعد أن ذكر محاولاته لاصلاح الامر من طرق مختلفة: «**لا يصلحكم الاّ السيف وهيهات ان يكون صلاحكم بفسادي**»[2].

لقد كان الامام ملتزماً بهذه الضابطة. ولذا فإنّه حين رأى نفسه بين اصلاح الناس وإفساد نفسه باعتباره قائداً صمّم على ترك الاستفادة من الاساليب الجائرة لاصلاح الناس كيلا يفقد صلاحه. فهو لم يكن يريد أن يستعمل الحيلة والمكر لتحقيق اغراضه السياسية وبذلك يقوّي موقعيّته بين الناس فقد كتب فخري يقول: «**ولم يكن الخدع والحيل من مذهب عليّ**».

لكنّ معاوية لم يكن كذلك، ولذلك اتّهم الامام بضعف الرؤية السياسية وعرف معاوية بقوّتها عنده. وقد قال الامام في الاشارة الى ذلك:

«**والله ما معاوية بادهى منّي لكنّه يغدر ويفجر، ولولا كراهيّة الغدر لكنتُ من ادهى الناس**»[3].

ولهذا السبب كان ابن عبّاس يقول: «**ما رأيت رئيساً يوزن بعليّ**»[4].

**ج ـ جميع الجهود لحفظ الاسلام:**

انّ من جملة المبادئ السياسية عند الامام سعيه لحفظ الاسلام فاذا اقدم

---

(١) نهج البلاغة الخطبة ٢٠٨.

(٢) الارشاد ص١٣٤ طبع المطبعة الاسلامية.

(٣) الخطبة ١٩٨ وفقاً لتصنيف نهج البلاغة ص٣٧٩، المعيار والموازنة ص٢٦٦، الغارات ج١ ص٢٩٦.

(٤) عيون الاخبار ج١ ص١١٠.

على امر معيّن فانّه يقدم عليه باعتباره مقدّمة لبقاء الاسلام، فحين وقعت حادثة السقيفة كان الامام يشهد ضياع حقّه، لكنّه اختار السكوت لكيلا يتزعزع ايمان سكّان جزيرة العرب الحديث، ويصاب الاسلام العزيز بالضرر، فقد كتب في رسالته الى محمّد بن ابي بكر يقول:

**«فخشيتُ إنْ لم انصر الاسلامَ واهلَه أن أرى فيه ثلماً او هدماً تكون المصيبة به عليَّ اعظم من فوتِ ولايتكم التي إنّما هي مَتَاع أيام قلائل...»**[١].

هذا في الوقت الذي لم يمتنع الامام ابداً عن اعلان احقّيته بالخلافة وحده[٢] وكان كثيراً ما يعدّد فضائل اهل بيت رسول الله ﷺ لينبه الناس على تقدّمهم على غيرهم. وفي نهج البلاغة عبارات وكلمات له في هذا الصدد تصرّح بذلك بوضوح. هذا مضافاً الى مساعي الامام الاخرى لتثبيت اسس امامته الالهية بالطرق والاساليب المختلفة[٣].

## مصير السياسة في حكومة امير المؤمنين عليه السلام

لقد كان طيلة مدّة حكومة امير المؤمنين تناقض اساسيّ بين جهاز القيادة السالم الصحيح وبين ما اعتاد عليه الناس وعملوا به.

فمن جهة كان الامام يريد أن يصلح امر المجتمع وفقاً للمعايير الشرعية ويحكّم الضوابط الدينية في العلاقات الاجتماعية بين الناس، ويلزم من ذلك أن يستخدم لهذا الغرض اسلوبه الاسلامي والاخلاقي الخاص، بأن لا يقدم على امر

(١) الغارات ج ١ ص ٣٠٧، انساب الاشراف ج ١ ص ٢٨١ تحقيق المحمودي، ونهج البلاغة الكتاب ٨١.

(٢) راجع كتاب نهج البلاغة ص ٤١٩ الى ٤٢٢، ٤٢٦، ٤٢٧. انساب الاشراف ص ١٧٧.

(٣) راجع كتاب تاريخ الاسلام السياسي حتى العام ٤٠ الهجري ص ٤٣٠ الى ٤٣٥.

خارج عن حدود الدين ـكما ذكر ـ للوصول الى اهدافه.

ومن جهة اخرى فانّ الناس خلال سنين طويلة جعلوا لهم معايير أخرى تكوّنت في ظلّ مجتمع مرفّه متجه الى احياء القيم الجاهلية وكان تطبيق هذه المعايير معلولاً لامرين:

١ ـ استمرار الفتوحات وزيادة الغنائم.

٢ ـ عدم اعتناء الحكّام بتربية الناس تربية اصيلة.

وخلاصة الامر أن الناس كانوا يريدون شيئاً، والامام يريد شيئاً آخر، وهو ما جعل تناقضاً بين الارادتين. لذا لم يكن إصلاحهم بغير السيف ممكناً، ولم يكن لعليّ أن يسوقهم الى الاسلام بغيره فماذا يتوقع لسياسة كهذه من مصير؟

لقد سعى الامام أن يدلّ الناس على الطريق، وينزلهم عند حكم العقل، ويرشدهم بإيضاح اسس التقوى الى الهدف المقدس الذي ابتعدوا عنه. لكن نشوب الحروب الداخلية زاد من وطأة الضغط الذي يعاني منه الناس اذ انّ هذه الضغوط ليست لا تتلاءم مع نفسية ذلك المجتمع الميّالة نحو الرخاء فحسب، وانما تنافيها ايضاً، لانّ المعارك التي كان الناس يخوضونها ضد المشركين كانت تعود عليهم بالغنائم.

وامّا الحروب الداخلية التي خاضها عليّ ضد الناكثين والقاسطين والمارقين فلا تعود عليهم بشيء وهو ما جعل الناس بل كثيراً من الراغبين ظاهراً في تطبيق الاسلام عاجزين عن الوفاء بتعهّداتهم، فعدلوا عن مواضعهم واعلنوا مخالفتهم، وتركوا عليّاًعليه السلام وحده، ولم يثبت معه الاّ من كان يعرفه ويعرف طريقه معرفة حقّة.

وكان الامام امير المؤمنين عليه السلام يتوقّع مثل هذا اليوم ولذا كان في أوّل الامر يأبى أن ينصاع لطلبَ الناس، ويرفض قبول حكومتهم، لأنه يعلم انهم لا يثبتون على تنفيذ سياساته واجراء برامجه، اذ كان يقول:

**«دعوني والتمسوا غيري فإنّا مستقبلون امراً له وجوه وألوان لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول»**[1].

لكنّه قال في آخر الامر جملة تؤكّد تحقق توقّعه السابق وتثبت صحة رأيه الأول بعد أن اختبر الناس رأيه حيث قال: **«اعلموا أنه قد وقع الامر الذي كنتُ احذركم إيّاه، وأنّ الفتنة كالنار كلّما اسعرت ازدادت، وإنّما سأمسك هذا الأمر ما أتمسّك فاذا لم اجد بُدّاً فآخر الدواء الكيّ»**[2].

وكانت عاقبة هذا الحكم على خلاف السنن الجارية في المجتمعات البشريّة حيث صار الحاكم مظلوماً والرعية ظلمة بدلاً من أن يكون هو الظالم وهي المظلومة كما هو المتعارف، وغدا الناس امراء له بدلاً من أن يكون هو اميرهم. وواضح ماذا يكون عليه مصير حكومة كهذه. قال علي عليه السلام:

**«لقد اصبحت الامم تخافُ ظُلم رُعاتِها، واصبحتُ أخاف ظُلمَ رعيّتي»**[3].

وقد ازدادت حركة الامّة وخروجها من الطاعة الى عدم الطاعة خلال الحروب الداخلية الثلاث شيئاً فشيئاً. فقد بلغ اقبال الناس وهجومهم عليه في أول الامر حدّاً كاد ان يسحق معه ابناه ويهلكا تحت ضغط الجمع الحاشد حتى

---

(١) نهج البلاغة، لصبحي الصالح ص١٣٦.

(٢) الفتوح لابن اعثم ج٢ ص٢٧٢.

(٣) الخطبة ٩٥ من نهج البلاغة، وفقاً لتصنيف نهج البلاغة ص٣٨٢.

اضطر في نهاية المطاف واثر المزيد من الاصرار أن يقبل الخلافة معلّلا ذلك بقوله عليه السلام :

**«ولكنّي آسى أن يليَ امر هذه الامّة سفهاؤها وفجّارها فيتخذوا مالَ الله دُولاً وعباده خُولاً والصالحين حرباً والفاسقين حزباً»**(١).

ولكن لمّا كان أوّل الناس بيعة له قد اعلن مخالفته قبل غيره والامر ما زال في أوّله، فان من الطبيعي أن يلحق به آخرون ويزداد عدد مخالفيه بالتدريج، فقد انقاد الناس في حرب الجمل للامام، واطاعوا امره وان عصاه في الكوفة ابو موسى الاشعري ودعا الناس الى القعود، فقعد عن القتال معه بعض ظاناً انه بذلك حفظ دينه لكنّه لم ينصر الحقّ طبعاً ولذلك نرى الامام يصفهم بدقة بهذا الوصف فيقول: **«خذلوا الحقّ ولم ينصروا الباطل»**(٢).

ورغم انّ الناس في حرب صفين كانوا على اطمئنان كامل بصحّة مسيرهم في أول الأمر لكنّ ضغط الحرب اضعف عقيدتهم، ولان من عزمهم، وادّى بهم الى التراجع عن التزاماتهم وتعهّداتهم السابقة وسحقها، عندما رجّحوا قول معاوية على قول عليّ واعتبروا معاوية مع القرآن وعاملاً به دون عليّ.

وفي المرحلة اللاحقة شكّل المخالفون للامام عليّ عليه السلام صفّاً أمامه حيث أنهم إذا كانوا يرفضون قتال معاوية معه في صفين، فقد خرجوا عليه هذه المرّة ليخرجوا بذلك عن الدين.

وقد قصرت يد الامام في الأيام الاخيرة عن القيام باي عمل وعجز حتى

---

(١) الكتاب ٦١ من نهج البلاغة.

(٢) تصنيف نهج البلاغة ص ٥٧١.

عن الدفاع ازاء الهجمات التي كان معاوية يشنّها على المناطق الخاضعة لحكومته، كما ضعف ايمان الناس ايضاً حتى لم يعودوا مستعدين لسماع كلام الامام، بل كانوا يرون انفسهم عاجزين عن الدفاع عن بلاد العراق تحت ضغوط هجمات معاوية.

اما الخوارج هؤلاء المتعصبون الجهلة، فقد كان فهمهم للدين يتّسم بالجمود فلم يكونوا يعرفون الدين ولا يفهمون للمتدّين معنى، وهو ما أدى بهم في نهاية المطاف الى أن يرتكبوا تلك الجريمة البشعة باراقتهم لدم عليّ هذا المثال الانساني الكامل الذي ستبق البشرية عاجزة عن الاتيان بمثله، وبذلك كانت الخاتمة للحياة السياسية لامير المؤمنين.

ان مثل هذه النتيجة ـوكما توقّعها الامامـ كانت هي المآل الطبيعي لمجتمع خرج عن مساره الاوّل، واضحى اشبه ما يكون ببناء دعائمه منهارة وجدرانه متزلزلة بحيث ان المكث فيه يعد بحكم الانتحار. ورغم ان الامام لم يكن قادراً على التخلي عن الساحة عند هجوم الناس على داره لأن ذلك كان بمثابة الاهمال لارادة الناس وعدم الاهتمام بمطاليبهم، الاّ أنه فعل ذلك من اجل أن تبق تلك التجربة، وليكون من جانب آخر قد ادى واجبه ومسؤوليته في الامامة. وان اصراره على عدم الاستجابة لارادة الناس هو اهم دليل لدينا على تكوين مثل هذه الرؤية بشأن حياة الامام في الحكم.

لقد كانت حصيلة هذه الحكومة هي بلورة المبادئ الاسلامية للسياسة التي ينبغي أن تطبق على المجتمعات البشرية في المستقبل وعندما تتاح لها الفرصة المناسبة . وقد كانت فيها ـبلا شكـ تجارب ودروس ضرورية لتسير على ضوئها الاجيال القادمة وتنأى بنفسها عن حب الدنيا وتلتزم طريق الاستقامة والتقوى وتتمسك بتطبيق الاحكام الالهية. فالخطب البليغة في وصفه للمفسدين الظالمين

والخوارج والناكثين والمارقين، والكلمات القصار التي تنطوي كل واحدة على عالم واسع من المشاعر والرؤى وتُعتبر باجمعها ارثاً ثقافياً ودينياً وسياسياً. وقد تكون هي اهم ثمرة انتجتها خلافة امير المؤمنين التي دامت مدة خمس سنوات.

## تحرّك الامام لاحياء الدين

حينما بدأت الفتوحات في اعقاب وفاة النبيّ ﷺ، تركّزت مساعي الحكام آنذاك على السيطرة على اكبر مساحة ممكنة من الارض، وتوسيع رقعة الدولة الاسلامية. ورغم الجهود التي بذلها المسلمون آنذاك في سبيل مواجهة الكفر والشرك، الاّ انهم ـولاسباب عديدةـ لم يتمكنوا وللأسف من التخلص من منحدر الانحرافات الدينية التي كانت شائعة آنذاك عن جهل أو عن قصد أحياناً. ولقد كانت هذه الانحرافات تتسع يوماً بعد آخر، وتُهجر سُنّة رسول الله ﷺ الى جانب كتاب الله، ويحل محلّها الرأي والبدعة التي اصطلح عليها بالبدعة الحسنة!

ولقد بدأ اهتمام الناس يتضاءل بهذه المسألة من اجل الحصول على الغنائم والوصول الى حالة الرفاه، وبدأت اصوات المعارضة ترتفع فقط، حينما شعروا ان الغنائم الحربية الهائلة توزّع على عائلة خليفة المسلمين عثمان في غيابهم! وكان من بين الناس اشخاص واعوان ايضاً. وقد بدأوا بالتمرد للتخلص من الظلم والاستبداد الذي لحقهم من ولاة الخليفة في الولايات والامصار المختلفة. وقد انضم اصحاب علي عليه السلام الى هذه الحركة ايضاً من اجل تحقيق اهدافهم المتمثلة بتطبيق الاسلام الحقيقي.

ولمّا جلس امير المؤمنين على كرسي الامامة والخلافة، تركّز جلّ اهتمامه ـكما اشير الى ذلك فيما سبقـ على اصلاح الفساد الداخلي. ولو صرفنا النظر عن

الاصلاحات السياسية التي نتجت عنها الصراعات المشهورة في عهد الامامعليه السلام فإنّهعليه السلام قد بدأ جهوداً حثيثة ايضاً في مجال الاصلاحات الدينية.

ولقد كان من ابرز الانحرافات الدينية هو زوال الرؤية الدينية، واضمحلال مشاعر التدين بين عامة الناس، الامر الذي ادى بهم الى السعي لا من أجل تحقيق اهداف الدين المبين، بل لاجل الحصول على اكبر حصّة ممكنة من بيت المال، وتنظيم شكل وماهية حياتهم ضمن هذا السياق ايضاً.

ولقد صعد الامام من وتيرة خطبه العميقة الجامعة من اجل ازالة الدوافع غير الدينية وقد ركّز في كلامه وخطبه البليغة المثيرة التي كان يلقيها في صلاة الجمعة او الموارد الاخرى على التقوى، ويحثّ الناس على ضرورة عدم الانغماس في الدنيا، ويحذّر طلاب الدنيا ويقرّعهم. ولو ان احداً اراد تدوين ثقافة التقوى لوجد أغنى مفاهيمها وكلماتها في رحاب نهج البلاغة. صحيح ان النصيحة والدعوة الى التقوى هي من المستلزمات المعروفة لكل خطبة وهي امر عادي ايضاً، الا أن كل هذا التأكيد من قبل الامام عليها، وكل هذه الايضاحات التي اوردها بشأنها، انما يدل على أنه كان يهدف بطرحها الى اصلاح مجتمع مُلوّث بالدوافع غير الدينية، ولا يحمل شيئاً من همّ الدين، بل همّه الاكبر اكتساب المال وجمع الغنائم وقبض اكبر سهم ممكن من بيت المال.

وبالاضافة الى التقوى، يشتمل نهج البلاغة على قضايا كثيرة، وذات اهمية بالغة لفهم الدين، وتبيان الكثير من جوانبه، والخطب التي تتناول معرفة الله على درجة كبيرة من السعة، وذات عمق عقلي وعلمي، وهي جميلة وجمالها يشكّل تلك الصورة الرائعة الجذّابة لنهج البلاغة.

وقد سعى الامامعليه السلام في شتّى الجوانب الدينية لاحياء القرآن وسنّة رسول

الله ﷺ ولاجهاض السياسات الفكرية الخاصّة التي ادّت الى ظهور البدع واندثار السنن الالهية. فحينما قلّ التذاكر بالحديث امر الامام بتذاكره ونقله، ولما كان الآخرون يمنعون من تدوين الحديث لأسباب واهية، كان الامام ينادي من على المنبر: «**من يشتري علماً بدرهم**»[١]. فاشترى حارث الاعور رقعة وكتب عليها ؛ قال الامام: «**يا أهل الكوفة غلبكم نصف رجل**»[٢].

وكذلك كان الحسن بن علي يوصي ابناءه بكتابة الحديث حتى وان مَزّق الآخرون ما كانوا قد كتبوه.

وسنشير الى هذه القصة المأساوية في مكان آخر من الكتاب[٣].

ولهذه الأسباب ايضاً تم تناقل الحديث الحقيقي لرسول الله ﷺ ـ الذي كان على لسان اهل البيت ـ بصورة مكتوبة، وبهذه الشاكلة بقيت احاديث الشيعة في مأمنٍ من التحريف الذي طال احاديث اهل السنة. وحينما تغلغلت ثقافة اهل الكتاب الى المجتمع الاسلامي في قالب الاسرائيليات واتبع البعض اساليب خاصّة في نشرها والترويج لها، ابرز الامام معارضته الصريحة وراح يحذّر الناس من اتباع ثقافة وتراث اهل الكتاب[٤].

كان الامام يشير الى هذه الانحرافات بصراحة، ويرى في المجتمع الذي عاصره تجربة عصر الجاهلية تتكرر فيه من جديد.

---

(١) التراتيب الادارية ج٢ ص٢٢.

(٢) تقييد العلم ص٩٠، ربيع الابرار ج٣ ص٢٢٦.

(٣) نشرية نور العلم، الاعداد ٩، ١١، ١٢ من الدورة الثانية.

(٤) التراتيب الادارية، ج١ ص٧٦.

**«ألا وان بليّتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيّه»**[1].

وقال ايضاً في موضع آخر: **«اعلموا انكم بعد أن هاجرتم عدتم الى روحيتكم البدوية، وبعد أن عقدتم اواصر الولاية بينكم اتبعتم سبيل الفرقة .. ما تتعلقون من الاسلام الاّ باسمه، وما تعرفون من الاسلام الا رسمه.. الا وقد قطعتم قيد الاسلام، وعطّلتم حدوده وأمتّم أحكامه»**[2].

وهذه العبارة تعكس رؤية الامام ونظرته الى ذلك المجتمع، وتبرز العلل التي من اجلها سعى الامام الى احياء الدين، والتي تحدث الامام نفسه عنها قائلاً: **«قد ركزت فيكم راية الايمان، ووقفتكم على حدود الحلال والحرام»**[3].

وحينما كان ابو ذر تلميذ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعلي عليه السلام المخلص الذي ما اظلّت السماء ولا اقلّت الخضراء اصدق لهجة منه، يريد وصف الامام بكلام كان يقول: **«عليّ زرُّ الدين»**[4] (اي قوامه).

وكان يقول للناس: **«ستكون فتنة فإن ادركتموها فعليكم بكتاب الله وعليّ عليه السلام»**[5].

والتلميذ الآخر لهذه المدرسة ـ الا وهو عمار بن ياسر ـ كان يتحدث عن النهج الذي سلكه علي عليه السلام. واصفاً أيّاه بالعبارة الرائعة التالية:

---

(١) نهج البلاغة ـ ص٥٧.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ج١٣ ص١٧٩.

(٣) نفس المصدر السابق ج١ ص٣٧٣.

(٤) الفائق في غريب الحديث ج٢ ص١٠٨.

(٥) انساب الاشراف ـ ج١ ـ ص١١٨.

**«لو لم يعمل عملاً ولم يصنع شيئاً الاّ انه احيى التكبيرتين عند السجود لكان قد اصاب بذلك فضلاً عظيماً»**[١].

وهذه العبارة تشير الى ان اهم الاعمال في رأى علي واصحابه هي احياء دين النبي ﷺ حتى ان عملاً كالذي ذكره عمّار صار يعدّ من اعظم الانجازات التي حققها الامام.

ولهذا السبب فقد قال عنه عمر وحسب معرفته به: **«انّي لأرى أنّه ان وُلّي شيئاً من امركم سيحملكم على طريق الحق»**[٢].

ومما يؤسف له أن الخليفة نفسه لم يكن يرضى أن يعدّ الارضية التي تمكن الامام من تطبيق آرائه عملياً. وفي مورد آخر لما اراد الحكم بين علي وخصم له، فنادى علياً بكنيته واعترض الامام عليه على مناداته له بكنيته بحضور خصمه واحترامه بشكل لم يفعله مع خصمه قال عمر للامام: **«بأبي بكم هدانا الله وبكم اخرجنا من الظلمات الى النور»**[٣].

لقد كان الامام شديداً في امر الدين، ولم يكن الدافع لذلك سوى حفظ الدين في المجتمع اذ كان يقول: **«والله لا ادهنت في ديني»**[٤].

وعندما كان اصحاب الامام يريدون وصف علي بالشعر كان يقولون عنه:

---

(١) انساب الاشراف ـ ج ١ ص ١٧٩ ـ ١٨٠، مصنف ابن ابي شيبة ج ١ ص ٢٤٠.

(٢) انساب الاشراف ـ ج ١ ص ٢١٤؛ ادب المفرد للبخاري ص ١٤٩.

(٣) الزمخشري ـ ربيع الابرار ـ ج ٣ ص ٥٩٥.

(٤) نهج السعادة ـ ج ٢ ص ٢٠٢.

**اوضحت من ديننا ما كان مشتبهاً**

**جزاك ربّك عنّا فيه احساناً**[1]

والحسن البصري رغم انه لم يكن يحمل نظرة ايجابية عن الامام، الاّ انه لما اراد وصف الامام بجملة قال: «**أراهم السبيل واقام لهم الدين اذا اعوج**»[2].

وهذا يظهر أن اهم الطروحات التي كان يرتئيها انما كانت تتمثل فيما يقوم به من أعمال في سبيل احياء الدين، وكان يرى واجبه يتجسد في ابلاغ كامل سُنّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولذلك فانه كان ينادي بأعلى صوته: «**والله ما أسمعكم الرسول شيئاً الاّ وها انا ذا مسمعكموه**»[3].

وكان يرى نفسه منفّذاً واعياً ومخلصاً لسيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وكان يقول عند رؤيته تمرّد بعض الناس: «**لو غبتُ عنكم من يسير فيكم بهذه السيرة؟**»[4].

ولهذا السبب ايضاً كان يؤكد على ايضاح سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للناس في مختلف جوانب الحياة، وكان يطبق ذلك بين الناس باسم السُنة[5].

وصلى ابو موسى خلف الامام علي عليه السلام بعد ٢٥ عاماً من وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «**ذكّرنا ابن ابي طالب صلاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم**»[6].

ومن خلال امعان النظر في الشواهد السالفة يمكن ان ندرك جيّداً أن احد

---

(١) كشف الغمة ـ ص٢٥.

(٢) مصنف ابن ابي شيبة ج١٢ ص٨٣.

(٣) نهج البلاغة ص١٢٢.

(٤) المصنف لعبد الرزاق ج١٠ ص١٢٤.

(٥) نهج السعادة ج٢ ص١٠٠.

(٦) البخاري، التاريخ الكبير ج٤ ص٣٣.

وكذلك كان علي يقول: «**لو أردت أن اوقر على الفاتحة سبعين بعيراً لفعلت**»[1].

وكان مشهوراً بين العلماء منذ القديم بأن أحداً لا يقول: «**سلوني قبل أن تفقدوني**» غير عليعليه السلام[2].

ولهذا السبب كان من الطبيعي ان يعتبر الخليفة الثاني وطوال فترة خلافته علياً بمثابة مرجعه العلمي، مع انه لم يستفد من الامام كما ينبغي وهو مما يؤسف له طبعاً، فقد كان عمر يقول: «**لا ابقاني الله لمعضلة ليس بها ابو الحسن**»[3].

ونقل بشكل متواتر عن الخليفة الثاني انه قيل لعمر من اين أعتمر فقال: «**أئتِ علياً فاسأله**»[4].

بالاضافة الى ذلك، فالامام هو واضع علم النحو وهو من اهم الفروع الأدبية، وهو العلم الذي اصبح فيما بعد من اكثر الجوانب ضرورة لصيانة القرآن من التحريفات النحوية.

والاقوال التي مرّ ذكرها لا تشكل الاّ جزءً ضيئلاً من الاعترافات التي ذكرت بشأن علم الامامعليه السلام، ونحن طبعاً لسنا بصدد تقصي هذه الاقوال والعبارات هنا لكي نأتي على ذكرها باجمعها. ولو لم تكن اي من الاقوال السابقة موجودة لكان قول رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم: «**انا مدينة العلم وعلي بابها**» وحده كافياً

---

(١) التراتيب الادارية. ج٣ ص١٨٣.

(٢) جامع بيان العلم ج١ ص١٣٧.

(٣) الطبقات: ج٢ ص٣٣٩؛ أنساب الاشراف: ج١ ص١٠٠.

(٤) غريب الحديث ج٣ ص٤٠٦.

وهي رواية متواترة عند السُنّة والشيعة.

## نمط حياة الامام عليه السلام

من المسلم به ان حياة الامام هي افضل انماط الحياة التي جربتها الانسانية على طوال فترة حياتها ولحد الآن، حياة الانسان الكامل الذي يعتبر اكثر افراد البشرية واقعية والهيّة ومن الافراد النادرين الذين يليق اطلاق كلمة خليفة الله في الارض عليهم. وهي حياة جذّابة الى ابعد الحدود بحيث صعدت بالمحب الى اقصى درجات المحبّة واوصلت المبغض الى اقصى درجات البغض. وهي الشخصية التي قال عنها النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**يا عليّ يهلك فيك رجلان، محبّ مفرط، ورجل مفرِّط**»[1].

فمن يتشيّع له يتنامى حبّ التشيّع في قلبه حتى يبلغ حد الترفّض[2]، وان غفل عن نفسه اصبح عرضة لميول المغالاة وقلّما شوهد من نسب اليه الالوهية خلال حياته الاّ انّ الامام تعرض لمثل هذه النسبة في مجتمع تكررت فيه التأكيدات الالهية على الطبيعة البشرية لرسول الله، رغم تصدّي الامام العنيف لمثل هذه النسب والشبهات.

ومن المثل السامية في حياة الامام الزهد الذي طغى على كل حياته، الزهد الذي يعني الاعراض عن كلّ ما في العالم في الوقت الذي يكون مالكاً له باسره، الزهد الذي يرجّح القناعة، ويجعل الصبر ذلولاً خاضعاً له امام المشاكل والصعاب.

---

(١) المعيار والموازنة ص٢٣ ويقول عليه السلام في نهج البلاغة: هلك فيَّ اثنان محب غال ومبغض قال.
(٢) اذا صار الشخص شيعة يزداد حتى يرفض. رك: المعيار والموازنة ص٣٣.

تحدّث جماعة عند عمر بن عبدالعزيز عن الزهّاد، وتساءلوا عن ازهد الناس فعدَّ بعضُ الحاضرين اشخاصاً من جملتهم ابو ذر، فقال عمر بن عبدالعزيز: **«أزهد الناس علي بن ابي طالب**عليه السلام**»**[1].

كان الامام يجمع الفقراء حوله ويعاملهم برفق واحسان[2]، وفي كثير من الاحيان كان يأتي الى الصلاة ويخطب بالناس ولا زال رداءه الوحيد يقطر ماءً[3] وهو على بدنه.

وبينما كان هو على رأس السلطة، والاموال الطائلة المتأتية من الضرائب المختلفة وخراج الاراضي الشاسعة تتدفق على خزائن بيت المال من كل صوب، كان هو يتناول ابسط الاطعمة، حتى قيل له: **«ابالعراق تصنع هذا؟ العراق اكثر خيراً وطعاماً»**.

الا أن ذلك كان يُعدُّ من المناقب بالنسبة للامام[4]. اذ كان يقول: **«انا الذي اهنتُ الدنيا»**[5].

وعندما كان يقسم بيت المال على المسلمين لم يكن يأخذ لنفسه شيئاً، وكان يعود الى داره خالي اليدين، حتى ان بعض الناس كان يتردّد هل يعتبره ازهد الناس أم انّه[6].. فكان حقاً خير مصداقٍ لقوله: **«خير القول ما صدّقه العَمل»**[7].

---

(١) المعيار والموازنة ص ٢٤٠.

(٢) نفس المصدر السابق ـ ص ٢٤٠.

(٣) نفس المصدر السابق ص ٢٤١.

(٤) نفس المصدر السابق ـ ص ٢٤٩.

(٥) حياة الصحابة ج ٢ ـ ص ٣١٠.

(٦) الغارات ـ ج ١ ص ٥٥.

يقول اسود بن قيس: «**كان علي**عليه السلام **يُطعم الناس بالكوفة الخبز واللحم وكان له طعام على حدة. فقال قائل من الناس لو نظرنا الى طعام امير المؤمنين ما هو؟ فأشرفوا عليه فاذا طعامه ثريده بزيت مكللة بالعجوة، وكان ذلك طعامه، وكانت العجوة تُحمل اليه من المدينة**»[٨].

ويقول عقبة بن علقمة: «**دخلت على عليّ**عليه السلام **فاذا بين يديه لبن حامض آذتني حموضته، وكسر يابسة، فقلت: يا امير المؤمنين أتاكل مثل هذا؟**

**فقال لي: يا ابا الجنوب رأيت رسول الله**صلى الله عليه وآله وسلم **يأكل أيبس من هذا ويلبس اخشن من هذا،** (واشار الى ثيابه) **فان أنا لم آخذ بما اخذ به خفت ان لا الحق به**»[٩].

وجاء عن عدي بن ثابت انّه قال: «**اتي علي**عليه السلام **بفالوذج فأبى أن يأكله**»[١٠].

واورد ابو اسحٰق الثقفي صفحات كثيرة من كتاب الغارات خصّصها لذكر الامثلة الدالة على زهد عليّ في الملبس والمأكل والتعامل مع بيت المال وعدم الاسراف في القضايا الاقتصادية ورعايته لحدود الله بدقّة.

لقد كانت شخصية الامام من السمو والرفعة حتى ان معاوية كان يثني عليه ايضاً في مجالسه الخاصّة[١١].

---

(٧) الغارات ـ ج ١ ص٢٤٩.

(٨) انساب الاشراف ج ٢ ص١٨٧ ـ ر. ك الغارات ج ١ ص ٨٥ ـ٨٧ ـ ٨٨.

(٩) الغارات ـ ج ١ ص٨٥.

(١٠) الغارات ـ ج ١ ص٨٨.

(١١) ابن عدي ـ الكامل في ضعفاء الرجال ـ ج ٥ ص ٢٤ ـ ١٨.

يقول ابو سعيد الخدري: «**حضر الرسول ﷺ جنازة احد الانصار، وقال: هل عليه دين؟ قالوا: بلى: فرجع الرسول ﷺ. فقال له علي عليه السلام: انا اضمن دينه، فقال له النبي ﷺ: فك الله رقبتك كما فككت عن اخيك المسلم**»[1].

أجل هكذا كان عليّ يتصرف في ماله الخاص، ولم يكن مستعداً لاعطاء اقل مبلغ لاقرب شيعته ما لم يكن له بحق[2].

(١) الزمخشري، ربيع الابرار ج٢ ص٦١٩.

(٢) ربيع الابرار ج٣ ص٧٧.

# الامام الحسن عليه السلام

**قيل للحسن بن علي: «فيك عظمة. قال: لا بل عزة قال الله تعالى: فلله العزة ولرسوله وللمؤمنين»**[1]

ويدور الحديث عن مظلوم آخر من اهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهو المظلوم الذي طالما تعرض الى ظلم التاريخ وعدم دقته، اذ بقيت الخطوط العامّة لسياسته في فترة حكومته القصيرة واستشهاده محاطة بهالة من الغموض والابهام نتيجة للدعايات المغرضة التي اشاعها الحكام الامويون اعداء الانسانية والاسلام ودسائس علماء السوء المأجورين او المغفلين.

ففي رواية ان امير المؤمنين عليه السلام اراد في يوم ولادة الحسن عليه السلام ان يسميه (حرباً) لكن النبي عارضه وقال: ما شأنه والحرب؟ هو حسن»[2].

---

(١) ربيع الابرار ج٣ ص١٧٧.

(٢) ابن سعد ـ الطبقات الكبرى، ترجمة الحسن بن علي. تراثنا العدد ١١ ص١٢٨.

ان استعمال مثل هذا التعبير قد يعرض شخصية علي‌عليه‌السلام للاستفسار من عدّة جوانب ومن جملة ذلك انه:

لم يكن مقاتلاً شجاعاً بل كانت طبيعته ممتزجة بحب الحرب، وكان مبدئياً ذا شخصية ميّالة للعنف وتتّسم بحب المخاطرة (كما نقل هذا الرأي عن الجاحظ).

انه لمن السذاجة حقّاً ان نتصور ان الامام كانت له حقيقة مثل هذه الشخصية لأن عطفه وانسانيته التي اعطت لتاريخ البشرية جمالاً خاصاً لا تنسجم مع مثل هذه الاوصاف السقيمة حيث كان في ميدان الوغى محارباً شجاعاً لكنّه كان شديد التسامح والعفو مع عدوّه المهزوم، ويجلب للارامل واليتامى الطعام ويشاطرهم الحزن ويحمل همّهم و... وهذا من عجائب الخلق ان تجتمع في شخص واحد مثل هذه الصفات المتضادة ولا تتغلب على شخصيته صفة واحدة منها (فالجاحظ) وامثاله لم يتمكنوا من التخلّص من تأثير وجهة النظر التي وضعها بنو امية امام انظارهم، ولذلك لم يستطيعوا تقديم وصف صحيح عن شخصية كشخصية امير المؤمنين، خاصة وانهم قالوا انه تمسك بنفس الموقف ازاء تسمية الامام الحسين‌عليه‌السلام.

تربّى الحسن في حجر رسول عظيم كرسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم واب وام كعلي‌عليه‌السلام والزهراء‌عليها‌السلام وكان النبي يعتبره واخاه الحسين كأبنائه وكان يؤكد على ذلك ايما تأكيد، ويتحدث عنه بمنتهى الصراحة بحيث لا يبقى هنالك ايَّ مجال امام الدعايات[1] المضادّة لأهل البيت التي يبثّها ويروّجها ادعياء الخلافة كبني اميّة وبني العباس ولكي لا يتمكن محترفو السياسة هؤلاء من المساس او الاساءة الى

---

(١) العلاّمة السيد جعفر مرتضى العاملي، الحياة السياسية للامام الحسن، ص٢٧ وما بعدها.

اسمى واقوى الوشائج الروحية والنسبية التي تربط بين امير المؤمنين عليه السلام والحسنين عليهما السلام برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولكي لا يتمكن امثال هؤلاء من اخراج محبّة اهل البيت من قلوب الناس. فحضوره واخوه الحسين في المباهلة واستعمال كلمة **(ابناءنا)**[1] بشأنهما يعتبر وثيقة فخر واعتزاز اخرى لهما، وشهادة تعكس قداستهما الذاتية.

ونزول آية التطهير بشأنهم ـ**النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين**ـ تأكيداً آخر يثبت نفس تلك الحقيقة ويؤكدها، كما كان الامام يؤكدها ايضاً[2].

واما من حيث الشكل فانه كما ذكر انس بن مالك، لم يكن أحد من اهل البيت اشبه منه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[3].

وقد استخدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الطف وارق التعابير في مدحه، وكان يحبه الى درجة كبيرة حتى ان اعداء اهل البيت كانوا اذا تذكّروا معاملة رسول الله له تملّكهم احترام عميق له وبان عليهم الخضوع امامه.

يقول عمير بن اسحق: «**رأيت أبا هريرة التقى بالحسن بن علي عليه السلام فقال له: اكشف لي بطنك حتى أقبّل حيث رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقبّل منه، قال: فكشف عن بطنه فقبّله**»[4].

هذا السلوك من ابي هريرة وامثاله لا يُعتبر امراً غريباً اذا اخذنا بنظر

---

(١) آل عمران: ٦١.

(٢) ابن سعد ـ الطبقات ص١٦٧؛ الاربلي ـ كشف الغمة ج١ ص٥٣٨.

(٣) تاريخ ابي زرعة الدمشقي، ج٢ ص٥٨٧.

(٤) مسند احمد ـ ج٢ ص٤٢٧ و ٤٤٨؛ والطبراني في المعجم الكبير ج٣ ص١٩ رقم ٢٦٩٠.

الاعتبار الحب الذي كان يبديه له النبي.

فقد قال عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**لو كان العقل رجلاً لكان الحسن**»[1].

ولم يكن تكريم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لهذين الأخوين ناتجاً عن القرابة النسبية، بل ان احترام النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومداراته للحسن على اعين الناس من على المنبر وفي وسط الصلاة (عندما كان الحسن في دور الطفولة صعد على ظهر النبي اثناء الصلاة وهو في حالة السجود فصبر النبي حتى نزل من على ظهره من تلقاء ذاته) كان له هدف خاص، هو اثبات احقية الحسن واهل بيته في خلافة النبي وقيادة الامة الاسلامية من بعده.

ولما كان الامام الحسن عليه السلام يخطب من على المنبر بعد استشهاد امير المؤمنين عليه السلام وكان بحاجة الى محفّز يحثّ الناس على بيعته، قام رجل من قبيلة الازد وصاح: «**رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واضعاً الحسن في حبوته وهو يقول: من أحبّني فليحبّه وليبلغ الشاهدُ منكم الغائب ولولا عزمة رسول الله صلى الله عليه وآله ما حدّثت احداً شيئاً ثم قعد**»[2].

من المؤكد أن هذا الحديث كان احد الدوافع وراء مبايعته الاّ ان الناس قد قصّروا فيما بعد في الدفاع عنه لأسباب سنشير اليها في محلّها[3].

وبغض النظر عن محبّة امير المؤمنين عليه السلام للامام المجتبى باعتباره ولده، فهو

---

(١) فرائد السمطين ـ ج٢ ص٦٨.

(٢) البخاري ـ التاريخ الكبير ج٣ ص٤٢٨، مسند احمد بن حنبل ج٥ ص٣٦٦.

(٣) الروايات الواردة في فضله كثيرة ولا داعي لذكرها هنا بأجمعها، يمكن مراجعتها لمن يشاء في مظانّها.

كان ينظر اليه والى اخيه على أن في بقائهما امتداداً لنسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلم يكن يسمح في الحروب بأن يتعرضا لظرف يهدد حياتهما بالخطر، في وقت كان هو يخوض الحرب في قلب جيش العدو[1].

## المشاركة في حروب الجمل وصفين والنهروان

من المشاهد المهمّة التي اقترنت بالظهور السياسي للامام في المجتمع هي مشاركته الفعّالة في حرب الناكثين. فقد بعثه امير المؤمنين عليه السلام كممثل عنه الى الكوفة[2] لكي يُعلم الناس هناك بخروج الناكثين على حكومة الحق ويدعوهم للمشاركة الفعّالة في تصدي امير المؤمنين لاصحاب الجمل. وأوّل ما قام به الامام انه عزل ابا موسى الاشعري الذي كان يثبط الناس عن قبول دعوة امير المؤمنين عليه السلام بحجّة حقن الدماء. ثم القى عليه السلام خطبة مثيرة اجّجت مشاعر الناس فحشد عشرة آلاف رجل من اهالي الكوفة للمشاركة في الحرب.

وفي صفين كان الامام الحسن عليه السلام ايضاً احد المقاتلين الذين ابدوا نشاطاً منقطع النظير في إثارة الناس ضد القاسطين. فقد خطب مرّة بجيش الكوفة يحثّهم على الحرب والثبات فيها حيث قال فيها:

**«فاحتشِدوا في قتال عدوّكم معاوية وجنوده فانّه قد حضر، ولا تخاذلوا فأن الخذلان يقطّع نياط القلوب»**[3].

ورغم هذه المواقف الصريحة من قبل الامام في مقابل عثمانيي الجمل وصفّين

(١) ر.ك. ربيع الابرار ج٣ ص٥٣٧.

(٢) نصر بن مزاحم ـ، وقعة صفّين ص١٥.

(٣) نصر بن مزاحم ـ وقعة صفين ـ ص١١٤.

فان المؤرّخين والمحقّقين الذين سعوا في جعل الأب والابن بمواجهة بعضهما الآخر وتشوية موقف احدهما من خلال التشكيك بموقف الآخر، حيث سعوا الى اظهار سياسة الامام وكأنها معارضة للسياسة التي كان ينتهجها الأب، وذلك لاظهار الابن شخصية ضعيفة من جهة، والادعاء بأن الأب شخص سفّاح مثير للحروب من جهة اخرى. فزعموا انّه أتهم اباه بالاشتراك في قتل عثمان[1]، في حين أن جميع الشواهد التاريخية تصرح بان الامام الحسنعليه السلام أخذ الماء الى عثمان بامر من ابيه، وانه قد ذهب برفقة اخيه الحسينعليه السلام وعدد من ابناء كبار الصحابة لحماية عثمان والوقوف امام داره لمنع الناس من الهجوم عليها -كما كتبوا ذلك هم انفسهم- وان أباه عاتبه لعدم تمكنه من منع ازدحام الناس الذي نتج عنه مقتل عثمان.

ان التلاعب في تاريخ مثل هذه الشخصيات -الناشئ من الثقافة الاموية الجاهلية- قد استغل هنا في قضية الصلح مع معاوية، اذ حاولوا ومن خلال نقل جُملٍ كاذبة وتعمّد الكثير من التحريف والتزوير، والاستفادة من ذلك في سياق نفس التحليل الذى مر ذكره.

وسنشير خلال هذا البحث الى ذلك الصلح المفروض ومظلومية الامام فيه.

كما انهم استندوا الى مجموعة من الجمل والاقوال التي نسبوها الى النبيصلى الله عليه وآله وسلم مثل: «الحسن مني والحسين من علي»[2] وسعوا من خلالها الى وضع الامام الحسنعليه السلام الى جانب النبيصلى الله عليه وآله وسلم، ووضع الحسينعليه السلام -الذي وقف بوجه حكومة يزيد الاموية وصنع ملحمة كربلاء الخالدة- الى جانب الامام عليعليه السلام الذي واجه مجرماً كبيراً في تاريخ الانسانية، هو معاوية. وبهذا يلوّحون الى ان

---

(١) ر.ك. البلاذري، انساب الاشراف ج٢ ص١٢ تحقيق المحمودي، طبعة بيروت.

(٢) ذخائر العقبى ص١٣٢.

الخط السياسي للنبي صلى الله عليه وآله يختلف ـبل قد يتعارض ـ مع الخط السياسي الذي سار عليه علي عليه السلام! وكتبوا ايضاً: ان الامام الحسين قال لأخيه: «**يا ليت قلبي كان لك ولسانك لي**»(١).

ولابد أن القارئ الكريم يدرك ان هذه الجملة ايضاً تظهر بُعداً آخر من النظرة المنحرفة عن الامام الحسن عليه السلام.

وسنرى من خلال مواصلة البحث بأن الابن كان في نفس المسار الذي انتهجه الأب، ولكنه اضطر ـلنفس الاسباب التي جعلت الأب في السنة الاخيرة من حكومته يشاهد تجاوزات معاوية على العراق والحجاز واليمن ولا يبدي ايّ رد فعل تجاهها ـ الى الكف عن المطالبة بالحكم والتوجّه الى المدينة وحيداً.

ومن جهة اخرى كان من الضروري اعطاء فرصة لمعاوية الذي حصل على بعض الوجاهة نتيجة الدعاية والضجة المفتعلة التي اثارها اعداء امير المؤمنين عليه السلام لكي يتولى زمام الامور كحاكم بلا منازع وليكشف بعد ذلك القناع عن وجهه الامويّ الكريه، ويعلم المسلمون مدى خطورة هذا العدو الذي يتباكى على الاسلام ويتظاهر بالحرص على ادارة البلاد وراحة العباد، وانه لا يقل خطورة عن شخصية ابي سفيان الذي كان يشكّل عائقاً امام انتشار الاسلام واقامة دولته، والاحداث المؤلمة التي احدثها للاسلام والمسلمين مثل بدر وأُحد و...

## مسؤولية الامامة

استشهد امير المؤمنين عليه السلام في وقت كانت تمر فيه الكوفة باصعب الظروف.

---

(١) الاربلي، كشف الغمة، ج٢ ص٢٤٣.

فرغم ان اهل الكوفة انتصروا على اهل البصرة بعد منافسة طويلة فيما بينهما، الا انه لم يمضِ وقت طويل حتى تعرضوا للهزيمة والمهانة في صفين رغم ما ابدوه من شجاعة فائقة، ولم يكن بينهم وبين النصر آنذاك سوى خطوة واحدة ولكنهم اغتروا بخدعة العدو. فكانت الهزيمة امام اهل الشام وهي البلاد التي بقيت خصماً منافساً للكوفة مدة ليست بالقصيرة. فبعد أن كانت الكوفة تحارب الشام وعلى رأسها معاوية (رمز الجاهلية) من اجل الاسلام الحقيقي وتطبيقه اصبحت بعد مدة تقبل وجودها بل وتتقبل تفوّقها ايضاً وذلك بسبب الضعف الذي اصابها.

وكانت تلك بداية لمرحلة جديدة، فقد ظهرت نتيجة الضغط النفسي والشعور بالحقارة عند اهل الكوفة فرقة منحرفة ومعاندة تدعى بالخوارج، وهم الذين اصروا على الامام بوجوب قبول التحكيم الذي اقترحه معاوية، الا أنهم عندما رأوا انعكاسات عملهم، جعلوا امير المؤمنين عرضة للانتقادات والاعتراضات والتهم الغادرة، فكانت النتيجة ان واجه بعضهم بعضاً وتقاتلوا بكلِّ ما لديهم من اسلحة، وبهذا نزلت ضربة أخرى اخلّت بالانسجام الذي كان يسود الكوفة.

وفي مثل هذه الظروف فقدت الكوفة قدرتها تماماً على الاستمرار في الصراع، وكلما الحَّ عليهم امير المؤمنين عليه السلام بضرورة التهيؤ لمقاتلة معاوية واجتثاث هذه الغدّة السرطانية من جسد الاسلام المقدّس، لم تظهر منهم اية رغبة بل لم يكونوا مستعدّين للدفاع حتى عن العراق ايضاً. فقد كان ولاة معاوية وقادة جيشه يغيرون على العراق باستمرار، لكن اهل الكوفة لم يكونوا يبدون اي رد فعل بازاء ذلك. فلا نصائح الامام ولا تقريعه اثّر فيهم وأعادهم الى رشدهم، لأن تراخي اهل الكوفة وسذاجتهم هو الذي اوصلهم الى هذه الدرجة من الضعف

والانهيار النفسي وشلّهم عن القيام بأيّ عمل.

وفي مثل هذه الظروف المريرة في الكوفة استشهد الامام. ورغم ان مظلومية هذا الاستشهاد قد اثار عاصفة في المجتمع. الا أن الكوفة وبسبب اختلاف ولا ابالية اهلها لم تتأثر كثيراً بتلك العاصفة. وصار معاوية وجيش الشام كالكابوس الذي سلب من اهل العراق قلوبهم وعقولهم، حتى انّ الجسد الطاهر لأمير المؤمنين عليه السلام دُفن سراً، وظل مكان دفنه مخفياً عن الجميع الى أن كشف أئمة الشيعة عنه، ودلّوا الناس عليه.

لقد اثارت تلك المظلومية موجة بين اهل الكوفة، فالعراق وان اصبح في حالة شديدة من الضعف الاّ انه لم يخضع لسلطة الشام بهذه البساطة، وكان يعتبر ذلك عاراً عليه لا يمكنه الرضوخ له بسهولة. لذا فانهم اجتمعوا وشكلوا قوّة لفتت الانظار اليها، ثم راح اهل الكوفة يبحثون عن قائد يبايعونه حتى ينفّذ البرامج التي استنّها امير المؤمنين عليه السلام، وينتهج نفس السياسة التي كان قد ابتدأها. ولم يكن من احد يمتلك مؤهلات مواصلة هذا الطريق سوى ابن الامام علي عليه السلام، فبايعوه واشترطوا البيعة له بمواصلة الحرب ضد معاوية. وحيث أن الامام كان قد جرّبهم في السابق فقد قبل البيعة بشرط ان يعمل بما يرى فيه الصلاح، وان لا يرفع احد عقيرته بالاعتراض حتى وان اضطرته الظروف لقبول الصلح مع معاوية.

وفي هذه المرّة ايضاً اتخذ اهل العراق قرارهم بحزمٍ وجدٍّ في الوهلة الاولى ولكنهم سرعان ما تراجعوا عن قرارهم كما هو شأنهم دائماً وتقبلوا وبكل بساطة ذلك العار الذي أبَوا قبوله.

ولو تقدّمنا قليلاً الى الامام لرأينا أن مبايعة الامام قد تمّت بسبب ما للناس من معرفة به في قيادة المجتمع، وفضلاً عن ذلك فالدافع الاساسي الكامن وراء

تلك البيعة هو التأكيدات المتكررة من قبل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والامام علي عليه السلام بشأن امامته وجدارته بالقيادة.

فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال عنه وعن اخيه: «**الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا**»[1].

وامير المؤمنين عليه السلام عيّنه خليفة له من بعده، كما قال هو في رسالة بعثها الى معاوية: «**فان امير المؤمنين عليه السلام نزل به الموت وولاني هذا الأمر من بعده**»[2].

ولما دعا عبدالله بن عباس الناس الى مبايعته قال: «**هذا ابن بنت نبيّكم ووصي امامكم فبايعوه**»[3].

واستند جماعة من وجهاء الكوفة عند ارادة مبايعته الى كونه وصيّ ابيه وخليفته وقالوا له: «**أنت خليفة أبيك ووصيّه، ونحن السامعون المطيعون**»[4].

الاقوال المذكورة فيما سبق هي مجرد أمثلة للشواهد التي تدل على أنّ امامة الحسن انما كانت من قبل ابيه واعتباره وصيّاً له[5].

ومنذ اليوم التالي للبيعة، باشر الامام مهمته الاساسية في اعداد الناس لمواجهة القاسطين.

---

(١) الأربلي، كشف الغمة ج٢ ص١٥٩، الشيخ المفيد، الارشاد ص ٢١٠.

(٢) الاصفهاني مقاتل الطالبيين ص٥٥. المسعودي مروج الذهب ج٢ ص٤٢٢.

(٣)الاصفهاني، مقاتل الطالبيين ص٣٤، الطبرسي اعلام الورى ص٢٠٩.

(٤) العلاّمة المجلسي، بحار الانوار ج٤٤ ص٤٣.

(٥) انظر كتاب (الحياة السياسية للامام الحسن) تاليف السيّد جعفر مرتضى العاملي ص٤٧ وما بعدها.

## رغبة الامام القاطعة في محاربة معاوية رغم الموقف الضعيف لاهل العراق

كانت اهم قضية بالنسبة للامام واهل العراق هي الموقف ازاء معاوية ومحاربته. فانفصال الاقاليم الاسلامية عن بعضها لم يكن له مفهوم آنذاك، ووحدة الاراضي الاسلامية كان امراً مسلماً به في رأى كل مسلم. فلم يكن بامكان العراق الانفصال عن الشام، ولا الشام عن العراق أو مصر والحجاز. لذا كان من المحتّم حل مسألة الحاكمية المطلقة على البلدان الاسلامية.

فمن الناحية الدينية، كان معاوية في نظر الامام وشيعته عنصراً فاسداً تجب ازاحته عن سدّة الحكم، وهو العمل الذي كان يعتبره امير المؤمنين عليه السلام اهم واجب امامه منذ توليه لزمام امور المسلمين حيث جعله في رأس قائمة برامجه. فقد كان الامام علي عليه السلام يخيّر المسلمين ما بين محاربة معاوية او الكفر بما انزل الله. ولابد ان تكون هذه السياسة مثالاً يُحتذى به بالنسبة لابنه وشيعته ايضاً، ومثل هذا التكليف انما يجب على الامام انجازه فيما لو كانت لديه القدرة والظروف المناسبة للقيام به.

ومن ناحية الخلافة فان المهاجرين والانصار ـ من وجهة العرف السياسي المقبول يومذاك ـ هم الذين كان عليهم ان يعينّوا الخليفة. وقد صوّتوا لعلي عليه السلام. وكان اكثر الانصار وجماعة من المهاجرين قد بايعوا الامام الحسن عليه السلام الذي كان وقتها في الكوفة. لذا كان معاوية يُعتبر من الناحية العملية باغياً. واما من ناحية المفاهيم والمعايير السائدة والمقبولة آنذاك لم تكن في يده أية ورقة رابحة لذا كان ينبغي تحديد مصيره.

اضافة الى ذلك، فان اهل العراق كانوا على علم بان معاوية بصدد الهيمنة على منصب الخلافة وان الاحوال والاوضاع السائدة حينها لم تكن في صالحه،

وكان يتحّم عليه القيام بعدّة خطوات في هذا المجال. وتصور مثل هذا الأمر كان مرفوضاً بشدة من قبل اهل العراق، ولا ريب ان انتصار اهل الشام على الكوفة كان يعد هزيمة بالنسبة لاهل الكوفة، بل ويعني تعرضّهم للانتقام على يد اهل الشام.

ومثل هذه الامور ادّت الى ان تنعقد حكومة الامام الحسنعليه السلام ومنذ يومها الأول على موضوع الحرب لاسيما وان بعض الذين بايعوه كانوا من الخوارج وكانوا يصُرّون بشدة على الحرب، ويقولون بوجود علاقة لا تقبل الانفصام بين الحكومة والحرب.

ورغم أن الامور كانت تسير على ما ينبغي حسب الظاهر، الاّ أن باطن المجتمع ـوللاسفـ كان يعاني من متاعب خاصة ترافقها ميول انحرافية في الأبعاد الفكرية والاجتماعية. ولهذا السبب لم يكن يمتلك القدرة الكافية لاتّخاذ قرار حاسم بشأن الحرب. فقد كان هذا الظاهر والباطن المتناقض يسير في اتّجاه معاكس لبعضه الآخر اذ بنفس السرعة التي بويع فيها الامام الحسنعليه السلام تمت مبايعة معاوية ايضاً بسرعة اكبر وعلى نطاق أوسع.

ومنذ الوهلة الاولى لمباشرة الامام الحسنعليه السلام لمهام حكومته، ورغم معرفتة التامة لطبيعة وماهية معاوية، الاّ انه بدأ يتعامل مع الامور بما يتطابق وسياسته الدينية فابتدأه بدعوته إياه للكفّ عن التجاوز والعدوان واعلان الطاعة لحكومته الشرعية.

واشار الامام في نفس تلك الرسالة الى اختلاف الامّة حول مسألة الامامة بعد رحلة النبي الكريمصلى الله عليه وآله وسلم وانه هو وشيعته يعتبرون الحكومات السابقة غير شرعية وان مثل هذا المنصب حق محصور باهل بيت النبي، وانهم انما سكتوا عن

هذا الامر فلمصالح خاصّة، وان عمل معاوية هذا لا يعدو ان يكون تجاوزاً على الحق البديهي لاهل البيت وبعد اظهار العجب من هذا التجاوز طلب إليه اعلان البيعة وهدّده ان هو لم يبايع ولم يدخل في الطاعة فانه سيتوجه اليه ويقاتله بكل ما لديه من امكانيات.

وكتب معاوية رداً على رسالة الإمام، واستند في رسالته الى ارائه الجاهلية وتعلل فيها بكبر سنّه وانه ادق رؤية من الامام الحسن في المسائل السياسية ودعاه الى بيعته واضاف في ختام رسالته: «**إنّ امري وامرك شبيه بامر ابي بكر وأمركم بعد وفاة رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم»[1].

وكان من الطبيعي أن لا ينتهي مثل هذا الاختلاف المتجذّر بمثل هذا الاسلوب بل كان لابد من مواجهة حاسمة تتقرر على ضوئها الامور في ساحة الوغى. لذلك باشر الامام الحسن عليه السلام بعزم راسخ باستجماع وتحشيد قواه لمواجهة القاسطين. وكتب معاوية الى عمّاله في الولايات وطلب فيها منهم تزويده بالمقاتلين لكي يستغل الاوضاع المضطربة في العراق ويهجم على الكوفة ويسيطر عليها ويسقط حكومة الامام الحسن عليه السلام. وكان لدى معاوية فئة كبيرة ومنظمة من العيون والجواسيس موزّعة في جميع ارجاء البلاد الاسلامية، وكان يحصل من خلال هذه الشبكة قطعاً على المعلومات والاخبار الدقيقة عن اوضاع العراق.

### حركة اهل العراق البطيئة لمحاربة القاسطين:

انّ اهل الكوفة وان بايعوا الامام الحسن عليه السلام بُعيد استشهاد الامام علي عليه السلام

---

(١) البلاذري، انساب الاشراف ج٢ ص٣١ طبعة المحمودي.

واضطراب الاوضاع في تلك الأيام خوفاً من هجوم جيش الشام، لكنهم صنعوا به ما صنعوه من قبل بالامام علي عليه السلام حيث التزموا الجلوس في بيوتهم رغم تحذيراته المتكررة وتقريعه المتوالي لهم، ولم يبدر منهم اي رد فعل مناسب. فعندما دعاهم الامام الحسن عليه السلام للاستعداد لمحاربة معاوية لم يلبِّ احدٌ نداءه[1] حتى توجّه عدي ابن حاتم الى المعسكر بمفرده فاضطرت جماعة من قبيلة طي، والقبائل الاخرى الى اللحاق به.

ثم بعد العملية الاعلامية الواسعة والخطب المتكررة التي اوردها الامام، وبعد ذهابه الى النخيلة ورؤيته تقاعس اهل الكوفة، وبعد عودته الى الكوفة اجتمع اليه ما يقارب ١٢ ألف رجل في معسكر النخيلة فقط[2].

وقد كتب بعض المؤرخين: «**بعد استشهاد امير المؤمنين عليه السلام بايعه اربعون الف رجل على محاربة معاوية، فاشتبه البعض الآخر عندما تصوّر ان هذا الرقم يمثل عدد المقاتلين الذين احتشدوا في معسكر النخيلة**»[3].

والواقع هو ان هذا النقل مبالغ فيه ولا يمتاز بكثير من الصحة والدقّة.

يكفينا هنا القاء نظرة سريعة على كلمات الامام عليه السلام وتقريعه المتكرر لاهل الكوفة وتاكيده على وجوب التحشد من جديد، والهجوم على الشام لانهاء فتنة معاوية. لنرى كيف أنهم واجهوا هذه القضية المصيرية بعدم الاكتراث، وتجنّبوا تلبية نداء الامام، ولم يبدوا اي موقف ايجابي ملموس. واذا افترضنا صحّة ذلك

---

(١) ابو الفرج الاصفهاني ـ مقاتل الطالبيين ـ ص٣٩.

(٢) اليعقوبي ـ تاريخ ج٢ ص٢١٤. الاصفهاني ـ مقاتل الطالبيين ص٤٠. ابن عساكر ـ تاريخ دمشق ص١٧٦.

(٣) الطبري ـ تاريخ ـ ج٢ ص٩٤. ابن الاثير ج٢ ص٦١.

ايضاً فلا يوجد دليل على حضور مثل هذا العدد الى جانب الامام المجتبى، لا سيما وان المؤرخين قد اشاروا الى أن ١٢ ألف رجل حضروا هناك.

واختار الامام عبيدالله بن عباس لقيادة الجيش، وقيس بن سعد بن عبادة كمعاونٍ له وارسله لمقاتلة ما يربو على ٦٠ ألف مقاتل من جيش الشام، واقام هو في المدائن ليحشد اعداداً اخرى من المقاتلين.

وبما ان الامام وجيشه كانوا في معزلٍ عن بعضهما ؛ فقد تمكن معاوية من بث الاشاعات المضلّلة في كل منهما وجعل احدهما يسيء الظن بالآخر. فقد اشيع بين جيش الامام ان الامام قد تصالح، وفي خضم احتدام مثل هذه الاقاويل والاشاعات دعا معاوية قادة جيش الامام للالتحاق به واستلام جائزة قدرها الف درهم[1].

فاضطرب جيش الامام لهذه الاشاعة ولاسيا مع وجود الظروف النفسية السيئة التي كان يعاني منها، وانعدام الدوافع المحفزّة على القتال لديه، فانحدر صوب معاوية. وبقي فقط اربعة آلاف رجل الى جانب قيس بن سعد وثبتوا في وجه معاوية.

وفي هذه المرّة حاول معاوية خداعه، لكن قيساً كان اكثر وعياً من ان يُخدع بمثل هذه الاشاعات أو ينهار امام مثل هذه الاغراءات التي عرضها عليه معاوية.

وإضافة الى التأثير الكبير الذى تركه هروب جيش الامام صوب معاوية فان رسله الذين تشرفوا بمقابلة الامام في المدائن وطلبوا منه الاستجابة للصلح وواجههم بالرفض قد اشاعوا ـفي طريق عودتهم ـ بين الناس بأن الامام قد قبل

---

(١) الشيخ المفيد ـ الارشاد ص ١٧٠. ابن ابى الحديد شرح نهج البلاغة ج١٦ ص٤٢.

بالصلح، وقد جعلت هذه الاشاعة الكاذبة(١) الناس في حيرة من امرهم وجعلتهم في اتم الاستعداد لتقبّل معاوية.

وفي هذه الاثناء دارت على الألسن اشاعة(٢) تفيد بقبول قيس بن سعد للصلح وهو قوّة المقاومة الوحيدة المتبقّية في مقابل معاوية، وكانت هذه بمثابة الضربة القاضية وجّهت الى الوضع النفسيّ المنهار في الكوفة، وقضت على رمق المقاومة النهائي لديه.

وفي مقابل هذه الاجواء وفي مثل هذه المواقف الخيانية لاهل العراق لم يجد الامام بدّاً من اعتزال الحكومة. فهو لم يعد قادراً على القيام بأي عمل مؤثر في الوقت الذي لم يكن مَن يصرّ من الاصحاب على محاربة القاسطين سوى عدد ضئيل فقط. ولذلك عندما تقدّم معاوية الى الامام بطلب الصلح عدّة مرّات، اضطر الامام الى قبول ذلك.

## الصلح المفروض من قبل معاوية وتحليل أسبابه

ان سلوك اهل العراق مع الامام علي عليه السلام في أواخر فترة حكمه، يعكس روحيتهم الضعيفة وعدم مقاومتهم وصمودهم في حرب طويلة الامد، وخاصة في حرب لا غنائم فيها، وتدور حولها شبهات وتأولات منحرفة كان يثيرها اعداء امير المؤمنين عليه السلام بين الناس وتكررت نفس تلك السلوكية مع الامام الحسن عليه السلام ايضاً في فترة حكومته. فقد اظهر اهل الكوفة انهم لا يريدون قتال معاوية، وكان

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢١٥.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢ ص١٤.

التحاق القبائل[1] بمعاوية الواحدة تلو الاخرى قد اثبت ان ليس بامكان الامام الاتكال عليها، والقيام بعمل عسكري ضد معاوية.

ومن الواضح أنّ اي شعب يتعرض لحالة كهذه من الضعف لا يمكن لقائد ذلك الشعب القيام باي عمل فاعل. وسنحاول هنا نقل اسباب ودوافع هذا الصلح المفروض استناداً الى رأي الامام الحسنعليه السلام نفسه. فقد تطرق الامام الحسن ذات مرة الى سلوك اهل الكوفة مع ابيه وقصة مبايعته هو شخصياً فقال:

**«سمعت اليوم ان اشرافكم ذهبوا الى معاوية وبايعوه وهذا يكفيني. فأنتم الذين اكرهتم ابي يوم صفين على الحكمين»**[2].

وقال في موضع آخر: **«والله لو قاتلتُ معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني اليه سلماً»**[3].

وللامام ايضاً تعابير أخرى يشير فيها الى اهل العراق واصفاً ايّاهم بالناس الذين لا يمكن الوثوق بهم ويشير فيها ايضاً الى تجارب ابيه المريرة مع الكوفة[4].

وقد قام الامام المجتبى بدوره بحملة اعلامية شاملة لحثّ الناس على قتال العدو لكن نفوذه وتأثيره على الناس (على العكس مما قاله بعض المؤرخين) كان اضعف من ابيه. فاذا كان الامام عليعليه السلام غير قادر على اثارة الناس وتحفيزهم

---

(١) ابن الاعثم ـ الفتوح ـ ج ٤ ص١٥٧ طبعة الهند. ابن ابي الحديد ج١٦ ص٤٣. البلاذري ـ الانساب ج٢ ص٢٩

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) الطبرسي، الاحتجاج ج٢ ص٩٠، العلاّمة المجلسي، البحار، ج٤٤ ص٢٠، البحراني، عوالم العلوم ج١٦ ص١٧٥.

(٤) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ج٣ ص٤٠٥.

على الحرب، فكيف يمكن للامام الحسن القيام بهذا العمل؟ وهل كان يجوز للامام اللجوء الى اساليب الخداع والحيلة لاعداد الناس لمحاربة القاسطين؟

لقد اشرنا قبل هذا[1] خلال شرحنا لخصائص امير المؤمنين عليه السلام انه ما كان يريد احراز النصر عن طريق الجور. فلو اراد هذان الرجلان العظيمان حشد الناس للحرب من خلال اساليب الاستبداد والقهر والتهديد فقد كان بميسورهما، ولكنّهما لم يريدا فعل ذلك.

فالحرب قضية تقوم على دعامتين: اجازة القائد، وموافقة الناس. ولذا نجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم رغم ما كان يتمتع به من قبولٍ اجتماعي قد ترك قرار الحرب في معركتي «بدر» و «أُحد»[2] الى رأي الناس ومشورتهم. وعندما رأى الامام المجتبى ان الناس لا يميلون الى الحرب حتى ان ثلثي الناس الذين كانوا يدّعون الصمود الى آخر لحظة التحقوا بمعاوية ليلاً اختار الصلح. اذ ما الذي يمكن للامام ان يفعله إذا كان الناس لا يريدون الحرب ولا يبدون اي حماس بشأنها؟

لقد كان الامام نفسه راغباً في الحرب، الا ان ثقل الحرب ينبغي ان تحمله اكتاف الناس. ولما لم يكن الناس راغبين في الحرب، ولا قادرين على ادراك فلسفتها ومبانيها الفكرية في تلك الظروف المسمومة التي اوجدها معاوية وطبوله الدعائية الاموية، فلا يمكن للقائد طبعاً القيام بأي عمل. وللامام المجتبى عليه السلام كلام جميل وبليغ في هذا المجال يحلل فيه ذلك الموضوع افضل تحليل فقد قال:

**«انا والله لا يثنينا عن اهل الشام شك ولا ندم، وانما كنا نقاتل اهل الشام**

---

(١) ر.ك. الحياة الفكرية للامام علي ع في الصفحات السابقة.

(٢) العلاّمة السيد جعفر مرتضى العاملي، الصحيح من السيرة ج٣ ص١٤٥.

**بالسلامة والصبر، فشيبت السلامة بالعدواة، والصبر بالجزع، وكنتم في مسيركم الى صفين دينكم امام دنياكم واصبحتم اليوم ودنياكم امام دينكم. الا وقد اصبحتم بين قتيلين قتيل بصفين تبكون له، وقتيل بالنهروان تطلبون بثأره. واما الباقي فخاذل واما الباكي فثائر. الا وان معاوية دعانا لأمر ليس فيه عز ولا نصفة. فان اردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه الى الله عزوجل بظبى السيوف، وان اردتم الحياة قبلناه واخذنا لكم الرضى، فناداه الناس من كل جانب البقية البقية وامضى الصلح»**[1].

يتضح من الكلام السالف ذكره بأن الامام كان يؤكد على وجوب الحرب ولم تكن قضية حقن الدماء مطروحة باي شكل من الاشكال الاّ اذا افترضنا ان اراقة الدماء في مثل هذه الظروف لا تنطوي على النتيجة المطلوبة. والامر المسلم به هو ان المانع من نشوب الحرب والدافع نحو قبول الصلح كان ارادة الناس التي كانت تمنع الامام من القيام باي عمل عسكري ضد القاسطين.

وقد اشار الامام الى هذا الموضوع ضمن تحليله لقضية الصلح فقال: «**اني رأيت هَوى عُظم الناس في الصلح، وكرهوا الحرب فلم أُحِب أن احملهم على ما يكرهون»**[2].

وهذا تعبير آخر عن نفس ذلك الامر الذي اشار اليه امير المؤمنين عليه السلام

---

(١) ابن الاثير ج٣ ص٤٠٦، ابن عساكر نفس المصدر ص١٧٨. ابن الاثير، اسد الغابة ج٢ ص١٤، ابن الجوزي، تذكرة الخواص ص١٩٩. المجلسي البحار ج٤٤ ص٢١. البحراني عوالم العلوم ج١٦ ص ١٧٩.

(٢) الدينوري، الاخبار الطوال، ص٢٢٠.

مَرّات ومَرّات[1] وهو مبدأ اساس وثابت في التعامل السياسي للقائد مع جماهير الامّة، ويقول ايضاً في موضع آخر: «**والله إنّي سلّمت الأمر لأني لم اجد انصاراً ولو وجدت انصاراً لقاتلته ليلي ونهاري حتى يحكم الله بيننا وبينكم**»[2].

ووردت ايضاً في اقوال الامام التي يدافع فيها عن موقفه ازاء المعترضين عليه، نقطة أخرى تلفت الاهتمام الا وهي ان هذا الصلح انّما قُبل من أجل المحافظة على بقايا الشيعة، فخواص شيعة امير المؤمنين عليه السلام استشهد أغلبهم في معارك الجمل وصفين والنهروان وبقيت منهم ثلة قليلة فقط. وان وقعت حرب جديدة ـ ومع الاخذ بنظر الاعتبار ضعف اهل العراق ـ فستلحق بالامام الحسن وشيعته خسائر لا تعوّض. لأنّ معاوية والحال هذه سيبالغ في قمعهم. اما الصلح فبامكانه الابقاء عليهم الى أن تتهيأ ظروف افضل في مستقبل، واذا تقرر في يوم ما اراقة دمائهم فينبغي ان يعطي ذلك مردودات ذات فائدة ويؤدي الى خلق تيارٍ مؤثر في حركة التاريخ.

لنتأمل هنا كلام الامام عليه السلام الذي واجه به اعتراضات بعض اصحابه: «**ما اردت بمصالحتي معاوية الاّ أن ادفع عنكم القتل عندما رأيت تباطؤ اصحابي عن الحرب ونكولهم عن القتال**»[3].

وتطرق في حديث آخر الى هذا الموضوع فاشار فيه الى ضرورة الصلح في ظل وجود بعض الظروف، فذكر صلح الحديبية كشاهد على كلامه فقال: «**ولولا**

---

(١) ابن ابي الحديد ـ شرح نهج البلاغة ج١١ ص٢٩.

(٢) العلاّمة المجلسي ـ بحار الانوار ج٤٤ ص١٤٧.

(٣) الدينوري ـ الاخبار الطوال ص٢٢١.

**ما اتيتُ لما ترك من شيعتنا على وجه الارض احد**»[1].

وقال في مقابل اعتراض مالك بن حمزة: «**يا مالك لا تقل ذلك، لما رأيتُ الناس تركوا ذلك الا اهله خشيت أن تجتثوا عن وجه الارض فاردت أن يكون للدين في الارض ناع**».

فلو وقعت للامام الحسن في مثل هذه الظروف حرب فانها ستنتهي قطعاً بضرره وضرر خاصة اصحابه، وحتى الامام امير المؤمنين نفسه اصغى مستعداً للكف عن الحرب مع معاوية عندما تعرض لمثل هذه الظروف.

نورد فيما يلي مقطعاً من كلامه الموجّه الى فئة من المطالبين بمواصلة الحرب:

«**يا قوم قد ترون خلاف اصحابكم وانتم قليل في كثير ولئن عدتم الى الحرب ليكوننّ اشدّ عليكم من اهل الشام، فاذا اجتمعوا واهل الشام عليكم افنوكم. والله ما رضيته ولا هويته ولكنّي ملتُ الى الجمهور منكم خوفاً عليكم**»[2].

وكما تلاحظون فان امير المؤمنين عليه السلام نفسه قد اشار في مثل هكذا ظروف الى موضوع الحفاظ على الشيعة، وذكر أنّ احد الاسباب في قبول التحكيم المفروض هو ازالة التهديد عن اصحابه المقرّبين.

وعلى الرغم من المحاولات التي قام بها بعض رواة الاخبار التاريخية لدس اشاعة معارضة الامام الحسين عليه السلام لاخيه في صفحات التاريخ، فانه على العكس

---

(١) البحراني ـ عوالم العلوم ـ ج ٣١ ص ١٧٤.

(٢) البلاذري ـ انساب الاشراف ـ ج ١ ص ٣٣٨ ط المحمودي. محمد باقر المحمودي ـ نهج السعادة ج ٢ ص ٢٦٨.

كان يعتقد بصحة واستقامة الطريق الذي سلكه اخوه. واشار في مواضع متعددة الى أن اي عمل آخر سوى ما قام به اخوه لن يثمر عن شيء، وكلام الامام الحسين عليه السلام مع الذين طلبوا اليه القيام بعملٍ ما ملائمة جداً لتأييد الموضوع الذي نبحثه:

**«صدق ابو محمد فليكن كل رجل منكم حلساً من احلاس بيته ما دام هذا الانسان حيّاً»[1].**

**«وأما أنا فليس رأيي اليوم ذلك فالصقوا رحمكم الله بالارض واكمنوا البيوت واحترسوا من الظنة ما دام معاوية حيّاً»[2].**

فهذه الكلمات وغيرها تؤيّد وجهة نظر الامام الحسن عليه السلام بعدم جدوى التحرك العسكري في مواجهة معاوية.

## الصلح المفروض وبنوده

ولو فرضنا ان الامام الحسن عليه السلام قد غيّر رأيه في مواصلة الحرب بسبب الضعف الذي رآه على اهل العراق. فان ارسال معاوية المبعوثين الى المدائن وتعرّض الامام لذلك في كلماته ـ التي تقدم ذكر بعضها ـ يشير الى ان معاوية كان راغباً في انهاء النزاع من غير اللجوء الى الحرب واراقة الدماء. فقد اظهر للناس من خلال ذلك وبشكل ذكي انه رجل حليم وهادئ وانه يريد الاستيلاء على العراق بغير الحرب والصراع.

---

(١) الدينوري ـ الاخبار الطوال ص ٢٢١.

(٢) الدينوري ـ الاخبار الطوال ص ٢٢٢.

وهذا الاسلوب يمنع طبعاً من قيام اي تحرّك مضاد من قبل اهل العراق. بالاضافة الى ذلك، فانه استطاع اضفاء صبغة قانونية على عمله واحياء هذا التصور في الاذهان وهو «انه ليس هو الذي يريد الاستيلاء على الخلافة الاسلامية بالقوّة، بل ان الناس انفسهم وعلى رأسهم الامام الحسنعليه السلام هم الذين اوصلوا الامر الى هذه الحال».

ومع كل ذلك فانه لعدم التزامه بالتعهدات التي اتفق عليها الطرفان في كتاب الصلح يكون قد كشف عن وجهه القبيح المخادع. إلا أنّ التاريخ في نقله لبعض البنود ـ التي ادّعى كتّاب التاريخ بأن الطرفين قد اتفقا عليها ـ قد ظلم الامام الحسن ايما ظلم. اذ بالتمعن الدقيق في الموضوع ندرك بسهولة مدى ما احدثه بعض من الرواة والمؤرخين الذين لم يتحرروا من ميولهم المذهبية خلال تدوينهم للوقائع التاريخية من تلفيق وتزييف للاخبار والحقائق لصالح السياسة الاموية ضد الشيعة وتحريف الكثير من وقائع التاريخ.

وكان القصد الكامن من وراء هذه الجريمة هو اثبات النقاط التالية:

١ ـ ان الامام الحسنعليه السلام هو الذي تقدّم بطلب المصالحة من موقف الضعف والعجز.

٢ ـ ان الامام بادر الى القيام بهذا العمل من اجل بلوغ اهدافه المادية والحصول على الدينار والدرهم.

٣ ـ انه كان يفكّر بنفسه فقط تاركاً الناس لمعاوية.

وكان الزهريّ ـ وهو احد المرتبطين ببلاط هشام بن عبدالملك ومن انصارهم المخلصين ـ احد مصادر هذا التحريف فقد ذكر أن اساس عقد المصالحة

لا ينطوي سوى على شروط مالية وقبض خراج (الاهواز) و(دارابجرد)[1].

ونحن في هذا البحث المختصر لا نجد الفرصة مواتية لتناول جميع النصوص التاريخية بشأن بنود معاهدة الصلح. لذا فاننا نكتفي بذكر رواية تناقلتها المصادر القديمة باعتبارها نصاً كاملاً ونعطي بعض الايضاحات بشأنها. وقد نُقل هذا النص من قبل مؤرخين قديمين تختلف اسناد كل منهما عن سند الآخر تماماً. وهذا التماثل الموجود بين النقلين بخصوص نص معاهدة الصلح هو من الدلائل على صحّتها. فقد ورد في تلك الراوية ما يلي:

انفذ الامام عبدالله بن نوفل الى معاوية فتوثّق منه لتأكيد الحجة بأن يكون الناس في أمان على انفسهم واموالهم وسيكون مستعداً لقبول مشروع المصالحة. الا أن عبدالله بن نوفل طرح على معاوية شروطاً غيرها وهي:

١ ـ تسلّم الخلافة بعد معاوية الى الامام الحسن عليه السلام.

٢ ـ دفع مبلغ ٥٥ ألف درهم سنوياً بالاضافة الى خراج دارابجرد. وقد قبل معاوية بهذه الشروط.

ولما رجع عبدالله بن نوفل الى الامام واعلمه بشروطه التي طرحها لم يوافق عليها الامام وقال: لست طالب خلافة، والاموال التي تعهد معاوية بدفعها لي انما هي من بيت المال ولا يحق له التصرّف ببيت مال المسلمين. ثم دعا كاتبه وامره بكتابة ما يلي:

**«هذا ما تصالح عليه الحسن بن علي ومعاوية بن ابي سفيان صالحه**

---

(١) ر.ك. تاريخ الطبري ج٤ ص١٢٥. وابن سعد. الطبقات ص١٦٨.

**على أن يسلّم اليه الأمر على أن يعمل فيها بكتاب الله وسنة نبيّه وسيرة الخلفاء الصالحين، وعلى انه ليس لمعاوية أن يعهد لأحد من بعده، وان يكون الامر شورى والناس آمنون حيث كانوا على انفسهم واموالهم وذراريهم، وعلى أن لا يبغي للحسن بن علي غائلة سراً ولا علانية، وعلى أن لا يخلف احداً من اصحابه»**[1].

ويبدو ان الشروط الاخرى التي نقلت بشكل مفصل او مختصر هي اشارة الى هذه النقطة وانها كانت من تعابير المحدّثين، مع ما يحتمل ايضاً من استعمال المؤرخين لعبارات متساهلة في نفس هذا النص.

اما الشرط المالي الذي اورده بعض المؤرخين في معاهدة الصلح فقد كذّبه الامام شخصياً إلاّ أنّه قد ورد في رواية أخرى ان هذا الشرط كان من اجل توفير ارزاق عوائل شهداء الجمل وصفين[2]، وفي مثل هذه الحالة يُحتمل ان يكون هذا الشرط خارج نص معاهدة الصلح المتفق عليها. وعلى كل الاحتمالات فمن البديهي أن الامام ـومع جميع ما ورد في التاريخ بشأن كرمه وجوده ـ لا يطرح مثل هذا الشرط لمصالحه الشخصية، رغم ما لأهل البيتعليهم السلام من حق وافر في بيت مال المسلمين.

ويحتمل كذلك ان تكون اشاعة الشرط المالي التي اتخذت طابع الخبر التاريخي قد افرزتها الرسالة التي بعثها معاوية الى الامام الحسن يحثّه فيها على قبول الصلح ويعلن فيها استعداده لوضع مبلغ قدره مليون درهم سنوياً تحت

---

(١) ابن الاعثم، الفتوح، ج٤ ص١٥٨، البلاذري. انساب الاشراف ج٢ ص٤٢، ابن شهرآشوب: المناقب ج٤ ص٣٣.

(٢) العلاّمة المجلسي: بحار الانوار ج٤٤ ص٣٠. عوالم العلوم ج١٦ ص١٨٢و١٨٧و١٨٨.

تصرفه بالاضافة الى خراج «دارابجرد» و «فسا»[1]. ومن ثم نقلها المؤرخون المغرضون او الجهلة، فيما بعد على انها أحد بنود معاهدة الصلح.

وامّا موضوع تعيين الامام الحسنعليه السلام كخليفة بعد معاوية والذي جاء في الرواية التي نقلناها فانّه لم يرد في نصّ المعاهدة، وقد كذّبه الامام ايضاً.

لكن مع كثرة الاخبار التاريخية الواردة في هذا الصدد يُستبعد أن يكون مصدرها جميعاً رسالة معاوية تلك التي قال فيها ضمن تعهّداته بانه سيسلّم الخلافة من بعده الى الامام الحسنعليه السلام.

وقد اشار الامام في معاهدة الصلح الى أنّه: **لا يحق لمعاوية تعيين الخليفة من بعده بل ينبغي ان يتم ذلك عن طريق شورى المؤمنين**، وهذا لا يعني اضفاء طابع الشرعية او الرسمية من قبل الامام على «شورى تعيين الخليفة» نظير الشورى التي شكلّها عمر او اي شكل آخر لها، بل ان الهدف من ذلك هو القبول الشعبي للحاكم وهذا لا يتنافى ومعتقدات الشيعة، لان الحاكم وفي جميع الاحوال وإن كان الامام المعصوم ، بحاجة الى قبول الشعب له لكي يتمكن من امساك زمام امور الحكم، وكذلك الحال بالنسبة الى الله سبحانه و تعالى، تكون له صفة الحاكمية التشريعية في حال قبول الناس له ولدينه، رغم ان له الولاية التكوينية المطلقة على الكون شاء الناس ذلك ام أبوا.

لقد بادر الامام الحسنعليه السلام الى مثل هذا العمل من اجل انقاذ الخلافة من نظام الوراثة الذي يتوقع ان يقوم به معاوية هذا من جهة، ومن جهة اخرى فان الناس في ذلك الوقت كانوا يعتبرون الخلافة مساوية للبيعة الاختيارية لاهل الحل

---

(١) البلاذري ـ انساب الاشراف ـ ص٤٢.

والعقد، وانه من خلال احيائه لهذا المبدأ يكون قد اوقع معاوية في دائرة مخالفة الناس فيما لو تجاوز ذلك، ورغم ان معاوية كان اذكى من ان يقع في دائرة الخلاف مع اولئك الناس غير الواعين، ولكن ذلك كان اقصى ما يمكن اتخاذه من تدبير وقائيّ على يد الامام في تلك الظروف العصيبة، لكي يفضح للناس شخصية معاوية المنافقة، ويكشف للأجيال القادمة دوره الخبيث في التاريخ.

والنقاط المهمة الواردة في معاهدة الصلح نستعرضها فيما يلي وبشكل مختصر:

١ ـ توفير الأمان للجميع وخاصة شيعة امير المؤمنين عليه السلام الذين شاركوا بشكل او آخر في معركتي الجمل وصفين ضد العثمانية.

٢ ـ عدم وراثية الخلافة بعد معاوية.

٣ ـ توفير الأمان لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى رأسهم الحسنان عليهما السلام.

لكن معاوية لم يلتزم باي من النقاط الواردة اعلاه، وهنا يجب على اولئك الذين لا زالوا يوالون معاوية أن يذكروا لنا السبب في أنه لم يلتزم بابسط تلك البنود، ولم يعمل بها رغم انه قبلها ووقّع عليها. والاكثر اثارة من ذلك هو ان معاوية وبعد موافقته على بنود المعاهدة وتوقيعه عليها، دخل الكوفة وقال ضمن كلمته التي القاها على مسامع الجمهور وبقيت الانظار مشدوهة لسماعها:

**«اني كنت شرطت شروطاً ووعدت عدة ارادة لاطفاء نار الحرب، ومداراة لقطع هذه الفتنة، فامّا اذا جمع الله لنا الكلمة والالفة، وأمنّا من الفرقة، فانَّ ذلك**

**تحت قدميّ[1]. انّي والله ما قاتلتكم لتصوموا ولا لتصلوا ولا لتحجّوا ولا لتزكّوا انكم لتفعلون ذلك، وانما قاتلتكم لأتأمّر عليكم وقد اعطاني الله ذلك وانتم كارهون»[2].**

يقول ابو ساسان الحصين بن منذر: لم يلتزم معاوية بايّ من التعهّدات التي قطعها للامام الحسنعليه السلام اذ قتل حجراً واصحابه ولم يعهد بانتخاب الخليفة الى شورى المؤمنين واختار ابنه يزيد لولاية العهد من بعده، وسمَّ الامام الحسنعليه السلام[3].

## خطبة الامامعليه السلام بعد دخول معاوية الى الكوفة

لما دخل معاوية الكوفة اصدر بياناً يهدّد فيه الناس أنّ من لم يبايع الى ثلاثة ايّام فلا أمان له. وعندما اجتمع الناس في مسجد الكوفة الجامع اراد معاوية الاستهانة بالامام الحسن والحصول على تأييد ضمني منه امام الملأ العام فدعاه الى القاء خطبة من على المنبر، وقد نقل المؤرخون روايات متضاربة في هذا الصدد متضاربة، واوردت كل رواية منها مقطعاً مختلفاً من خطبة الامام. فقد ورد في احدى الروايات انه قالعليه السلام:

**«انما الخليفة من سار بكتاب الله وسنّة نبيّهصلى الله عليه وآله وليس الخليفة من سار بالجور ذلك مَلكٌ مَلكَ مُلكاً يتمتع به قليلاً ثم تنقطع لذّته وتبقى تبعته ﴿وان**

---

(١) البلاذري ـ انساب الاشراف، ج٢ ص٤٦. و ر.ك. ابن الاعثم ج ٤ ص١٦٣.

(٢) الاصفهاني ـ مقاتل الطالبيين ص٤٤ طبعة النجف.

(٣) البلاذري ـ انساب الاشراف. ج٢ ص٤٨.

**ادري لعلّه فتنة لكم ومتاع الى حين﴾»**[1].

فالامامعليه السلام يعرض معاوية للناس عن طريق الكناية بصورة ملك جائر، وجاء في رواية اخرى أنهعليه السلام اشار الى انه واخاه الحسينعليه السلام الشخصان الوحيدان على الارض اللذان جدّهم نبي الاسلامصلى الله عليه وآله وسلم اذ قال:

**«ان الله قد هداكم بأوّلنا محمد، وأنّ معاوية نازعني حقّاً هو لي فتركته لصلاح الامّة وحقن دمائها».**

نعم فبعد ان دامت خلافة الامام مدّة سبعة اشهر وسبعة أيّام أكره على التنازل عن الخلافة لمعاوية والذهاب الى المدينة. وخلال هذه المدّة كان اهتمامه منصباً على الحرب، وكان من الصلاح من وجهة النظر الحكومية ابقاء عمّال ابيه استناداً الى ما ذكره ابن الخيّاط. وقد اصدر المغيرة بن شعبة كتاباً مزيّفاً لنفسه باسم الامام وكان ذلك من النقاط المهمة في حياة بعض الصحابة الذين يعتبرهم اهل السنّة عدولاً بأجمعهم وفعلهم حجّة شرعية.

## الامام ومعاوية ومحاربة الخوارج

حينما كان الامام متوجّهاً الى المدينة اضطرم تمرّد الخوارج ثانية في انحاء مختلفة من العراق. وكان امير المؤمنين قد قال سابقاً بهذا الصدد: **«لا تقاتلوا الخوارج بعدي»** وهو ما يقتضي عدم مساعدة الشيعة للامويين في قمع الخوارج.

وكان في نية معاوية استغلال الشيعة لتحقيق هذا الغرض. فارسل الى الامام

---

(١) الاصفهاني ـ مقاتل الطالبيين ص٤٧. ر. ك. ذخائر العقبى ص٤٠. نظم درر السمطين ص٢٠٠ ـ ٢٠١.

الحسن عليه السلام ـ الذي كان في حينها قد وصل الى القادسية ـ كتاباً يطلب منه العون لمحاربة الخوارج، وكان الامام على وعي تام باهداف هذه الخطّة فردّ اليه الجواب بهذا المضمون: «**تركتُ قتالك وهو لي حلال لصلاح الامّة والفتهم، افتراني اقاتلُ معك**»[1].

وورد في نصوص أخرى بأن الامام قال: «**لو آثرتُ أن أقاتل احداً من اهل القبلة لبدأت بقتالك**»[2].

وهذا دليل آخر ايضاً على رأي الامام القاطع بشأن محاربة القاسطين.

وكان معاوية في كل مرة يسعى للقضاء على بني هاشم باسلوب معين، فقال في احدى المرات: «اذا رأيتم هاشمياً غير كريم وأمويّاً غير حليم وعواميّاً غير شجاع فأعلموا انهم لا يشبهون آباءهم».

ولما سمع الامام المجتبى هذه المقولة، قال:

«**والله ما اراد بها النصيحة، ولكن اراد أن يفني بنو هاشم ما في ايديهم فيحتاجون اليه، وأراد الحلم لبني امية حتى يحبّهم الناس، واراد للزبيريين الشجاعة حتى يعرّضوا انفسهم للقتل**»[3].

---

(١) البلاذري ـ انساب الاشراف: ج٢ ص٤٦.

(٢) ابن الاثير ج٢ ص٤٢. المبرد، الكامل في التاريخ ج٣ ص١٣٣. ابن ابي الحديد ج٥ ص٩٨.

(٣) ربيع الابرار ج٣ ص٤٢٢.

## خصائص الامام الحسن عليه السلام

يعتبر الامام الحسن المجتبى عليه السلام احد النماذج الانسانية المتميزة، وشخصيته الفريدة والاجتماعية يمكن ان تكون مَعْلماً بارزاً للسائرين على طريق الانسانية.

وليس بالامكان هنا تناول جميع الروايات في هذا المجال بشكل مفصل، لذا نقتصر على ذكر عدد من النقاط فيما يلي:

ففي الجانب العبادي تُعتبر ملامحه الوضّاءة تاجاً يزيّن تاريخ البشرية فقد جاء في رواية ان الامام الحسن المجتبى قال: «**انّي لأستحي من ربّي أن القاه ولم امش الى بيته**».

فمشى عشرين مرّة من المدينة على رجليه[1]. ونُقل ايضاً: لقد حجَّ الحسن خمساً وعشرين حجّة ماشياً[2].

ومن الميّزات الاخرى التي تمتاز بها شخصيته هي العفو والتسامح والاستفادة المشروعة من النعم الالهية وهذا ما تناقلته السن المؤرخين[3].

في رواية: «ان رجلاً جاء اليه طالباً حاجة فقال: ليكتب حاجته ويأتِ بها، فلما حضر الرجل دفع اليه الامام ضعف ما طلب»[4].

وجاء في رواية أخرى: «ان الحسن عليه السلام قاسَم الله ماله ثلاث مرّات حتى انه

---

(١) ابو نعيم الاصفهاني ـ اخبار اصفهان ج ١ ص ٤٤.

(٢) السيوطي ـ تاريخ الخلفاء ص ٧٢.

(٣) ربيع الابرار ج ١ ص ٦١٧.

(٤) البيهقي، المحاسن ص ٥٥.

كان يعطي نعلاً ويمسك نعلاً ويُعطي خفّاً ويمسك خُفّاً»[1].

ومن الصفات الجميلة الاخرى التي تميّز بها امامنا هذا هي الحلم والصبر والتحمل وتجنّب الرياء والتنسّك. وقد وردت روايات متعددة في هذا الصدد نورد احداها:

قال رجل من اهل الشام: «**رأيت في احد الايام رجلاً حسن الهيئة، وسيماً، يرتدي ثياباً فاخرة، وهو راكباً بغلة زُيّنت بشكل يلفت النظر، فسألت عنه فقيل لي: هو الحسن بن عليّ بن ابي طالب، فمُلئت غيضاً منه وحسدتُ ابن ابي طالب على مثل هذا الولد. فلما دنوت منه سألته أنت ابن ابى طالب؟ فقال ابن ابنه. فانبريت له بالسبّ والشتم، فلما فرغت قال: هل انت غريب؟ قلت نعم. قال: هلمّ معي. ان كنت مشرداً اويناك، وان كنت محتاجاً اعطيناك، وان كنت جائعاً اطعمناك، فوالله ما فارقته وعلى الارض احد احبّ اليَّ منه**».

وإضافة الى دوره في الامامة وكونه حلقة وصل في نقل آثار رسول الله ﷺ وما نقله اهل السنة عنه ايضاً من روايات في الفقه[2]، فأن اهمّ دور ادّاه في المجال الديني هو حثّ الناس على كتابة الحديث. وهو امر في غاية الاهمية اذ ادّى نهي الخلفاء عنه الى بقاء الاحاديث لدى الشيعة من جهة، ومن جهة اخرى واجه اهل السنة مشكلة ضياع وفقدان الاحاديث بسبب عدم تدوينهم لها في بداية الامر.

وقد روي عنه انه اوصى اولاده واولاد اخيه فقال لهم:

---

(١) السيوطي، تاريخ الخلفاء ص٧٣.

(٢) ابن عدي ـ الكامل في ضعفاء الرجال ج٣ ص١١٨٧.

**«يا بنيَّ انكم صغار قوم فتوشكون ان تكونوا كباراً، فتعلّموا العلم فمن لم يستطع ان يحفظه او يرويه فليكتبه ويضعه في بيته»[1].**

وكان الامام احياناً مرجعاً لحل بعض المعضلات التي يطرحها بعض الناس على معاوية[2].

## استشهاد الامام عليه السلام

انّ إحدى الجرائم البشعة التي ارتكبها معاوية خلال فترة حكمه هي قتله ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله الامام الحسن المجتبى عليه السلام، وآثار هذه الجريمة المروّعة مسطورة علناً على صفحات التاريخ. وقد تمّت تلك الجريمة بهذا الشكل الرهيب الذي دبّره معاوية بالاتفاق مع عنصر خبيث وفاسد مثل بنت الاشعث بن قيس (زوجة الامام) التي دسّت له السم فمات شهيداً. لقد كشف معاوية عن وجهه المنافق المرائي وفضح شخصيته الشيطانية ونقضه للعهود والمواثيق مرّات ومرّات خلال فترة حياته السياسية. وكانت هذه الجريمة اوضح من غيرها في انظار الناس.

وقد اثبت التاريخ هذه الحقيقة[3]. فقد نقل الطبري عن (ام بكر بنت المسوّر) أنها قالت: سُقي السم للامام المجتبى عدة مرات، وكان ينجو منه في كل مرّة الى أن مات في المرّة الاخيرة[4] ومع هذا فنحن نجد اشخاصاً متعصّبين يدافعون عن بني

---

(١) البخاري ـ التاريخ الكبير، ج ٥ ص ٤٠٧.

(٢) الزمخشري ـ ربيع الابرار، ج ١ ص ٧٢٢.

(٣) المسعودي ـ مروج الذهب ج ٢ ص ٥٠. ابن عبدالبر ـ الاستيعاب ج ١ ص ٣٨٩. و...

(٤) الطبري ـ المنتخب من ذيل المذيل ص ٥١٤ طبعة دار المعارف في مصر.

أميّة بايّ شكل من الاشكال من امثال ابن خلدون الذي اشار الى أن هذه القضية لا اساس لها وهي ضعيفة وقال:

«انّ ما ذكر بشأن سم الحسن بن علي على يد معاوية فهي رواية لفّقها الشيعة وحاشا لمعاوية ذلك»[1].

ولا ريب أنّ هذا ناتج عن الميول المذهبية الخاصة عند ابن خلدون الذي يرغب في تغيير شهادة تاريخ الاسلام دفاعاً عن شخصية مشبوهة وكريهة مثل معاوية.

وان مأساة الامام ومظلوميته في دفنه كانت اكثر اثاة وايلاماً، فعندما اراد اهل البيت دفنه الى جوار قبر النبي صلى الله عليه وآله طبقاً لوصيّته، انبرت لهم زمرة من بني أمية مع احدى زوجات رسول الله صلى الله عليه وآله (عائشة)[2]، وهي زمرة طالما وقفت في الظروف الحساسة والمصيرية بوجه اهل البيت من اجل تغيير مسار الاحداث لصالح الافكار المنافقة والمراكز الخفية المعادية للاسلام. فقد رفع مروان بن الحكم عقيرته من بين هذه الزمرة المشاغبة وصاح: أيُدفن عثمان في اقصى اطراف البقيع بدفن الحسن بن علي في بيت رسول الله ؟!

وكانت المرأة التي تقود ذلك الشغب راكبة على بغل وتسير امام ذلك الجمع وتدّعي ملكية دار النبي عن طريق الارث، وتمانع بكل قوّة واصرار من دفن الامام في مقبرة رسول الله، مع انها ممن رووا: «**انا معاشر الانبياء لا نورث**»!

وبعد هذا النزاع المؤسف والجدال المرير دُفن الشهيد المظلوم في البقيع.

---

(١) ابن خلدون ـ العبر ـ ج ٢ ق ٢ ص ١٨٧.

(٢) الاصفهاني ـ مقاتل الطالبيين ص ٤٩. ابن شهرآشوب ـ المناقب ج ٢ ص ١٧٥.

ويحتمل ان استشهاد الامام كان بين سنتي ٤٩ و ٥٠ للهجرة. وقد اقيمت في المدينة المنورة مآتم الحزن على ريحانة رسول الله ﷺ وعطّل اهل المدينة ـ وكان اكثرهم من ابناء الانصار ـ اسواقهم واقاموا مجالس الحداد على هذه الفاجعة الكبرى[١].

وطبقاً لما ذكره الطبري فان نساء بني هاشم اقمن مجلس نياحة لمدّة شهر باكمله وامتنعن عن الزينة عاماً بتمامه. واستناداً الى ما نقله الطبري ايضاً عن الامام الباقر عليه السلام: ان الناس بكوا على الحسن بن علي سبعة أيّام ولم يفتحوا فيها اسواقهم[٢]. وذكر ايضاً ان جمعاً عظيماً من الناس شارك في دفن الامام المجتبى في البقيع وكان الزحام شديداً الى درجة لم يبق معها محل لسقوط الابرة.

ويقول عمر بن بشير الهمداني: **قلت لأبي اسحاق: متى ذلَّ الناس؟ قال حين مات الحسن، وادّعى زياد، وقُتل حجر بن عدي**[٣].

(١) الحاكم النيسابوري ـ المستدرك ج٣ ص١٧٣.
(٢) المنتخب من ذيل المذيل ص٥١٤.
(٣) الاصفهاني ـ مقاتل الطالبيين ص٥٠.

# الامام الحسين عليه السلام

قال الامام الحسين عليه السلام: **«إنّا اهل بيت النبوّة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ومحط الرحمة وبنا فتح الله وبنا ختم»**[1].

الامام الحسين عليه السلام هو ثالث أئمة الشيعة وقد ترك تأثيراً عميقاً في نفوسهم بسبب استشهاده. كما هو حال اخيه عليه السلام محبوب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو من ابرز مصاديق: (اهل البيت، ذو القربى، سيد شباب اهل الجنّة، اصحاب الكساء و...) وقال فيه الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم اجمل كلام له في الثناء **«حسين مني وانا من حسين»**. وهنالك مصادر كثيرة جمعت ودوّنت الروايات التي تتحدث عن فضائله[2].

وعلاوة على مشاركة الامام الحسين عليه السلام في حروب الجمل وصفين

---

(١) الفتوح ج ٥ ص ١٧.

(٢) ر. ك. الفيروزآبادي فضائل الخسمة في صحاح السّتة.

والنهروان ، فانّه قد وقف بثبات خلف امامة ابيه، ووقف ايضاً الى جانب أخيه، ودافع عن موقفه عندما صمم على الحرب، وعندما صمم على الصلح.

وقد خصصنا فصلاً من كتاب التاريخ السياسي للاسلام لـ«رأي الامام الحسينعليه‌السلام بشأن الصلح»[1] واثبتنا فيه عدم صحة ما اورده بعض المعاندين من معارضة رأي الحسينعليه‌السلام لموقف أخيه. واستناداً الى النصوص التاريخية الصريحة فانّه لم يكن مماثلاً لأخيه في الرأي من باب التابعية فقط، بل حتى من حيث التحليل فانه كان يعتقد بنفس تحليل أخيه للأوضاع ايضاً[2]. ومن المواقف الاخرى للامام هو تصدّيه لمعاوية بسبب قتله لحجر بن عدي واصحابه. وكتب له كتاباً مطوّلاً يذكر فيه: انه لا يريد حربه ولا الخلاف عليه، لكنه يخشى ان لا يرضى عنه الله في قعوده عن حرب معاوية. ثم اشار الى استشهاد حجر ووصفه بالشخص العابد الذي ينكر الظلم، ويخالف البدع ولم يكن يخشى شيئاً، وقرّع معاوية على قتله ايّاه، وكذلك طرح له الامام جملة من اخطائه منها ادعاؤه ان زياداً أخوه وشرح له جرائم زياد بحقّ المسلمين في العراق. وفي الختام هدده الامام بالقيامة والحساب والكتاب وانه لن ينجو من العذاب بسبب ايذائه للناس وحبسهم وتعذيبهم، واستقبح الامام فعله في اخذ البيعة ليزيد شارب الخمر اللاعب بالكلاب[3].

وفي الحقيقة ان اكثر الاحداث اهمية في حياة الامام الحسينعليه‌السلام هي واقعة

---

(١) التاريخ السياسي للاسلام من سنة اربعين الى نهاية القرن الاول للهجرة.

(٢) الدينوري ـ الاخبار الطوال ص ٢٢١، الامامة والسياسة ج ١ ص ١٥١، الارشاد ص ٢٠٦.

(٣) انساب الاشراف ترجمة معاوية ج٢ ص ٧٤٤ حديث ٣٠٣، الاخبار الطوال ص ٢٢٤، الامامة والسياسة ج ١ ص ١٨٠، رجال الكشي ص ٤٨، دعائم الاسلام ج ٢ ص ١٢١.

كربلاء التي كان لها اعمق الاثر في حياة الشيعة وخاصة في الجوانب الروحية والتاريخية لذا فاننا لا نطيل المكوث في هذه المقدمة وننطلق منها مباشرة لتبيان واقعة كربلاء.

## الامام الحسين عليه السلام ومبايعة يزيد

بعد هلاك معاوية في شهر رجب من العام ٦٠ الهجري تربّع يزيد ـ الذي فرضت خلافته على المسلمين مسبقاً بالاكراه ـ مكان ابيه في السلطة وصرف كل همّه الى اخذ البيعة من خصومه ومعارضيه البارزين في المدينة، لأنهم كانوا يعتبرون خطراً كامناً يهدّد حكومته[١].

ولم يكن خبر موت معاوية قد بلغ اسماع اهل المدينة بعد، حتى كتب الى الوليد بن عتبة بن ابي سفيان واليه على المدينة يأمره بأخذ البيعة من الحسين بن علي عليه السلام وعبدالله بن الزبير ويشدد عليهما تشديداً لا رُخصة فيه. ولما وصله الكتاب استشار مروان فاشار عليه باحضارهما في نفس تلك الليلة واخذ البيعة منهما والا فيضرب اعناقهما قبل أن يعلن الخبر فيثب كل واحد منهما إلىٰ ناحية ويظهر الخلاف[٢].

وبعد أن جاءه الخبر، جمع الحسين نفراً من مواليه وغلمانه ثم مشى نحو دار الامارة وامر فتيانه ان يجلسوا بالباب فان سمعوا صوته اقتحموا الدار.

وهناك اقرأه الوليد الكتاب فقال الحسين عليه السلام: ان مثلي لا يبايع سرّاً، فاذا

---

(١) الدينوري الاخبار الطوال ص٢٢٧.

(٢) ابن الاعثم ج ٥ ص ١١.

جمعت الناس لذلك حضرت وكنت واحداً منهم.

فاقتنع الوليد بكلامه، الاّ ان مروان حثّه على حبس الامام حتى يبايع. واشتد الكلام بين الحسين ومروان، ولما همَّ الحسين بمغادرة دار الوليد قال له: «**إنّا اهل بيت النبوّة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ومحط الرحمة، وبنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر، وقاتل النفس المحرّمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله**»[1].

وفي هذا المجلس صرّح الامام بأولويّة اهل البيت عليهم السلام بالخلافة استناداً الى آية التطهير[2].

وفي اليوم التالي كان ابن الزبير قد خرج من المدينة[3]، وفي الليلة التالية (في الثالث من شعبان عام ٦٠ للهجرة) مضى الحسين عليه السلام ايضا نحو مكة ومعه عامّة من كان بالمدينة من اهل بيته الاّ اخاه محمد بن الحنفية فانّه أقام[4].

وكانت مكّة اكبر قاعدة دينية في الاسلام وكانت دائماً محل تجمع الشخصيات الاسلامية الكبيرة. واتّصل الامام هناك بالشخصيات المختلفة واوضح لهم اسباب عدم مبايعته ليزيد.

ابتهج اهل الكوفة كثيراً عند سماع هذا الخبر، لأنهم كانوا يعدّون اللحظات انتظاراً لهذا اليوم، ولهذا فقد اجتمع جماعة من رؤسائهم ومن ضمنهم سليمان بن

---

(١) ابن الاعثم ج ٥ ص ١٧.

(٢) ابن الاعثم ج ٥ ص ٢٥.

(٣) الدينوري الاخبار الطوال ص ٢٢٨.

(٤) ابن الاعثم ج ٥ ص ٣٧.

صُرَد و... فتحدثوا في هذا الاجتماع وطرحوا موضوع دعوة الامام الى العراق ولاجل حصول الاطمئنان الكامل والتوثق من هذه القضية اخذ سليمان بن صُرد من الحاضرين عهداً بعدم نقض ما اتفقوا عليه[1] ثم ارسلوا اليه كتاباً وفيه تواقيع عدد من رؤساء الشيعة من امثال: سليمان والمسيّب بن نَجَبَة وحبيب بن مظاهر ورفاعة بن شدّاد وعبدالله بن وال يدعونه فيه للقدوم الى الكوفة.

ولم يردّ الامام على هذه الكتب وما زالت تأتيه الكتب الواحد تلو الآخر، حتى جاءه قيس بن مسهر الصيداوي وعبدالله بن وال نيابة عن الناس لمقابلته ودعوته الى الكوفة والتباحث معه حول هذا الموضوع. وظلت كتب اهل الكوفة تأتيه بشكل متواصل حتى اتخذت القضية طابعاً لم يعد بالامكان السكوت حياله او تجاهله وعدم الاهتمام به[2].

وفي هذه الاثناء التقى بالامام في مكة هانئ بن هاني وهو احد شخصيات الكوفة . وفي هذا اللقاء عرض على الامام استعداد اهل الكوفة وحتى اشرافها لاستقباله وكان ذلك بمثابة التأكيد على محتوى الكتب التي وصلته.

وكان اول عمل قام به الامام هو ارسال مسلم، ولمّا تأهب مسلم للرحيل قال له: «**إن رأيت الناس مجتمعين على بيعتي فعجّل لي بالخبر حتى اعمل على حسب ذلك**»[3].

وورد اول كتاب من مسلم بعد وصوله وهو يؤكد على ايجابية الموقف،

---

(١) الطبري ج٥ ص٢٦١. ابن الاعثم ج٥ ص٤٦.

(٢) ابن الاعثم ج٥ ص٤٩.

(٣) ابن الاعثم ج٥ ص٥٣.

وجاء فيه: **«بايعك اكثر من ٢٠ الفاً من اهل الكوفة، عندما يصلك كتابي عجّل بالمسير»**[١].

ان كتب اهل الكوفة وكلام مبعوثيهم وكتاب مسلم عن الموقف في الكوفة تشير باجمعها الى ان حركة قوية ضد السلطة الاموية على وشك الاندلاع. وفي الثامن من ذي الحجّة وفي غمرة مناسك الحج عجل الامام بالمسير نحو الكوفة، لأنّه كان يرى ان لحظة واحدة من التأخير يمكن أن تؤدّي الى قلب اوضاع الكوفة لصالح بني أمية.

وفي الطريق لحق الامام بعيرٍ مقبلة من اليمن وفيها هدايا مرسلة الى يزيد في الشام فأخذها وما عليها وقال لاصحاب الأبل من اراد منكم فليأت معنا الى العراق ومن اراد ان يفارقنا فليرحل[٢].

ثم واصل مسيره نحو الكوفة فالتقاه الفرزدق الشاعر مقبلاً من العراق يريد مكّة، فسأله عن الوضع في الكوفة فقال: **«قلوب الناس معك وسيوفهم عليك»**.

ومضى الحسينعليه السلام حتى اذا صار «ببطن الرمّة» كتب الى اهل الكوفة يعلمهم بقرب وصوله[٣] ثم بعث بالكتاب مع قيس بن مسهر الصيداوي، وقبل وصوله الى الكوفة اخذه حُصين بن نمير وبعث به الى ابن زياد. ولكي لا يقع الكتاب بيد ولاة الامويين عمد الرجل الى قضم الكتاب وبلعه. وبعدها بعدّة ايام استشهد في الكوفة.

---

(١) ابن الاعثم، ج ٥ ص ١٥٠.

(٢) البلاذري، انساب الاشراف ج ٢ ص ١٦٤، تصحيح المحمودي. الدينوري الاخبار الطوال ص ٢٤٥.

(٣) الدينوري الاخبار الطوال ص ٢٤٧.

استمر الامام في طريقه حتى وصل منطقة زورد ولقي فيها زهير بن القين الذي كان الى حد تلك اللحظة عثماني الرأي، وطلب منه النصرة. فتأثر بكلام الحسين، وتشجيع زوجته فقبل الدعوة والتحق بتلك القافلة المتوجهة الى كربلاء. ولما وصل الامام الى مكان يقال له ذات عرق لقيه شخص من بني اسد واخبره باستشهاد هانئ ومسلم[1].

وقد ورد في احدى الروايات التاريخية ان الامام قرر الرجوع في تلك اللحظة الا أن اخوة مسلم منعوه، ولكن يستبعد أن تكون هذه الرواية صحيحة. ذلك لأن الامام وجميع من برفقته لا زالوا حتى ذلك الحين يحسبون للكوفة حسابها ويعلقون عليها املاً كبيراً، وكان التصوّر السائد لديهم هو: «والله ما انت بمسلم بن عقيل ولو قدمت الكوفة لكان الناس اليك اسرع»[2].

وفي منطقة زبالة وصلت الى الامام رسالة مسلم التي كان قد طلب في آخر لحظات حياته من عمر بن سعد ارسالها الى الامام. وفي هذه الرسالة اوضح مسلم للامام بأن الكوفة قد اضحت بمثابة فخ ينتظر قدومه فعليه ان لا يقترب منها. ولم يمضِ طويل وقت حتى بلغه خبر استشهاد قيس بن مسهر[3] وعبدالله بن يقطر[4] اخو الامام من الرضاعة. وكان مجموع هذه المعلومات يشير الى أن كفّة الظروف والموقف السياسي في الكوفة تميل لصالح الأمويين. وبناءً على هذه المستجدّات، اشار الامام خلال اجتماع احتشد فيه عدد كبير ممن رافقه، الى هذه الاوضاع وقال

(١) ابن الاعثم ج ٥ ص ١٢٠.

(٢) ابن الاعثم ج ٥ ص ١٢٠.

(٣) الدينوري ـ الاخبار الطوال ص٢٤٨.

(٤) ضبط في بعض كتب التاريخ نفس المهموم قيس بن مسهر وعبدالله بن بُقطر.

لهم:

**«أيّها الناس قد خذلنا شعيتنا فمن اراد منكم الانصراف فلينصرف»**[1].

وعند سماع الناس هذا الكلام انصرف عدد كبير من الناس ممن كانوا قد تبعوا الامام لاغراض ماديّة. وبقي معه نفر من اهل بيته وخاصة انصاره الذين رافقوه من المدينة او مكّة[2].

وبالنظر لطبيعة الظروف السياسية الخاصة في تلك الايّام تيقّن الامام ان حركته المعارضة هذه ستُمنى بالفشل العسكري. ولكن من الواضح ان هذه الحرب غير المتكافئة بين الحسين بن رسول الله ﷺ والامويين كانت لها اسباب ودوافع معنوية أخرى لا يمكن فهمها او تحليلها بالمنظار السياسي المتعارف.

واستمر الامام في مسيره نحو الكوفة حتى بلغ منطقة شراة، فامضى فيها ليلته وواصل في اليوم التالي مسيره، وعند منتصف النهار لاحت له طلائع جيش الكوفة بقيادة الحر بن يزيد الرياحي. كان الحر قائداً عسكرياً، وكان في مهمتّه هذه يؤدي واجبه العسكري الموكل اليه فقط، ولا ينظر مطلقاً الى الجانب السياسي من الموضوع. ولهذا السبب فانّه وقف وجميع من معه خلف الامام مأتمين به لصلاة الظُهر. وكانت مهمة الحر هي اخذ الامام الى الكوفة ومنعه من العودة. ولما انتهى الحسين عليه السلام من صلاته حوّل وجهه الى القوم ثم قال:

**«انّي لم آتكم حتى أتتني كتبكم، وقدمت عليّ رسلكم، فان اعطيتموني ما**

---

(١) البلاذري ـ انساب الاشراف ص١٦٩.

(٢) ر. ك الدينوري، الاخبار الطوال ص٢٤٨. البلاذري ـ انساب الاشراف ص١٦٩. الطبري ج٤ ص ٣٠٠.

**اطمئنّ اليه من عهودكم ومواثيقكم دخلنا معكم مصركم، وان تكن الاخرى انصرف من حيث أتيت»**[1].

وادّعى الحرّ انه لا يعلم بهذه الكتب. ورفض الامام الذهاب الى الكوفة وسلك طريق الحجاز[2]. فاصطف الحر وفرسانه معترضاً طريقه. وبعد أخذ وردّ اتفقا على سلوك طريق وسط لا تؤدي الى الكوفة ولا الى الحجاز، فالتزما طريقاً تؤدي الى العُذَيب»[3].

وهنا عرض الطرماح بن عدي على الامام ان يسير نحو جبال طي لكنه ردَّ عليه هذا الاقتراح بسبب ما توافق عليه مع الحر[4]. وحاول الامام في مسيره التباعد عن الكوفة جهد المستطاع، لكن الحر كان يمنعه من ذلك حتى بلغوا قصر بني مقاتل ، ثم توجّهوا منها الى نينوى[5]. وفي نينوى وصل الى الحر كتاب من ابن زياد يأمره فيه أن يجعجع بالامام، و لا يحلّه الا بالعراء على غير خُمُر ولا ماء[6].

وهنا جاء عدد من شيعة الكوفة، ورغم معارضة الحر لهم فانهم قد دخلوا في عسكر الحسين[7]. وكتب البلاذري ما يلي: طلب الامام من الحر السماح له

---

(١) الدينوري، الاخبار الطوال ص٢٤٩، البلاذري ـ انساب الاشراف ج٢ ص١٧٠، ابن الاعثم ج٥ ص ١٣٥.

(٢) الدينوري، الاخبار الطوال ص٢٥٠.

(٣) نفس المصدر ص٢٥٠، ابن الاعثم ج٥ ص١٤١، البلاذري ـ انساب الاشراف ج٢ ص١٧٠.

(٤) الطبري ج٤ ص٣٠٧، البلاذري ـ انساب الاشراف ج٢ ص١٧٣.

(٥) الدينوري ـ الاخبار الطوال ص٢٥١.

(٦) البلاذري ـ المصدر السابق ج٢ ص١٧٦، الدينوري المصدر نفسه.

(٧) نفس المصدر السابق.

بالذهاب الى الشام ليضع يده بيد يزيد[1].

لكن اكثر المؤرخين ضعّفوا هذه الرواية، مضافاً الى ان كل الذي جرى ويجري الى تلك اللحظة انما كان بسبب عدم مبايعة الامام ليزيد، فلو كان عليه السلام مستعدّاً للبيعة لما وقعت تلك الحرب ولما أريقت كل تلك الدماء.

وبينما كان الحر يساير الامام، عرض زهير بن القين على الامام قتال هؤلاء القوم فهم قلة وقتالهم أيسر، لكن الامام رفض هذا الاقتراح قائلاً: «**إنّي اكره أن ابدأهم بالقتال**»[2].

وأكره الامام على النزول هناك، فامر بحط اثقاله في كربلاء وكان ذلك يوم الاربعاء في الاول من المحرم او يوم الخميس الثاني منه. وقال الدينوري انه كان يوم الاربعاء[3].

وفي اليوم التالي بدأ جيش ابن زياد يتحشد في ذلك المكان تدريجياً. وكان ابن زياد يؤكد على وجوب ان تتلطخ أيدي جميع القبائل بدم سبط النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليحول بذلك دون قيامها في المستقبل بايّ تحرّك محتمل بدافع الانتقام لدم الحسين عليه السلام. وبناءً على رواية ابن اعثم فقد سار من الكوفة ما يقارب ٢٢ ألف رجل. لكن رواية البلاذري[4] والدينوري[5] تشير الى أن الكثير منهم تخلّفوا في منتصف الطريق وفرّوا من جيش ابن زياد، لأن اكثرية اهل الكوفة لم تكن راغبة

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) الدينوري ـ الاخبار الطوال ص٢٥٣.

(٣) نفس المصدر ص٢٥٣.

(٤) البلاذري ـ انساب الاشراف ج٢ ص١٧٩.

(٥) الدينوري، الاخبار الطوال ص٢٥٤.

في قتال سبط الرسول، لذلك اصدر ابن زياد بياناً جاء فيه:

**«أيّما رجل وجدناه بعد يومنا هذا متخلّفاً عن العسكر برئت منه الذمة»**[1]. وتحت تأثير مثل هذا التهديد توجّهت هذه الجموع الى كربلاء.

وحتى عمر بن سعد بن ابي وقّاص الذي كان متأهباً للرحيل الى بلاد فارس كوالٍ جديد على الري لقتال الديالمة المشركين، ورغم كراهيته الشديدة هو وبني زهرة[2] للمشاركة في دم الحسين عليه السلام فقد جاءه امر ابن زياد بالقضاء اوّلاً على الحسين ومن ثم الذهاب الى الري وتسلّم منصب الولاية عليها. ولذا عُين قائداً لجيش الكوفة. ومرَّ الرجل بحالة من الصراع النفسي الداخلي المرير حول هذا الموضوع انتهت به الى اختيار ولاية الري في مقابل اراقة دم سبط رسول الله[3].

وكان اوّل عمل قام به ابن سعد بعد وصوله الى كربلاء هو ارسال مبعوث من قِبلِهِ الى الامام ليستفسر منه عن سبب قدومه. فعرض عليه الامام جميع الرسائل التي وصلته من اهل الكوفة وقال:

**«ان كان اهل هذا المصر غير راغبين في استقبالي فاني راجع من حيث اتيت»**.

وكان ابن سعد يبحث عن طريق للتخلّص من هذا المأزق فبعث بكتاب الى ابن زياد جاء فيه: «قطع لي الحسين عهداً بالرجوع الى الحجاز او الذهاب الى أحد

---

(١) البلاذري ـ انساب الاشراف ج٢ ص١٧٨.

(٢) ابن سعد، مجلّة تراثنا العدد العاشر ص١٧٨.

(٣) ابن الاعثم ج٥ ص١٧٣.

الثغورالاسلامية والعيش فيها كانسان عادي. وفي هذا لك رضا وللامة صلاح»[1].

وابدى ابن زياد رغبة في قبول رأي ابن سعد لكن الشمر جعله يعدل عن رأيه فكتب الى عمر بن سعد ما يلي: «لم ابعثك الى الحسين لتطاوله الايّام، فان نزل الحسين واصحابه على الحكم فابعث بهم اليَّ سلماً، وان ابوا فازحف اليهم حتى تقتلهم وتمثّل بهم فانهم مستحقون لذلك»[2].

فارسل عمر بن سعد بكتاب ابن زياد الى الحسين، فقال الحسين للرسول: **«لا أجيب ابن زياد الى ذلك ابداً فهل هو الاّ الموت فمرحباً به»**[3].

وورد كتاب ابن زياد الى عمر بن سعد: «ان امنع الحسين واصحابه من الماء فلا يذوقوا منه قطرة كما صُنع بالتقي الزكي عثمان»[4].

وكتب له كتاباً آخر جاء فيه: «بلغني ان الحسين واصحابه حفروا الآبار وهم يشربون منها فاذا وصلك كتابي هذا امنعهم من ذلك وشدد عليهم في الماء جهد المستطاع»[5].

وفي الأيام الاخيرة التقى الامام بابن سعد عدّة مرّات، وجهد في اقناعه بالتخلي عن تنفيذ الجريمة التي امر بها، لكن هاجس ولاية الري -وكما تشير الروايات التاريخية- كان قد افقده صوابه.

---

(١) المفيد، الارشاد ص٣٣٩ طبعة بصيرتي - قم.

(٢) ابن الاعثم ج ٥ ص١٦٦، البلاذري - انساب الاشراف ج ٢ ص ١٨٣.

(٣) الدينوري. الاخبار الطوال ص ٢٥٤.

(٤) ر. ك. الدينوري ص٢٥٥، البلاذري ج٢ ص ١٨٠، فيما يخص تهمة ابن زياد بشأن عثمان راجع كتاب التاريخ السياسي للاسلام الى سنة اربعين للهجرة ص٣٧٧.

(٥) ابن الاعثم ج ٥ ص١٦٢، الطبري ج ٤ ص ٣١١.

وفي عصر التاسع من المحرم ابتدأ جيش الكوفة القتال، فسألهم الامام تأخير الحرب الى غد، فأجابوه. وفي الليل خاطب الامام انصاره وكل من تبعه قائلاً لهم:

**«إنّي قد اذنت لكم جميعاً فانطلقوا في حلّ ليس عليكم منّي ذمام، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً وليأخذ كل منكم بيد رجل من اهل بيتي»**. فاعلن اصحابه استعدادهم للتضحية والفداء[1].

وفي تلك الليلة امر الحسين اصحابه ان يحفروا وراء البيوت اخدوداً لئلا يأتوا من ادبار البيوت فيدخلوها. وانقضت ليلة العاشر من المحرم. وفي الصباح الباكر كان الجيشان قد اصطفا في مقابل بعضهما استعداداً للقتال.

وعبأ الحسين عليه السلام انصاره وهم خمسون رجلاً ممن كانت لديهم القدرة على الحرب واما العشرون الآخرون -كما ذكر ابن سعد[2]- فهم الذين انضمّوا اليه من جيش الكوفة. ثم وجه الحسين عليه السلام خطابه الى جيش الكوفة قائلاً:

**«قد أتتني كتبكم ورسلكم ببيعتكم وانكم لا تسلموني ولا تخذلوني، فان تممتم عليَّ بيعتكم تصيبوا رشدكم، وانا الحسين بن علي بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفسي مع انفسكم واهلي مع اهلكم فلكم فيَّ أسوة، وان لم تفعلوا ونقضتم عهدي ونقضتم بيعتي فلعمري ما هي لكم بنكير. لقد فعلتموها بأبي واخي وابن عمّي مسلم بن عقيل. عودوا الى رشدكم وانسبوني وانظروا هل يحق لكم قتلي وانا سبط النبي صلى الله عليه وآله وسلم وابن ابن عمه وهو اول**

---

(١) ابن سعد، مجلة تراثنا ـ العدد العاشر ص١٧٨، ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ج ٤ ص٥٨.

(٢) ابن سعد ـ تراثنا ص١٧٨.

**القوم اسلاماً واعمامي جعفر والحمزة والعباس. الم تسمعوا رسول الله يقول عني وعن اخي: «الحسن والحسين سيّدا شباب اهل الجنة»، وان لم تصدقوا فاسألوا جابر بن عبدالله الانصاري وابا سعيد الخدري وزيد بن ارقم، فهم احياء»**[1].

ولم يكن الحر بن يزيد يتصور حتى ذلك الوقت ان هذه التحركات ستنتهي الى حرب جدّية مع سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ولكنّه لما رأى ان القضية اضحت جادّة جاء الى ابن سعد وسأله: ألم يقنعك كلام الحسين؟ فاجابه ابن سعد: «لو كان بيدي لما قتلته».

وبعد هذه الاحداث انحاز الحر بن يزيد الى الحسين واعتذر له عما كان منه واختار طريق الشهادة، وكان اول شهيد من انصار الامام الأوفياء[2].

وكان نهج امير المؤمنين عليه السلام في جميع الوقائع العسكرية والمعارك أن لا يكون البادئ بالحرب، وها هو ذا ابنه الحسين عليه السلام يتأسى بنهج ابيه فلا يبادر بالحرب. وكان عمر بن سعد هو الذي اطلق اول سهم على جيش الحسين وقال للقوم: «اشهدوا لي عند الامير بأني اوّل من رمى سهماً على جيش الحسين»[3].

وشبّت الحرب، وكانت في أولها على شكل مبارزة فردية فكانت خسائر العدوّ اكثر بكثير من شهداء الحسين. فارعب هذا المشهد عمرو بن الحجّاج فصاح:

---

(١) ابن سعد ـ مجلة تراثنا، العدد العاشر ص ١٨١، ر. ك. ابن الاثير ج ٤ ص ٦١.

(٢) ابن الاثير ج ٤ ص ٦٤.

(٣) الطبري ج ٤ ص ٣٢٦، ابن الاعثم ج ٥ ص ١٨٣.

«إنكم تقاتلون شجعان العرب ولو لم ترموهم بالحجارة ليقتلونكم»[1].

فحمل جيش الكوفة حملة واحدة على الامام واصحابه، واستشهد خلال عدّة معارك جميع انصار الحسين حتى لم يبق معه غير اهل بيته وثم استشهد جميع اهل بيته، وانتهت المعركة باستشهاد الامام مع ٧٠ رجلاً من اصحابه.

## دور الانحراف الديني في واقعة كربلاء

لقد حصلت في المجتمع الاسلامي خلال الفترة الممتدة من وفاة النبي الاكرم ﷺ وحتى واقعة كربلاء تغييرات وانحرافات ثقافية جسيمة. وبالرغم من ان نمو وانتشار هذه الانحرافات اتخذ طابعاً متدرّجاً، لكن الكثير من العلماء يعتقدون ان قواعدها الاولى قد أرسيت في السنوات الاولى التي تلت رحلة النبي ﷺ.

والانحرافات التي تهمّنا في هذا الصدد هي تلك الانحرافات التي استغلها الحكّام لاستغفال الناس وتبرير جورهم واستبدادهم.

وكان لبني أميّة دور فاعل في ايجاد ونشر هذه الانحرافات، وكانوا يستغلّونها دائماً للتغطية على تصرفاتهم المعادية والمخالفة للاسلام، لانهم لم يكونوا قادرين على صياغة شخصياتهم الجاهلية المتفرعنة، واخراجها بشكل ينسجم مع الاسلام. واستخلاف يزيد هو احد الاحداث التاريخية التي اثبتت ان بني أمية لا يقيمون للاسلام اي وزن، وان تظاهرهم به انما هو لمجرّد التغطية على وجههم القبيح، وتبرير تسلطهم على رقاب الناس واكراه الناس على قبولهم.

---

(١) الطبري ج ٤ ص ٣٣١، ابن الاثير ج ٤ ص ٦٧.

وقد وصف الامام الحسين عليه السلام بني أميّة بقوله: «**إنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمان واظهروا الفساد وعطّلوا الحدود واستأثروا بالفيء**»[1].

ومن اجل تنفيذ مخططاتهم الشيطانية الفاسدة، عمدوا الى تحريف المفاهيم الاسلامية الاصيلة وجعلوا يستغلونها في موارد غير مشروعة. وسنورد فيما يلي امثلة ونماذج لتلك المفاهيم التي امتدت ايديهم اليها بالتحريف، وكان لها دور مؤثر في وقوع حادثه كربلاء المأساوية مع اسناد ذلك بالشواهد التاريخية.

## طاعة الائمة، ووجوب حفظ الجماعة، وحرمة نقض البيعة

تعتبر العبارات الثلاث هذه هي من اكثر الاصطلاحات تداولاً على السنة الكثير من الخلفاء، وربّما يمكن القول بانها كانت تقيم دعائم خلافتهم وتضمن بقاءها واستمرارها. والمصطلحات الثلاثة المارّة الذكر صحيحة باجمعها وتشتمل على مفاهيم اسلامية أساسية دينية وسياسية. وحتى من الناحية العقلية ايضاً فان استمرار المجتمع وحفظ الحياة الاجتماعية من الانهيار يقوم على هذه المبادئ الثلاثة المهمّة.

صحيح ان طاعة الامام تحظى بأهمية بالغة، لأن طاعة الامام تعني اتباع النظام الحاكم، ولكن هل يجوز اطاعة اي امام ولو كان جائراً؟ ام ان الامام يجب أن يتمتع بجملة من الشروط والصفات ومن ضمنها العدالة والتنفيذ الصحيح والدقيق للاحكام الاسلامية؟

---

(١) البلاذري ـ ج ٢ ص ١٧١، ابن الاعثم ج ٥ ص ١٤٤، الطبري ج ٤ ص ٣٠٤.

ومما يؤسف له ان عدم وجوب العدالة اصبح امراً مقبولاً من الناحية العملية، بل من الناحية النظرية ايضاً ارتضاه عدد كبير من الناس.

والمحافظة على الجماعة تعني عدم اثارة الاضطرابات والفتن وعدم القيام بما من شأنه تفريق وحدة الصف، وزعزعة المجتمع، ولكن هل يمكن الصمت ازاء التسلط الاستبدادي والحاكم الفاسق؟ واذا ارتفع صوت بالاحتجاج ضد مثل هذه الحكومة، هل يجب اعتباره اخلالاً بالنظام الاجتماعي وتفريقاً لوحدة الجماعة؟!

اما عدم نقض البيعة فقد اثنى عليه الاسلام كثيراً باعتباره تمسكاً بالعهد، وبالغ في مذمّة نقض العهد والبيعة، ولكن اذا كان المبايع مثل يزيد او البيعة المنقوضة مثل بيعته فهل يخلّ ذلك بالجماعة؟ بل ويتوسع في هذا المبدأ بحيث يُدان المعترض ويستنكر فعله ام يجب استثناء مثل هذه الموارد من المبدأ المذكور؟

وكما سبقت الاشارة فان خلفاء بني امية ومن بعدهم خلفاء بني العباس استغلوا هذه المفاهيم بشكلها المحرف ـ اي بمعنى الاستفادة من هذه المبادئ الثلاثة محذوفاً منها الشروط والضوابط التي وضعها الاسلام لها ـ وبهذا الشكل كانوا يدفعون الناس الى القبول بحكمهم.

فعندما اراد معاوية اخذ البيعة ليزيد ذهب الى المدينة لكي يكره المعارضين فيها على المبايعة ايضاً، وكانت عائشة من جملة المعارضين، لأن اخاها محمد بن ابي بكر قد قتل على يد معاوية، ولما عرض عليها موضوع البيعة خاطبها قائلاً:

«انني قد اخذتُ البيعة ليزيد من جميع المسلمين، فهل تُجيزين لي نقضها. فاعتبر تلك البيعة التي ثبتت كأنها في حكم العدم وان يخلع الناس عهودهم»؟

فقالت له عائشة: «اني لا ارى ذلك ولكن عليك بالرفق والتأني»[1].

وهذه الحالة تبيّن لنا كيف ان عائشة قد لانت وتساهلت في مبدأ نقض البيعة وتركت معاوية لحاله. لأن مبدأ عدم نقض البيعة وبالشكل الذي استغلّه معاوية هو من نتاج افكار عائشة وامثالها.

يقول ابن اسحق: كنا نصلي (ظاهراً في المسجد الحرام) وكان شمر بن ذي الجوشن يصلي معنا ايضاً. وبعد الصلاة رفع يديه الى السماء وقال: اللهم انك تعلم اني رجل شريف فاعف عنّي. فقلت له: وكيف يعفو عنك وانت ممن اشترك في قتل سبط الرسول؟ فقال: وما عسانا ان نفعل؟ لقد امرنا أمراؤنا بفعل ذلك، وكان ينبغي علينا فعل ما أمروا به وان لا نعصي لهم امراً، لأننا لو عصينا، لكنّا شرّاً من هذه الحمير السقاءات[2].

وقال ابن زياد لمسلم بن عقيل بعد القبض عليه:

«يا شاقُّ خرجت على امامك وشققت عصا المسلمين؟»[3].

وقال شرطة عمرو بن سعيد بن العاص (والي مكة) للامام الحسين عليه السلام اثناء خروجه منها: «الا تتقي الله تخرج عن الجماعة وتفرّق بين هذه الامّة»[4].

ويعلل عمرو بن الحجّاج احد قادة جيش الكوفة تلك الجريمة ويقول مفتخراً:

---

(١) ابن الاعثم ـ ج ٤ ص ٢٣٧، ابن قتيبة. المصدر السابق ج ١ ص ١٨٣.

(٢) ابن سعد تراثنا، العدد العاشر ص ١٩٧، ابن حجر، لسان الميزان ج ٣ ص ١٥٢ الحمير السقاءات.

(٣) ابن الاعثم ج ٥ ص ٩٨.

(٤) الطبري ج ٤ ص ٢٨٩.

«إننا لم نعص امامنا ولم نفارق الجماعة»[1].

وعندما كان يحثّ جيش الكوفة على القتال كان يقول لهم:

«الزموا طاعتكم وجماعتكم ولا ترتابوا في قتل من مرق عن الدين وخالف الامام»[2].

وكان رجل مثل عبدالله بن عمر ـوهو من جملة فقهاء اهل السُنّة ومحدّثيهم ـ يعتقد لو ان الناس بايعوا رجلاً فاسقاً وغير كفوء مثل يزيد، يجب عليه انه يقبل البيعة. ولهذا فقد قال لمعاوية بشأن بيعة يزيد:

«فاذا اجتمع الناس على ابنك يزيد لم أخالف»[3].

وكتب أناس من امثال عُمرة بنت عبدالرحمن بن عوف الى الامام الحسين عليه السلام ما يلي: «التزم الطاعة وتمسّك بالجماعة واعتبرها واجبة عليك»[4].

## الاعتقاد بالجَبر

ان أحد المواضيع التي كان لها دور منحرف في تاريخ الاسلام خاصة في واقعة كربلاء هو الاعتقاد بالجبر، يقول ابو هلال العسكري: «ان معاوية كان هو المبتكر له»[5].

---

(١) نفس المصدر ص ٢٧٥.

(٢) الطبري ـ ج ٤ ص ٣٢١.

(٣) ابن سعد ـ مجلة تراثنا ـ العدد العاشر ص ١٦٧.

(٤) نفس المصدر السابق.

(٥) ابو هلال العسكري ـ الاوائل. ج ٢ ص ١٢٥.

فقد قال عن بيعة يزيد:

وان أمر يزيد قضاءٌ من القضاء وليس للقضاء الخيرة من امرهم»[1].

وقال عبيدالله بن زياد للامام السّجاد: «أوَلَمْ يقتل الله علياً؟».

فقال له الامام: «كان لي أخ يقال له علي، اكبر منّي قتله الناس؟»[2].

ولمّا تعرّض عمر بن سعد للانتقاد والمذمّة لمشاركته في قتل الامام الحسينعليه السلام قال: «كان ذلك قدراً من الله مقدّراً»[3].

وكان كعب الاحبار اليهودي المتظاهر بالاسلام يتملّق لبني أميّة ويقول رجماً بالغيب: «ان الخلافة لن تصير الى بني هاشم».

رغم ان الخلافة والحكومة صارت فيما بعد بيد العباسيين والعلويين وكلاهما من بني هاشم ونُقلت نفس هذه النبوءة ايضاً عن عبدالله بن عمر انه قال:

«فاذا رأيت الهاشمي قد ملك فقد ذهب الزمان»[4].

وبناءً على هذه التحريفات لم يعتبر الكثير من المؤرخين والباحثين السُنّة ثورة الامام الحسينعليه السلام ثورة ضد الفساد، ووصفوها بانّها تمرّد غير شرعي لا أكثر[5].

---

(١) ابن قتيبة ـ المصدر السابق ج١ ص١٨٧ و ص١٨٣.

(٢) ابن سعد ـ مجلة تراثنا ـ العدد العاشر ت ص١٨٨.

(٣) ابن سعد ت الطبقات الكبرى ج٥ ص١٤٨ ط بيروت.

(٤) ابن عساكر ـ ترجمة الامام الحسين من تاريخ دمشق ص١٩٣.

(٥) تاريخ الاسلام ـ جامعة كامبردج ج١ ص٨١ النص الانجليزي. وراجع كتاب الشبراوي الاتحاف بحب الاشراف، ترجمة الحسينعليه السلام.

## موقف أهل الكوفة من واقعة كربلاء

ورد في كتب التاريخ كما شاع بين الناس بما يشبه المثل ان اهل الكوفة اهل غدر وخيانة وقلّما تجد لهم وفاءً بالعهد، وقد اشرنا سابقاً الى نفسية اهل الكوفة وقلنا انهم كانوا عجولين وانهم يتعجّلون دوماً في اتخاذ قراراتهم وغالباً ما كان ينتهي ذلك بضررهم وضرر حكامهم. فقد كانوا سريعي الغضب وسريعي الرضى يسارعون الى الاستسلام كما يسارعون الى التمرّد، وهذه الصفات الى جانب بعضها كانت النفسية السائدة عند اولئك القوم. وسنتحدث فيما يلي عن موقفهم من حادثة كربلاء.

كان اهل الكوفة يتألفون من مجموعة من القبائل المختلفة التي كانت تركيبتها عرضة للتغيير والتبديل اثناء الادوار المختلفة للحكّام. وكانت تلك التغييرات في تقسيمات القبائل تتم بما يتناسب ومصالح الحكّام. وفي نفس الوقت كان الحكّام يراعون رؤساء القبائل واشرافها لعلمهم بأن نفوذهم وسيطرتهم في كثير من الحالات اكثر واقوى من سيطرة ونفوذ الحكام والولاة.

وكان الشيعة يؤلّفون جزءً من سكان هذه المدينة. ورغم ان بعض القبائل اشتهر بالتشيع الا أنه لا يمكن القول ان القبيلة الفلانية كان جميع افرادها شيعة.

وهكذا فان الشيعة كانوا ينتشرون في القبائل ولم يكن فيما بينهم انسجام كامل، وكانت تحكمهم النزعات القبلية الخاصّة إضافة الى تلك النفسية الكوفية التي تهيمن عليهم.

ولم يكن عدد الشيعة آنذاك كبيراً جداً، اذ ذكر ان حجر بن عدي عندما وقف في مسجد الكوفة بوجه زياد انضمّ اليه نصف او ثلث الحاضرين في المسجد.

لكن الكثير منهم كانوا يشايعون اولاد علي في المسائل السياسية فحسب فيصدق على هؤلاء الاشخاص كلمة التشيّع السياسي اكثر من كلمة التشيّع العقائدي. وبناءً على هذا لم يكن شيعة امير المؤمنين عليه السلام الحقيقيّون كثيري العدد والعدّة.

لا شك ان اهل الكوفة استدعوا الامام الحسين عليه السلام ولم ينصروه، بل قد كان لهم دور مباشر في قتله. لكن علينا أن نرى من هم أولئك الناس؟ ومن الذين كتبوا الكتب ولماذا لم ينصروه؟ و...

لابد من الاشارة اولاً الى ان نمط التفكير الشيعي في الكوفة قد احرز تقدماً مُلفتاً للنظر، فان اهل الكوفة لم يعارضوا الامويين فحسب بل وعارضوا بني العباس ايضاً لأنهم غصبوا حق آل علي في الحكم. ولهذا السبب نجد المؤرخين والمحدّثين المرتبطين بالبلاط الاموي كانوا شديدي الكراهية لاهل الكوفة وكذلك الحال بالنسبة للعلماء المرتبطين بالسلطات العباسية فانهم كانوا ينظرون الى الكوفة بنفس تلك النظرة الحاقدة. والظلم الذي تعرضت له الشيعة لم يكن منحصراً بالظلم السياسي فحسب بل تعدّاه الى الناحية الفكرية والعقائدية اذ كان الشيعة يُتّهمون دوماً بالكفر والانحراف عن الاسلام من قبل العلماء المأجورين. وهذا أمر لابد من ملاحظته والامعان فيه عند مطالعة ونقل الاحداث التاريخية، فان المؤرخين كانوا ينظرون الى الوقائع التاريخية من منظار معادٍ للتشيّع وحاقدٍ على الشيعة. ومن خلال الالتفات الى هذه النقطة يتحقق لدينا ان مثل هؤلاء المؤرخين يحاولون دائماً وصف الشيعة بعدم الوفاء، ويلقون بجريمة عدم دفاع الكوفة عن الحسين عليه السلام في رقاب الشيعة. في الوقت الذي سيظهر على ضوء الملاحظات التالية ان أهل الكوفة كانوا لا يقوون على الدفاع عن الامام الحسين عليه السلام لعدم توفّر المعنويات الكافية لذلك، فلو أنهم عزموا على التضحية الى حد الايثار لكان

بإمكانهم تغيير الاوضاع الى حدٍّ ما. هذه خلاصة رأينا في هذا الصدد وسنستعرض فيما يلي مجموعة من الشواهد التي تثبت ذلك:

لقد كان بامكان اهل الشام ان يتحمّلوا يزيداً بكل يُسرٍ وسهولة، لكن هذا الامر كان في منتهى الصعوبة بالنسبة لاهل الكوفة، لذا فعندما استخلف يزيد شرع اهل الكوفة برفع لواء المعارضة، ونظراً لأن الكثير من اهل الكوفة لم يكن لديهم البديل المناسب ليزيد، فقد توجّهوا صوب الحسين بن علي عليه السلام. وفي هذا السياق نلاحظ انه عندما وجّهت الدعوة من قبل الشيعة فانها قد حظيت ليس فقط بدعم الناس العاديين ذوي القلوب الطيّبة والنوايا الصافية ـ وهذا ما تتصف به الطبقة العامة من كلّ شعب ـ بل وحظيت كذلك بدعم رؤساء القبائل والجماعات الذين وجدوا مناصبهم مهددة بالخطر او الذين تأثروا بالاجواء الروحية والمعنوية التي سادت عامّة الناس فاظهروا تعاطفهم مع الثورة ودعمهم لها. فكان نتيجة ذلك ان ساد الكوفة جو كاذب من الدعم والتأييد للامام، وقد ساعد على اشاعة هذا الجو وضعية والي الكوفة آنذاك النعمان بن بشير اذ كان رجلاً هادئاً يؤثر العافية واستمر هذا الجو في الانتشار بسرعة وعلى نطاق واسع الى حين تسلّم ابن زياد ولاية الكوفة.

لكنّا لو امعنّا النظر في خطبة الامام الحسين عليه السلام التي قال فيها:

«**وما كانت كتبكم اليَّ الا مكيدة لي وتقرباً الى ابن معاوية**»[1] لظهر امامنا احتمال آخر ايضاً بشأن الدعوة التي وجهها اليه اشراف الكوفة، وهو أنهم أثاروا مثل هذه الجو عن قصد، لكي يجرّوا الامام الى العراق حتى يقتل بتلك الصورة

(١) البلاذري، ج ٢ ص ١٨٥، ابن الاعثم ج ٥ ص ١٦٩.

المأساوية.

وعلى ايّ حال فقد كان القسم الاعظم من ذلك الجو ايجابياً، حتى ان مسلم حمل نفس الانطباع ايضاً بعد مشاهدته لأوضاع الكوفة وكتب الى الامام يستدعيه اليها على اساس ذلك الانطباع.

## ضغط ابن زياد على اهل الكوفة

قلّما تجد أناساً يجرأون على اعلان معارضتهم لأية سلطة او يبدون مقاومة لها فيما اذا كان على رأس تلك السلطة طاغوتاً متجبّراً جائراً.

ففي عهد حكومة النعمان بن بشير الذي كان رجلاً متساهلاً ولا يتدخّل كثيراً في امور الناس، كان اهل العراق يعبّرون عن آرائهم ومعتقداتهم بحرية ومن جملة ذلك ميولهم نحو آل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعلى هذا الاساس اعلنوا مساندتهم لمسلم عند دخوله الكوفة. الاّ أن مجيء ابن زياد وجلوسه محل النعمان قد غيّر الاوضاع في الكوفة رأساً على عقب.

لقد ارعبت قسوة ابن زياد نسبة كبيرة من اهالي الكوفة، حيث رأى اولئك الملولون المتأرجحون الذين يتعجّلون في قراراتهم ولا يثبتون على امر انفسهم، مهدّدين من قبل ابن زياد ولم يقف الامر عند هذا الحد، بل انهم انهاروا تماماً في ظل الشائعات التي تشير الى قرب وصول جيش الشام.

وقد اتّسع نطاق هذا التراجع والتخاذل عندما تأكّد اشراف الكوفة من ثبات واستقرار حكم بني أمية فانضموا الى ابن زياد ولم تكن عامّة الناس يرون من مصلحتهم معارضة رؤساء قبائلهم كما حصل عند هجوم مسلم على دار ابن

زياد، اذ ان الاشراف هم الذين اوصلوا انصار مسلم الى اقل عدد ممكن عن طريق الترغيب والترهيب، واثبتوا بذلك مدى قدرتهم على التأثير في الناس[1].

بل لو ان احد رؤساء القبائل اعلن معارضته فان افراد قبيلته ما كانوا يجرؤون على مساندته في مقابل استبداد ابن زياد. واذا كان هذا وضع المساندة والحماية القبلية الذي كان يعتبر الاكثر اهمية وتأثيراً في المجتمع العربي آنذاك، فماذا سيكون عليه حال مساندة الامام الحسين(ع) دينياً. فان هاني بن عروة، رئيس قبيلة بني مراد، كما ينقل عنه المؤرخون كان اذا اراد الخروج للحرب سار معه اربعة آلاف فارس، وثمانية آلاف راجل. ولو اضفنا اليهم قسمان بني مراد من كندة لبلغ جيش هاني الثلاثين الفا. ورغم كل هذا فلما قبض عليه وسحبوه في سوق الكوفة ـ كما امر ابن زياد ـ ظل يستغيث ويندب قبيلته لكن احداً لم يغثه ولم يلبِّ نداءه[2]. ومن ثم قُتل بعد ذلك ولم يتجرأ احد على الاعتراض.

وعندما أجبر الامام الحسين(ع) على النزول في كربلاء خطب ابن زياد بالناس وكلمهم بلغة الترغيب والترهيب وحثّهم على المشاركة في قتل الامام قائلاً:

«فأيما رجلٍ وجدناه بعد يومنا هذا متخلّفاً برئت منه الذمّة»[3].

وهذا يعني انه هدد المتخلفين بالقتل.

وفي هذا السياق امر ابن زياد القعقاع بن سويد بملاحقة المتخلفين وتقديمهم

---

(١) الطبري ج٤ ص٢٧٧.

(٢) المسعودي ـ مروج الذهب ج٣ ص٥٩.

(٣) البلاذري ـ المصدر السابق ج٢ ص١٧٨، الدينوري ـ الاخبار الطول ص٢٥٥.

اليه. فقبض هذا على رجل من قبيلة همدان كان قد جاء الى الكوفة في طلب ارث ابيه، وقدمه اليه على انه متخلّف فضربوا عنقه كما امر ابن زياد. ومنذ ذلك الحين، كما يذكر بعض المؤرخين، «لم يبقَ مُحتلمٌ بالكوفة الاّ خرج الى العسكر بالنخيلة»[1].

وبدأت السيوف تتأهب لقتل الحسين عليه السلام بينما يمكن القول وبكل اطمئنان وثقة ان الخيار لو ترك للناس لما فعلوا هذه الفعلة، عندها يمكننا ان ندرك بشكل افضل معنى مقولة الفرزدق في وصفه لأهل الكوفة: «قلوبهم معك وسيوفهم عليك»[2].

او كما ورد في رواية أخرى انّه قال:

«أنت احب الى الناس، والقضاء في السماء، والسيوف مع بني أميّة»[3].

ولم يكن بميسور الناس في ظل تلك الظروف عدم التوجه الى كربلاء لأن عدم الذهاب كان يعني القتل. ولم يكن امام الشيعة او غيرهم ممن لم يكونوا راغبين في الذهاب سوى طريقين لا ثالث لهما: اما الانضمام الى الامام او الابتعاد عن دائرة الصراع.

ولا ريب ان ما ذكرناه لا يعني اعذار الناس من جهة التكليف الديني.

---

(١) نفس المصدر السابق، ص١٧٩.

(٢) الطبري ج٤ ص٢٩٠، ابن الاعثم ج٥ ص١٢٤ ـ ١٤٠، الدينوري ـ الاخبار الطوال ص٢٤٥.

(٣) ابن سعد ـ مجلة تراثنا ـ العدد العاشر ص١٧١، ترجمة الحسين من تاريخ دمشق ص٢٠٦.

## فرار الناس وانحيازهم الى معسكر الحسين

تفيد بعض الروايات القديمة جداً بأن اهل الكوفة كانوا يُرسلون بالتهديد والاكراه لمحاربة الامام الحسين عليه السلام، ولهذا السبب فقد فرّ الكثير منهم في وسط الطريق والتحقوا بمعسكر الامام الحسين.

فان الارقام المنقولة عن عدد جيش ابن زياد في كربلاء هي عادة الارقام المنقولة في اثناء تعبئة الجيش في النخلية، في حين ان الذين حضروا كربلاء من مجموع الجيش المرسل من الكوفة ـ وكما سيتضّح فيما بعد ـ لا يتجاوز العشرة آلاف رجل بل ربما كان اقل من ذلك .

ولا يشكّل هذا الرقم سوى عدد ضئيل من سكان الكوفة الذين ينقل بعض المؤرخين انه كان يحضر في مسجدها وحده اربعون الفاً[١].

والذي يظهر لنا من مجموع النقاط السابقة ان الكثير من الناس كانوا قد اخفوا انفسهم في الكوفة، او هربوا من الجيش في منتصف الطريق.

كتب البلاذري بهذا الصدد: «**وكان الرجل يبعث في الف فلا يصل الاّ في ثلاثمائة او اربعمائة واقلُّ من ذلك كراهة منهم لهذا الوجه**»[٢].

وكتب الدينوري ايضاً: «**ان ابن زياد كان اذا بعث قائداً وارسل معه عدداً كبيراً من الجنود الى كربلاء فانهم يصلون الى كربلاء ولم يبق منهم الا القليل كانوا يكرهون قتال الحسين فيرتدعون فيتخلّفون**»[٣].

---

(١) التشيع في مسار التاريخ ص١٦٠ «النص باللغة الانجليزية».

(٢) البلاذري انسان الاشراف ج٢ ص١٧٩.

(٣) الدينوري ـ الاخبار الطوال ص٢٥٤.

وكان ايضاً من اهل الكوفة من يحاول الانضمام الى الامام، فرغم أنّ الامام لم يمض على وصوله الى كربلاء حتى استشهاده اكثر من ثمانية أيّام وان الكثير من الناس لم يكن يتصّور ان القضية جادّة الى هذا الحد. فهذا الحر بن يزيد مع منصبه العسكري لم يدرك وخامة الاوضاع حتى صباح العاشر من المحرّم فانحاز الى الامام. ولهذا السبب فان اكثر الشيعة وان كانوا قد عقدوا العزم على مساندة الامام فانهم لم يتعجلوا في الأمر، ولم يكن احد منهم يفكّر في الانضمام الى الامام سوى ثلّة قليلة من الرجال من جملتهم نافع بن هلال المرادي، وعمر بن خالد الصيداوي، وسعد من موالي عمر بن خالد، ومجمع بن عبدالله العائذي وهم من قبيلة مذحج وقد التحقوا بالامام[1]. ورغم كل ذلك فقد استطاع الانضمام اليه ايضاً قبيل حلول اليوم العاشر كل من مسلم بن عوسجة وحبيب بن مظاهر. وكما التحق به ـ استناداً الى رواية ابن سعد ـ ٢٠ رجلاً صبيحة عاشوراء[2]. وذكر ابن قتيبة انهم كانوا ٣٠ رجلاً[3].

يقول ابن سعد وهو من اقدم رواة التاريخ: «**جعل الرجل والرجلان والثلاثة يتسللون الى الحسين من الكوفة**».

وعمليات الهروب هذه هي التي دفعت ابن زياد الى البحث عن حلٍّ لها. فامر عمرو بن حريث بحثّ الناس للاجتماع في النخيلة وهو معسكر الكوفة الشهير، والسيطرة على الجسر الذي يمر من خلاله طريق الكوفة الى كربلاء، ومنع

---

(١) البلاذري ـ انساب الاشراف ج٢ ص٧٢.

(٢) ابن سعد، تراثنا ـ العدد العاشر ص١٧٨.

(٣) ابن قتيبة، الامامة والسياسية ج٢ ص٧.

الاشخاص الذين يحاولون التوجّه الى معسكر الحسين عليه السلام[1]. كما امر الحصين بن نمير بمراقبة المنطقة الممتدة من القادسية وحتى قطقُطانة، فلا يسمح بالمرور الاّ لمن يتأكد انه متّجه الى مكة، ويمنع اولئك الذين يريدون الوصول الى الحسين عليه السلام عن طريق الحجاز[2].

كما كتب الى واليه في البصرة ان ينصب الكمائن ويراقب جميع الطرق ويعتقل ممن يريد الذهاب من هذه الطرق نحو الحسين عليه السلام وامر كذلك بمراقبة جميع الطرق بين واقصة في طريق الشام وحتى طريق البصرة، ولا يدعون احداً يلج ولا أحداً يخرج منها»[3].

لقد تمّت مراقبة الطرق والسيطرة على مراكز المواصلات بشكل دقيق، حتى ان سبعين رجلاً من قبيلة بني اسد كانوا يقيمون على مقربة من كربلاء، وكانوا قد عزموا على الانضام الى معسكر الحسين بتشجيع من حبيب بن مظاهر، فتم ابعادهم من تلك المنطقة على يد أرصاد ابن زياد[4]. وكان لهذه السيطرة اثرها الفاعل في عدم مساندة اهل الكوفة للامام. وبالاضافة الى هذا العامل كانت هناك ايضاً عوامل اخرى منها:

١ ـ كانت عدّة شخصيات متنفّذة من اهل الكوفة حبيسة سجون ابن زياد من ضمنهم المختار بن ابي عبيدة.

٢ ـ لقد مورس التهديد بوحشية وقسوة بالغة طالت حتى غير الموالين لأيّ

---

(١) ابن سعد، تراثنا، العدد العاشر ص١٧٨.

(٢) الدينوري، الاخبار الطوال ص٢٤٣.

(٣) البلاذري ـ انساب الاشراف، ج٢ ص١٧٣، الطبري ج ٤ ص ٢٩٥.

(٤) البلاذري ـ المصد السابق ـ ج٢ ص ١٨٠، ابن الاعثم ج ٥ ص ١٦٠.

الفريقين فشملهم القتل والتعذيب فما بالك بمن يريد الانضمام الى جانب الحسين عليه السلام.

٣ ـ وكان الترغيب عاملاً آخر ذا اهمية بالغة ايضاً، فقد خطب ابن زياد يوماً بأهل الكوفة فقال: «ان يزيد بعث باربعة آلاف دينار ومائتي درهم لأقسمها بينكم ثم اوجّهكم الى كربلاء لمقاتلة عدوّه»[1].

## تعلّق الناس بالعطاء

لما رأى الامام تصميم اهل الكوفة على قتله سألهم في خطابٍ له:

**«يا هؤلاء اسمعوا يرحمكم الله ما لنا ولكم، ما هذا بكم يا اهل الكوفة؟ قالوا: خفنا العطاء. قال: ما عند الله من العطاء خير لكم»**[2].

لكن احداً منهم لم يلتفت الى كلامه. فقد ظهر لنا من مجموع هذه الشواهد ان بعض الناس ـ ومنهم الاشراف والمرتبطون بهم ـ كانوا من الاجرام وسوء الخلق ما يمكن معه نعتهم باقبح الاوصاف والنعوت البذيئة. ورغم كل ذلك فقد كان في الكوفة ـ مع ما كان يسودها من اجواء الاستبداد والطغيان ـ اشخاص كثيرون يودّون الالتحاق بالامام فلا يستطيعون.

ومن الملفت للنظر هنا ان البلاذري قال: «**كان سعد بن عبيدة يقول: الكثير من شيوخنا من اهل الكوفة كانوا يرفعون ايديهم فوق التلال بالدعاء ويقولون: اللهم انزل عليه نصرك. فقيل لهم: يا اعداء الله الا تنزلون**

---

(١) ابن الاعثم ج ٥ ص١٥٧.

(٢) ابن سعد. تراثنا ـ العدد العاشر ص١٧٨.

**فتنصرونه»**[1].

## تقويم سفر الامام الحسين عليه السلام الى العراق

نحاول فيما يلي وبغض النظر عن البعد الغيبي لحادثة كربلاء وهو ما سنأتي على شرحه في فصلٍ آخر وضع تقييم سياسي ملخّص لسفر الامام الحسين عليه السلام الى العراق. فهل كان للامام طريق آخر سوى الذهاب الى العراق أم لا؟ وهل كان من المحتمل ايجاد مركز للمعارضة ضد حكومة آل أميّة، وبلورة ثورة تطيح بعرش يزيد؟

فنحن نواجه في كتب التاريخ سلسلة من الاعتراضات التي طرحت من قبل شخصيات متعددة تركز بأجمعها على نقطة واحدة، هي ان سفر الامام عليه السلام الى العراق لن يحقق اية فائدة ولا ينطوي على مصلحة. ففي اعقاب معارضة الامام لموضوع البيعة وتوجهه نحو مكّة، كان احتمال السفر الى العراق مطروحاً. فهناك بعض الروايات تشير الى أن عبدالله بن مطيع حذّر الامام من الذهاب الى الكوفة وهو لا زال في منتصف الطريق بين المدينة ومكّة[2].

ولما دخل الامام مكة كان عدد المعترضين يتزايد بشكل ملحوظ. ونشير فيما يلي الى عدد من الشخصيات التي كانت تعارض ذهاب الامام الى الكوفة.

١ ـ عبدالله بن عبّاس؛ حيث اقترح على الامام صرف رأيه عن الذهاب الى العراق، والتوجّه بدلاً من ذلك نحو جبال اليمن لأن هناك منطقة جبلية مناسبة للكر والفر هذا من جهة، ومن جهة اخرى فأن عدد شيعة ابيه كبير جداً هناك.

---

(١) البلاذري ج٢ ص٢٢٦.

(٢) ابن الاعثم ـ ج ٥ ص٣٧، الدينوري، الاخبار الطوال ص٢٨٨.

لذلك فان المكان الوحيد الذي يضمن سلامة الامام هو ذلك المكان [1].

٢ ـ محمد بن الحنفيّة ؛ وقد عرض نفس هذا الاقتراح حسب رواية ابن الاعثم[2].

٣ ـ عمرو بن عبدالرحمن بن هشام حيث قال: «الناس عبيد الدينار والدرهم وهما اليوم بيد الحكّام، فاياك أن تذهب الى العراق»[3].

٤ ـ عبدالله بن عمر فقد كان يضع امام الحسين عليه السلام وبمنتهى الرعب والخوف موضوع اراقة الدماء بين الامة[4].

٥ ـ عبدالله بن جعفر حيث كان يشير الى مقتل الامام في العراق ويقول:

«إنّي اخاف ان يُطفأ نور الله وانت روح الهدى وامير المؤمنين، فلا تعجل الى العراق فاني اخذٌ لك الامان من يزيد»[5].

٦ ـ ابو سعيد الخدري، إذ يحتمل انه قال له: «لا تخرج على امامك»[6].

٧ ـ مسوّر بن مخرمة ؛ كتب للامام: لا تغتر باهل العراق[7].

---

(١) الدينوري ـ الاخبار الطوال ص ٢٢٤. ابن الاعثم ج ٥ ص ١١٣، الطبري ج ٤ ص ٢٨٧.

(٢) ابن الاعثم ج ٥ ص ٣٢.

(٣) البلاذري ـ المصدر السابق، ج ٢ ص ١٦١، ابن الاعثم ج ٥ ص ١١٠، الطبري ج ٤ ص ٢٨٧.

(٤) ر.ك. البلاذري ج ٢ ص ١٦٣، ابن الاعثم ج ٥ ص ٣٩، ابن سعد، تراثنا العدد العاشر ص ١٦٦.

(٥) ابن الاعثم ج ٥ ص ١١٦، الطبري ج ٤ ص ٢٩١.

(٦) نفس المصدر السابق.

(٧) نفس المصدر السابق.

٨ ـ ابو واقد الليثي، وقد قال للامام ما قاله مسوّر بن مخرمة[١].

٩ ـ الفرزدق، حيث قال للامام في منتصف الطريق بين مكّة والكوفة: «قلوب الناس معك وسيوفهم عليك»[٢].

ويلاحظ في كتب التاريخ الكثير من هذه الاعتراضات او النصائح المشفقة، ويحتمل ايضاً ان يكون الكثير من الرواة المغرضين هم الذين انتحلوا مثل هذه القائمة الطويلة لغرض تخطئة موقف الامام عليه السلام.

## الجواب على الاعتراضات

وقبل أن نذكر استدلال الامام نفسه بخصوص سفره الى العراق يجب اولاً استعراض مقدمة توضّح لنا الارضية التي يقوم عليها ذلك الاستدلال.

ان تاريخ السياسة في الماضي والحاضر يعكس لنا حقيقة واضحة هي إنّ كل شخص يسعى لتحقيق اهداف سياسية معينة لا يحققها غالباً من غير ان يواجه اية موانع او عراقيل. فمن يسعَ لاستلام السلطة او اي هدف آخر سلبياً كان او ايجابياً يتعامل دوماً مع الاحتمالات. ففي عالم السياسة يتعرض حتى اكثر الناس نجاحاً وشعبية الى مخاطر مثل الاغتيال و... لذلك يجب أن لا نفكّر تفكيراً مثالياً ونتصوّر انه يجوز لنا التحرك فقط في الظرف الذي نرى فيه الوصول الى الهدف بات قطعياً ولا يوجد هناك ايّ احتمال للخسارة او الفشل، فان مثل هذا التصوّر لا تؤيده الحقائق التاريخية مطلقاً، بل انها تعكس لنا سذاجة من يحمل مثل هذه

---

(١) نفس المصدر السابق ص١٦٦.

(٢) البلاذري ـ انساب الاشراف ج٢ ص١٦٥.

الرؤى السياسية.

ولا يختلف الامر هنا ايضاً فيجب أن لا نتصوّر ان الامام كان مطمئن البال بشأن نجاحه في هذا السفر ولم يكن يتوقع ادنى احتمالٍ للفشل. فمن لا يقبل سفر الامام اساساً لا ينبغِ له ان يذكر شاهداً تاريخياً بأن احتمال الفشل كان قائماً، ومن يقبل بسفر الامام لا ينبغِ له ان يتوهم بأن احتمال الفشل لم يكن قائماً مطلقاً. لان اهل الكوفة قد أُختبروا قبل هذا ايضاً.

ومع اخذ هذا الامر بنظر الاعتبار، يجب اولاً ان ندرس وضع الامام في تلك الظروف ثم ندخل في حساباتنا الشواهد التاريخية والاجراءات التي اتخذها الامام ونقيّم على اساسها مسألة هجرته الى العراق.

لقد كان الامام يأبى مصالحة يزيد والاقرار بحكومته، وان أدّى ذلك الى استشهاده. وكان يسعى في نفس الوقت ـ فيما لو امكن ـ الى اشعال فتيل الثورة ضد يزيد وانقاذ حكومة المجتمع الاسلامي من مخالب بني أميّة.

كانت هذه هي الحدود التي تحدد ملامح التفكير السياسي لدى الامام، وكان على الامام اختيار طريقه ضمن هذا الاطار، ليطرح على ضوء ذلك آراءه وردود فعله تجاه الاقتراحات والاعتراضات وحيث كان هذا الاطار لا يقبل التغيير ابداً. لذا فان اي اقتراح لا ينسجم معه بشكل من الاشكال يعتبر اقتراحاً مداناً ومرفوضاً من قبل الامام.

ومن جهة أخرى فان عالم السياسة آنذاك له اطاره الخاص ايضاً وتشكل الاحتمالات جزءً منه، اذ كان يُفترض على الامام ايضاً مطابقة نفسه معها، بحيث لا يتعرض اطاره الخاص الى الانحراف والتغيير اثناء العمل، ولا يسير في اتجاه

معاكس للحقائق الموجودة آنذاك.

ووفقاً للمتطلبات السياسية السائدة في ذلك العصر، لم يكن يزيد ليسمح لرجل كالامام الحسين عليه السلام بعدم مبايعته ويتركه على قيد الحياة، لأن الحسين عليه السلام لم يكن بالشخص الذي لا يبالي بأمر يزيد، ويحيا حياته العادية كرجل غير مسؤول. لذا فان الخيار الوحيد امام يزيد هو قتل الامام في حالة عدم مبايعته. ومن ناحية أخرى فانه لم يكن لدى الشام بل ولا المدينة ومكة أو الحجاز واليمن و... المقومات والظروف الملائمة للمقاومة والدفاع امام يزيد، ومساندة ودعم الحسين عليه السلام والحيلولة دون قتله. وليس غير الكوفة منطقة تتوفر فيها امكانية الدفاع او المقاومة. ومع ان سوابق الكوفة وسلوك اهلها مع امير المؤمنين عليه السلام والامام الحسن عليه السلام في مواجهة الاعداء كان يضعف هذا الاحتمال، لكن تلّهف اهل الكوفة لقدوم الامام اليهم، والوعود التي قطعوها بالتصدي لبني امية، ومساندة الامام، والرسائل والكتب التي انهالت على الامام من سادة الكوفة واشرافها وعامّة اهلها كان يقضي على هذا الضعف. وكلما كان اصرار الناس على دعم الامام يزداد كلما ازدادت معه نسبة احتمال نجاح الامام في مقابل العدو، لكن احتمال الخطر والفشل لم يكن قد زال مائة بالمائة.

فلو لم يبادر الامام الى انتخاب هذا الطريق، ما الذي كان ينبغي له ان يفعله؟ هل كان يزيد بالشخص الذي يرضى ببقاء الامام حيّاً لو لم يبايع؟ وهل كان الامام بالشخص الذي يبايع يزيد ولا يبالي بالاوضاع الالحادية والمعادية للاسلام التي تجتاح المجتمع والامة الاسلامية ويقف ازاءها موقف المتفرّج ويعيش كشخص غير مسؤول لا يفكر سوى في حياته ومعيشته ومصالحه؟

ولو ان الامام لم يذهب الى الكوفة وبقي في مكّة حتى قُتل فيها. ألم يكن

هؤلاء الاشخاص يقولون لماذا تجاهل الحسين كل هذه الكتب التي وردته من الكوفة ولم يستجب لاصرارهم ولم يلبِّ دعوتهم ويذهب الى هناك لكي يأمن المخاطر في ظل فرسان الكوفة، وليحقق اهدافه السياسية بنجاح باهر؟

وامّا اعتراض المعترضين فقد كان يدور غالباً على عدم خروج الامام عليه السلام وهو ما كان يعني قبول حكومة يزيد من قبله، وهو امر لا يستسيغه الامام قطعاً.

بل إنّ الامان الذي كان عبدالله بن جعفر يريد اخذه له من يزيد، كان يوحي بهذا المعنى أيضاً. لأن أمان يزيد كان سيكون مشروطاً طبعاً بعدم خروج الامام، في حين ان الامام ما كان ليخضع مطلقاً لبيعة يزيد.

لنر الآن كيف يعلل الامام نفسه هذه المسألة وكيف تثبت الشواهد التاريخية ذلك.

إنّ من جملة النقاط التي اشار اليها الامام مَرّات متعددة هي ان يزيد وعمّاله لم يكونوا يسمحون للامام بمواصلة حياته في مكة، وانّه سيقتل على ايّة حال. ونشير فيما يلي الى عدّة موارد:

١ ـ قال الامام الحسين عليه السلام ردّاً على اعتراض ابن عباس: «**لئن أقتل خارجاً منها بشبرين احبُّ اليَّ من أن أقتل خارجاً منها بشبر**»[1].

٢ ـ وقال رداً على اعتراض ابن عمر: «**ان القوم لا يتركوني.. فلا يزالون حتى أبايع واني كاره فيقتلونني**».

٣ ـ وقال رداً على اعتراض آخر ما يلي: «**لو كنت في حجر هامة من هوام**

---

(١) البلاذري ـ انساب الاشراف ج٢ ص١٦٤، ابن الاعثم، ج٥ ص١١٣.

**الارض لاستخرجوني وقتلوني»**[1].

٤ ـ وقال في موضع آخر لما سُئل عن سبب تعجيله: «**لو لم أعجِّل لأُخذت**»[2].

٥ ـ وقال في موضع آخر ايضاً: «**ان بني أمية اخذوا مالي فصبرت، وشتموا عرضي فصبرت، وطلبوا دمي فهربت**»[3]. هكذا كان الامامعليه السلام يدرك الامر، ولا يوجد شاهد واحد يدل على ان الامام ان لم يبايع يزيد بقي حيّاً.

واما الجانب الآخر من القضية وهو موضوع سفر الامام الى العراق، فانه حين قرر الخروج من مكّة هل كان بامكانه اختيار غير الكوفة؟ وما هو المكان الذي كان عليه انتخابه من الدولة الاسلامية؟ لقد بلغت الامام رسائل كثيرة من اهل العراق خلال الفترة التي اقامها في مكّة. وكانت تلك الرسائل من الكثرة والقاطعية بحيث اصبحت فيما بعد سبباً رئيساً بالنسبة للامام للذهاب الى العراق.

وكان الامام يقول عندما يُسأل في مواضع متعددة عن سبب ذهابه الى الكوفة : **ان رسائل اهل العراق هي السبب**[4]. فانه لدى اجابته على سؤال الحرّ وعمر بن سعد[5] وبحير بن شدّاد[6]، وعبدالله بن عمر[7]، بل في خطابه امام جيش

---

(١) ابن الاعثم ج ٥ ص ١١٦.

(٢) الطبري ـ ج ٤ ص ٢٩٠.

(٣) ابن الاعثم ج ٥ ص ١٢٤.

(٤) البلاذري ـ انساب الاشراف، ج ٢ ص ١٦٣ ـ ١٦٥.

(٥) البلاذري ـ انساب العرب ج ٢ ص ١٧٧، ابن الاعثم ج ٥ ص ١٣٨.

(٦) ابن سعد، مجلة تراثنا، العدد العاشر ص ١٧٣.

(٧) نفس المصدر السابق ص ١٨١.

الكوفة صبيحة العاشر من المحرّم[1] كان يعلل مجيئه الى الكوفة بالكتب التي وردته من اهلها، وكان يقول دائماً في ردّه على اسئلة السائلين عن سبب ذهابه الى العراق: «**خَلفي مملوءة بالكتب**»[2].

وعقب استلامه لكتاب مسلم الذي يدعوه فيه الى الحركة الفورية صوب الكوفة، عجّل الامام بالخروج من مكّة وقطع المسافة الفاصلة بين مكة والكوفة باسرع ما يمكن. ولكن عندما بلغه خبر استشهاد مسلم[3] طرأ تغيير واضح على سرعة حركة القافلة، وكلما انقضى عليه زمن قلّت سرعة القافلة اكثر. ومع ذلك لم يثن ذلك الامام وانصاره مطلقاً عن مواصلة المسير صوب الكوفة. فرغم ان خبر استشهاد مسلم وهاني كان يقلل بالتدريج من تفاؤل الامام وثقته باهل الكوفة لكن احتمال الانتصار في الكوفة لم يكن قد زال مائة بالمائة. وبعبارة أخرى ان قافلة الامام وان تزعزع املها بالنصر العسكري كلّما اقتربت من الكوفة، لكن تقييم الامام للاوضاع ومشاوراته مع اصحابه بشأن الكوفة ومواصلة الحركة نحوها كان يشير الى امكانية بلوغ النصر.

اذ كانوا يقولون له: «ما انت بمسلم بن عقيل، ولو قدمت الكوفة لكان الناس اليك اسرع». وكانوا يقصدون من هذا الكلام ان عدم شهرة مسلم و... ربما هي السبب في عدم استقطابه للناس كما ينبغي، الاّ ان شخصيتك لها جاذبية أخرى، وهذا الكلام لم يكن مستبعداً طبعاً بالنسبة لمنزلة الامام. واذا ما اخذنا بالحسبان كتب ودعوات اهل الكوفة له خلال عشر سنوات. ولهذا السبب واصل

---

(١) ابن عساكر المصدر السابق ص١٩٢.

(٢) نفس المصدر السابق ص٢٠٩.

(٣) الطبري ج٤ ص٣٠.

الامام طريقه من خلال تقييم واحد. كما يستفاد ايضاً من رواية الفتوح بان كتاب الامام الى اهل الكوفة الذي ارسله مع قيس بن مسهر الصيداوي حول وجوب الالتزام بعهودهم انما كان بعد وصول خبر استشهاد مسلم بن عقيل.

ومع ان ارضية الشك بشأن الكوفة بدأت تتسع بصورة تدريجية في نظر جيش الامام الا أن اثرها في قرار العودة لم يتضح الاّ بعد التقاء الامام بجيش الحر. فقدوم الحر على رأس جيش لمواجهة الامام وبلوغ نبأ تحشد اربعة آلاف رجل من جيش العدو في القادسية، اضافة الى المعلومات السابقة الواصلة عن الكوفة، ومنها وصول آخر رسالة شفوية من مسلم بواسطة عمر بن سعد تؤكد على ضرورة انصراف الامام وعدم دخول الكوفة، كل هذه العوامل جعلت الامام يتيقن انه لم يعد هناك اي امل في الكوفة، ولن يجني من ذهابه اليها الاّ الهزيمة العسكرية والاستشهاد.

وفي هذه الحالة اتخذ الامام قراره بالعودة[1]. لكن الحر اعلن له انه مكلف من قبل والي الكوفة باخذ الامام وجيشه الى هناك ومنعه من العودة، ومنذ ذلك الحين اخذ الامام يكرر دائماً في لقاءاته بقادة جيش العدو[2] ومبعوثيهم وحتى في خطابه الذي القاه على جيش الكوفة[3] قراره بالعودة فيقول:

**«يا أيّها الناس اذا كرهتموني فدعوني انصرف عنكم الى مأمن من**

---

(١) البلاذري، انساب الاشراف، ج٢ ص ١٧٠، ابن الاعثم، ج٥ ص ١٢٥، الدينوري، الاخبار الطوال، ص ٢٥٠.

(٢) ر. ك. الطبري ج ٤ ص ٣١١، ابن الاعثم ج ٥ ص ١٥٥.

(٣) الطبري ج ٤ ص ٣٢٣.

**الارض»**[1].

وقد ذكر عدد من المؤرخين ان الامام وبعد ان اصبح محاصراً من قبل جيش الكوفة. طلب من عمر بن سعد القبول باحدى النقاط الثلاث التالية: **«دعوني ارجع الى الحجاز، او اذهب الى الشام واضع يدي بيد يزيد او ان اذهب الى ثغور الدولة».**

لكن هذه المعلومات عارية عن الصحة وانما اراد المؤرخون من خلالها سحق شخصية الامام الحسينعليه السلام المتميزة والانتقاص منه خدمة لاسيادهم واولياء نعمهم من الامويين والادلة على زيف هذه الرواية تتلخص فيما يلي:

١ ـ الرواية المذكورة اعلاه وكذلك التصريحات الاخرى تؤكد ان الامام لم يطرح موضوع السفر الى الشام، بل انه طرح فقط موضوع العودة الى الحجاز (مكة والمدينة).

٢ ـ ينقل البلاذري رواية تؤكد بصراحة: انه عرض على عمر بن سعد موضوع العودة الى المدينة فقط[2].

٣ ـ كما نقل بشكل موثق عن عقبة بن سمعان انه قال: رافقت الامام الحسينعليه السلام في جميع المراحل، ولم افارقه لحظة واحدة، فلم اشاهد منه ولا في اشارة واحدة انه طرح ما هو شائع بين الناس «دعوني اذهب الى الشام واضع يدي بيد يزيد» بل انه قال فقط:

**«دعوني ارجع الى المكان الذي اقبلت منه، او دعوني اذهب في هذه**

---

(١) الطبري ج ٤ ص ٣٢٣.

(٢) البلاذري، انساب الاشراف ج ٢ ص ١٨٢.

**الارض العريضة حتى ننظر مايصير اليه امر الناس»**[1].

٤ ـ لو ان الامام كان مستعداً للمبايعة فان مشكلة يزيد التي اثيرت بسببها كل هذه الضجّة ستنحل وسيصبح بمقدور الحسين عليه السلام مواصلة حياته كشخص عادي.

## عنصر الغيب في حادثة كربلاء

إنّ من جملة الامور التي كان لها نصيب لا يستهان به في البعد التاريخي لواقعة كربلاء هو عنصر الغيب، الامر الذي ادّى الى بروز اختلافات في تحليل ودراسة هذه الواقعة، وجعلها تُطرح على شكل مقابلة بين امر عقائدي وقضية تاريخية.

والواقع هو أنّ علماءنا قد بحثوا هذا الموضوع بشكل كافٍ مع الاخذ بنظر الاعتبار شمولية علم الامام. اما شرح وتبيان هذه القضية من الوجهة التاريخية فهو لا يحتاج الى طرح هذه الادلة العقائدية لأن مثل هذا العمل لا يخرج المسألة من اطارها التاريخي فحسب، بل وسيهيء الارضية للاتهام بادخال الآراء والعقائد في كتابة التاريخ.

ونحن فيما يلي نبحث القضية خارج اطارها التاريخي، ونعتبره خاتمة لبحثنا هذا زيادة في الاطلاع، ونستعرض خلاله الروايات الدالّة بصراحة على وعي الامام المسبق بهذه الحادثة قبل وقوعها. فقد نقل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعض الروايات يتفق عليها الكثير من الرواة والمحدّثين من اهل السنة والشيعة.

---

(١) ابن الاثير ج ٤ ص ٥٤.

فقد ضم كتاب «سيرتنا وسنّتنا» الذي ألفّه العلامة الاميني بين طيّاته الكثير من امثال هذه الروايات التي تبين وصف رسول الله لهذة الحادثة، واستشهاد سبطه الحسين هناك وذلك قبل سنوات من وقوعها والتأثّر الشديد لرسول الله عند ذكره لها وبكائه وحزنه عليها. وقد نقل العلامة الاميني هذه الروايات غالباً من كتب التاريخ والحديث لاهل السنة.

واليك فيما يلي عدداً من هذه الروايات:

١ ـ جاء في رواية ان الحسين رأى في المنام انه شاهد رسول الله وجماعة من الملائكة، فاحتضنه رسول الله وقال له:

**«يا حسين كأنّي عن قريب اراك مقتولاً مذبوحاً بأرض كربلاء من عصابة من أمتي، وانت في ذلك عطشان لا تُسقى، يا حسين ان اباك وأمّك قد قدموا عليَّ وهم اليك مشتاقون وان لك في الجنّة درجات لن تنالها الاّ بالشهادة»**[1].

٢ ـ قال الحسين في مكّة: **«اني رأيت جدي في منامي وقد امرني بامر وانا ماضٍ لأمره»**[2].

٣ ـ لما وصل الى كربلاء وسأل عن اسم المنطقة وقيل له اسمها «كربلاء» قال: **«لقد مَرَّ ابي بهذا المكان عند مسيره الى صفين وأنا معه، فوقف وسأل عنه فاخبر باسمه، فقال: ها هنا محط ركابهم، وها هنا مهراق دمائهم، فُسئل عن ذلك فقال: ثقلٌ لآل بيت محمدٍ ينزلون هاهنا»**[3].

---

(١) ابن الاعثم ج ٥ ص٨.

(٢) نفس المصدر السابق ج ٥ ص ٥١.

(٣) الدينوري ـ الاخبار الطوال ص٢٥٣.

٤ ـ وفي صبيحة عاشوراء قال لاخته زينب: **«يا اختاه اني رأيت جدّي في المنام وابي علياً وفاطمة أمي واخي الحسن فقالوا انك رائح الينا عن قريب، وقد والله يا أختاه دنا الامر ما في ذلك لاشك»**[1].

كانت هذه نماذج من الروايات الدالة على علم الامام بواقعة كربلاء قبل استشهاده ومن الطبيعي ان الامام الحسينعليه السلام ليس هو الشخص الوحيد الذي لا يلجأ الى الغيب، بل ان النبيصلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يلجأ اليه ايضاً في حياته السياسية العادية سوى في حالات اثبات النبوّة. وانهم كانوا في بقية المواقف يمارسون حياة عادية وفقاً لما تقتضيه الاحكام والاخلاق الاسلامية. وان اعتبار النبيصلى الله عليه وآله وسلم والائمةعليهم السلام أسوة انما يقوم على الوضع الموجود والتقييم الظاهري لا على اساس الغيب. لأن الاستناد الى الغيب ليس بالشيء الذي يقدر عليه الآخرون.

## دور واقعة كربلاء في تكوين الشيعة

من المسلّم به ان واقعة كربلاء هي من الحوادث المصيرية واهم عامل في تكوين الشيعة على مدى التاريخ. وقد سبقت منّا الاشارة الى أن الاسس الفكرية للتشيّع وخاصّة اهم مسألة فيه (الامامة)، يمكن ملاحظتها في القرآن والسنّة بشكل واضح. لكن انفصال تاريخ الشيعة عن بقية الفرق الاسلامية اتخذ طابعاً تدريجياً، وحصل بمرور الزمن، فحاكمية امير المؤمنين وسنّته واسلوب تعامله مع القضايا والافكار الالهية والمعارف التي خلفها قد اوجدت انسجاماً فكرياً بين الشيعة الى حدٍ ما. وكان لدعم الامويين للنظام الفكري واسلوب الفهم عند الفرق الاسلامية الاخرى اثره في تعميق الفاصل الموجود بين الشيعة وبقية الفرق

---

(١) ابن الاعثم ـ ج ٥ ص ١٧٥.

الاسلامية.

فحيل معاوية واساليبه الشيطانية لم تتح للمسلمين الفرصة لكي يفهموا ان بني امية يخفون تحت ستار الاسلام نفس تلك الشخصيات الجاهلية المعادية للانسانية، وانهم كانوا مولعين بالحياة الجاهلية والدفاع عن ثقافتها، ومع ذلك فانّ المفكّرين والعلماء في ذلك الوقت كانوا يدركون هذه القضية، لكن ابنه يزيد لم يكن يمتلك نفس تلك المهارة، فهو كان يطرح وبشكل صريح، في اشعاره واحاديثه اليومية، من هو وماذا يريد؟ ولهذا نراه ومنذ بداية مجيئه الى السلطة وتسلّمه للخلافة تسبب في حدوث واقعة كربلاء التي استشهد فيها الحسين بن علي عليه السلام مع مجموعة من اهل بيته وانصاره. وصار انفصال تاريخ الشيعة عن سائر الفرق الاسلامية التي انضوت تحت غطاء الاسلام الاموي امراً قطعياً، ومنذ ذلك الحين اعلن المذهب الشيعي عن وجوده باعتباره فئة تتبع سُنّة وسيرة علي عليه السلام والائمة من بعده.

# الامام السجّاد عليه السلام

يقول شمس الدين الذهبي: «**وكان لعلي بن الحسين جلالة عجيبة وحقّ له والله ذلك فقد كان اهلاً للامامة العظمى لشرفه وسؤدده وعلمه وتألّهه وكمال عقله**»[1].

علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام المعروف بالسّجاد هو رابع ائمة الشيعة، وكانت ولادته عام ٣٨ للهجرة على اشهر الاقوال، واستشهد عام ٩٤ بعدما دسّ له الوليد بن عبدالملك السم[2].

وبما ان ولادة الامام كانت سنة ٣٨ للهجرة فمن الواضح انه قد ادرك قسماً من عهد الامام المجتبى وكذلك عهد ابيه، وهذا يعني انه شهد بأُمّ عينه السياسة التي اتّبعها معاوية في قمع الشيعة في العراق والمناطق الاخرى.

---

(١) سيرة اعلام النبلاء: ج ٤ ص ٣٩٨.

(٢) الشبراوي، الاتحاف بحب الاشراف ص ١٤٣.

الا أنَّ بعض الكتّاب يعتقد ان ولادته حصلت في غير التاريخ المذكور وذلك استناداً الى روايات منقولة عن واقعة الطف، يظهر منها انه ولد عام ٤٨ للهجرة.

تشير هذه الروايات الى ان عدداً من جنود جيش الكوفة هجموا على الامام السجّاد ـ بعد انتهاء معركه عاشوراء الدامية، وسيطرة الجيش على خيام الحسين والبقية المتبقية من اهل بيته ـ ليقتله ـ وكان وقتها طريح فراش المرض ـ الاّ ان البعض الآخر منهم منعهم من قتله، لأنه لا زال صغيراً ولم يبلغ الحلم.

واستناداً الى رواية الطبري، فقد وصف حميد بن مسلم ـ الذي حضر في كربلاء شخصياً ـ هذه الحادثة المؤسفة بالصورة التالية:

**«جاء شمر بن ذي الجوشن في رجال معه، وارادوا قتل علي بن الحسين، فمنعته منهم وقلت لهم انه لا زال صبياً، حتى دفعتهم عنه».**

وروي كذلك:

**«ان عبيدالله بن زياد لمّا نظر الى علي بن الحسين قال لشرطي: انظر هل ادرك هذا ما يدرك الرجال؟ فكشف عنه فقال نعم. قال: انطلقوا به فاضربوا عنقه. فقال له عليّ: ان كان بينك وبين هؤلاء النسوة قرابة فابعث معهن رجلاً يحافظ عليهن، فقال له ابن زياد: تعال انت فبعثه معهن.**

واستناداً الى رواية أخرى، فان زينب عليها السلام هي التي منعت من قتل علي بن الحسين، اذ قالت لعبيد الله بن زياد: «**ان قتلته فاقتلني معه**»[1].

وأشار الجاحظ ايضاً الى هذه القضية ضمن اشارته الى ممارسات الامويين

---

(١) الطبري ج٥ ص٢٣١.

الاجرامية فقال: «**إنهم انتهكوا حرمته لما ارادوا تفحّص علائم البلوغ لديه**»[1].

فان صحّت هذه الاخبار[2]. فلابد أن يكون عمر الامام اصغر من المشهور المتعارف لأن نهاية حد البلوغ هو ١٥ سنة بالتمام، وبناءً على هذه الاخبار فلابد ان الظروف كانت بالشكل الذي يقتضي سناً بهذه الحدود.

ورغم كون هذه الروايات مذكورة في مصادر متعددة الاّ ان هناك ادلّة تطعن في مصداقيتها. والادلة هي كما يلي:

١ ـ المشهور عند المؤرخين وكتّاب السيرة ان ولادته كانت في سنة ٣٨ للهجرة ومعنى هذا ان عمره في كربلاء كان ٢٣ عاماً. وقد نقل الطبري نفس هذا السن في كتابه (ذيل المذيل). كما ان تصريح بعض المؤرخين بانه عاش ٥٨ عاماً يثبت نفس هذه النقطة[3]. واما الرواية التي تشير الى انه ولد عام ٣٣[4] ـوخلافاً للمشهور اي عام ٣٨ـ فهي دليل آخر على ولادة الامام في حياة امير المؤمنين عليه السلام.

٢ ـ ان مثل هذه الروايات لم تكن بعيدة عن انظار المؤرخين، بل انهم ادركوا وجودها منذ بداية عصر تدوين التاريخ الاسلامي وتعارفوا على نقل المشهور منها، كما انهم عرّضوها للنقد والتمحيص ايضاً من اجل ازالة التضاد والتناقض الموجود فيما بينها. فمحمد بن عمر الواقدي وهو من ابرز رواة التاريخ لدى اهل السنّة، ينقل حديثاً عن الامام الصادق عليه السلام يشير الى ان الامام

---

(١) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة ج١٥ ص٢٣١.

(٢) ر.ك. شهيدي علي بن الحسين ص٣٢.

(٣) المنتخب من ذيل المذيل. ص٦٣٠.

(٤) ابن حبان ـ الثقات، ج٥ ص١٦٠.

السّجادعليه السلام فارق الحياة وله من العمر ٥٨ عاماً. ثم يستنتج منه ما يلي:

«يدل هذا الحديث على ان علي بن الحسينعليه السلام كان حاضراً مع ابيه في كربلاء وكان يبلغ من العمر ٢٣ او ٢٤ عاماً، ولهذا فان الذين ذكروا انه كان صغيراً وغير بالغ اثناء واقعة كربلاء قد جانبوا الحقيقة. وكان سبب عدم مشاركته في المعركة هو المرض الذي انتابه في تلك الأيام، وليس صغر سنّه وعدم قدرته على الحرب. فكيف يمكن القبول بعدم بلوغه في كربلاء بينما ابنه محمد بن علي المعروف بالباقرعليه السلام كان قد ولد في تلك الاثناء. وبما ان أبا جعفر الباقرعليه السلام قد ادرك جابر بن عبدالله الانصاري الذي توفي عام ٧٨ للهجرة[١] فمعنى هذا ان ابا جعفر حين التقى جابراً كان في سن يؤهله لسماع حديث رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم منه ونقله عنه فيما بعد»[٢].

ويقول ابن عنبة ايضاً:

**«كان علي بن الحسين مريضاً في كربلاء ولهذا لم يشترك في المعركة وليس صحيحاً ما تصوره البعض من انه كان صغيراً»**.

وقال الزبير بن بكار ايضاً: **«كان عمر علي بن الحسين في كربلاء ٢٣ عاماً»**[٣].

٣ ـ يتّضح من خلال كلام الامام السجاد مع عبيدالله بن زياد وحتى يزيد

---

(١) الفسوي ـ المعرفة والتاريخ ج٢ ص٣١٠، تاريخ دمشق ج٥ ص٢٥١ ب مخطوطة نقلاً عن هامش المعرفة والتاريخ.

(٢) ابن سعد ـ الطبقات الكبرى ج٥ ص٢٢٢، الاربلي كشف الغمة ج٢ ص١٩١ ط تبريز.

(٣) ابن عنبة، عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب ص١٩٣.

بن معاوية ان عمره لابد وان يكون فوق، أن يشكّ في بلوغه. وليس ذلك مما يتخلص منه نتيجة القول بإمامته، إذ لا توجد عندنا مشكلة بهذا الصدد. وانّما المشكلة هي في ان الظروف والاوضاع التي دفعت يزيد للسماح له بالتحدث من على المنبر تنمّ بذاتها عن سن معقول لمثل هذا السماح. لأن من يُشكّ في بلوغه لا يمكن ان تتاح له مثل هذه الوضعية التي اتاحها له يزيد.

٤ ـ لقد وردت في التاريخ روايات كثيرة عن ولادة الامام الباقر عليه السلام، يستشف منها جميعاً بانه حضر كربلاء وكان عمره آنذاك ٤ سنوات ولم يشك احد في صحة تلك الروايات ولا ريب ان قبول هذه الروايات يستدعي قبول الرأي المشهور في ولادة الامام السجّاد بفارق لا يتجاوز السنتين او الثلاث سنوات.

## أم الامام السجاد عليه السلام

إنّ من جملة المسائل المختلف عليها والتي لا يخلو البحث فيها من فائدة هي الاسم والنسب الدقيق لامّ الامام السجاد، وعلى الرغم من الجهود الحثيثة التي بذلها بعض الكتّاب في هذا المجال، الاّ أنّه وللاسف لم يطرح لحد الآن رأي دقيق ومقبول بهذا الشأن. اما القصّة التي تشير الى ان أمه هي بنت يزدجرد الثالث آخر ملوك ايران من سلسلة الساسانيين، فقد تعرضت في الآونة الاخيرة للكثير من النقد والتحقيق، والاسباب الكامنة وراء ذلك متعددة منها الخشية من ان يعوّل عليها اعداء الشيعة ويختلقون دوافع عاطفية وراء انتشار التشيّع في ايران ويجعلون ذلك ناشئاً من العلاقة السببية بين ائمة الشيعة والعائلة المالكة في ايران آنذاك.

وقد جمع احد المحققين جميع ـ او معظم ـ الروايات الواردة في هذا الصدد وتناولها بالدراسة والتحميص. هذا وقد اورد في موضوعه روايات معدودة تشير

الى أن امّه ام ولد. ورغم الاختلافات الموجودة في مفاد هذه الروايات وعدم انسجام بعضها مع روايات الفتوحات وغيرها، الا أن هناك امراً مسلّماً به هو ان لهذا الموضوع شهرته الواسعة وتداوله في أقدم نصوص الشيعة من امثال (واقعة صفين، ص١٣) و(تاريخ اليعقوبي) و(بصائر الدرجات) التي ألّفت باجمعها في القرن الثالث. وقد بحثنا في مقالة مستقلة ـ رغم اعترافنا بوجود الشكوك و الغموض في اصل الموضوع ـ علاقة هذا الموضوع بانتشار التشيّع في ايران. ونقدنا التوهّم القائل بوجود علاقة بينهما وبشكل مناسب ومقنع.

### امامة السّجاد عليه السلام

استناداً الى النصوص التي رواها كبار محدثي الشيعة في جوامع حديثهم فان الامام السجاد عليه السلام هو وصي ابيه الامام الحسين عليه السلام وخليفته من بعده، وقد نقل هذه النصوص الكليني وغيره من اساطين الشيعة والروايات المنقولة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بخصوص اسماء الائمة الاثنى عشر للشيعة تثبت هذا الموضوع.

وبغضّ النظر عن ذلك، فانَّ قبول المجتمع الشيعي للامام السجاد كإمام رابع ووصي للحسين بن علي عليه السلام، ومقبوليته العلمية من قبل الشيعة على مر التاريخ، يُعتبر بذاته دليلاً ناصعاً على صدق هذه الوصاية، وليس من شبهة في امامته سوى ما اعترى في ذلك المقطع الزمني بعض محبّي اهل البيت من الشيعة نتيجة لتسمية محمد بن الحنفية بالامامة وهو ما ادّى الى حصول انحراف بين اوساط الشيعة فيما بعد. وسنشير الى هذا الموضوع باختصار في الفصول اللاحقة. وبما ان نصوص الشيعة تشير الى لزوم وجود بعض الاشياء لدى الائمة مثل سيف ودرع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فان وجودها لدى الامام السجاد عليه السلام قد ذكر بصراحة، حتى في مصادر

اهل السنّة ايضاً[1].

## الشخصية العلمية والاخلاقية للامام السّجاد عليه السلام

اصبحت القيم الدينية في عهد الامام السجاد عليه السلام عرضة للتغيير والتحريف على يد الامويين. فقد بلغ تطاول بني امية على اصول الحقوق الاجتماعية حدّاً الزم فيه سكان مركز من مراكز الاسلام الاولى والمهمة هو المدينة ـ المدينة التي ترعرعت في احضانها رسالة النبي، وازدهرت واينعت في ظلالها الوارفة... المدينة التي دافع اهلها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دفاعاً بطولياً وناصروه ضد طاغوت الكفر والعصيان ـ بمبايعة يزيد وقائد جيشه مسلم بن عقبة على انهم عبيد له، واضحت احكام الاسلام ألعوبة بيد اشخاص مثل ابن زياد والحجاج وعبدالملك بن مروان. فقد خالف الحجاج ـ الذي كان يعتبر مقام عبدالملك افضل وارفع من مقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ ابسط قواعد الحقوق الاجتماعية في الاسلام وفرض الجزية على المسلمين وكان يسلم الناس لجلاّديه على ادنى سوء ظن.

فعندما يكون وضع الحكومة على هذه الشاكلة، يصبح من الواضح الى اي مدى سيتدنّى مستوى التربية الدينية للناس وتنبعث القيم الجاهلية من جديد، فقد رفعت الجاهلية رأسها شامخة بعد أن قبرت بمذلّة لتسود الساحة وتقضي على الثقافة الاسلامية الوليدة.

وفي ظل هكذا ظروف اجتماعية مريرة، شرع الامام السجاد عليه السلام بأهم عمل يهيّئ الارضية لارتباط الناس بالله بواسطة الدعاء، فملأ بعمله هذا فراغ الشخصية

---

(١) ابن سعد ـ الطبقات الكبرى. ج ١ ص ٤٨٦.

لدى الناس، ووضع بلسم الشفاء على الجراح العميقة التي احدثها آل أمية وجلاوزتهم في كرامتهم وشخصيتهم، ووضع في متناول أيدي الناس خطاً ومنهاجاً يسيرون عليه باتجاه القيم المعنوية، استطاعوا في ظله العثور على دوافع قوّية للحياة والبقاء وابعاد كابوس اليأس والكآبة القاتل الذي يستولي على الناس عادة عند ازياد الضغط والارهاب الاجتماعي واستعادة ذلك الشوق والحماس المفقود الذي يشكل العامل الاساس للحركة في الحياة. وبهذا الشكل بات الناس متأثرين بالمعنويات الرفيعة السامية للامام السّجادعليه السلام وازداد تعلقهم باسلوبه ومنهاجه وانخرط الكثير من طلبة العلم في سلك رواة حديثه فارتووا من زلال علمه المنبثق عن علوم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وامير المؤمنينعليه السلام.

يقول محمد بن سعد وهو من كبار المؤرخين في وصف الامام:

**«كان علي بن الحسين ثقة مأموناً كثير الحديث عالياً رفيعاً ورعاً»**[1].

وكتب الشافعي رسالة بشأن حجية الخبر الواحد قال فيها:

**«وجدت علي بن الحسين وهو افقه اهل المدينة يعوّل على الخبر الواحد»**[2].

فابن شهاب الزهري على الرغم من ارتباطه بالامويين والحقد الذي اوجد شرخاً عميقاً بين الامويين والشيعة، كان من جملة العلماء المعاصرين الذين تلقوا العلم بولع شديد وكان يثني على الامام دائماً بعبارات التجليل والاحترام. وقد

---

(١) ابن ابي الحديد ج ١٥ ص ٢٧٤.

(٢) ابن سعد ج ٥ ص ٢٢٢.

كتب له الامام في احدى المرّات رسالة نصحه فيها بضرورة اعادة النظر في[1] وضعه الحالي كآلة بيد السلطة الاموية. وحتى ان الامام وبخّه لاستخفافه في احد المرات بشخصية امير المؤمنين علي بن ابي طالبعليه السلام[2].

إلاّ انه مع ذلك كان روايًا لعلوم الامام السجّاد، كما يشاهد من نقله عنه في الكتب المختلفة[3] ولقد كان شديد الاعجاب باخلاق الامام السّجاد وكثرة عبادته اذ نقل انه: «**كان الزهري اذا ذكر علي بن الحسين يبكي ويقول: زين العابدين**»[4].

كما حكي عنه أيضاً انه كان يقول: «**لم أدرك احداً من اهل هذا البيت افضل من علي بن الحسين**»[5].

«**علي بن الحسين اعظم الناس منّة عليّ**»[6].

«**ما رأيت احداً أفقه من علي بن الحسين**»[7].

كما روي عن يحيى بن سعيد قوله: «**علي بن الحسين افضل هاشمي رأيته بالمدينة**»[8].

---

(١) تحف العقول ص ٢٠٠.
(٢) ابن ابي الحديد ج ٤ ص ١٠٢.
(٣) ر. ك. ابن سعد ج٨ ص ١٧٢، ابو نعيم، حلية الاولياء ج٣ ص ١٤١، كشف الغُمة ج ٢ ص ٨٦.
(٤) ابو نعيم، حليلة الاولياء ج٣ ص ١٣٥.
(٥) ابن الصبّاغ المالكي، الفصول المهمة ص ٢٠٣، الاربلي، كشف الغمة ج ٢ ص ٨٦.
(٦) ابن سعد ـ ج ٥ ص ٢١٤.
(٧) سير اعلام النبلاء، ج ٤ ص ٣٨٩، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ١٢ ص ١٩ ب، سيد الاهل زين العابدين، ص ٤٣.
(٨) الرازي، الجرح والتعديل ج ٦ ص ٢٧٨، البخاري التاريخ الكبير ج ٦ ص ٢٦٦.

ومن المحدّثين، كان ابو حازم يقول: «**ما رأيت هاشمياً افضل من علي بن الحسين ولا افقه منه**»[1].

وكفى بقول ابن ابي شيبة في فضل ومنزلة الامام السجادعليه السلام عند اهل السنّة بأن افضل سند هو «الزهري عن علي بن الحسين عن ابيه عن عليعليه السلام»[2]، وان كان الزهري موضع كلام.

ونُقل عن الجاحظ انّه كان يقول: «**الشيعي والمعتزلي والخارجي والعامّة والخاصة ينظرون الى شخصية علي بن الحسين نظرة واحدة ولا يشك احد في منزلته وفضله على الآخرين**»[3].

وسيأتي منّا فيما بعد أن اهم سبب في شهرة الامام وحبّ الناس الشديد له هي عباراته وجمله الجذابة التي صاغها بقالب الدعاء الذي ينير القلوب ويعيد اليها النشاط والحيوية ويعمرها بالقيم المعنوية يقول سعيد بن المسيّب وهو من مشاهير المحدّثين، في وصف شخصية الامام:

«**ما رأيت اوْرَعَ من علي بن الحسين**»[4].

واشتهر الامام في عصره بالقاب: علي الخير، علي الاغر، علي العابد، و...

ويقول مالك بن انس: «**لم يكن في اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل علي بن**

---

(١) سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص ص١٨٦، الاربلي ج٢ ص٨٠، العجلي تاريخ الثقات ص٣٤٥.

(٢) الذهبي، سير اعلام النبلاء ـ ج٤ ص٣٩١، تهذيب التهذيب ج٧ ص٣٠٥.

(٣) ابن عنبة، عمدة الطالب ص١٩٣.

(٤) ابو نعيم، حلية الاولياء ج٣ ص١٤١، الاربلي، ج٢ ص٨٠، ابن حجر، تهذيب التهذيب ج٧ ص٣٠٥، الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٤ ص٣٩١، في هامشه عن تاريخ دمشق ج٢ ص١٩ب.

**الحسين»**[1].

ويصفه ابن ابي الحديد بقوله: **«كان علي بن الحسين غاية في العبادة»**[2].

وكان يكثر من الخضوع والخشوع بين يدي الله، ويمرّغ جبهته في التراب، ويطيل في سجوده، فكانت آثار السجود ظاهرة على جبهته، وبسببها كان يُسمى بـ«ذي الثفنات»[3].

واورد ابن حبّان بشأنه **«وكان من افاضل بني هاشم من فقهاء المدينة وعُبّادهم، يقال علي بن الحسين سيد العابدين في ذلك الزمان»**[4].

وكتب ابو زهرة قائلاً: **«فعليٌّ زين العابدين كان امام المدينة نبلاً وعلماً»**[5].

وكان القاصي والداني يتحدث عن زهده وعبادته فقد روي: **«أنه اذا اراد الوضوء اصفرَّ لونه، ولما سُئل عن ذلك قال: أتدرون بين يدي من أريد ان اقوم»**[6].

يقول مالك: **«احرم علي بن الحسين، ولمّا لبّى اغمي عليه وسقط من فوق الجمل»**.

---

(١) ابن ابي الحديد ـ ج ١٥ ص ٢٧٣.

(٢) ابن ابي الحديد ج ١ ص ٢٧.

(٣) ر. ك. معجم الادباء، ج ١١ ص ١٠٣.

(٤) ابن حبّان ـ الثقاة ج ٥ ص ١٦٠.

(٥) الامام الصادق، ص ٢٢.

(٦) ابن الجوزي، صفوة الصفوة، ج ٢ ص ٥٥، الشبلنجي، نور الابصار ص ١٢٧، ابن سعد ج ٥ ص ٢١٦.

ويقول أيضاً: «**بلغني انه كان يصلي حتى وفاته في اليوم والليلة الف ركعة، وسمّي زين العابدين لكثرة عبادته**»[1].

ولما طُلب الى خادمته وصفه قالت: «**لم اجلب له طعاماً في نهار قط ولم ابسط له فراشاً في ليل قط**»[2].

وبينما هو يصلي في احد الايام اذ ظهرت له افعى، فواصل الامام صلاته من غير ان يلتفت لها. ومرّت من بين رجليه ولم يتحرك من مكانه[3].

ولم يكن اسوة في العبادة فقط، بل وفي التفكّر الذي تعدل ساعة منه عبادة سبعين سنة من عبادة الجن والانس.

نقل الزمخشري ان علي بن الحسين همّ بالوضوء فوضع يده في الماء ثم رفع رأسه فنظر الى السماء و القمر والكواكب ثم جعل يفكّر في خلقها حتى اصبح واذّن المؤذّن ويده في الاناء»[4].

واصبح كذلك مثلاً يحتذى به في التصدّق والاهتمام بالمساكين، وبعد شهادته عُرف ان مائة عائلة كانت تعيش من صدقاته ونفقاته[5]. وكانت آثار حمل الطعام الى الفقراء واضحة على ظهره اثناء تغسيله[6].

---

(١) الذهبي، سير اعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٩٢، ابن عساكر ١٢/ ٢١.

(٢) محمد علي دخيل، ائمتنا ج ١ ص ٢٦٥ عن المناقب ج ٢ ص ٢٥٥.

(٣) ابن ابي الحديد ج ١٠ ص ١٥٩.

(٤) ربيع الابرار ج ١ ص ١٢٨.

(٥) ابو نعيم، حلية الاولياء، ج ٣ ص ١٣٦، الاربلي، كشف الغمة، ج ٢ ص ٧٨، سير اعلام النبلاء، ج ٤ ص ٣٩٣.

(٦) ربيع الابرار ج ٣ ص ١٦٠ و ص ١٦٣.

وكان الناس ايضاً يكنّون له وافر الود والمحبّة فقد روي ان قرّاء المدينة كانوا لا ينطلقون نحو مكّة لاداء مناسك الحج ما لم يغادر الامام المدينة اولاً، وكان عندما يتحرك ينطلق وراءه الف راكب[1]. وفي السفر كان يخفي نسبه عمّن يرافقه ويقول : «**اكره أن آخذ برسول الله ما لا أعطي مثله**»[2].

وكما روى جُويرية بن اسماء قال: «**ما أكل علي بن الحسين من قرابته من رسول الله درهماً**»[3]

كانت هذه نبذة من فضائل الامام السجاد اللامتناهية.

## الامام السجاد عليه السلام والشيعة

بعد واقعة كربلاء مَرَّ التشيع باسوء ظروفه من ناحية الكم والكيف في بعده السياسي والعقائدي، وتحولت الكوفة من مركز مهم للميول الشيعية الى مركز خطير لقمع الشيعة. وقد استشهد في كربلاء كبار الشيعة المخلصين الذين جاءوا مع الامام الحسين عليه السلام من المدينة ومكّة او الذين التحقوا به من الكوفة.

ورغم ان عدداً كبيراً من الشيعة كان لا يزال في الكوفة، الاّ انهم لم يتجرّأوا على الاعلان عن وجودهم في ظل الظروف القاسية التي اوجدها ابن زياد هناك. وتعتبر حادثة كربلاء من الناحية النفسية هزيمة كبيرة واحباطاً نفسياً مريراً وساد المجتمع تصوّر بأن الشيعة قد ابيدوا، ولن يتاح لهم الظهور على الساحة السياسية كقوة مؤثرة. فقد استشهد في كربلاء عدد من اهل البيت وعلى رأسهم الامام

---

(١) الطوسي، اختيار معرفة الرجال. ص١١٧. طبعة مشهد.

(٢) الزمخشري ـ ربيع الابرار ـ ج٣ ص٦٩.

(٣) الذهبي ـ سير اعلام النبلاء ـ ج٤ ص٣٩١.

الحسين﵇، ولم يبقَ من ابناء الحسين﵇ إلاّ واحدٌ، ولم يكن له في تلك الظروف منزلة اجتماعية مهمة لا سيما وان الابن الاكبر للامام الحسين﵇ اي عليّ الاكبر قد استشهد مع ابيه.

وبعد تخلصه من قيود الاسر في المدينة وابتعاده عن العراق سلبت من حياة علي بن الحسين فرصة الاعلان عن وجوده، ويقول الاستاذ السيد جعفر مرتضى العاملي:

«تصور بنو امية من وجهة نظرهم السياسية بأنهم قد وضعوا نقطة الختام للحياة السياسية والاجتماعية لاهل بيت رسول الله حملة الاسلام الاصيل. فرغم انّهم كانوا يتعاملون مع الامور بدقّة سياسية وشيطنة خاصّة مستغلين الضعف الروحي والعقائدي للناس وكانوا غالباً ما يخرجون منها منتصرين، الاّ انهم غفلوا عن نقطة مهمّة وحسّاسة هي وجود الامام السّجاد. فهو وان كان يبدو شاباً يافعاً من ناحية السن وكان من السابق لأوانه لشاب مثله أن يخوض في النشاط السياسي ولم يكن له من الشهرة والنفوذ الاجتماعي ما يخشى منه، ولكنه من الناحية الروحية والشخصية كان ذا ابعاد سامية ورفيعة. فهو خلافاً لتوقعات المجتمع آنذاك شرع بنشاطه السياسي ـ الثقافي في المدينة. وكان عليه طبعاً الشروع من نقطة الصفر بسبب وضع الشيعة في تلك البرهة الزمنية واستقطاب الناس نحو اهل البيت، ذلك الينبوع الصافي الذي تنبثق عنه المعارف الاسلامية، وقد نجح في مسعاه هذا ايّما نجاح»[1].

ولقد اثبت التاريخ مدى النجاح الذي حققه الامام السّجاد فهو قد اضفى

---

(١) دراسات وبحوث في التاريخ والاسلام ـ ج ١ ص ٦٠ الطبعة الاولى.

على الشيعة حياة جديدة، وهيأ مستلزمات النشاطات اللاحقة للائمة من بعده كالامام الباقر عليه السلام والامام الصادق عليه السلام. ويشهد التاريخ على ان الامام استطاع -ومن خلال حركته ونشاطه المتواصل لمدة ٣٤ عاماً- ان يجتاز بالشيعة واحدة من احلك الفترات التي مرّوا بها،وهي الفترة التي امتازت بالقمع المتواصل للشيعة على يد الامويين والزبيريين، وكان من اوضح معالم هذه الفترة هي ولاية الحجاج على العراق لمدّة ٢٠ عاماً وتسلط عبدالملك بن مروان على جميع العالم الاسلامي والتي لا تميزها عن غيرها سوى قمع الشيعة، او قمع معارضي الامويين في اماكن أخرى كالخوارج او حركة عبدالرحمن بن محمد بن الاشعث. فقد كان سماع كلمة كافر اهون على الحجاج من سماع كلمة شيعي.

## العلاقة بين الامام والتوابين

في تلك الأيام قامت في العراق حركتان شيعيتان وانتهت كلتاهما الى الفشل، وبقي الشيعة لسنوات طويلة عرضة لتهديد الامويين بالقتل والحبس والتعذيب. كانت احداهما حركة التوابين بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي وعدد آخر من وجوه الشيعة في الكوفة. وقد ادعى ان زعيم التوابين اعترف بامامة علي بن الحسين عليه السلام[1]، ولكن لم يعثر على دليل هذا الادعاء في المصادر الاوليّة. والمهم في هذا الامر هو أن التوابين كانوا عازمين على تسليم قيادة المجتمع الى اهل البيت -فيما لو نجحوا في مسعاهم طبعاً- ولم يكن احدٌ من نسل فاطمة أليق بهذا الأمر من علي بن الحسين عليه السلام.

فمن جملة القضايا التي دعا التوابون الناسَ اليها هي قضية الدعوة العامة

---

(١) جعفري، تشيع در مسير تاريخ ص٢٨٦. دفتر نشر فرهنك اسلامي.

لاهل البيت. وبعبارة اخرى انهم جعلوا الدعوة الى اهل البيت على رأس برامجهم واهتماماتهم.

فكان عبيدالله بن عبدالله يحثّ الناس على الثورة فيقول لهم: «**أنا ادعوكم الى كتاب الله وسنّة نبيّه والطلب بدماء اهل بيته والى جهاد المحلّين والمارقين فان قتلنا فما عند الله خير للابرار وان ظهرنا رددنا هذا الامر الى اهل بيت نبيّنا**»[1].

ولما اصطفّوا لمقاتلة جيش الشام. اوضحوا اسباب ثورتهم بما يلي: «**اننا لو انتصرنا فسنرد الامر الى اهل بيت نبيّنا الذين آتانا الله من قبلهم بالنعمة والكرامة**»[2].

بدأت حركة التوابين تنشط بشكل سرّي بعد حادثة كربلاء الأليمة، ووصلت اوجها خلال السنتين ٦٤ و ٦٥ للهجرة، واضحت تشكّل تهديداً خطيراً لابن زياد واعوانه في واقعة كربلاء.

وقيادة هذه الحركة، وكما اشرنا سابقاً، كانت بيد احد صحابة رسول الله الذي اصبح فيما بعد من صحابة امير المؤمنين عليه السلام المقرّبين ايضاً، وهو سليمان بن صرد الخزاعي فقد اتفق هو وجماعة من اصحاب امير المؤمنين عليه السلام من وجهاء الشيعة وزعمائها على دعوة الشيعة في الكوفة الى الثورة على ابن زياد وقتلة الحسين عليه السلام من اجل التكفير عن موقفهم المتخاذل في مناصرة الامام الحسين عليه السلام

---

(١) الطبري ج ٤ ص ٤٣٣. وراجع كتاب ابن مسكويه، تجارب الامم ج ٢ ص ٩٧.

(٢) الطبري ج ٤ ص ٤٦٤، البلاذري ج ٥ ص ٢١٠، ابن الاعثم ج ٦ ص ٨٢، ابن مسكويه تجارب الامم، ج ٢ ص ١٠٩.

وعدم مساندته والذود عنه في ثورته على الامويين.

وقد كانت الكوفة آنذاك قد سقطت بيد الزبيريين الذين يكنّون في باطنهم عداءً خفياً لاهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وخاصّة الامام علي عليه السلام، ولكنّهم كانوا ينظرون الى الموضوع من جانب آخر اذ كانوا يعتقدون ان كلّاً من التوابين وابن زياد عدوّ لدود لهم، وان الصراع العسكري فيما بينهما سيؤدي الى اضعاف كلا الجانبين وانهاك قواهما ولذلك لم يخلقوا أية عقبة تحول دون ثورة التوابين، بل دفعوهم ايضاً نحو الاصطدام مع ابن زياد. وكان الدافع الاصلي لحركة التوابين منبثقاً من شعور عاطفي شديد منشؤه واقعة كربلاء الفجيعة، وما تثيره لديهم من تأنيب الضمير والشعور بالذلّة والعار الناتج عن التقصير في مناصرة الامام الحسين عليه السلام وكانوا يعتقدون ان ذلك العار لا يزول الاّ بمحاربة قتلة سبط النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فقرروا ان يضحّوا بأنفسهم في هذا السبيل ليتمكنوا من خلال سحقهم للحياة الدنيا من سلوك الطريق المؤدية الى الحياة الابدية بنفس مطمئنة ورأس مرفوع وساحة مبرّأة من العيوب ومنّزة عن الذنوب، ولهذا كانوا ينادون عند تركهم الكوفة: «**إنا لا نطلب الدنيا وليس لها خروجنا**»[1].

وكان عددهم اربعة آلاف رجل. وان كان الذين بايعوا سليمان ضعفي او ثلاثة اضعاف هذا العدد الا أن عدم مشاركتهم يعود الى الموقف السلبي للمختار ابن ابي عبيدة تجاه سليمان اذ كان المختار يرى انه لا يمتلك الكفاءة والتجربة العسكرية الكافية وانه قد وضع اتباعه على حافّة الفناء.

---

(١) الطبري - ج٣ ص٤٥٥.

ولهذا تخلّف الكثير من الشيعة الذين بايعوا سليمان وعاهدوه على المقاتلة طلباً لثأر الامام الحسين، وامتنعوا عن المشاركة في جيشه.

وكيفما كان فقد واجهوا العدوّ وشبّت بين الجانبين حرب طاحنة ادت الى هزيمة جيش سليمان، فقتلت الغالبية العظمى من جيشه، وكان من بين القتلى سليمان وعدد من قادة جيشه، ولم يرجع الى الكوفة الاّ عدد ضئيل منهم.

وكان من المقرر في بداية هذه الثورة ان يشارك فيها ايضاً شيعة البصرة والمدائن الى جانب سليمان، الا انهم لم يتمكنوا ـ وفقاً للروايات الصحيحة ـ من المشاركة فيها.

ويبدو ان سليمان واتباعه لم يكونوا يدركون الجوانب السياسية لهذه القضية كما كان يدركها المختار الثقفي او انهم كانوا تحت تأثير المشاعر العاطفية الجيّاشة التي لم تسمح لهم بالالتفات الى هذه الجوانب. ولهذا فانهم قاتلوا بكل شجاعة واخلاص من اجل الوصول الى هدفهم في سحق عدوّهم، لكن ذلك ادى بهم الى الهزيمة.

وهذا يشبه الى حد بعيد ما واجهه المختار الثقفي في الكوفة بعد ذلك بفترة يسيرة، لكن امره انتهى به الى الفشل لأسباب اخرى من اهمّها الضغط الخارجي.

وبصورة عامة فان ثورة التوابين قامت على اداء كفّارة الذنب الذي ظلّ يعذّبهم بشدة وكان هذا الشعور مستولياً عليهم الى درجة كبيرة بحيث ترك تأثيره حتى على الجوانب السياسية للقضية وهذا الوضع النفسي لم يكن ليسمح لهم بالحصول على تقييم صحيح ودقيق للجانب السياسي للثورة.

ويمكن ادراك هذه الحالة من خلال الاراجيز التي كان يرددها جيش سليمان

اثناء القتال. فقد كان احدهم يردد في ميدان الحرب:

**اليك ربّي تبتُ عن ذُنوبي     وقد علاني في الورى مشيبي**[(١)]

وآخر كان يقول:

**اِرحم اِلهي عبدك التوّابا     ولا تؤاخذه وقد أنابا**[(٢)]

## علاقة الامام بالمختار

تضمنت ثورة المختار وعلاقته بالامام السجاد بعض المشاكل لا على الصعيد السياسي فقط، بل على الصعيد العقائدي ايضاً. فقد نقل عن المختار وبعد ان احرز بعض النجاح في استقطاب بعض الشيعة في الكوفة، انه استعان بالامام علي بن الحسين عليه السلام لمساعدته في مواصلة نشاطه، لكن هذه الاستعانة لم تلق ترحيباً واستقبالاً من الامام[(٣)]. وكان موقف الامام يتناسب الى حدٍ بعيد مع تجارب الامام منذ زمن امير المؤمنين عليه السلام الى زمن ابيه والى حركة التوابين في الكوفة، اذ كان من غير المنطقي في نظره، وفي ظل تلك الظروف الاستثنائية التي افقدته أية ثقة بالكوفة ان يعمد الى القيام بعملٍ يؤدي الى فناء الشيعة الكامل هذه المرّة. اضف الى ذلك ان ماهية حركة الامام في فترة امامته تعكس بوضوح ان مهمته الاساسية لا ترتبط بالسياسة بل كان في الكثير من المواقف يضع نفسه خارج اطار السياسة حتى انه كان يتحاشى ويحتاط كاملاً من اي عمل قد

---

(١) ابن الاعثم ج٦ ص٨٣.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) الطوسي ـ اختيار معرفة الرجال ص١٢٦.

يتذرّعون به ضده، لكي يتمكن وارث سلالة الاسلام المحمدية من اداء رسالته في سياق الزمن.

واما الاشكال على الصعيد العقائدي في القضية فقد نشأ عندما طلب المختار الاسناد والتأييد من محمد بن الحنفية. وقد لبّى ابن الحنفية طلب المختار ـولو بصورة غير رسمية ـ واشيع منذ ذلك الوقت بان امامة محمد بن الحنفية مقبولة بين شيعة العراق. ورغم ان هذه القضية غير يقينية، الاّ ان فرقة اشتهرت فيما بعد اسماً او رسماً بالكيسانية وقد ابتدأت قصّتها في زمن المختار.

وكان مَردُّ رسوخ بعض الاسس الفكرية للغلاة لدى جماعة من شيعة الكوفة هو المختار نفسه، اذ اشيع انه كان له الدور الفاعل في ظهور الغلاة فيما بعد، وهناك اسباب أخرى متعددة لا يسع المجال لذكرها تعرّضنا لها في مواضع أخرى ومع ان حول جميع هذه القضايا ومن بينها وجود فرقة باسم الكيسانية تعتقد بامامة او مهدوية محمد بن الحنفية يكتنفها الشك وتحيط بها هالة من الغموض والابهام، الاّ أن هناك ادلّة تشير الى أن الامام السجاد قد اتخذ موقفاً من الغلاة، وهذا ينمّ عن وجود انحراف لدى شيعة العراق كان يمنع الامام من مساندتهم او اقامة اية علاقة مباشرة معهم.

فقد قال الامام السّجاد في احدى المرّات مخاطباً جماعة من اهل العراق: «**أحبّونا حبّ الاسلام ولا ترفعونا فوق حدّنا**»[1].

ويقول ابو خالد الكابلي ايضاً سمعنا الامام السجاد يقول: «**ان قوماً من**

---

(١) ابو نعيم حلية الاولياء، ج٣ ص١٣٦، وراجع كتاب، سير اعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٩٠، ابن سعد ج ٥ ص٣١٤.

**شيعتنا سيحبّونا حتى يقولوا فينا ما قالت اليهود في عُزير وما قالت النصارى في عيسى بن مريم فلا هم منّا ولا نحن منهم»**[1].

وتفيد مصادر الشيعة انّ محمد بن الحنفية لم يكن منحرفاً عن الاصول الاعتقادية للشيعة وانه كان يؤمن بعلي بن الحسين عليه السلام كامام وحجّة بينه وبين الله. اذا اعتقدنا بهذا اصبح من العسير جداً اثبات ان محمد بن الحنفية قد ادعى لنفسه امامة شيعة الكوفة. ولو فرض ثبوت ادعائه ذلك فانه لابد من افتراض عدد من الافتراضات تقوم على انه اتخذ من نفسه وقاءً وغطاءً للامام السجاد عليه السلام لصيانته من الاخطار المحتملة من قبل بني اميّة. مع ان مثل هذا الافتراض لا يستند الى اي دليل سوى اعتقاده الجازم باهل البيت.

اما بالنسبة للمختار فقد نسبت اليه الكثير من التهم الباطلة الكاذبة، ولا يمكن التصديق بسهولة ان الامام السجاد اتهمه بالكذب اذ ينقل عنه انه قال: «المختار يكذب على الله ورسوله»[2]، بل ان الثابت لنا عكس ذلك، فعندما ارسل له المختار رأس عبيدالله بن زياد المجرم الاصلي والمسبب الاساس لمذبحة كربلاء الفجيعة، دعا له الامام وقال: «**جزى الله المختار خيراً**»[3].

وورد في ذلك انه: «**لم يبق من بني هاشم احدٌ الاّ قام بخطبة في الثناء على المختار وجميل القول فيه**»[4].

وروي ايضاً عن الامام الباقر عليه السلام انه قال: «**لا تسبّوا المختار فانّه قتل**

---

(١) الطوسي ـ اختيار معرفة الرجال.

(٢) ابن سعد ج ٥ ص٢١٣.

(٣) الطوسي ـ اختيار معرفة الرجال ص١٢٧.

(٤) ابن سعد ج ٥ ص٢٨٥.

**قتلَتَنا، وطلب ثارنا، وزوّج ارامِلنا، وقسّم فينا المالَ على العُسرة»**[1].

ولما سأله ابنه عن موقفه ازاء المختار اظهر له ايجابية الموقف[2].

وعلى ايّة حال لم تدم ثورة المختار طويلاً اذ سرعان ما أخمدت عام ٦٧ للهجرة على يد الزبيريين.

اما الحصيلة النهائية التي يمكن ان تستخلص من مجموع الدراسة التي تمّت حول شخصية المختار واتجاهه السياسي فيمكن القول:

رغم أن المختار كان من وجهة النظر الاعتقادية والمشاعر المذهبية شخصية مهذّبة وبريئة من التهم التي نسبت اليها والاكاذيب التي لفّقت ضدها، الاّ أنه كان يميل الى التعامل السياسي في سلوكه الاجتماعي. فقد كان يتصور انه لو تمكن من اقناع احدى شخصيات اهل البيت لتزعّم حركة الثورة، فانه سيكون في مأمن من المؤامرات التي كان من المحتمل ان يدبّرها ضدّه اعداؤه خاصة الزبيريين، ورغم ذلك فقد تسبب استناده واعتماده على شخصية محمد بن الحنفية في حصول مشاكل كثيرة له ويمكن القول ان سلوكه السياسي قد تغلّب على الجانب الديني من سلوكه.

ومع ان المختار احرز انتصارات سياسية باهرة لكن اعداءه خارج الكوفة وداخلها ممن قمعهم، اوجدوا في طريقه العديد من المعوّقات التي ادت اخيراً الى اسقاط ثورته التي صنعها وقادها بنفسه.

ومن ابرز خصائص حركته السياسية هو اعتماده المفرط على الموالي في

---

(١) الطوسي ـ اختيار معرفة الرجال ص ١٢٥

(٢) نفس المصدر السابق ص١٢٦.

الكوفة، والذين يشكل الايرانيون الغالبية العظمى منهم، بحيث ان الثقل الاكبر في تحرك المختار ضد مجرمي كربلاء وقع على اكتافهم، وكان من الواضح انّه سيواجه مصاعب جمّة من جرّاء اتباعه لهذا النظام، ونتيجة لوجود التعصب الشديد بين العرب المنبثق من الايحاءات الشيطانية التي كان يقوم بها الامويون وبعض الحكّام والخلفاء الذين جعلوا رؤية المسلمين العرب وفهمهم وتقييمهم وسلوكهم تصبّ جميعاً في قالب توجّهاتهم الفكرية الخاصة. وان الاتكاء على الموالي قد اتاح لهم الفرصة ايضاً لادانته من وجهة نظر الطبقة العربية في المجتمع الاسلامي والتي كانت تشكل آنذاك اقوى فئة في المجتمع الاسلامي. ورغم كلّ هذه الظروف فقد استطاع وبالاعتماد على هؤلاء الاشخاص الاستمرار لمدّة اكثر من عام (٦٦ـ٦٧).

## الامام السّجادعليه السلام واصحابه

ان الانحراف الذي اشرنا اليه، وكذلك شبهة الامامة التي ظهرت واشيعت بين اهل الكوفة حول محمد بن الحنفية خلافاً لرغبته، قد جعل البعض منهم حائراً في معرفة الوصي الذي عينّه الحسين بن عليعليه السلام. فقد اقرَّ القاسم بن عوف وهو احد اصحاب السجادعليه السلام بانه كان متردداً في بداية الامر بين علي بن الحسينعليه السلام ومحمد بن الحنفية[1].

ومنهم كما يقول الكشي: ابو حمزة الثمالي وفرات بن الاحنف[2].

وهناك اختلاف حول سعيد بن المسيّب، فقد اعتبره البعض من اصحاب الامام السّجادعليه السلام ولكنه ظاهراً كان يحكم وفقاً لفتاوى العامة. وورد في كتاب

---

(١) الطوسي ـ اختيار معرفة الرجال ص ١٢٤ ط. مشهد.

(٢) نفس المصدر السابق.

رجال الكشي ان موقف ابن المسيّب انما كان بهدف التخلص من مخالب الجور والقتل الاموي.

وعلى كلّ حال فانه كان يكنّ للامام احتراماً لا ينكر. وكان ينهل منه العلم والاخلاق، الاّ انه لم يشارك في تشييع جنازة الامام، واعترض عليه الناس بشدة[1].

واما ما عدا هؤلاء فقد كانوا يعتبرون ـ وطبقاً لمصادر الشيعة ـ من اخلص الناس واكثرهم استقامة. فقد ورد في رواية ان اشخاصاً معدودين وقفوا الى جانب علي بن الحسين في الايّام الاولى لامامته هم: سعيد بن جبير وسعيد بن المسيّب ومحمد بن جبير بن مُطعم ويحيى بن ام طويل وابو خالد الكابلي[2].

وكما ذكرنا سابقاً، فقد تعرض المجتمع الشيعي بعد واقعة كربلاء الدامية الى ضعف وتشتتٍ شديد، ولم يكن احتمال سقوطه وانقراضه التاريخي بعيداً لا سيما وان البقية المتبقية من المجتمع الشيعي آنذاك تعرّضت للانشقاق والفرقة واصيبت نتيجة ذلك بالانحراف والضياع. وفي مثل هذه الظروف العصيبة المضطربة بدأ الامام السجاد ممارسة مهمته. فشرع اوّلاً بالاستناد الى احاديث رسول الله المروية عنه ﷺ بواسطة امير المؤمنين والحسنين عليهما السلام والتي تألّفت منها ومن الاحاديث الاخرى المنقولة عن سائر ائمة الشيعة، سنّة النبي الموثقة المعتمدة من وجهة النظر الشيعية، بتجديد المنهاج الفقهي لدى الشيعة، وبلورة أسسه ونشر واشاعة نمط التفكير الشيعي لصيانتها من التمزق والانحراف ورفدها بحياة جديدة.

---

(١) نفس المصدر السابق ص١١٦.

(٢) نفس المصدر السابق ص١١٥.

ورغم جهود الامام المتواصلة التي ادّت طبعاً الى بقاء الشيعة الاّ أنّ المدينة وبسبب الانحرافات الفكرية التي سادتها منذ صدر الاسلام، وما نتج عنها من اجواء متشائمة من الخط الفكري الشيعي،لم تكن مناخاً مناسباً لتنامي الشيعة كما قال السجادعليه السلام: **«ما بمكّة والمدينة عشرون رجلاً يحبّنا»**[١].

## موقف الامام من الامويين

كان اول موقف للامام مع ولاة بني امية بعد واقعة كربلاء هو موقفه من عبيدالله بن زياد في دار الامارة بالكوفة، اذ سأله ابن زياد في هذا اللقاء عن اسمه فاجابهُ الامام ان اسمه علي. فقال له ابن زياد: **ألم يقتل الله عليَّ بن الحسين في كربلاء؟ فأجابه**عليه السلام: **كان لي اخ يدعى علياً قتله الناس. فقال ابن زياد: بل قتله الله. فقال الامام: ﴿الله يتوفى الانفس حين موتها﴾**[٢] كناية عن ان الله هو الذي يقبض ارواح الناس عند انتهاء آجالهم، لكن اهل الكوفة هم الذين قتلوه.

واراد ابن زياد قتله، لكن زينب ابنة اميرالمؤمنين تدخلت في الموضوع وحالت بينه وبين قتله[٣].

وتحدّث معه يزيد ايضاً في الشام ووجه له اللوم والتقريع[٤]. ثم أتيحت للامام فرصة مؤاتية لارتقاء المنبر فاورد خطبة غرّاء عَرّف بها الناس بنفسه ونسبه، وكان الامويون قد ضلّلوا اهل الشام بدعاياتهم ولم يتيحوا لهم معرفة اهل

---

(١) ابن ابي الحديد ج ٤ ص ١٠٤، وراجع كتاب البحار ج ٤٦، الغارات ص ٥٧٣.

(٢) الزمر / ٤٢.

(٣) الطبري ـ ج ٥ ص ٢٣١ ط غز الدين، المنتخب من ذيل المذيل ص ٦٣٠.

(٤) ابن عبد ربّه ـ العقد الفريد ج ٥ ص ١٣١.

بيت النبي كما ينبغي، فاطلعوا من خلال خطبة الامام على بعض الحقائق ولهذا السبب منعه يزيد من مواصلة الخطبة وانزله من على المنبر. ثم سعى يزيد الى حفظ ماء وجهه فالقى بالذنب في قتل سيد الشهداء على ابن زياد، وارسل علي بن الحسين وبقية اسرى كربلاء الى المدينة بكل احترام.

وبعد واقعة كربلاء ثار اهل المدينة ضد الامويين ومهّدوا الامور لواقعة الحرّة وكانت تلك الثورة بقيادة عبدالله بن حنظلة المعروف بغسيل الملائكة، وكان الدافع من ورائها هو حياة اللعب والفسق والفجور التي كان يحياها يزيد وكانت تلك الثورة ذات طابعٍ معادٍ للامويين.

وقد اتخذ الامام في هذا الامر موقفاً محايداً وخرج من المدينة بصحبة عدد من افراد عائلته ولم يشارك في تلك الثورة بصفته زعيماً للشيعة، لأن اي تعاون له مع القائمين بالثورة كان سيجلب على الشيعة اشد الويلات والمخاطر، لان تلك الحركة كانت غير محسوبة النتائج ولم يكن لها موقف سياسي متين وواضح.

وعلاوة على هذا، فعندما طرد الناس الامويين من المدينة في بداية اندلاع الثورة، تقدم مروان بن الحكم الى الامام وطلب منه ايواء زوجته فاستجاب الامام لطلبه بمقتضى رجولته وعطفه الذي لا يبخل به حتى على الدِّ اعدائه فآوى زوجة مروان وجعلها في مأمن من اذى الثوار.

وقد فسر الطبري فعل الامام هذا بوجود صداقة قديمة تربطه بمروان[1]. بينما يشير الاختلاف الفاحش في السن بينهما وكذا السلوكية العدوانية للامويين ازاء أب الامام وجدّه وكل بني هاشم، الى ان رأي الطبري هذا ليس سوى تهمة لا

---

(١) الطبري ج٥ ص٢٤٥.

اساس لها من الصحّة.

ولما قمع مسلم بن عقبة المعروف بالمسرف ثورة اهل المدينة وارتكب اكثر الجرائم وحشية ودموية في العصر الاموي، عامل علي بن الحسينعليه السلام معاملة خاصة تتسم بالاحترام واللين وذلك بسبب عدم مشاركته في ثورة المدينة لكنّ المسرف كان يعزو احترامه وسلوكه هذا لتوصية شخصية من يزيد بشأن الامام فهو عندما طلب من اهل المدينة البيعة ليزيد على انهم عبيد له، اكتفى من الامام السجاد بتلك البيعة المتعارفة[1].

وينبغي للتعرف الدقيق على الموقف السياسي والاجتماعي لكل واحد من الائمة من الاخذ بنظر الاعتبار الظروف الخاصة بكل عصر وواجب كل امام في تلك الفترة علاوة على الوضع السياسي العام السائد في المجتمع المعاصر لذلك الامام ومدى امكان المواجهة العسكرية والفرصة لاعداد الصفوف المقاتلة. وفوق ذلك في الاهمية ضرورة المحافظة على الاسلام الاصيل في مختلف الظروف وملاحظة عنصر الغيب، لأن مثل هذه الظروف وهي التي تحدد الخطوط الاساسية لسياسة ونمط حركة كل امامٍ في مجتمعه.

ومن الطبيعي ان كل ظرف يقتضي عملاً خاصاً، وكل عاقل يدرك عدم امكانية اتباع سياق عمل واحد في الظروف المختلفة.

وفيما يخص الامام السجادعليه السلام فانه ـ كما اشرنا سابقاً ـ وجد نفسه في اجواء سياسية واجتماعية أملت عليه صبَّ كل اهتمامه على صياغة شكل جديد للمذهب الشيعي الذي لم يكن في ذلك الوقت على هيئة فئة معيّنة في المجتمع، ونشره

---

(١) ابن ابي الحديد ج٣ ص٢٥٩، ابن سعد ج٥، الاربلي كشف الغمة ج٢ ص١٠٧.

والمحافظة عليه.

وفي ذلك الوقت كان الامام موضع سوء ظن من قبل الامويين، وكانت ادنى حركة منه ستجلب له اسوء العواقب. وفي ظل هذه الظروف يكون طبيعياً من الامام ان يعتبر اية حركة لا تساوي تحمّل مثل هذه العواقب الوخيمة.

وكان من أهم المبادئ الدينية التي ساعدت الامام على المحافظة على نفسه وشيعته واتباعه من الاجراءات القمعية لاعدائه هو مبدأ التقية. فالتقية كانت بمثابة الدرع الذي صان وجود واستمرارية حياة الشيعة على مر التاريخ، وقد كان ائمة الشيعة يؤكّدون على اتباعهم دوماً بضرورة رعايته والالتزام به بدقة. كما كان طبيعياً أن تنكر بعض الجماعات ـ التي لم تتعرض لاي ضغط سياسي، فكانت تعمل بحرية مطلقة بل كانت تحظى بدعم السلطات الحاكمة ايضاً فلم تكن بحاجة الى النشاط الخفي (التقية) ـ مبدأ التقية بهدف اضعاف الشيعة، رغم الوجود الصريح لهذا المبدأ في القرآن والسُنّة.

فقد ورد في رواية عن الامام السجاد عليه السلام انه قال: «**من ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كمن ترك القرآن وجفاه الاّ من كان في تقيّة. فقيل له: وما التقية؟ قال: يخاف جباراً عنيداً يخاف ان يفرط عليه أو يطغى**»[1].

ومبدأ التقية هذا وان كانت جذوره موجودة في القرآن. الاّ انّ أئمة اهل البيت كانوا كثيراً ما يؤكّدون على ضرورة مراعاته من الناحية الفقهية، وكانوا اكثر الناس تقيّداً به. وكان الامام السجاد يعيش حقيقة في ظروف مضطربة تفرض عليه انتهاج سبيل التقية، اذ لم يكن امامه سوى اختيار ذلك الطريق.

---

(١) ابن سعد ـ ج ٥ ص ٢١٤، ابو نعيم نفس المصدر ج ٢ ص ١٤٠.

ورد في رواية ان رجلاً دخل على الامام السجاد وسأله: «**يا ابن رسول الله كيف أنتم؟. فقال له: أوَما آن لكم أن تعلموا كيف نحن؟ انّما مثلنا في هذه الامة مثل بني اسرائيل كان يذبح ابناؤهم وتستحيا نساؤهم، الا وان هؤلاء يذبّحون ابناءنا ويستحيون نساءنا. زعمت العرب ان لهم فضلاً على العجم. فقالت العجم؛ وبما ذلك؟ قالوا: كان محمد منا عربياً. قالوا لهم صدقتم، وزعمت قريش الفضل على غيرها من العرب وقالت كان محمد منا. فان كان القوم صدقوا فلنا فضل على الناس لأنا ذرية محمد واهل بيته وخاصّته وعترته لا يشاركنا في ذلك غيرنا. الا أنهم ظلمونا ولم يعطونا حقنا، فان كنت لا تعلم فهكذا نحن**».

يقول الراوي كان الامام يتحدث وكأنه يريد أن يُسمع من حوله[1].

وفي العبارة اعلاه شبّه وضع اهل البيت في آل أمية بوضع بني اسرائيل في آل فرعون. وهذا خير توضيح للأوضاع المزرية التي تعرض لها هو واهل بيته وانصاره. والذي يسترعي الانتباه هنا هو ان الامام وفي مثل هذه الظروف العصيبة اتخذ نفس نمط الاستدلال الذي اتبّعه امير المؤمنين عليه السلام في مواجهة قريش حيث يشير هناك الى ان قريش غلبت خصومها بالاستدلال بقرابتها من رسول الله واخذت الخلافة لنفسها، وبناء على هذا الاستدلال فينبغي ان يكون امير المؤمنين علي عليه السلام احق الناس باستلام زمام امور الدولة الاسلامية الواسعة. وهكذا كان الامام يسعى الى اثبات احقّية اهل البيت بمقام الخلافة وانه لا يغض النظر عن هذا الحق في احلك الظروف.

---

(١) ابن سعد ـ ج ٥ ص٢١٨، الطبري ـ المنتخب من ذيل المذيل ص ٦٣١، وقد نسبت الرواية اعلاه في امالي الشيخ الطوسي ص ٩٤ البحار ج ٤٦ ص ٢٦٠ الى الامام الباقر عليه السلام.

ولما حدثت واقعة الحرة وقتل فيها عدد كبير من صحابة رسول الله وابنائهم، وهوجمت الكعبة واضرمت فيها النيران على يد مسلم بن عقبة وخليفته من بعده الحصين بن نمير، ولم يكن خلالها من يجرؤ على الاعتراض على هذه الاعمال المعادية للاسلام. وفيما اصبح سبُّ امير المؤمنين عليه السلام من فوق المنابر سنّة جارية، اذا تركها الخطيب رفع الناس اصواتهم بالاعتراض... في ظل تلك الاوضاع لم يكن لدى الامام سوى عدد معدود من الصحابة المقرّبين، كما لم يكن بامكانه القيام بعمل فاعل ورادع، ولذا فانه راى انّ الوضع يُحتم عليه تجميع الشيعة من جديد بعد تعرّضهم للتشتت وتربية جماعة من الصحابة على الاسلام الاصيل وتزويدهم بالعلوم والمعارف الاسلامية الاصيلة والحقيقية، وتجديد بناء المجتمع الشيعي في الفرصة المناسبة لكي ينقذ بعمله هذا الاسلام الاصيل من النسيان في خضم الاحداث التاريخية، ولهذا فقد كان ينصح الانصار الذين يأتون اليه من اقاصي البلاد بالصبر، ويوصيهم بالتحمل، وينهاهم عن اشهار السلاح الذي لم يكن يثمر شيئاً سوى الموت[1].

### استفادته من سلاح الدعاء

عندما أصيب المجتمع الاسلامي بالانحراف وغلب عليه حب الرفاه والميل الى الدنيا وطغت عليه مظاهر الفساد السياسي والاخلاقي والاجتماعي، واستولت عليه حالة من الكبت وسرت في اوصاله سريان السرطان فلم يبق للمجتمع منفذاً للتنفّس، استفاد الامام السجاد عليه السلام من الدعاء لطرح بعض المعتقدات والمباني الثقافية الاسلامية فأوجد لدى الناس مرة أخرى اندفاعاً وحركة نحو

---

(١) ابن سعد ج ٥ ص٢١٦.پ

العبادة والتوجّه الى الله. ومع ان الهدف الرئيس من تلك الادعية هو العبادة، الا أن التمعن في العبارات الوارِدة بين طيّاتها يمكن ان تدلنا على المفاهيم السياسية التي يقصدها الامام.

فالصحيفة السجادية التي تشتمل على اكثر من خمسين دعاءً، لا تشكل في الحقيقة الا بعضاً من ادعية الامام السجادعليه السلام. فهناك مجاميع أخرى من الادعية اعدّت بصورة كتب بلغ تعدادها مع الصحيفة المشهورة ستة كتب يحتوي بعضها على اكثر من ١٨٠ دعاءً[١].

وهذه الادعية غير موجودة لدى الشيعة فقط بل هي متداولة ايضاً على ألسِنة اهل السنّة[٢]. وهذا ما يشير الى ان ادعية الامام السجادعليه السلام قد نفذت حينذاك الى اعماق ذلك المجتمع وقد استفاد منها كلا الفريقين باعتبارها طريقاً يؤدّي الى الله وحلقة وصل بين المخلوق والخالق.

وهنالك تعبير غالباً ما يتكرر وجوده بين تلك الادعية وقلّما تجد دعاءً يخلو منه هو «**الصلاة على محمد وآل محمد**» وقد استخدمت هذه العبارة في وقت اصبحت تسمية الاشخاص باسم علي امراً مستهجناً من قبل حكّام بني أمية، وجريمة يُعاقب عليها. وتعرّض الناس تحت هذه الذريعة للتهديد والملاحقة، وكأن الامر ما كان ليستقيم لسلاطين آل أمية الاّ بسب علي امير المؤمنينعليه السلام[٣]، وهنا تتضح قيمة هذه العبارة والهدف من تكرارها. وهناك تعابير مثل: **محمد وآله الطيبين الطاهرين الاخيار الانجبين**، وهي من الامثلة التي تكررت مرّات

---

(١) آقا برزك طهراني ـ الذريعة ج١٥ ص٢٠.

(٢) ابن ابي الحديد ج١١ ص١٦٢ وج ٦ ص١٨٦ وج ٥ ص١١٣.

(٣) ابن ابي الحديد ج١٣ ص٢٢٠، البلاذري ـ انساب الاشراف ج١ ص١٨٤.

متعددة في تلك الادعية.

ان تأكيد الامام على قضية محمد وآله امرٌ فرضه الله في الصلاة عليهم، ويحظى باهميّة بالغة في تبيان عقائد الشيعة. وقبل التطرق الى نقل مضامين من ادعية الامام الواردة في الصحيفة السجادية، نرى من المناسب هنا ايراد حديث عنه في تحكيم آصرة محمد وآله، فقد ورد عنه انه قال: «**ان الله فرض على العالم الصلاة على رسول الله وقرننا به، فمن صلّى على رسول الله ولم يصلِّ علينا لقي الله تعالى وقد بتر الصلاة عليه وترك اوامره**»[1].

ومن جملة المضامين السياسية ـ الدينية التي وردت في الصحيفة هي مسألة الامامة التي طرحت على شكل مفهوم اسلامي يشتمل بالاضافة الى احقية واولوية اهل البيت في تولّي قيادة المجتمع الاسلامي على جوانب الهية من قبيل العصمة والاستفادة من علوم الانبياء وخاصة النبي الاعظم. ونورد فيما يلي مقاطع منها:

«**ربّ صلِّ على اطائب اهل بيته الذين اخترتهم لأمرك وجعلتهم خزنة علمك وحفظة دينك، وخلفاءك في ارضك وحججك على عبادك وطهّرتهم من الرجس والدنس تطهيراً بارادتك وجعلتهم الوسيلة اليك والمسلك الى جنّتك**»[2].

وورد في ادعية أخرى. «**اللّهم ان هذا المقام لخلفائك واصفيائك، ومواضع امنائك في الدرجة الرفيعة التي اختصصتهم بها قد ابتزّوها حتى عاد**

---

(١) تاريخ جرجان ص١٨٨.

(٢) نفس المصدر الدعاء٤٧ الفقرة ٥٦.

**صفوتك وخلفاؤك مغلوبين مقهورين مُبتزّين. اللهم العن اعداءهم من الأولين والآخرين، ومن رضي بفعالهم واشياعهم واتباعهم»**[1].

**«وصلِّ اللهم على خيرتك من خلقك محمد وعترته الصفوة من بريتك الطاهرين واجعلنا لهم سامعين ومطيعين كما امرت»**[2].

**«اللهم انك أيّدت دينك في كلّ أوانٍ بامامٍ اقمته علماً لعبادك ومناراً في بلادك بعد أن اوصلت حبله بحبلك وجعلته الذريعة الى رضوانك وافترضت طاعته وحذرت معصيته وامرت بامتثال اوامره والانتهاء عند نهيه ولا يتقدمه متقدّم ولا يتأخر عنه متأخر فهو عصمة اللائذين وكهف المؤمنين وعروة المتمسّكين وبهاء العالمين واقم به كتابك وحدودك وشرايعك وسنن رسولك صلوات الله عليه وآله واحي به ما اماته الظالمون من معالم دينك واجل به صداء الجور عن طريقتك وابن به الضّراء من سبيلك وازل به الناكبين عن صراطك وامحق به بُغاة قصدك عوجا واجعلنا له سامعين مطيعين وفي رضاه ساعين»**[3].

يتضح جليّاً من خلال العبارات السالفة ان الامام كان يبذل جهوداً حثيثة لنشر مبدأ الاعتقاد بالامامة بمفهومه الشيعي على اعتباره اهم مسألة في المسائل الاعتقادية الاسلامية ونظير هذا الثناء على اهل البيت يُلاحظ بكثرة في نهج البلاغة ايضاً.

---

(١) نفس المصدر السابق ـ الدعاء ٤٨ الفقرة ٩.

(٢) الصحيفة السجادية، الدعاء ٣٤ الفقرة ٥.

(٣) الصحيفة السجادية ـ الدعاء ٤٧.

وهنا ينبغي الاشارة الى ان احدى الوظائف العظيمة الالهية بالنسبة للائمة الاطهار هي تقديم انفسهم للناس بصفتهم ائمة منصّبين من قبل الله. وهي الوظيفة التي ادّاها امير المؤمنين عليه السلام وبيّنها في رحبة مسجد الكوفة من خلال طرحه لحديث الغدير وفي قالب كلمة اهل البيت كما اشير الى ذلك سابقاً. وبالاضافة الى ذلك فان الظلم الذي نزل بحق اهل البيت عليهم السلام وغمرهم بين الناس كان يقتضي تقديم اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحقيقيين الى الناس، حتى لا يتكرر ما حصل في الشام وفي المناطق الاخرى من العالم الاسلامي حينما قال اهل الشام للسفّاح انهم لا يعلمون اهل بيت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سوى بني امية. فعندها اخذ الامام السجاد عليه السلام الى الشام، يبيّن للناس ما ينبغي لهم معرفته في هذا الصدد سواء في الخطبة ـ كما هو معروف ـ او من خلال احاديثه المباشرة مع الناس.

فها هو ابن الاعثم راوي هذا الحديث ينقله لنا كما يلي:[1] «أُدخلوا حرم رسول الله الى دمشق من الباب المسمى بـ«التوماء» ووضعوهم في المكان الذي يوضع فيه الاسرى قريباً من باب المسجد وعندها اقترب منهم شيخ وقال: الحمد لله الذي قتلكم وأراح الناس منكم وسلّط امير المؤمنين عليكم.

فقال له الامام السجاد: يا شيخ هل قرأت القرآن؟

قال: نعم قرأته.

قال: هل قرأت هذه الآية: **﴿قل لا أسألكم عليه اجراً الاّ المودّة في القربى﴾**؟

قال: نعم قرأتها.

---

(١) ابن الاعثم ـ ج ٥ ص ٢٤٢.

قال: يا شيخ نحن القربى. يا شيخ وهل قرأت آية **﴿وآت ذا القربى حقّهُ﴾** في سورة بني اسرائيل؟

قال: نعم قرأتها.

قال: يا شيخ فنحن ذوو القربى. وهل قرأت: **﴿واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسة وللرسول ولذي القربى﴾**؟

قال: نعم قرأتها.

قال: يا شيخ فنحن ذوو القربى، وهل قرأت هذه الآية: **﴿انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾**.

قال: نعم قرأتها.

قال: يا شيخ فنحن اهل البيت الذين خصّهم الله بآية التطهير.

فسكت الشيخ ساعة وظلّ نادماً وقال: اللهم اني اعوذ بك مما قلت وما سبق منّي من بغضهم، اللهم اني ابرأ اليك من اعداء محمد وآل محمد».

وبالاضافة الى ما طرحه الامام في هذه الادعية من مواضيع سياسية، فانه قد حاول فيها ايضاً تبيان العقائد الاسلامية الصحيحة في قالب هذه الادعية مثل باب التوحيد وما شابه ذلك. فحينما تناهى الى سمعه ان جماعة يشبّهون الله بالمخلوقات، جاء الى قبر النبيﷺ غاضباً وقرأ دعاءً بيّن فيه المفهوم الاصيل للتوحيد وردّ عقيدة التشبيه[1].

في المجتمع الذي عمل بنو امية على انحطاطه، وجعلوا من الاسلام العزيز

---

(١) الاربلي ـ كشف الغمة ـ ج ٢ ص ٨٩ ط تبريز.

ألعوبة في ايديهم ووسيلة لتحقيق اغراضهم الخبيثة وتمشية اهوائهم الدنيئة، اضحى ترنّم الامام السجاد بتلك الادعية وبكاؤه المتواصل درساً تربوياً وهزّة عنيفة للناس المخدوعة والمستغفلة في ذلك العصر. وكما كان الامام كثير الحزن والبكاء على واقعة كربلاء وما تثيره ذكراها لديه من لواعج وشجون وكان يقول:

**«لقد بكى يعقوب على يوسف وهو لا يعلم أحيٌّ هو ام ميت حتى ابيضت عيناه، فكيف لا ابكي وقد رأيت اجساد ١٦ من خيرة آل بيت الرسول تقطع اوصالهم»**[١].

## الامام السجاد عليه السلام واستقطاب الموالي

من جملة المساعي ذات الطابع الديني ـ السياسي التي بذلها السجاد في تلك الايام هي الالتفات الى طبقة تعرضت ومنذ عهد الخليفة الثاني فصاعداً الى اقسى الضغوط الاجتماعية وخاصة في العصر الاموي، اذ كانت من اشد الطبقات التي عانت الحرمان في القرون الاولى من انبثاق المجتمع الاسلامي فقد كان العبيد بما في ذلك الرجال والنساء الايرانيون منهم والروميون والمصريون والسودانيون يتحملون اشد صنوف العمل قسوة ويتلقون من اسيادهم اقبح انواع الاهانة والاحتقار[٢].

فكان الامام السجاد كجدّه امير المؤمنين ـ الذي استقطب بسلوكه الاسلامي بعضاً من موالي العراق ـ يسعى لرفع المنزلة الاجتماعية لهذه الطبقة المسحوقة وعندما اعتق الامام احد إمائه وعقد عليها عابه عبدالملك بن مروان على ذلك

---

(١) ر. ك ـ الطبري ـ ج ٥ ص ٢١٢ ط عزالدين بيروت.

(٢) ذكرنا هذا الموضوع في كتاب «التاريخ السياسي للاسلام الى سنة اربعين للهجرة».

وقال له: ما الذي دفعك لمثل هذا العمل؟ فاجابه الامام السجاد محتجاً بالآية الشريفة: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾[1] وهو يشير بذلك الى زواج النبي ﷺ من صفية وينبّه الى ما فعله النبي ﷺ حيث عقد لابنة عمته زينب على زيد بن حارثة الذي كان عبداً[2] وبهذا يكون الامام قد احيا من جديد السيرة الحسنة التي كانت على عهد رسول الله واندرست في العهد الاموي نتيجة للاحتقار الذي لحق بالعبيد.

كتب سيد الاهل يقول:

«كان الامام السجاد يشتري العبيد من غير حاجة له فيهم وانما كان يشتريهم ليعتقهم وقد قيل انه اعتق ما يقارب المائة الف عبد. وكان العبيد الذين يعلمون ذلك يجعلون انفسهم دائماً امام ناظريه ليشتريهم ويعتقهم. وكان الامام السجاد عليه السلام يعتقهم في اليوم والشهر من السنة. وسرعان ما امتلأت المدينة بجماعات كبيرة من الموالي المعتوقين من الرجال والنساء وكانوا باجمعهم من مواليه»[3].

وكتب العلامة السيد محسن الأمين:

«كان الامام السجاد يعتق في نهاية كل شهر رمضان عشرين منهم، ولم يحتفظ بايّ منهم على حالة الرق اكثر من عام، وكان يضع الاموال في ايديهم بعد عتقهم حتى لا يحتاجوا الى الناس»[4].

---

(()١ سورة الاحزاب: ٢١.

(٢) ابن سعد ـ ج ٥ ص ٢٤، ابن عبد ربه، العقد الفريد ج٧ ص ١٤٠.

(٣) سيد الاهل. زين العابدين ص٤٧.

(٤) اعيان الشيعة ـ ج ٤ ص٤٦٨.

وخلال فترة السنة التي يقضيها هؤلاء كخدم في داره يطّلعون عن كثب على شخصيته العلمية والاخلاقية ويتعرّفون على تقواه. وكان من الطبيعي ان تتعلق قلوب الكثير منهم بشخصيته وغط تفكيره وسلوكه.

وفي احد الايام كان الامام السجادعليه السلام خارجاً من المسجد فسبّه رجل، فهجم عليه الموالي لتأديبه، فمنعهم الامام عن ذلك وقال: «ما خفي عليه من سرنا فوق ما يقول». فاستحى الرجل وصار فيما بعد ممن شمله عطف الامام[1].

وروى الطبري عن عبدالله بن محمد بن عمر: «كان هشام بن اسماعيل (والي المدينة) يسيء جوارنا، ولقي منه علي بن الحسينعليه السلام اذىً شديداً. فلما عزل امر به الوليد ان يوقف للناس، فقال ما اخاف الاّ من علي بن الحسين. فمرّ به علي بن الحسين وقد اوقف عند دار مروان فسلّم عليه. وكان عليبن الحسين قد تقدّم الى خاصّته ان لا يعرض له احد بكلمة. فلما مرَّ ناداه هشام: الله اعلم حيث يجعل رسالته».

ان سلوكية الامام السجاد هذه هي التي غرست عظمته وجلاله في قلوب الناس وجعلتهم يحترمونه الى حد الخضوع حتى امام الخلفاء الذين اوجدوا لهم أبّهة كاذبة بين الناس.

فقد روي ان هشام بن عبدالملك عندما حج اجتهد ان يستلم الحجر فلم يقدر فجاء علي بن الحسين فوقف له الناس وتنحّوا حتى استلمه فقال اهل الشام لهشام: من هذا؟ فقال: لا اعرفه، فقال الفرزدق: ولكني اعرفه؟ هذا علي بن الحسين، وارتجل قصيدة في مدحه قال فيها:

---

(١) الشبراوي، الاتحاف ص١٣٧، الاربلي، كشف الغمة ج٢ ص١٠٢.

يا سائلي اين حلَّ الجود والكرم		عندي بيان اذا طلابه قدموا
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته		والبيت يعرفه والحل والحرمُ
هذا ابن خير عباد الله كلّهم		هذا التقي النقي الطاهر العلمُ
هذا الذي احمد المختار والده		صلى عليه إلهي ما جرى قلمُ
لو يعلم الركن من قد جاء يلثمه		لخرّ يلثم منه ما وطا القدمُ
هذا عليٌّ رسول الله والده		امست بنور هداه تهتدي الاممُ
هذا الذي عمّه الطيار جعفر والـ		مقتول حمزة ليث حبّه قسمُ
هذا ابن سيّدة النسوان فاطمة		وابن الوصي الذي في سيفه نِقمُ
اذا رأته قريش قال قائلها		الى مكارم هذا ينتهي الكرمُ
يكاد يمسكه عرفان راحته		ركن الحطيم اذا ما جاء يستلمُ
وليس قولك من هذا بضائره		العرب تعرف من انكرت والعجمُ
ينما الى ذروة العز التي قصرت		عن نيلها عرب الاسلام والعجمُ
يُغضي حياءً ويُغضى من مهابته		فلا يكلّم الا حين يبتسمُ
يشق ثوب الدجى عن نور غرته		كالشمس تنجاب عن اشراقها الظلمُ
ما قال «لا» قط الاّ في تشهّده		لولا التشهد كانت «لاءه» نعمُ
مشتقة من رسول الله نبعته		طابت عناصره والخيم والشيمُ
حمال اثقال اقوام اذا فدحوا		حُلو الشمائل تحلو عنده نعمُ
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله		بجدّه انبياء الله قد خُتموا
الله فضّله قدماً وشرّفه		جرى بذاك له في لوحه القلمُ
من جدّه دان فضل الانبياء له		وفضل أمته دانت له الاممُ
عمَّ البرية بالاحسان فانقشعت		عنها العماية والاملاق والظلمُ
كلتا يديه غياث عمَّ نفعهما		يستوكفان ولا يعروهما عدمُ

سهل الخليقة لا تخشى بوادره … يزيده الخصلتان الحلم والكرمُ
لا يخلف الوعد ميموناً نقيبته … رحب الفناء أريب حين يعترمُ
من معشر حبّهم دين وبغضهم … كفر وقربهم منجى ومعتصمُ
يُستدفع السوء والبلوى بحبّهم … ويستزاد به الاحسان والنعمُ
مقدّم بعد ذكر الله ذكرهم … في كل فرض ومختوم به الكلمُ
ان عُدّ اهل التقى كانوا ائمتهم … او قيل من خير اهل الارض؟ قيل همُ
لا يستطيع جواد بعد غايتهم … ولا يدانيهم قوم وان كرموا
هم الغيوث اذا ما ازمة ازمت … والأسد اسد الشرى والبأس محتدمُ
يابى لهم ان يحل الذَمّ ساحتهم … خيم كريم وايدٍ بالندى هضمُ
لا يقبض العسر بسطاً من اكفهم … سيّان ذلك ان اثروا وان عدمِوا
اي القبائل ليست في رقابهم … لأوّلية هذا او له نِعمُ
من يعرف الله يعرف اولية ذا … فالدين من بيت هذا نالت الاممُ
بيوتهم في قريش يُستضاء بها … في النائبات وعند الحكم اذ حكموا
فجدّه في قريش في ارومتها … محمد وعليّ بعده عَلَمُ
بدرٌ له شاهدٌ والشِعبُ من أُحدٍ … والخندقان ويوم الفتح قد علموا
وخيبرٌ وحنينٌ يشهدان له … وفي قريظة يوم صيلم قتمُ
مواطن قد علت في كلّ نائبة … على الصحابة لم اكتم كما كتموا

# الامام الباقر عليه السلام

محمد بن المنكدر: «**ما رأيت احداً يفضل على علي بن الحسين حتى رأيت ابنه محمداً اردت يوماً ان اعظه فوعظني**»[1].

الامام الخامس للشيعة هو محمد بن علي بن الحسين عليه السلام المعروف بالباقر. ولد سنة ٥٨ للهجرة[2]. فقد روى عنه اليعقوبي انه قال: «**قُتلَ جدّي الحسين ولي اربع سنين واني لاذكر مقتله وما نالنا في ذلك الوقت**»[3].

ذكر اليعقوبي سنة شهادته انها كانت في عام١١٧ للهجرة الاّ ان اكثر الروايات تشير الى انها كانت عام ١١٤[4]. سمّه ابراهيم بن الوليد بن عبدالملك

---

(١) تهذيب التهذيب، ج٩ ص٣٥٢.

(٢) كشف الغمة ج٢ ص١١٨ طبعة تبريز وراجع كتاب بحار الانوار ج٤٦ ص٢١٧.

(٣) اليعقوبي - ج٢ ص٣٢٠.

(٤) الفسوي، المعرفة والتاريخ ج٣ ص٣٤٦، تاريخ ابي زرعة الدمشقي ج١ ص٢٩٥.

فاستشهد ودُفن في البقيع[1] في المدينة المنوّرة.

ذكرت الادلة على امامته مفصّلاً في كتب الشيعة[2]. وكان نقش خاتمه الذي يعبر عادة عن شعار الائمة في مواجهتهم لمشاكل عصرهم: «**العزة لله جميعاً**»[3].

اشتهر خامس ائمة الشيعة بلقب «الباقر» وقد فسره جابر بن يزيد الجعفي بقوله: «**لانه بقر العلم بقراً أي شقه واظهره اظهاراً**».

ويقول اليعقوبي: «**كان سُمي الباقر لأنّه بقر العلم**»[4].

ويقول محمد بن مكرّم ايضاً في معنى كلمة الباقر ما يلي: «**التبقّر التوسع في العلم والمال وكان يقال محمد بن علي بن الحسين بن علي الباقر رضوان الله عليهم لأنه بقر العلم وعرف اصله واستنبط فرعه**»[5].

وروى جابر بن عبدالله الانصاري رواية في فضل الامام الباقر عليه السلام، يقول عنها ابن شهرآشوب ان جميع فقهاء المدينة والعراق نقلوها[6]. يقول جابر في هذه الرواية:

«**قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: انّك ستبقى حتى ترى رجلاً من ولدي اشبه الناس بي اسمه على اسمي اذا رأيته لم يخل عليك فاقرأه منّي السلام**».

---

(١) الفصول المهمة، ص ٢٢١.

(٢) اثبات الهداة، ج ٥ ص ٢٦٣، اثبات الوصية ص ١٤٢، بحار الانوار ج ٤٦، الكافي ج ١ ص ٣٠٥.

(٣) الكافي ج ٢ ص ٤٧٣، حلية الاولياء ج ٣ ص ١٨٦، تاريخ جرجان ص ٤١٩ «القوة لله جميعاً».

(٤) علل الشرائع ج ١ ص ٢٣٣.

(٥) لسان العرب، آخر كلمة باقر.

(٦) ر. ك ـ بحار الانوار ج ٤٦، ص ٢٩٤.

وفي تاريخ اليعقوبي جاءت بقية هذه الرواية كما يلي:

**«فلما كبر سن جابر وخاف الموت جعل يقول: يا باقر يا باقر اين أنت حتى رآه فوقع عليه يقبل يديه ورجليه ويقول: بابي وأمي شبيه ابيه رسول الله ﷺ انّ أباك يقرؤك السلام»**[1].

ونُقلت هذه الرواية ايضاً عن الامام الصادق عليه السلام واشار فيها الى ان كلمة الباقر فضيلة اختصت بأبيه[2].

وقد ادّى نقل هذه الرواية عن رسول الله ﷺ الى شهرة الامام الباقر عليه السلام بهذا اللقب ثم كشفت هذه الكلمة عن وجهها العملي حينما اضحى مجلس الامام موطئاً لاجتماع واستفادة عدد كبير من المحدّثين والرواة من اهل السنّة.

ولما كان زيد بن علي عند هشام وصف هشام الباقر «بالبقرة» استهزاء وتنكيلاً بزيد، فرد عليه زيد قائلاً: **«سماه رسول الله ﷺ باقر العلم وانت تسمّيه البقرة لقد اختلفتما اذن»**[3].

## المكانة العلمية للامام الباقر عليه السلام

لا شك ان الكثير من علماء السُنّة يعتقدون ان الامام الباقر عليه السلام قد حاز على شهرة عالمية في زمانه، وكان مجلسه يغصُّ دوماً بالوافدين من مختلف ارجاء واصقاع الارض الاسلامية. وكانت مكانته العلمية بصفته رجلاً عالماً وفقيهاً

(١) اليعقوبي ج٢ ص٣٢٠، و ر.ك. الطبري، المنتخب من ذيل المذيل ص٤٢.

(٢) الاختصاص ص٦٢.

(٣) ابن قتيبة، عيون الاخبار ج٢ ص٢١٢.

وخاصّة باعتباره حاملاً لعلوم اهل البيت، تستهوي الكثيرين للاستفادة من مجلسه والاستعانة به لحل المعضلات العلمية والفقهية التي تواجههم. وقد فتن بشخصيته في ذلك الوقت اهل العراق الذين كان يشكل الشيعة نسبة كبيرة منهم[1].

وكان الوافدون عليه يبدون خضوعاً واجلالاً كبيراً لشخصيته العلمية بحيث كان عبدالله بن عطاء المكّي يقول: «**ما رأيت العلماء عند احدٍ قط اصغر منهم عند ابي جعفر ولقد رأيت الحكم بن عُيينة مع جلالته في القوم بين يديه كأنّه صبيٌّ بين يدي معلّمه**»[2].

ومن المؤكد ان شهرة الامام العلمية على حد وصف ابن عنبة له بقوله: «**كان واسع العلم ووافر الحلم**» هي اكبر من أن يتحدث عنها احد[3].

ولم تكن تلك الشهرة مقتصرة في زمنه على الحجاز كما يُعبّر عنها ابن ابي الحديد: «**كان سيّد فقهاء الحجاز**»[4]، بل انها امتدت وانتشرت على نطاق واسع في العراق وخراسان ايضاً، كما يقول الراوي: «**رأيت ابا جعفر عليه السلام وحوله اهل خراسان يسألونه عن مناسك الحج**»[5].

ويقول الذهبي عن الامام الباقر عليه السلام: «**كان احدُ من جمع بين العلم والعمل**

---

(١) الشيخ المفيد الارشاد ص٢٨٢، بحار الانوار ج٤٦، كشف الغمة، ج٢ ص١٢٦.

(٢) المفيد، الارشاد ص ٢٨٠، حلية الاولياء ج٣ص ١٨٠، كشف الغمة ج٢ ص١١٧.

(٣) ابن عنبة عمدة الطالب ص١٩٥.

(٤) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٥ ص٧٧.

(٥) الكليني الكافي، ج٦ ص٢٦٦، بحار الانوار ج٤٦ ص٣٥٧.

**والسؤدد والشرف والثقة والرزانة وكان اهلاً للخلافة»**[1].

وكتب الاستاذ ابو زهرة عن المرجعية العامّة للامام ما يلي: «**كان محمد الباقر**عليه السلام **وريثة الامام السجاد في امامة اهله ونيل الهداية ولذا كان مقصد العلماء من كلّ البلاد الاسلامية وما زار احدٌ المدينة الاّ عرجَ على بيت محمد الباقر يأخذ منه**».

وكتب ايضاً: «**كان يقصده من ائمة الفقه والحديث كثيرون**»[2].

ونُقل ايضاً عن عيون الاخبار: «**قد أخذ عنه اهل الفقه ظاهر الحلال والحرام**»[3].

كان شأنه ايضاً شأن ابيه السجادعليه السلام الذي كان يتمتع بشهرة علمية عظيمة بين الناس ويحظى باحترام الخاص والعام. يقول محمد بن المنكدر وهو من اعلام محدّثي اهل السنّة عن عظمة الامام الباقرعليه السلام: «**ما رأيت احداً يفضل علي بن الحسين حتى رأيت ابنه محمداً**»[4].

اثنى عليه الكثير من علماء الاسلام الكبار، وامتدحوا مقامه العلمي ومكانته الفقهية بكلمات وعبارات جميلة، وقد جمعها الاستاذ اسد حيدر في كتابه[5].

---

(١) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٤ ص ٤٠٢.

(٢) ابو زهرة، الامام الصادق ص ٢٢ دار الفكر العربي ـ بيروت.

(٣) حياة الامام الباقرعليه السلام ـ ج ١ ص ١٣٩.

(٤) الشبراوي، الاتحاف ص ١٤٥.

(٥) اسد حيدر، الامام الصادق والمذاهب الاربعة، ج ٢ ص ٤٣٥.

وقد أدّت كثرة رواياته في الفقه والعقائد والعلوم الاسلامية الاخرى الى أن يروي عنه عدا رواة الشيعة الكثير من محدّثي اهل السنّة، من اشهرهم ابو حنيفة الذي لم يكن يقبل اكثر الاحاديث الواردة عن طريق اهل السنّة، لذلك فقد روى الكثير من الروايات المنقولة عن اهل البيت وخاصة عن الامام الباقر[1].

وكما ذكر الذهبي فقد نقل عنه الاحاديث سوى ابي حنيفة، عمر بن دينار والاعمش والاوزاعي وابن جُريج وقُرّة بن خالد[2].

ولما رآه ابو اسحاق وراى مكانته الرفيعة قال واصفاً إيّاه: «**لم أر مثله قط**»[3].

وقال عنه ابو زرعة كذلك: «**ان ابا جعفر اكبر العلماء**»[4].

ويمكن القول بكل جرأة ان سند اغلب روايات الشيعة ينتهي بعد أمير المؤمنين عليه السلام بالامامين الباقر والصادق عليهما السلام. وسبب ذلك يعود الى الظرف السياسي الخاص للمجتمع آنذاك والذي اتاح لهذين الامامين اكثر من غيرهما فرصة نشر علوم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ولذلك فان محافل احاديث الشيعة تنقل اكثر رواياتها عن هذين الامامين.

ولذلك قيل: «**لم يظهر من ولد الحسن والحسين من العلوم ما ظهر منه**

---

(١) الذهبي، تذكرة الحفّاظ، ج ١ ص ١٢٧. راجع كتاب جامع مسانيد الامام الاعظم ابو حنيفة.
(٢) الذهبي، تذكرة الحفّاظ ج ١ ص ١٢٤.
(٣) اسد حيدر الامام الصادق والمذاهب الاربعة ج ٢ ص ٤٤٥ اعيان الشيعة ج ٤ قسم ٢ ص ٢٠.
(٤) ابن شهرآشوب، مناقب آل ابي طالب ج ٣ ص ٢٧.

**في التفسير والكلام والاحكام والحلال والحرام»**[1].

وهذا هو السبب في شهرتهم الواسعة في مجتمع ذلك العصر والعصور اللاحقة بصفتهم علماء فقه ورواة حديث رسول الله ﷺ. وكان ابو زهرة من جملة الشخصيات الكثيرة التي كانت تتردد على مجلسه وتاخذ عنه العلوم والمعارف، وقد ذكر ان سفيان الثوري وسفيان بن عُيينة (محدّث مكّة) وابا حنيفة كانوا يحضرون مجلسه ايضاً[2].

سأل الابرش الكلبي هشام بن عبدالملك: «من هذا الذي احتوشه اهل العراق يسألونه؟ قال: هذا نبي الكوفة وهو يزعم انّه ابن رسول الله وباقر العلم ومفسر القرآن»[3].

وجاء في موضع آخر ان هشاماً وصفه بـ«**المفتون به اهل العراق**»[4].

ومع كل هذا الثناء والتمجيد الذي قاله العلماء بحقّه كم يكون غير منصف من يقول: «ليس يروي عن الباقر من يُحتجُّ به»[5].

ان الدافع من وراء كل هذه التصريحات الباطلة بشأن الائمة الاطهار، هو انقباض الكثير من المحدّثين غير الشيعة اذ يعتبرون كل من يبدي اي اهتمام بأهل البيت وعلومهم قد فَقَدَ صلاحيتهُ العلمية في رأيهم وان لم يكن شيعياً. ولا ندري كيف يعتبر ابن سعد كل اولئك المحدثين من اهل السنة الذين رووا في كتبهم

---

(١) نفس المصدر السابق ص٣٢٧ بحار الانوار ج٤٦ ص٢٩٤.

(٢) ابو زهرة الامام الصادق ص٢٢.

(٣) الكافي ج٨ ص١٢٠، بحار الانوار ج٤٦ ص٣٥٥.

(٤) الشبلنجي، نور الابصار ص١٤٣، سير اعلام النبلاء ج٤ ص٤٠٥.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥ ص٣٢٤.

الروايات والاحاديث عن الامام الباقر، من الذين لا يُحتجّ بهم. فكان عليه أن يستثني منهم على اقل تقدير الاوزاعي[1] أو الآخرين الذين ذكرهم ابن حجر في كتاب (تهذيب التهذيب).

## الامام والاختلافات الفقهية بين الفرق الاسلامية

كانت الفترة الممتدة بين عام (٩٤ ـ ١١٤) هي الفترة التي بدأت واتسعت فيها المشارب الفقهية، وبلغت فيها رواية الحديث المتعلّقة بالتفسير ذروتها. فنشط في هذه الفترة من علماء اهل السنّة مثلاً الزهري ومكحول وقتادة وهشام بن عروة في مجال نقل الاحاديث وتقديم الفتاوى. وكان ارتباط بعض العلماء من امثال: الزهري وابراهيم النخعي وابي الزناد ورجاء بن حياة بالسلطات الاموية الحاكمة، يستدعي احياء السنة الحقيقية لرسول الله ﷺ بعيداً عن شوائب التحريف العمدي للخلفاء والعلماء المرتبطين بهم. فقد كتب الامام الباقر عليه السلام كتاباً الى سعد الخير يشكو له فيه من علماء السوء وجاء فيه: «**فاعرف اشباه الأحبار والرهبان الذين ساروا بكتمان الكتاب وتحريفه فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين**»[2].

ولو امعنا النظر في كثرة الاحاديث المنقولة في هذه الفترة، واشتهار علم الفقه بين المحدّثين في ذلك العصر، لأمكننا القول بأن علم الفقه لدى اهل السنّة قد دخل اساساً في مرحلة التدوين منذ هذه المرحلة فصاعداً فقد انكمشت التحولات السياسية بعد واقعة كربلاء، وانكسار شوكة ابن الزبير والقضاء عليه، وبعد استتباب الامور لحكم بني امية، مما حدا بالكثير من العلماء الى هجر الساحة

(١) راجع كتاب ابن حبان الثقات. نهاية اسم محمد بن علي الباقر عليه السلام.

(٢) الكليني، الروضة ص٧٧ طبعة الاسلامي.

السياسية والانخراط في حلقات الدرس والحديث، وايجاد حل للاختلاف الموجود بين الروايات وتقديم الفتاوى الفقهية للناس. في عام ١٠٠ للهجرة اصدر عمر بن عبدالعزيز لاوّل مرّة امراً الى ابي بكر بن حزم يوصيه فيه بتدوين الاحاديث[١].

وهذا خير شاهد على ان الحركة الثقافية عند اهل السنة قد بدأت في القرن الثاني بينما بدأت عند الشيعة على عهد الامام الباقرعليه السلام. وذلك ما كان يتطلب اتخاذ المواقف الحازمة لغرض نشر الآراء الفقهية لاهل البيت في مقابل الانحرافات التي انغرست ولأسباب مختلفة في احاديث اهل السنّة. ومع ان ملامح الفقه الشيعي كانت الى ذلك العهد قد توضحت في نطاق محدود وضمن اطار الاذان والتقية وصلاة الميّت،الاّ انه قد تقدم خطوات مهمّة في ظل وجود الامام الباقر، ونشطت بين الشيعة حركة ثقافية تلفت الانتباه، وفي تلك المرحلة بالذات بدأ الشيعة تدوين ثقافتهم بما فيها الفقه والتفسير والاخلاق.

لم يكن الفقه والحديث قبل ذلك يلقى اية رعاية او اهتمام في المجتمع الاسلامي. فالصراعات السياسية وغمط التفكير المادي الجامح الذي استحوذ على جهاز الحكم افضى الى اغفال اساس الدين بين الناس وخاصة الفقه. وقد كان المنع من تدوين الحديث بأمر الخليفتين الاول والثاني من العوامل الاساسية في انزواء الفقه الذي كان يستند ٨٠٪ منه على اقل تقدير على الاحاديث المروّية عن النبيصلى الله عليه وآله. ينقل الذهبي عن ابي بكر انه قال:

«فلا تحدّثوا عن رسول اللهصلى الله عليه وآله شيئاً فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم

---

(١) عبدالرزاق، المصنف ج٩ ص٣٣٧، الدارمي، السُنن ج١ ص١٢٦، البغدادي، تقييد العلم، ص١٠٥

كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرّموا حرامه»[١].

وقال عمر ايضاً في هذا الصدد: «اقلّوا الرواية عن رسول الله ﷺ وانا شريككم»[٢].

وحكي عن معاوية أيضاً قوله:

«عليكم من الحديث بما كان في عهد عمر فأنّه كان قد اخاف الناس في الحديث عن رسول الله ﷺ[٣].

وقد بلغ جهل الناس ذروته عند بدء الفتوحات الاسلامية فانشغال الولاة والناس وانهماكهم في قضايا الفتوحات والمسائل العسكرية والشؤون المالية. كان قد منعهم من الاهتمام بالنشاطات العلمية والتربية الدينية. فعندما قال ابن عباس في اخر شهر رمضان بالبصرة التي كانت احد المراكز الاصلية للفتوحات، وهو يخطب على المنبر: «**اخرجوا صدقة صومكم**» لم يفهم الناس معنى كلامه. لذا قال ابن عباس: «من كان من اهل المدينة حاضراً فليقم ويوضّح لهم معنى صدقة الصوم فانّهم لا يعلمون من زكاة الفطرة الواجبة شيئاً»[٤].

وفي زمن بني امية ازداد ذلك الجهل شدّة،كما ذكر الدكتور علي حسن:

«في اثناء عصر بني امية الذين كانوا لا يهتمون كثيراً بامور الدين كان الشعب في الواقع قليل الفهم والمعرفة للفقه ومسائل الدين ولم يكن يعرف من هذه

---

(١) الذهبي، تذكرة الحفاظ ج١ ص٢.

(٢) الذهبي، تذكرة الحفّاظ، ج١ ص٧.

(٣) الذهبي تذكرة الحفاظ ج١ ص٧.

(٤) ابن حزم، الاحكام في اصول الاحكام، ج٢ ص١٣١.

الشؤون الاّ اهل المدينة وحدهم»[1].

وورد في مصادر اخرى ايضاً ان الناس لم يكونوا يعرفون كيفية الصلاة والحج طوال فترة النصف الثاني من القرن الهجري الاوّل[2].

وكان انس بن مالك يتأمل في زمانه ويقول: «**ما أعرف شيئاً مما كان على عهد رسول الله؟ قيل الصلاة. قال: اليس صنعتم ما صنعتم فيها؟**»[3].

وكل هذا يدل على نسيان الفقه بين عامّة الناس، وهو من اهم الاسباب التي دفعت الإمامين الباقر والصادقعليهما‌السلام الى الاهتمام بالفقه، بهدف احيائه بين الناس، وصيانته من التحريف الذي كان يحصل بالتأكيد في تدوينه واعادة كتابته.

وكان الامام الباقرعليه‌السلام هو الممثل عن مذهب اهل البيت ومن اوائل الواضعين لاسس الفقه والتفسير من وجهة نظر المذهب الشيعي. اذ يعتبر هذا المذهب ان السبيل الوحيد لنيل العلوم الاسلامية الأصيلة يتم فقط عن طريق اهل البيت الذين هم باب علم رسول الله، ولذا قال حضرته لسَلَمة بن كُهيل، والحكم بن عُيَيْنة: «**شَرِّقا او غرِّبا فلا تجدان علماً صحيحاً الا شيئاً خرج من عندنا**»[4].

وكان يقول ايضاً: «**فليذهب الحسن ـ**يعني البصري**ـ يميناً وشمالاً، فو الله ما يوجد العلم الا هيهنا**»[5].

---

(١) نظرة عامّة في تاريخ الفقه الاسلامي، ص ١١٠.

(٢) كشف القناع في حجيّة الاجماع، ص٥٦.

(٣) ضُحى الاسلام، ج١ ص٣٨٦، نقلاً عن البخاري والترمذي.

(٤) الكشي ص ٢١٠ / الكافي، ج١ ص٣٩٩ / الصفّار، بصائر الدرجات ص٩.

(٥) الكافي، ج١ ص٥١، وسائل الشيعة ج١٨ ص٤٢.

وكان يقول كذلك: «**فليذهب الناس حيث شاؤوا فوالله ليس الامر الا هيهُنا** ـ واشار الى بيته ـ»[1].

وبصفته ممثلاً عن اهل البيت فانّه كان يسعى خلال مناقشاته الى نشر الآراء الفقهية لأهل البيت وتحديد مواضع الانحراف عند اهل السُنّة وكشفها للناس. وكان الامام معروفاً بانه الميزان لتحديد الصحيح من السقيم حتى بين اكابر علماء عصره، ولهذا نجدهم كثيراً ما كانوا يعرضون عليه معتقداتهم ليتأكدوا من صحّتها او سقمها. فها هو ابو زُهرة ينقل احدى المناقشات بين ابي حنيفة والامام، ويكتب بَعدها : «**ومن هذا الخبر تتبيّن إمامة الباقر للعلماء يحضرون اليه ويحاسبهم على ما يبلغه عنهم او يبدر منهم وكأنّه الرئيس يحاكم مرؤوسيه ليحملهم على الجادّة وهم يقبلون طائعين تلك الرياسة**»[2].

وفي احد المرات جاء عبدالله بن معمر (عمير) الليثي الى الامام الباقرعليه السلام وسألهُ: «**أصحيح ما يقال عنك انك تقول بحليّة المتعة؟ فقال له الامام: «أحلّها الله في كتابه وسنّها رسول الله وعمل بها اصحابه»**.

**فقال له عبد الله: لكن عمر نهى عنها. فأجابه الامام: فأنت على قول صاحبك وانا على قول رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم»[3].

وكما لاحظنا فالامام يستدل وفقاً لكتاب الله وسنّة نبيّه وينبري لمواجهة من يستدلّون بغيرهما. والرواية الآتية تعكس لنا هذا المسار الذي سار عليه

---

(١) الكافي ج ١ ص ٣٩٩ / الصفّار، بصائر الدرجات ص ١٢.

(٢) ابو زهرة، الامام الصادق، ص ٢٤.

(٣) كشف الغُمّة، ج ٢ ص ٣٦٢ / بحار الانوار، ج ٤٦ ص ٣٥٦ / راجع كتاب الميزان ج ٣ ص ٣٨٩.

الامام:

يروي محجول بن ابراهيم عن قيس بن الربيع قال: «سألت ابا اسحاق عن المسح على الخُفّين قال: كنت ارى الناس يمسحون على الخفين حتى رأيت رجلاً من بني هاشم وكان محمد بن علي بن الحسين وسألته عن المسح على الخُفّين فقال: **«لم يكن امير المؤمنين عليه السلام يمسح عليهما** (وكان يقول): **سبق الكتابُ المسح على الخفّين**[1]. **ثم يواصل ابو اسحـق كلامه: منذ ان نَهاني الامام لم امسح بعدها على الخُفين»**.

يقول قيس بن الربيع: «وانا ايضاً منذ سمعت هذه المسألة من ابي اسحق، لم امسح بعدها على الخُفّين».

إنّ قُوّة استدلال الامام بالكتاب والسُنّة لم تقنع ابا اسحق وحده بل واقنعت معه ايضاً قيس بن الربيع.

وعندما حرّف نافع مولى عمر حديثاً ورواه بشكل خاطئ لغرض الاستدلال على حكمٍ ما، كشف الامام عن ذلك التحريف وروى الحديث بشكله الصحيح[2].

كما وقف اصحاب الامام الباقر عليه السلام ايضاً في مقابل الاستدلالات الواهية لأبي حنيفة فيما يخص القضايا الفقهية وأدانوه من الناحية الفقهية[3].

---

(١) اسد حيدر، الامام الصادق والمذاهب الاربعة ج٢ ص٤٥٢.

(٢) دعائم الاسلام، ج٢ ص ٢٦٠ / مستدرك الوسائل، ج١٥ ص٢٨٦.

(٣) دعائم الاسلام، ج١ ص٩٥ / مستدرك الوسائل، ج١٥ ص٢٨٧.

وعارض الامام الباقر عليه السلام بشدّة استدلال اصحاب القياس[1]، وتصدّى لهم بشدّة من بعده ولده الامام الصادق عليه السلام. واتخذ الباقر عليه السلام مواقف حازمة ضد سائر الفرق الاسلامية المنحرفة، وكان يسعى خلال هذه المواجهة الى تحديد وعزل المعتقدات الصحيحة لاهل البيت في المجالات المختلفة عن بقيّة الفرق. وكان موقف الامام ازاء فرقة المرجئة حسّاساً وحازماً. إذ كانت هذه الفرقة تعتقد ان الايمان اعتقاد باطنيّ ليس الاّ ولا يؤثر فيه العمل خيراً كان او شرّاً، وكانوا يزيلون بالتدريج قيمة العمل الصالح من اذهان الناس. وقد قال الامام عنهم مرة: «**اللهم العن المرجئة فانّهم اعداؤنا في الدنيا والآخرة**»[2].

وكان للامام موقفه من الخوارج الذين كانت لهم تلك الأيام صولات، حيث وصفهم بالمتنسّكين الجهلة واصحاب الديانة القشرية والمتعصبين في معتقداتهم وقال عنهم: «**ان الخوارج ضيّقوا على أنفسهم بجهالتهم ان الدين اوسع من ذلك**»[3].

## تصدّيه للافكار اليهودية

ان من جملة الجماعات الخطيرة التي تغلغلت في المجتمع الاسلامي آنذاك، وكانت تخلّف آثاراً عميقة في ثقافته هم اليهود. فبعض احبار اليهود ممن اعتنقوا الاسلام ظاهراً وغيرهم ممن بقوا على دينهم كانوا منتشرين في ارجاء مختلفة من الوطن الاسلامي، وكان ترجع اليهم وتأخذ من علومهم جماعة من السذّج

---

(١) المفيد، المجالس، ص٣٩. طبعة النجف / وسائل الشيعة، ج١٨، ص٣٦.

(٢) الكليني، الكافي، ج٨ ص٢٧٦ / بحار الانوار ج٤٦ ص٢٩١.

(٣) الطوسي، التهذيب، ج١ ص٢٤١ / من لا يحضره الفقيه ج١ ص٨٣.

والمغفّلين. وقد ظهرت تأثيرات هؤلاء على الثقافة الاسلامية بصورة أحاديث موضوعة تسمّى بالاسرائيليات ، يختص القسم الاعظم منها بالتفسير وسرد تاريخ الانبياء السابقين. وكان من جملة العلماء المسلمين الذين ادخلوا هذه الاحاديث الموضوعة في مؤلفاتهم هو الطبري المفسر المعروف الذي حصل على اكثر رواياته بشأن تفسير القرآن عن هذا الطريق.

وقد تركت المساعي العلمية اليهودية في داخل المجتمع الاسلامي تأثيرات مقلقة في المسائل الفقهية والكلامية ايضاً، وهذه القضية على درجة من الوضوح في التاريخ بحيث لا يبقى معها ابهام او ترديد[1].

وكانت قضية مواجهة اليهود والسموم التي ينفثونها في الثقافة الاسلامية، قضية تستأثر بقسم مهم من برنامج عمل الأئمة الأطهار عليهم السلام. وتفنيد الأحاديث الموضوعة والملفّقة من قبل اليهود الخونة بشأن الانبياء الربانيّين والمواضيع التي تخدش الصورة الملائكية لانبياء الله، هو من جملة الاهتمامات التي تلاحظ بوضوح في سلوك الأئمة الأطهار، نشير فيما يأتي الى مثالين منها:

١ ـ جاء رجلان الى النبي داود عليه السلام يختصمان في قضية وطلبا منه الفصل فيها اشارت اليه الآيتان ٢٣ و ٢٤ من سورة (ص)، حيث تشير الآيتان المذكورتان الى أن احد الرجلين كانت له ٩٩ نعجة وللآخر نعجة واحدة. فاشتكى ذو النعجة الواحدة من ذي التسعة وتسعين نعجة بأنه كان ينوي غصب نعجته. فحكم بينهما داود عليه السلام بدون الاستماع الى اقوال الشخص الآخر اذ قال: ﴿**لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه**﴾.

---

(١) السيد الروحاني، بحوث مع اهل السُنّة والسلفية، ص ٥٠.

وفي هذا الصدد وضع اليهود احاديث ونشروها بين المسلمين تشير الى ان هذه القصة كناية عن زواج داود بزوجة «اوريا». اذ يستفاد من تلك الاحاديث الموضوعة ان النبي داود كان على سطح الدار يتابع حمامة، فأطل من هناك على دار «اوريا» ورأى زوجته فتعلّق بها قلبه. ولكي يحقق النبي داود غرضه فقد جَعَل «اوريا» في خط المواجهة من المعركة فقتل وتزوّج داود امرأته، وان الله تعالى قد اشار من خلال هذه الآيات الى تلك القصة بصورة رمزية.

فكم تسيء هذه الروايات الموضوعة الى النبي داود بصفته نبيّاً من انبياء الله. ان هذه الاحاديث التي نشرت في العصر الاسلامي الاوّل على يد اشخاص امثال: (كعب الاحبار) و (عبد الله بن سلام) قد جوبهت من قبل الامام علي بن ابي طالب عليه السلام اذ قال:

**«لا أُوتىٰ برجلٍ يزعم ان داود تزوّج امرأة أوريا الاّ جلَدته حدّين حَدّاً للنبوّة وحداً للاسلام»**[1].

وواجه الاِمام الرضا عليه السلام ايضاً الاحاديث المسماة بالاسرائيليات واشكل عليها[2].

٢ ـ كان اليهود الذين عاشوا في المجتمع الاسلامي ـ سواء منهم من اسلموا في الظاهر ومن بقوا على دينهم ـ يسعون الى اقناع المسلمين بأفضلية بيت المقدس ـ الذي كان قبلة لليهود ـ على الكعبة. فوضعوا في هذا الصدد احاديث ونشروها بين المسلمين على نطاق واسع. ومن جملة ذلك ما نقله زرارة فيما يلي:

---

(١) الطبرسي، مجمع البيان، ج٨، ص٤٧٢.

(٢) تفسير الصافي، ج٤ ص٢٩٥.

**«كنت قاعداً الى جنب ابي جعفرعليه السلام وهو مستقبل الكعبة. فقال: اما إن النظر اليها عبادة. فجاءه رجل من بُجيلة يقال له عاصم بن عمر فقال له: ان كعب الاحبار يقول ان الكعبة تسجد لبيت المقدس في كل غداة. فقال له ابو جعفرعليه السلام: فما تقول فيما قال كعب؟ قال الرجل: صدقَ كعب. فقال له الباقرعليه السلام كذبت وكذب كعب الاحبار معك ثم قال وهو غاضب:**

**«ما خلق الله عز وجل بقعة في الأرض احب اليه منها»**[1].

وسار أئمة الشيعة الآخرون على نفس المنوال ايضاً فيما بعد واطلقوا بعض العبارات مثل: «**لا تشبّهوا باليهود**»[2] من اجل قطع تلك الصلة الثقافية التي ظهرت الى الوجود بين المسلمين واليهود والتي كادت ان تؤدي الى حرف الثقافة الاسلامية الأصيلة والغنيّة، هذا في الوقت الذي كان فيه رواة الفرق الاسلامية الاخرى يستقبلون تلك الأحاديث بكل سذاجة ويصنّفونها في الابواب المختلفة لكتبهم ويلوّثون بها ثقافتهم. لكن التابعين لاهل البيت تمسكوا بتوصياتِهم، وكانوا على حذر من تلك الأفكار الضالّة فابتعدوا عنها وبقوا في مأمنٍ منها.

## التراث الثقافي للامام الباقر

ان نظرة عابرة على اسانيد الفقه والتفسير لدى الشيعة تجعلنا ندرك ان جزءً كبيراً من الروايات في مجال الفقه والاخلاق والتفسير عند الشيعة قد نُقِلت عن الامام الباقرعليه السلام. فكتاب وسائل الشيعة وكتب التفسير مثل البرهان للعلاّمة البحراني، والصافي للمحقق فيض الكاشاني تشتمل على كثير من الروايات المبيّنة

---

(١) الكليني، الكافي، ج ٤ ص ٢٣٩ / بحار الانوار، ج ٤٦، ص ٣٥٤.

(٢) وسائل الشيعة ـ ج ٣ ص ٥٧١.

للمسائل الفقهية والموضّحة للآيات القرآنية واسباب نزولها قد نقلت عنهعليه السلام بكثرة.

وبالاضافة الى ماذكر سابقاً فهناك الكثير من الأخبار التاريخية بشأن امير المؤمنينعليه السلام وحرب صفّين نقلت عنه ايضاً[1]. ورويت عنه كذلك احاديث وحكم باهرة وذات معانٍ عميقة في مجال الاخلاق. وله ايضاً جمل قصار في منتهى الجمال والروعة منبثقة عن روح العصمة والكمال الباطني للامامعليه السلام. وعن هذه الابعاد كتب ابو زهرة ما يلي: «**وكان رضي الله عنه مفسّراً للقرآن ومفسّراً للفقه الاسلامي مدركاً حِكمةَ الأوامر والنواهي فاهماً كل الفهم لمراميها**»[2].

وكتب عن الأفكار والجمل الأخلاقية للامامعليه السلام ما يلي: «**ولكمال نفسه ونور قلبه وقوّة مداركه انطقه الله تعالى بالحكم الرائعة ورُويت عنه عبارات في الاخلاق الشخصية والاجتماعية ما لو نُظِم في سلوك لتكوّن منه مذهب خلق سامٍ**»[3].

ومن الامثلة على الدروس الاخلاقية العملية للامام هي معارضته للتنسّك والتحجّر، فهو كان يعارض بالممارسة العملية رأي تلك الفئة التي تتصور ان الورع في الاسلام يتمثل بترك جميع النعم الدنيوية. يقول الحكم بن عُيَيْنة:

«دخلتُ على ابي جعفر وهو في بيت منجّد وعليه قميص رطب وملحفة مصبوغة قد أثّر الصبغُ على عاتقه فجعلت انظر الى البيت وأنظر في هيئته. فقال

---

(١) راجع كتاب ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٢ ص٢١٢ ـ٢٢٩ ـ ٢٣٤ ـ ٢٨٦ و ج٣ ص٣٢٤.

(٢) ابو زهرة، الامام الصادق، ص٢٤.

(٣) ابو زهرة، الامام الصادق، ص٢٤.

لي: يا حكم  ما تقول في هذا؟ فقلت: ما عسيت ان اقول وانا أراه عليك فأمّا عندنا فانّما يفعله الشبابُ المرهق».

فقال لي: «يا حكم **﴿من حرّم زينة الله التي اخرج لعباده والطيّبات من الرزق﴾** وهذا مما اخرج الله لعباده. فأمّا هذا البيت الذي ترى فهو بيت المرأة وانا قريب العهد بالعرس وبيتي البيت الذي تعرف»[1].

وكان البعض يتصور ان السعي من اجل المعيشة والذي يتجسّد في النشاط من اجل حياة افضل امرٌ غير صحيح. فان محمد بن المنكدر وهو احد حفّاظ القرآن الكريم في عصر الإمام الباقرعليه السلام كان يُثني على الامام فيقول:

**«اردت ان اعظه فوعظني. سألوه: وكيف؟ قال: خرجت يوماً من المدينة الى الصحراء في ساعة حارّة فلقيني ابو جعفر محمد بن علي وكان رجلاً بادناً ثقيلاً وهو متكئ على غلامين اسودين او موليين فقلت في نفسي: سبحان الله شيخ من اشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا أما لاعظِنّه فدنوت منه فسلّمت عليه فردّ عليَّ السلام بنهر وهو يتصبب عرقاً. فقلت له: اصلحك الله شيخ من اشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحالة في طلب الدنيا أرايت لو جاء اجلك وأنت على هذه الحالة ما كنت تصنع؟ فقال: لو جاءني الموت وانا على هذه الحالة جاءني وانا في طاعة الله عزوجل اكف بها نفسي وعيالي عنك وعن الناس، وانما كنت اخاف لو جاءني الموت وانا على معصية من معاصي الله. فقلت: صدقت يرحمك الله اردت أن اعظك فوعظتني».**

---

(١) الكافي، ج٦ ص٤٤٦ / بحار الانوار ج٤٦ ص٢٩٢.

واما في مجال التفسير خاصة فللامام الباقرعليه السلام شهرة واسعة بين اهل السنة ايضاً لما نقلوه عنه من روايات كثيرة في هذا الشأن، ولهذا السبب قالوا عن شخصيته العلمية:

**«لم يظهر على احدٍ من ولد الحسن والحسين من العلوم ما ظهر منه في التفسير والكلام والفُتيا والاحكام والحلال والحرام»**[1].

ومدح مالك بن أعين الجُهني الامام الباقرعليه السلام بالابيات الشعرية الاتية:

**اذا طلب الناس عِلمَ القُرانِ كانت قريش عليه عِيالا**

**وان فاه فيه ابن بنتِ النبي تلقّت يداه فروعاً طوالا**[2]

اما فيما يخص المسائل الكلامية فقد نقل الامام الباقرعليه السلام ايضاً الكثير من خطب امير المؤمنينعليه السلام في توحيد الله وصفاته[3]. وكان له دور كذلك في تبيان الكثير من المسائل الكلامية الدقيقة التي يختلف بشأنها الشيعة واهل السنة وتلاحظ مثل هذه الروايات في كتاب اصول الكافي بكثرة.

ونسب ابن النديم في (الفهرست) الى الامام الباقرعليه السلام كتاباً في التفسير وقال هذا الكتاب نقله ابو الجارود زياد بن منذر عن الامام[4].

---

(١) ابن شهرآشوب ج٣ ص٣٢٧/ بحار الانوار ج٤٦ ص٢٩٤.

(٢) الاتحاف بحب الاشراف، ص١٤٤/ كشف الغمة، ج٢ ص١٢٣/ ابن عنبة عمدة الطالب، ص١٩٥/ الفصول المهمة ص٢١٠/ سير اعلام النبلاء، ج٤٠٤/ الشبلنجي، نور الابصار ص١٤٣.

(٣) راجع كتاب: القرشي، الامام الباقر ج١ ص١٩٠.

(٤) راجع كتاب: تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص٣٢٧/ ورد تفسير ابي الجارود في تفسير القمي، وطبعاً كانت طرق تفسير ابي الجارود موضع اشكال بالنسبة للمحققين/ راجع كتاب الذريعة في آخر اسم تفسير ابي الجارود.

وقد ادّت الجهود الحثيثة التي بذلها الامام الباقر عليه السلام ومن بعده الامام الصادق عليه السلام الى ان يدخل الفقه الشيعي القائم على احاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والالهام الغيبي الملق على قلوب الائمة الاطهار عليهم السلام الى مرحلة التدوين قبل اهل السنّة، وهذا ما حدا بمصطفى عبدالرزاق الى القول:

«ومن المعقول ان يكون الشروع الى تدوين الفقه كان اسرع الى الشيعة لانّ اعتقادهم العصمة في أئمتهم او ما يشبه العصمة كان حرياً الى تدوين أقضيتهم وفتاويهم»[1].

فهذا هو التراث الفقهي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم قد وصلنا عن طريق اهل بيت العصمة بشكل مستقل. واهل السنة عندما ينقلون الاحاديث عن الامام الباقر عليه السلام يوصلون سندها عادة الى أبيه الى آبائه الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. لكن الشيعة وبسبب اعتقادهم بعصمة هذا الامام والائمة الآخرين فهم لا يحتاجون في مثل هذه الحالة الى ذكر سند الحديث. سُئل الامام الباقر عليه السلام عن الاحاديث التي ينقلها عن النبي بلا سند قال:

**«اذا حدّثت بالحديث ولم أسنده فسندي فيه الى زين العابدين عن ابيه الحسين الشهيد عن ابيه علي بن ابي طالب عن رسول الله عن جبرائيل عن الله تعالى»**[2].

وقد بذل الامام الباقر عليه السلام ايضاً ـ شأنه في ذلك شأن بقية ائمة الشيعة ـ جهوداً كبيرة لبيان اهمية ومكانة اهل البيت من الوجهة الدينية، وقد ورد في

---

(١) تمهيد تاريخ الفقه الاسلامي ص٢٠٣.

(٢) الشيخ المفيد، الامالي، ص٤٢/ الطبرسي اعلام الورى ص ٢٦٤.

رواية نقلت عنه في هذا الجانب انّه قال: «**آل محمدٍ ابواب الله وسبيله والدعاة الى الجنّة والقادة اليها**»[1].

وروي عنه ايضاً انه قال: «**كل شيء لم يخرج من هذا البيت فهو وبال**»[2].

وفي الحقيقة انه كان يروي علوم النبي صلى الله عليه وآله التي وردت عن طريق علي عليه السلام الى الناس وذلك في زمن كان فيه اشخاص مثل مكحول[3] يمتلئ رعباً عندما يروي حديثاً عن امير المؤمنين عليه السلام ولا يتجرّأ على ذكر اسمه بل يكنيه بأبي زينب. ولهذا فالشيعة هم الوارث الوحيد لاحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله والدليل على ذلك هو ان هذا الارث يستند باجمعه الى القرآن وهذا هو ما اشار اليه الامام الباقر عليه السلام بقوله: «**اذا حدّثتكم بشيء فاسألوني عن كتاب الله**»[4].

فترات الامام الباقر عليه السلام هو الذي ادّى الى حفظ وصيانة الشيعة من التحريفات التي استهدف منها حرف الدين والقضاء عليه بسبب عدم تدوين الحديث وغيره من الدوافع الاخرى، فالامام الباقر هو الذي استدلّ بحديث «**عليٌّ اقضاكم**» والذي نُقل عن النبي بطرق متعددة لاقناع احد علماء اهل السُنّة بقبول احكام قضاء الامام علي عليه السلام وابطال عقيدة ذلك العالم القائمة على جواز العمل بالاحكام القضائية للآخرين[5]. وكذلك اعلن حضرته في بعض المواقف عن بطلان

---

(١) تفسير العياشي ج١ ص٨٦/ وسائل الشيعة ج١٨ ص٩.

(٢) الاختصاص ص٣١.

(٣) عده ابن ابي الحديد من مبغضي امير المؤمنين عليه السلام في حاشية ص١٢٨ من الاختصاص.

(٤) الميزان، ج٣ ص١٧٦، نقلاً عن الكافي.

(٥) الطوسي، التهذيب، ج٦ ص٢٢٠ / الكليني، فروع الكافي ج٧ ص٤٠٨ / وسائل الشيعة ج١٨ ص٨-٩.

العلوم التي نقلت عن طريق بعض الصحابة، بحيث قال في احدى المرّات بعد تقسيمه الاحكام الى احكام اسلامية وأخرى جاهلية:

**«اشهدكم على زيد بن ثابت لقد حكم في الفرائض باحكام الجاهلية»**[1].

## اوضاع ومكانة الشيعة وفقاً لرأى الامام

تزامن عهد الامام الباقر عليه السلام مع الضغوط المتواصلة لخلفاء بني امية وولاتهم على الشيعة في العراق حيث كان العراق هو المركز الاصلي للشيعة ولذلك قيل عن الامام الباقر عليه السلام: **المفتون به اهل العراق**[2] **وامام اهل العراق**[3] **او من هذا الذي احتوشه اهل العراق يسألونه**[4].

وكان الشيعة يتصلون بالامام في كلّ عام اثناء موسم الحج. وكانت تلك الاتصالات تتم عادة في مكة او عند عودة الحجّاج من بيت الله الحرام ومرورهم بالمدينة. وعن هذا يقول الامام الرضا عليه السلام:٢

**«مع ما فيه (الحج) من التفقّه ونقل اخبار الائمة عليهم السلام»**[5].

وهناك مسألة واجهت الامام وشيعته في تلك الأيّام هي مشكلة الغُلاة الذين كان عددهم يتزايد يوماً بعد يوم. فقد كان هؤلاء يستغلون روايات الامام وينسبون اليه احاديث اخرى موضوعة وغرضهم من ذلك هو اكتساب الصِبغة

---

(١) الكليني، ج٧ ص٤٠٧/ التهذيب ج٦ ص٢١٧.

(٢) الارشاد. ص٢٨٢.

(٣) اعيان الشيعة ج٤ قسم ٢ ص٤٣.

(٤) الكافي ج٨ ص١٢٠.

(٥) وسائل الشيعة، ج٨ ص٨.

والهوية الشيعية وجر الشيعة وراءهم بهدف تحقيق غاياتهم. وقد ازداد نشاط هؤلاء الانتهازيين عندما كان الامام في المدينة على وجه الخصوص، ولما طردهم الامام وابعدهم عن محيطه بادر اصحاب الامام الى طردهم ايضاً. وكفّروا كلا من المغيرة بن سعيد وبيان بن سمعان اللذين كانا من مشاهير الغلاة وقادتهم. وقد نظم ابو هريرة العجلي شعراً بهذا الصدد يقول فيه:

**أبا جعفر انت الامام نُحبّه ونرضى الذي ترضى به ونُتابعُ**

**أتتنا رجال يحملون عليكم أحاديث قد ضاقت بهن الاضالعُ**

**أحاديثَ أفشاها المغيرة عنكُم وشر الامور المحدثات البدائعُ**[1]

هذه الاشعار تعكس جهود الغُلاة في نشر الاحاديث الملفّقة باسم الائمة لغرض استقطاب شيعة العراق. فهؤلاء كانوا يعتقدون ان التمسك بطاعة الامام يعفيهم من اداء واجباتهم الاسلامية، وان معرفة الامام تكفي وحدها لبلوغ الفلاح وتحقيق المقاصد الاسلامية المقدّسة وفي المقابل كان الامام الباقرعليه السلام يؤكد مراراً وتكراراً على وجوب الاتكاء على العمل الصالح.

وكانت احاديث الامام التي سنوردها فيما يلي بمثابة الاجراء المضاد لمواقف الغلاة ومعتقداتهم التافهة، وربما يكون الدافع وراء طرح مثل هذه الاحاديث هو ابطال مفعول افكار الغلاة بين الشيعة: «**ان شيعتنا من اطاع الله**»[2].

«**شيعتنا اهل الورع والاجتهاد واهل الوفاء والامانة واهل الزهد والعبادة واصحاب الاحدى وخمسين ركعة في اليوم والليلة القائمون بالليل**

---

(١) وسائل الشيعة، ج٨ ص٨.

(٢) الفصول المهمة ص٢١٣.

**والصائمون بالنهار يزكّون اموالهم ويحجّون البيت ويجتنبون كل محرّم»**[1].

وتشير الروايات الاخرى الواردة في هذا الصدد الى تآمر بعض الغلاة مما اضطر الامام الباقر هنا الى التصدي لهم بشدّة. يقول علي بن محمد النوفلي:

**«جاء المغيرة بن سعد الى الامام الباقر عليه السلام وقال له: اخبر الناس اني اعلم الغيب وانا أطعمك العراق. فزجره ابو جعفر زجراً شديداً واسمعه ما كره فانصرف عنه. فاتى ابا هاشم بن محمد بن الحنفية رحمه الله فقال له مثل ذلك، فوثب عليه فضربه ضرباً شديداً اشرف به على الموت»**[2].

المشكلة الاخرى التي بقيت ملازمة لاهل العراق هي عدم امكانية وثوق الامام بمعتقدهم ومدى اخلاصهم. فرغم جميع ما كانوا يُبدونه من حبّ وموالاة وما كان يبدو عليهم من رغبة عميقة في استقبال احاديث اهل البيت ونشرها، الاّ ان اعلان الوفاء ذلك لم يكن من اليسير الاطمينان اليه لأسباب متعددة يتعلق بعضها بالسوابق التاريخية لاهل الكوفة والعراق. فقد نُقل عن بريد العجلي أنّه قال للامام: **«يُقال إن لاصحابنا بالكوفة جماعة كثيرة فلو امرتهم لاطاعوك واتّبعوك.**

**فقال له الامام: يجيء احدكم إلىٰ كيس أخيه فيأخذ منه حاجته؟**

**قلت. لا.**

**قال الامام: بدمائهم ابخل»**[3].

---

(١) صفات الشيعة ص١٦٣.

(٢) ابن ابي الحديد، ج٨ ص١٢١.

(٣) وسائل الشيعة، ج٣ ص٤٢٥.

ومن جهة أخرى كانت المصلحة تفرض على الامام التزام التقية رغم الضغط الشديد والكبت القاتل الذي كان يفرض على الشيعة في العراق وما كانوا ينتظرونه من قدوم الامام الى العراق واعلان الثورة ولهذا السبب اعتراهم بعض الشك في امامته، كما ان عدم حصولهم على المعلومات الكافية عن امامته، جعلهم في حالة شك بينه وبين اخيه زيد، وهذا ما افضى الى حصول انشقاقات بين الشيعة. ومع ان الامام توفي قبل سبع سنوات من ثورة اخيه زيد في الكوفة الاّ أن جذور الميل الى زيد كانت قد نمت في ذلك العهد بين عدد من الشيعة. وعلى الرغم من جميع هذه المصاعب، الاّ أن الاختلافات الداخلية نادراً ما كانت تهددهم وكان السر في ذلك هو توجّهاتهم ومسارهم المعاكس لمصالح بني امية.

وقد كان تخفيف الضغط السياسي الموجّه ضدَّهم يتناسب طردياً مع اتساع نشاط الغلاة بحيث تجذّرت في زمن الامام الصادق عليه السلام حتى عادت هي القضيّة الرئيسة لدى الشيعة، ولم تخفّ وطأة الضغوط التي كانت تمارس ضد الشيعة طوال فترة الخلافة الاموية الاّ في عهد حكومة عمر بن عبدالعزيز التي استمرت لمدة عامين .

والحديث التالي: «**من بليَ من شيعتنا ببلاء فصبر كتب الله له اجر الف شهيد**». يعكس مدى الضغوط التي كانت تمارس ضد الشيعة، ومدى الجهود التي كان الامام يبذلها لاقناعهم بالتحمل والتزام الصبر. وقد نقلت عن الامام الباقر عليه السلام رواية يحلل فيها الاوضاع السياسية للشيعة وانواع الضغوط التي كان الخلفاء يمارسونها ضدّهم من بداية الخلافة الى عهده. نورد فيما يلي نص تلك الرواية على امل ان تتكون لدينا فكرة عن رأي الامام بهذا الصدد:

«**ما لقينا من ظلم قريش ايّانا وتظاهرهم علينا وما لقي شيعتنا**

**ومحبّونا من الناس، ان رسول اللهﷺ قُبض وقد اخبر أنّا اولى الناس بالناس فتمالأت قريش حتى اخرجت الامر عن معدنه واحتجّت على الانصار بحقّنا وحجّتنا ثم تداولتها قريش واحدٌ بعد واحدٍ حتى رجعت الينا فنكثت بيعتنا ونصبت الحرب لنا ولم يزل صاحب الامر في صعود وكئود حتى قُتل فبويع الحسنعليه السلام ابنه وعوهد ثم غُدر به.. ثم بايع الحسين من اهل العراق عشرون الفاً ثم غدروا به، ثم لم نزل اهل البيت نستذل ونستضام ونقصى ونُمتهن ونُحرم ونُقتل ونخاف ولا نأمن على دمائنا ودماء اوليائنا ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقربون به الى اوليائهم وقُضاة السوء وعمال السوء في كلّ بلدة فحدثوهم بالاحاديث الموضوعة المكذوبة ورووا عنا ما لم نقله ولم نفعله ليبغضونا الى الناس وكان عظم ذلك وكبر في زمن معاوية بعد موت الحسن فقتلت شيعتنا في كل بلدة وقُطعت الايدي والارجل على الظنّة وكان من يُذكر بحبّنا والانقطاع الينا سُجن ونُهِب ماله او هُدمت داره ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد الى زمان عبيدالله بن زياد قاتل الحسينعليه السلام ثم جاء الحجّاج فقتلهم كل قتلة واخذهم بكل ظنّة وتهمة حتى أن الرجل ليُقال له زنديقٌ او كافرٌ احب اليه أن يُقال له شيعة علي حتى صار الرجل يُذكر بالخير ولعلّه يكون ورعاً صدوقاً يُحدث باحاديث عظيمة عجيبة من تفضيل بعض من قد سلف من الولاة ولم يخلق الله تعالى شيئاً منها ولا كانت ولا وقعت وهو يحسب انها حقٌّ لكثرة من رواها ممن لم يعرف بكذب ولا بقلّة ورع»**[1].

تظهر الرواية السالفة اسلوب تحليل ائمة الشيعة للاوضاع السياسية في تلك

---

(١) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١١ ص ٤٤/ابو زهرة الامام الصادق، ص ١١١.

الحقبة الزمنية وتتضمن ايضاً اشارة الى تشدد الخلفاء الامويين ضد الشيعة الذين كانوا يكثرون في العراق بالخصوص. بديهي أنّ الشيعة كان لهم وجود في مكّة والمدينة أيضاً الاّ انهم كانوا اقل بكثير من شيعة العراق. وكان من جملتهم ابن ميمون الذي سأله الامام يوما: كم انتم بمكّة؟

قال: نحن اربعة. فقال له: **انكم نور في ظلمات الارض**[1]. (يحتمل ان هذا العدد كان يمثل الشيعة المخلصين).

ولم يكن الكثير من الشيعة قد بلغ درجات عالية في التشيّع بل كان عدد منهم يرغب في الاستفادة من علوم اهل البيت الى جانب احاديث اهل السنّة. ولذا اعتبروا في كتب الرجال جزءً من اصحاب الامام الباقرعليه السلام. وأمّا ما ورد في رجال الطوسي بشأن اصحاب الامام وان عددهم كان٤٦٧ رجلاً، فلم يكن ذلك يمثل الاّ الاشخاص الذين كانت علاقتهم به اقوى، والاّ فقد ورد في كتب السنّة اشخاص كثيرون جداً نقلوا الاحاديث عن الامام الباقرعليه السلام لكنّهم لا يُعدّون من اصحابه. وكان عدد الشيعة السياسيين ـوهم الذين كانوا يوالون ويُناصرون اهل البيت لا بسبب ايمانهم بامامة ائمة الشيعة، بل بسبب افضلية الشخصية الانسانية والسياسية لاهل البيت ـ كثيراً جداً في العراق، الاّ ان احداً لم يكن يعتمد عليهم او يثق بهم في مجال تفجير حركة سياسية او ثورة مع ادنى احتمال في النصر. وما كلام بُريد العجلي مع الامام، والذي مرّ ذكره في الصفحات السابقة الاّ تعبيراً عن هذه الحقيقة.

وقد اشتهر من بين اصحاب الامام عددٌ يسير منهم ونقلت عن طريقهم اكثر

---

(١) رجال الكشي، ص٣٤٦.

من نصف احاديثه الموجودة حالياً في جوامع احاديث الشيعة.

فزرارة بن اعين، ومعروف بن خربوذ، وبُريد بن معاوية العجلي وابي بصير الاسدي وفُضيل بن يسار ومحمد بن مسلم، كانوا من جملة من حظي بصحبة الامام الصادق عليه السلام وهم موثوقون من قبل علماء الشيعة[1].

اما زرارة، فقد قال بحقّه الامام الصادق عليه السلام: **«رحم الله زرارة بن اعين، ولولا زرارة لاندرست اثار النبوّة واحاديث ابي»**[2].

وحصل اشخاص مثل محمد بن مسلم على معرفة عميقة بالامام، فلم يأخذ علمه الاّ عن الامام الباقر عليه السلام ثم عن الامام الصادق عليه السلام، فكان يقول عن نفسه:

**«ما شجر في قلبي شيء قط الاّ سألت عنه ابا جعفر عليه السلام حتى سألته عن ثلاثين الف حديث، وسألت ابا عبدالله عليه السلام ستّة عشر الف حديث»**[3].

حتى ان بعض الشيعة اعتبره (اي محمد بن مسلم) افقه الشيعة[4].

وكان جابر بن يزيد الجعفي احد الشيعة المعروفين ايضاً، وكان عندما يروي حديثاً عن الامام الباقر عليه السلام يقول:

**«حدّثني وصيّ الاوصياء ووارث علم الانبياء محمد بن علي بن الحسين»**[5].

---

(١) نفس المصدر السابق ص٢٣٨ رجال الكشي.

(٢) رجال الكشي ص٩٠/ المفيد، الاختصاص ص٦٦.

(٣) الاختصاص ص٢٠١/ رجال الكشي ص١٠٩

(٤) الاختصاص ص٢٠٣.

(٥) الارشاد ص٢٨/ حلية الأولياء ج٣ ص١٨٣.

وهذه الكلمات نفسها كان يرددها مالك الاشتر النخعي على مسامع الناس حينما كان يتحدث عن امير المؤمنينعليه السلام، فكان يقول: «**ايها الناس هذا وصيُّ الاوصياء ووراث علم الانبياء**»[1].

وقد اعتبره ابو حنيفة شخصية فريدة فقال عنه: «**ليس عندي في الكوفة في بابه اكبر منه**»[2].

وكان حمران بن اعين وعبدالله بن شريك من اصحاب الامام الذين يقل نظيرهم[3].

وقال الصادقعليه السلام بشأن اصحاب ابيه من حملة حديثه: «**ما اجد احداً احيا ذكرنا واحاديث ابيعليه السلام الاّ زرارة وابو بصير المرادى ومحمد بن مسلم وبُريد ابن معاية ولولا هؤلاء ما كان احد يستنبط هُدىً، هؤلاء حُفاظ الدين وأمناء ابيعليه السلام على حلاله وحرامه وهم السابقون الينا في الدنيا والآخرة**»[4].

## الامام والقضايا السياسية

اعتبر الشيعة الزيدية قيام الامام بالسيف احد اصول مذهبهم في الامامة، فالشخص العلوي في نظر الزيدية انما يُعتبر اماماً اذا قام بالسيف والاّ لم يكن كذلك. ولو التفتنا الى نتيجة هذه العقيدة لدى الزيدية لم نجد سوى عدد معدود من الثورات المسلحة التي باءت بالفشل وقام بها كل من محمد ذو النفس الزكيّة

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ج٢ ص١٧٩. طبعة دار صادر.

(٢) المناقب للمكّي، ج٢ ص١٨ نقلاً عن ابي زهرة، الامام ابو حنيفة ص٧٢.

(٣) بحار الانوار ج٤٦ ص٣٤٣.

(٤) المفيد، الاختصاص ص٦٦.

واخوه ابراهيم والحسين بن علي المعروف بشهيد فخّ وغيرها من الثورات التي قامت في انحاء مختلفة من العالم الاسلامي. ولم تحرز اي من هذه الثورات نجاحاً ملحوظاً سوى ثورة طبرستان التي يُشكّ في انتماء قادتها الى الزيدية او الى الامامية (والاحتمال الاقوى انهم كانوا زيدية) فكانت نتيجة ذلك هي:

**اولاً**: انهم لم يتبعوا الاوصياء الذين اصطفاهم الله اي الائمة الاطهار عليهم السلام بل اتبعوا كل علوي حمل السيف.

**ثانياً**: انهم من الناحية الثقافية في الفقه والتفسير والكلام لم يكن لهم ما للشيعة من ثقافة متسعة ومترابطة ومنظمة. ففي بابي التفسير والفقه كانوا ياخذون برأي ابي حنيفة غالباً وقلدوا في علم الكلام المعتزلة. وقد اعتبروا بنحو عام من فرق وشعب اهل السنة.

وقد ادّت الاعمال والنشاطات التي قام بها ائمة الشيعة وخاصة الامامين الباقر والصادق عليهما السلام الى ايجاد ثقافة خاصة وغنيّة للمذهب الشيعي الذي عرف فيما بعد بالمذهب الجعفري وان كانت شهرته بالمذهب الباقري لم تكن بعيدة عن الصواب ايضاً.

هذا المذهب الفكري الذي يعرض علوم اهل البيت بشكل منظم وفي جميع المجالات كان ثمرة الجهود المتواصلة التي استمرت ٥٥ عاماً (من عام ٤٨ـ٩٤) لهذين الامامين.

ان اختيار مثل هذا الموقف في ظل الاوضاع السياسية التي كانت سائدة آنذاك والتي تميّزت بشدة القمع التي كانت تمارسها السلطة الاموية ومن بعدها السلطة العباسية من اجل بقاء حكومتها ضد كل معارضة لم يكن من الممكن أن

يقترن بمشاركة في الخطوات السياسية المهمة، اذ ليس من الصحيح المشاركة دوماً وفي كل الاحوال والظروف في التحركات السياسية بالغاً ما بلغ الثمن، حتى ان كان ثمن ذلك هو الاغضاء عن تبيان المعارف الحقّة واغلاق الطريق أمام الامة الى الابد. ولذا اتخذ ائمة الشيعة في هذه البرهة موقفاً يقوم على بيان المعارف الدينية الحقيقية وكان نشاطهم الاساس يتمثل في تدوين الثقافة الدينية وهذا ما نشاهد ونلمس نتائجه اليوم بشكل واضح.

ولا يعني هذا ان ائمة الشيعة لم يتخذوا ايَّ موقف ازاء غطرسة الحكّام المتسلطين. فجميع الشيعة وحتى الامويين كانوا يدركون جيداً ان قادة الشيعة يطالبون بالخلافة، وانهم كانوا -كما تشير الروايات التي نقلناها عن الامام الباقر- يرون الخلافة حقاً لهم ولآبائهم وأن قريشاً اخذتها منهم عنوة. ولهذا كان الشيعة يمتنعون من التعاون مع الحكّام الاّ في بعض الحالات الاستثنائية التي يسمح فيها بذلك لاسباب خاصة لكن هذه المسألة لم تتخذ دوماً طابع المواجهة العلنية المسلحة او المشاركة المستمرة في الثورات. وبناء على هذا فان المعارضة والدعوة الى عدم التعاون والمواجهة السلبية كانت من المواقف الواضحة والبارزة للامام.

جاء عقبة بن بشير الاسدي وكان من الشيعة الى الامام الباقر عليه السلام، واشار الى مكانته وعلو منزلته في قبيلته قائلاً: «**كان لقبيلتنا عريف**[1] **مات ويريدون تعريفي عليهم، فما ترى في ذلك؟ فقال له الامام:**

**تَمنُّ علينا بحسبك ان الله تعالى رفع بالايمان من كان الناس سَموهُ وضيعاً اذا كان مؤمناً، ووضع بالكفر من كان يسمونه شريفاً اذا كان كافراً،**

(١) رجال الكشي ص٢٠٤.

**فليس لاحدٍ فضلٌ الاّ بتقوى الله. اما قولك ان قومي كان لهم عريف فهلك فأرادوا أن يعرّفوني عليهم. فان كنت تكره الجنّة وتبغضها فتعرّف على قومك يأخذ السلطان بامرءٍ مسلم يسفك دمه فتشركهم في دمه عسى ان لا تنال من دنياهم شيء»**[1].

تبيّن لنا هذه الرواية كيف ان الامام كان يمنع شيعته من تسلّم اي عمل او منصب لدى الحكومة ولو كان بدرجة عريف وهي درجة تافهة لا اهمية لها ويعلل ذلك بجور الحكّام على الرعية، ويعتبر مثل ذلك العمل مشاركة لهم في ارتكاب ذلك الذنب.

وكان الامام الباقر عليه السلام يحثّ الناس بصورة مختلفة على الاعتراض على تصرفات الحكّام ونصيحتهم، وقد وردت عنه عليه السلام رواية جاء فيها: **«من مشى الى سلطانٍ جائر فأمره بتقوى الله ووعظه وخوّفه كان له مثل اجر الثقلين من الجنِ والانس ومثل اجورهم»**[2].

وكانت التقية درعاً هاماً وواقياً بيد الشيعة يصونون به انفسهم في الفترات المظلمة للحكم الاموي والعباسي وقد روى الباقر عليه السلام عن ابيه انه قال: **«ان التقية ديني ودين آبائي ولا دين لمن لا تقية له»**[3].

امّا بشأن ادعاء الامامة من قبل اهل البيت، فهناك ادلّة وشواهد تاريخية كثيرة تؤكدها بجلاء ووضوح، وهي قضية واضحة للناس، والجميع يعلم أن ائمة

---

(١) قال ابن الاثير: العرفاء جمع عريف وهو القيم بامور القبيلة او الجماعة من الناس يلي امورهم ويتعرّف الامير منه احوالهم لسان العرب.

(٢) المفيد، الاختصاص، ص ٢٦١.

(٣) دعائم الاسلام، ج ١ ص ٩٥.

الشيعة يعتبرون الامامة حقاً لهم لا ينافسهم فيها غيرهم. واما من الناحية النظرية فقد اكد الامام الباقر وبقية الائمة على عدم مشروعية عمل السلطات الحاكمة آنذاك، وانهم يطرحون امام الناس وجوب اقامة الحكومة الحقّة في المجتمع الاسلامي:

**«وكذلك يا محمد (بن مسلم) من اصبح من هذه الامة لا إمام له من الله عزوجل ظاهر عادل اصبح ضالاً تائهاً وان مات على هذه الحالة مات ميتة كفر ونفاق، واعلم يا محمد ان ائمة الجور واتباعهم لمعزولون عن دين الله قد ضلّوا واضلّوا فاعمالهم التي يعملونها كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد»**[1].

والنتيجة الطبيعية لمثل هذه الكلمات هي سوق الناس نحو اهل البيت وتنبيههم الى الجور الذي يمارسه الولاة بحق ابناء الامة. كما أنّ تأكيدات الامام المتكررة على كون الامامة مع الصوم والصلاة والحج والزكاة تشكّل الاحكام الاساسية الخمسة في الاسلام، ترجع في الحقيقة الى هذا الامر. ثم يقول في نهاية الحديث مؤكّداً على امر الولاية: **«ولم يُنادَ بشيء كما نودي بالولاية فأخذ الناس بأربع وتركوا الولاية»**[2].

وقد روي ان الامام الباقر دخل يوماً على هشام بن عبدالملك ولم يسلّم عليه بالخلافة وامرة المؤمنين، فغضب هشام واشار الى من حوله ليعنّفوا الامام، ثم قال: **«لا يزال الرجل منكم شق عصا المسلمين ودعا الى نفسه»**.

وبعد ان فرغ هشام من توبيخ الامام وأمر الناس بلومه التفت الامام نحو

---

(١) الكافي، ج١ ص١٨٣ ـ ١٨٤.

(٢) الكافي ج١، ص١٨٣.

الناس وقال:

**«ايّها الناس اين تذهبون واين يراد بكم، بنا هُدي اولكم وبنا ختم آخركم فان يكن لكم ملكٌ معجل فان لنا مُلكاً مؤجّلاً وليس بعد ملكنا ملك، لأنا اهل بيت العاقبة، يقول الله: ﴿والعاقبة للمتّقين﴾.**

فاصدر هشام امراً بحبس الامام، وتأثر من كان في السجن بشخصية الامام فعلم هشام بذلك فأمر بارجاعه الى المدينة[1].

وفي عهد الامام الباقر عليه السلام كان بنو امية عامّة يضيقون الخناق على اهل البيت ولم يكن ذلك التضييق الا بسبب ادعائهم الامامة والزعامة الدينية السياسية واعتبارهم بني امية غاصبين لها. وقد ذكرت المصادر التاريخية ـ التي لا نعلم مدى صحّتها ودقتها ـ ان عمر بن عبدالعزيز هو الخليفة الوحيد من بين آل امية الذي كان تعامله مع اهل البيت جيداً نسبياً.

وانطلاقاً من هذا يروي اهل السنّة عن الامام الباقر عليه السلام انه قال: «**عمر بن عبدالعزيز نجيب بني اميّة**»[2].

وورد كذلك في مصادر الشيعة ان عمر بن عبدالعزيز كان يدفع عطاء اهل البيت من بيت المال[3]، كما أرجع فدك لبني هاشم[4].

وفي العهد الاموي كانت اشد الضغوط وطأة على اهل البيت هي تلك التي

---

(١) ائمتنا، ج٢ ص٣٥٨ نقلاً عن الكافي ج١ ص٤٧٨/ المناقب، ج٢ ص٢٨٠.

(٢) الذهبي، تذكرة الحفّاظ، ج١ ص١١٩.

(٣) الحميري، قرب الاسناد، ص١٧٢.

(٤) الخصال، ج١ ص٥١ / ر.ك. امالي الطوسي ص٨٠/ السيوطي، تاريخ الخلفاء ص٢٣٢.

مارسها ضدهم هشام بن عبدالملك، وكانت اهانته وكلماته النابية هي التي دفعت زيد بن علي الى الثورة عليه في الكوفة (عام ١٣١). في لقاء حصل بين هشام وزيد تطاول هشام بالاهانة على الامام الباقر عليه السلام، وقال عنه باستهزاء «البقرة»، فغضب زيد من هذا السلوك الوقح وقال له: **«سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله الباقر وانت تسمية البقرة لشدّ ما اختلفتما ولتخالفنّه في الآخرة كما خالفته في الدنيا فيرد الجنّة وترد النار»**[1].

وقد سبّ شخص مسيحي النبيّ الاكرم صلى الله عليه وآله بحضور هشام، فلم يبرز منه ايّ رد فعل، وهذا ما خلق لدى زيد ردة فعل عنيفة فيما بعد، وقد قيل ان هذه التصرفات كانت هي الدوافع الاصلية والمهمة في ثورة زيد ضد الحكومة الاموية، فكانت بذلك بداية لسلسلة من الثورات المتواصلة على امتداد الوطن الاسلامي الكبير وفي المشرق وايران بالخصوص ضد السلطة الاموية.

وجاء كذلك في مصادر الشيعة ان الامام الباقر عليه السلام استُدعيَ الى الشام برفقة ابنه الصادق عليه السلام ليواجها هناك الاهانة والاستخفاف ويتخليا عن فكرة الحكومة ومعارضة السلطة الاموية.

وقد روى الامام الصادق عليه السلام بدوره هذه الحادثة في رواية مطوّلة، ننقل فيما يلي مقاطع منها عن لسان الراوي قال:

**«حج هشام بن عبدالملك بن مروان سنة من السنين وكان قد حج في تلك السنة محمد بن علي الباقر عليه السلام وابنه جعفر بن محمد عليه السلام فقال جعفر عليه السلام:**

**«الحمد لله الذي بعث محمداً بالحقّ نبيّا واكرمنا به فنحن صفوة الله على**

(١) ابن ابي الحديد ج٧، ص١٣٢/ابن عنبة، عمدة الطالب ص ١٩٤.

خلقه وخيرته من عباده وخلفائه فالسعيد من اتبعنا والشقي من عادانا وخالفنا».

ثم قال عليه السلام: فاخبر مسلمة اخاهُ بما سمع فلم يعرض لنا حتى انصرف الى دمشق وانصرفنا الى المدينة. فانفذ بريداً الى عامل المدينة باشخاص ابي واشخاصي معه، فاشخصنا فلما وردنا مدينة دمشق حجبنا ثلاثاً، ثم اذن لنا في اليوم الرابع فدخلنا واذا قد قعد على سرير الملك، وجنده وخاصته وقوف على ارجلهم سماطان متسلحان وقد نصب البُرجاس حذاه، واشياخ قومه يرمون، فلما دخلنا وابي امامي وانا خلفه. فنادى ابي وقال: يا محمد ارم مع اشياخ قومك الغرض. فقال له: اني قد كبرت عن الرمي فهل رأيت ان تعفيني فقال: وحقّ من اعزنا بدينه ونبيّه محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا اعفيك. ثم اومأ الى شيخ من بني أمية ان اعطه قوسك.

فتناول ابي عند ذلك قوس الشيخ ثم تناول منه سهماً، فوضعه في كبد القوس، ثم انتزع ورمى وسط الغرض فنصبه فيه، ثم رمى فيه الثانية فشقَّ فواق سهمه الى نصله ثم تابع الرمي حتى شقَّ تسعة اسهمٍ بعضها في جوف بعض. وهشام يضطرب في مجلسه. فلم يتمالك الاّ أن قال: اجدت يا ابا جعفر وانت ارمى العرب والعجم، هلاّ زعمت انّك كبرت عن الرمي، ثم ادركته ندامة على ما قال.

وكان هشام لم يكن كنّى احداً قبل ابي ولا بعده في خلافته. فهمّ به واطرق الى الارض اطراقة يتروّى فيها وانا وابي واقف حذاه مواجهين له. فلّما طال وقوفنا غضب ابي فهمّ به. وكان ابي عليه السلام اذا غضب نظر الى السماء نظر غضبان يرى الناظر الغضب في وجهه.

**فلّما نظر هشام الى ذلك من ابي قال له: اليَّ يا محمد! فصعد ابي الى السرير وانا اتبعه، فلما دنا من هشام قام اليه واعتنقه واقعده عن يمينه، ثم اعتنقني واقعدني عن يمين ابي. ثم اقبل على ابي بوجهه فقال له:**

**يا محمد لا تزال العرب والعجم تسودها قريش ما دام فيهم مثلك، لله درك، من علّمك هذا الرمي؟ وفي كم تعلّمته؟ فقال ابي: قد علمت ان اهل المدينة يتعاطونه فتعاطيته ايام حداثتي ثم تركته. فلمّا اراد امير المؤمنين منّي ذلك عدت فيه. فقال له ما رأيت مثل هذا الرمي قط مذ عقلت، وما ظننت ان في الارض احداً يرمي مثل هذا الرمي. ايرمي جعفر مثل رميك؟**

**فقال: انا نحن نتوارث الكمال والتمام اللذين انزلهما الله على نبيّه ﷺ في قوله ﴿اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً﴾ والارض لا تخلو ممّن يكمل هذه الامور التي يقصر غيرنا عنها.**

**قال: فلما سمع ذلك من ابي انقلبت عينه اليمنى فاحولّت واحمرّ وجهه وكان ذلك علامة غضبه اذا غضب.**

**ثم واصل هشام حديثه قائلاً: ان علياً كان يدّعي علم الغيب والله لم يطلع على غيبه احداً فمن اين ادّعى ذلك؟ فقال ابي: ان علياً هو الذي تولّى نشر معارف القرآن وعلوم النبي ﷺ» .**

ثم امر هشام باطلاقها وارجاعها الى المدينة.

ثم جرت بين الامام والرهبان والقساوسة المسيحيين المقيمين في الشام محاجّة ومساءلة، وقد جاء ذكرها مفصلاً في كتب الحديث. ثم امر هشام ان يغادر الامام المدينة باسرع ما يمكن حتى لا يتأثر اهل الشام بعلمه. وقد كان بعث بريداً

الى عامله على المدينة كتب فيه: «ان ابنيّ ابى تراب ساحرين ويدّعيان كذباً ما يظهران من الاسلام لانهما تأثرا برهبان النصارى ومالا اليهم. فكرهت أن انكّل بهما لقرابتهما، فاذا وصلا الى المدينة، نادِ في الناس: برئت الذمة ممن يشاريهما او يبايعهما او يصافحهما او يسلّم عليهما فانهما قد ارتدا عن الاسلام».

وقد صدق الناس ما ورد في هذا الكتاب، واغلظوا للامام في المعاملة والقسوة لكن الامام حذّرهم ونصحهم وخوفهم من عذاب الله، فكفوا عن اهانته وايذائه وهذه الرواية تعكس حيلة هشام من اجل مسخ صورة اهل البيت.

# الامام الصادق عليه السلام

ابو عمرو الجاحظ: «**جعفر بن محمد الذي ملأ الدنيا علمه وفقهه**»[1].

الامام السادس للشيعة هو جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، ولد عام ٨٠ او عام ٨٣ للهجرة.

يرجع الاساس الفكري والعقائدي للشيعة الى الامام الصادق عليه السلام، فعلى يده تم نشر الكثير من علوم واحاديث اهل البيت. وقد كان الامام الصادق الحد الفاصل بين الفرق، نتيجة ظهوره لدى الشيعة، وقد جعل اهم واجب امام ناظره هو صيانة الشيعة من الانحراف ووقايتهم من التأثر بالانحرافات التي كانت سائدة في عصره والتي كانت تهدد على الدوام النقاء الفكري والعقائدي والاستقلال الثقافي لهم.

---

(()١ رسائل الجاحظ ص١٠٦.

والروايات الواردة في امامة جعفر بن محمد الصادق عليه السلام كثيرة تعرضت لها الكثير من جوامع الحديث والكتب التاريخية للشيعة من جملتها (الكافي ، كتاب الحجّة)، و(كشف الغمة في معرفة الائمة)[1]، و(اثبات الوصية)، و(ارشاد المفيد) و(اثبات الهداة).

كان الامام الباقر عليه السلام يعيش في المدينة، واما الامام الصادق عليه السلام فحيث كان اكثر شيعته في العراق فانّه عاش فيه ردحاً من الزمن لهذا السبب او لأسباب أخرى[2].

وفي عهده سقطت الدولة الاموية وانتقل الحكم الى بني العباس، وبعد أن أمضى عليه السلام اطول مدّة ـ قياساً الى سائر الائمة ـ في ارشاد الناس، رحل اخيراً عن هذه الدنيا في شوال عام ١٤٨ للهجرة، وترك الشيعة في حزن دائم ومأتم لا ينقطع لفقده. ونُقلت بشأن شهادته رواية عن اهل السنة انفسهم[3] الاّ ان ابا زهرة اعتبرها غير صحيحة، مستنداً بذلك الى ثناء المنصور على الصادق عليه السلام واعلانه عن اسفه لرحلته، وهو ما رواه اليعقوبي[4].

كما اعتبر ان مثل هذه الاجراء من قبل المنصور يتعارض وسياسته في توطيد دعائم حكمه[5].

لكن ينبغي القول بان كلا الردّين لا يُعتبران نصاً تاريخياً ولا يشكّلان دليلاً

---

(١) كشف الغمة، ج ٢ ص١٦٧ ـ ١٧٣.

(٢) الملل والنحل ج ١ ص١٤٧. طبعة القاهرة.

(٣) الاتحاف، للشبراوي، ص١٤٧.

(٤) اليعقوبي، ج ٣ ص١١٧/ الامام الصادق ،ابو زهرة، ص٦٧.

(٥) الامام الصادق ص٦٤.

على عدم استشهاده. لأن اعلان المنصور عن اسفه بصفته خليفة ـفلا يريد أن يُظهر ان الامام الصادقعليه السلام استشهد بناءً على اوامره ـ امر طبيعي جداً، وقد حصل نظير هذا الموقف ايضاً للمأمون ازاء الامام الرضاعليه السلام، بل يُعتبر مثل هذا الامر قضية طبيعية جداً فيما يخص السلاطين وحوادث الاغتيال السياسية التي تُنفّذ بناءً على اوامرهم.

وكذلك قيام المنصور بقتل عدد كبير من العلويين وعدائه الصريح لهم يتنافى مع سلوكية المنصور حسبما يصرّح به ابو زهرة.

بل ان العكس هو الصحيح، فقد كان قتل الامام الصادقعليه السلام متطابقاً واسلوبه في الحكم، كما هو الحال في سلوكه مع اعدائه الآخرين. وكل ذلك كان يجري في الخفاء وبسرية تامة لكي يبقى هو في مأمن من افرازاته واعراضه الجانبية. وعلى هذا فلو وجد شاهد تاريخي ينبئ بسمّه على يد المنصور فسيكون ذلك اكثر مقبولية من اعلان المنصور عن اسفه.

## شخصية الامام الصادقعليه السلام الفقهية والاخلاقية

توجد شواهد جمة على نبوغ شخصية الامام الصادق العلمية. اما من جهة نظر الشيعة فهم يعتقدون بتنصيبه لمقام الامامة من الله تعالى، اذ ستكون النتيجة المباشرة لمثل هذا الاعتقاد انّ لديه علم الامامة الخاص. واما عند اهل السنّة فقد كان يحظى بمقام شامخ في مجالات الرواية والحديث والفقه والافتاء عندهم، حتى انهم يعدّونه من شيوخ ابي حنيفة ومالك بن انس وعدد كثير من كبار محدّثيهم. فمالك بن انس من جملة مَن تتلمذوا مدّة طويلة على يد الامام الصادقعليه السلام، وقال عنه:

**«ولقد كنت آتي جعفر بن محمد وكان كثير المزاح والتبسّم، فاذا ذُكر عنده النبيﷺ اخضر واصفر ولقد اختلفت اليه زماناً وما كنت اراه الاّ على ثلاث خصال: اما مصلياً واما صائماً واما يقرأ القرآن. وما رأيته قط يحدّث عن رسول اللهﷺ الاّ على الطهارة ولا يتكلم فيما لا يعنيه وكان من العلماء الزهّاد الذين يخشون الله وما رأيته قط الاّ يخرج الوسادة من تحته ويجعلها تحتي»**[1].

ونُقل عن عمرو بن المقدام انّه قال: **«كنتُ اذا نظرت الى جعفر بن محمد علمت انّه من سلالة النبيين»**[2].

وقال الجاحظ وهو من مشاهير علماء القرن الثالث: **«جعفر بن محمد الذي ملأ الدنيا علمه وفقهه ويُقال ان ابا حنيفة من تلامذته وكذلك سفيان الثوري وحسبك بهما في هذا الباب»**[3].

ويُثني ابن حجر الهيثمي ايضاً على مكانة الامام وشخصيته العلمية ويشير الى أن اشخاصاً مثل يحيى بن سعيد وابن جريج ومالك وسفيان الثوري وابي حنيفة وشعبة وايوب السجستاني نقلوا عنه الكثير من الروايات[4].

وقد نقلت عبارات كثيرة قالها العلماء والمفكرون عن شخصيته جمع الاستاذ اسد حيدر اغلبها في كتابه القيّم (الامام الصادق والمذاهب الاربعة)[5] ولا حاجة

---

(١) المناقب للزواوي، ص٤١ نقلاًعن ابي زهرة/الامام مالك ص٩٤ـ ٩٥.

(٢) تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، ج٢ ص١٠٤/كشف الغمة ج٢ ص١٨.

(٣) وسائل الشيعة الجاحظ، ص١٠٦.

(٤) الصواعق المحرقة، ص١٢٠.

(٥) الامام الصادق والمذاهب الاربعة، ج١ ص٦٢.

الى ذكرها في هذا الكتاب.

ولا شك ان كثرة المتعلّمين الذين كانوا يحضرون في حلقة درسه، او الذين نقلوا عنه الاحاديث يظهر مدى عظمة شخصيته العلمية.

كان الحسن بن علي الوشّاء يقول: «**رأيت في مسجد الكوفة تسعمائة شخص يقول كل منهم حدّثني جعفر بن محمد**»[1].

وتتلمذ على يده ايضاً نصير بن كثير وسفيان الثوري ـ الذي طارت شهرته في المصادر السنّية بالزهد والعلم ـ واكتسبا منه العلم والاخلاق[2] قد جاءا اليه عند وقت الحج وقالا: «**إنّا ذاهبان الى الحج، علّمنا شيئاً تكون به نجاتنا. فعلّمهما الامام دعاءً**»[3].

وفي مواقف أخرى يُلحُّ في سؤال الامام ليروي له حديثاً[4].

وقد كان هناك ايضاً من يروي الاحاديث الملّفقة عن الامام الصادق عليه السلام بقصد الاساءة اليه. يقول شريك في هذا الصدد: «**كان جعفر بن محمد رجلاً صالحاً مسلماً ورعاً. فاكتنفه قومٌ جهّال يدخلون عليه ويخرجون من عنده ويقولون حدّثنا جعفر بن محمد ويحدّثون بأحاديث كلها منكرات كذب موضوعة على جعفر يستأكلون الناس بذلك ويأخذون منهم الدراهم ومن هؤلاء بيان بن سمعان الذي ادّعى ان معرفة الامام تكفي عن الصوم والصلاة،**

---

(١) الامام الصادق، فضل الله، ص١٢٩، و ر. ك، الامام الصادق والمذاهب الاربعة ج١ ص٦٧.

(٢) كشف الغمة، ج٢ ص١٦٦ ط تبريز.

(٣) السهمي، تاريخ جرجان ص٥٥٤/ المزني، تهذيب الكمال ج٥ ص٩٢.

(٤) تهذيب الكمال ج٤ ص٨٥/ سيرة اعلام النبلاء، ج٦ ص٢٦١.

**وما قال جعفر شيئاً من هذا قط. كان جعفر اتقى واورع من ذلك»**[1].

ولو تجاوزنا جميع هذه الموارد فقد كانت للامام بين شخصيات عصره وخاصة العلماء منهم عظمة تثير الاعجاب والحيرة. كتب ابو زهرة في هذا الشأن: **«ما أجمع علماء الاسلام على اختلاف طوائفهم في امر كما اجمعوا على فضل الامام الصادق وعلمه»**[2].

وكتب ايضاً الشهرستاني مؤلف كتاب (الملل والنحل) عن شخصيته العلمية والاخلاقية كما يلي: **«وهو ذو علم غزير في الدين وأدب كامل في الحكمة وزهد بالغ في الدنيا وورع تامٍ عن الشهوات»**[3].

وبالاضافة الى ما اكتسبه منه ابو حنيفة[4] فقد روى عنه الاحاديث ايضاً، وتلاحظ الكثير من رواياته التي نقلها عن الامام الصادقعليه السلام في كتاب (الآثار)[5].

وقال عن الامام الصادقعليه السلام: **«ما رأيت افقه من جعفر بن محمد وانّه اعلم الامة»**[6].

ويقول عنه المؤرخ المشهور ابن خلكان: **«احد الائمة الاثني عشر على مذهب الامامية وكان من سادات اهل البيت ولُقّب بالصادق لصدق مقالته**

---

(١) اختيار معرفة الرجال، الطوسي، ص ٣٢٤ ـ ٣٢٥ طبعة مشهد.

(٢) الامام الصادق، ابو زهرة ص٦٦.

(٣) الملل والنحل، ج ١ ص١٤٧/الامام الصادق، ابو زهرة ص ٣٩.

(٤) جامع المسانيد ابو المؤيد بن احمد الخوارزمي، ج ٢ ص ٣٤٩، ط بيروت، دار الكتب الاسلامية.

(٥) ابو زهرة، الامام الصادق ص٣٨.

(٦) جامع المسانيد ج ١ ص٢٢٢/الامام الصادق، ابو زهرة، ص ٢٢٤/ والامام ابو حنيفة، ص ٧٠.

**وفضله اشهر من أن يُذكر»**[1].

وقال عنه الشيخ المفيد رحمه الله : **«ولم يَنقُل العلماء عن احد من اهل بيته ما نُقِل عنه»**[2].

كان المنصور العباسي في صراع دائم مع العلويين وقد سعى الى التقليل من شخصية الامام الصادق عليه السلام من خلال تعظيمه لبعض علماء اهل السنة من امثال مالك بن انس. اذ كان يقول له: «أنت والله اعقل الناس واعلم الناس، ولَئن بقيتُ لاكُتَبَنَّ قولك كما يكتب المصاحف. ولابعثن به الى الآفاق فأحملهم عليه»[3].

لم تكن حركة المنصور هذه ناتجةً عن حبه لمالك، بل اراد جعله رمزاً وتجسيداً ليطفئ بذلك نار حقده وغضبه على الامام الصادق عليه السلام.

فقد كان المنصور يتشبث بكل وسيلة ممكنة للاساءة الى الامام، وخدش شخصيته العلمية والفقهية، مثلما دفع ابا حنيفة للوقوف في مقابل الامام ومناقشته والتباحث معه فان انتصر ابو حنيفة، فسيكون ذلك بمثابة اخراج للامام من ساحة العلوم والمعارف الاسلامية وقد روى ابو حنيفة نفسه هذه الحادثة فقال:

«قال لي المنصور ان الناس ولعوا بجعفر بن محمد وهم يتوافدون عليه باستمرار ، فاجمع له من المسائل المستعصية واسأله عن جوابها فان هو عجز عن الاجابة عليها سقط في اعين الناس، فجمعت له اربعين مسألة مما تصعب الاجابة عليه». ثم التقى الامام الصادق عليه السلام وابو حنيفة في الحيرة بحضور المنصور، ووصف

---

(١) وفيات الاعيان ـ ج٨ ص١٠٥.

(٢) كشف الغمة، ج٢ ص١٦٦.

(٣) تذكرة الحفّاظ، ج١ ص٢٠٩.

ابو حنيفة لحظة دخوله مجلس المنصور كالآتي:

«لما دخلت المجلس رأيت هيبة جعفر بن محمد غطّت حتى على المنصور نفسه، فسلّمت وجلست في مكاني، فالتفت المنصور اليّ وقال: اعرض ما لديك من مسائل على ابي عبدالله.

فألقيت عليه المسائل التي اعددتها الواحدة تلو الاخرى وهو يجيب قائلاً: رأيكم في القضية الفلانية كذا واهل المدينة يقولون كذا ونحن نقول كذا. وكان رأيه في قسم من المسائل يوافق رأينا وفي مسائل أخرى يوافق رأي اهل المدينة وبعضها يختلف عن الجانبين، حتى اجاب عن اربعين سؤالاً.

وعند انتهاء الاسئلة قال ابو حنيفة مشيراً الى الامام الصادق عليه السلام: ان اعلم الناس اعلمهم باختلاف الناس»[1].

ومن الطبيعي جداً ان ينادي الامام مثلما كان جدّه امير المؤمنين عليه السلام ينادي: «**سلوني قبل ان تفقدوني فأنّه لا يحدّثكم احد بعدي بمثل حديثي**»[2].

والاحاديث التي وصلتنا من الامام الصادق عليه السلام لا تختص بالفقه فقط، بل وصلتنا منه احاديث ايضاً في مجال التفسير وعلم الكلام والاخلاق. ولو راجعنا كتاب (اصول الكافي)، لتبيّن لنا عمق وسعة نظر الامام في المسائل العقلية الاسلامية. كما تضمنت تفاسير البرهان والصافي ونور الثقلين عدداً كبيراً من احاديثه.

---

(١) المزي، تهذيب الكمال، ج٥ ص٧٩ ـ ٨٠ / ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، ج٢ ص٥٥٦.

(٢) تهذيب الكمال، ج٥ ص٧٩، سير اعلام النبلاء، ج٦ ص٢٥٧، الكامل في ضعفاء الرجال، ج٢ ص٥٥٦.

كتب العالم السُنّي ابو زهرة في هذا الصدد يقول: «**ولم يكن علمه مقصوراً على الحديث وفقه الاسلام بل كان يدرّس علم الكلام**»[1].

ولا يمكننا هنا تبيان جميع النظريات الكلامية للامام، الاّ أن عبارته بشأن مسألة الجبر والتفويض وهي عبارة مشهورة قال فيها: «**لا جبر ولا تفويض بل امرٌ بين أمرين**» تُعدُّ اجمل واشمل وادق تعبير طرح في هذا المجال.

ويقول ابو زهرة في موضع آخر من كتابه عن الامام الصادق عليه السلام: «**وفوق هذه العلوم كان الامام الصادق على علمٍ بالاخلاق وما يؤدّي الى فسادها**»[2].

وكان عدد الرواة الذين رووا عنه الاحاديث كبيراً جداً، يمكن العثور على اسمائهم في (تهذيب الكمال) للامام المزّي[3] وبقية كتب الرجال مثل (تهذيب التهذيب)، ومن بينهم عدد كبير من الشخصيات البارزة عند اهل السنة، وقد اورد الذهبي في كتاب سير اعلام النبلاء اسماء الرواة الذين نقلوا عن الامام الصادق عليه السلام[4].

هذا في وقت كان فيه الكثير من المحدّثين لا يجرؤون على النقل عنه في عهد بني أميّة، فقد ذُكر بشأن مالك بن انس بأنه: «**لم يَروِ عن جعفر بن محمد حتى ظهر امر بني العبّاس**»[5].

---

(١) ابو زهرة، الامام الصادق ص٦٦.

(٢) ابو زهرة ـ الامام الصادق ص٦٧.

(٣) تهذيب الكمال، ج٥ ص٧٥و ٧٦.

(٤) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٦ ص٢٥٦.

(٥) ابن عدي الكامل في ضعفاء الرجال ج٢ ص٥٥٥/ الذهبي، سير اعلام النبلاء ج٦ ص٢٥٦.

## شيعة الامام الصادقعليه السلام

كان اتساع نطاق التشيّع وكثرة اصحاب الامام الصادقعليه السلام مصحوباً طبعاً بالكثير من الاختلافات والمصاعب. فلم يكن باستطاعة جميع تلاميذه وشيعته في ذلك العصر وضع جميع افكارهم وتصوراتهم في الزاوية الصحيحة، واكتساب معارفهم الدينية من مصدرها الاساس وهو بيت الرسالة، كما كان الحال بالنسبة لمحمد بن مسلم وزرارة.

فقد كان الكثير منهم يحضرون في حلقات درس المحدّثين من اهل السنّة، وهذا ما كان يؤثر على نمط تفكيرهم وفهمهم، ومن جانب آخر فقد كان لكثرة اصحابه وانتشارهم في الاصقاع القاصية والدانية تأثيره ايضاً اذ كان يتعذر عليهم الاتصال المباشر بالامام لذا فهم كانوا يرجعون في مسائلهم الفقهية والعقائدية الى الشيعة الاكثر شهرة وقد ادّى ذلك الى سريان الاختلاف في وجهات نظرهم الى بقية الشيعة. وقد اوجد التناحر السياسي بين عدد من الشيعة ميولاً لدىالبعض منهم تجاه الحكومة العبّاسية الفتيّة التي كان لها قبل هذا نفوذ واسع في الاوساط الشيعية وهذا ما اضاف عاملاً آخر الى عوامل الاختلاف بين الشيعة.

وعلاوة على كلّ ذلك اصبحت قضية الزيدية عاملاً آخر يضاف الى عوامل هذه التفرقة اذ ادّت حركاتهم الثورية الى استقطاب الشيعة السياسيين والمتطرّفين الى الالتفاف حول هذه الفرقة، وكان من الطبيعي أن تترك مثل هذه الاحداث تأثيراتها السلبية والعميقة نسبياً على الشيعة.

وفي نفس الوقت كان بين اصحاب الامام الصادقعليه السلام شيعة حقيقيّون بذلوا جهوداً جبّارة ومتواصلة من اجل المحافظة على آثاره العلمية وما ورد عنه من روايات.

يقول الامام الصادقعليه السلام بهذا الشأن: «**ما احد أحيى ذكرنا وأحاديث ابي الاّ زرارة وابو بصير ليث المرادي ومحمد بن مسلم وبريد بن معاوية العجلي ولولا هؤلاء ما كان احد يستنبط هذا، هؤلاء حُفاظ الدين وأمناء ابيعليه السلام على حلال الله وحرامه وهؤلاء السابقون الينا في الدنيا والسابقون الينا في الآخرة**»[1].

وقال ايضاً: «**رحم الله زرارة بن اعين لولا زرارة ونظراؤه لاندرست احاديث ابي**»[2].

وكان من بين هؤلاء من اعتبره الامام الصادقعليه السلام مرجعاً للشيعة. فعندما سأله احد شيعته: ربما احتجنا ان نسأل الشيء فمن نسأل؟ قال له: «**عليك بالاسدي، يعني ابا بصير**»[3].

وقال في موقف آخر: «**ما يمنعك من محمد بن مسلم الثقفي فانه سمع من ابي وكان عنده وجيهاً**»[4].

وفي مقابل هؤلاء، كان فريق منهم متذبذب بين الزيدية والمذهب الجعفري، فعندما سأل الامام الصادقعليه السلام عبدالملك بن عمر عن سبب عدم مشاركته في الحرب، اشار ضمن جوابه:

«فانَّ الزيدية يقولون ليس بيننا وبين جعفر خلاف الاّ انه لا يرى الجهاد».

---

(١) الطوسي ـ نفس الكتاب ص١٣٧، و ر.ك: وسائل الشيعة ج١٨ ص١٠٣ ـ ١٠٤

(٢) الطوسي، نفس الكتاب ص١٣٦.

(٣) وسائل الشيعة، ج١٨ ص١٠٣.

(٤) وسائل الشيعة، ج١٨ ص١٠٥.

فحاول الامام دفع هذه التهمة عن نفسه وقال: «**بَلى والله إنّي لأراه ولكنّي اكره ان ادع علمي الى جهلهم**»[1].

وقد تعرّض السيد الحميري وهو من شعراء الشيعة المعروفين الى انحراف من نوع آخر وضعه العباسيّون امام اقدام الشيعة، فهو كان يميل الى مذهب الكيسانية الذي اصطنعه العباسيّون. الاّ انه جاء فيما بعد الى الامام الصادق عليه السلام وغيّر معتقده واصبح من شيعته المخلصين[2].

وقد نظم قصيدة يحكي فيها كيفية عودته والتحاقه بالامام الصادق عليه السلام يقول فيها:

**تجعفرت باسم الله والله اكبر وايقنت ان الله يعفو ويغفر**

وقد ترحّم عليه الامام الصادق عليه السلام فيما بعد واشار الى انه ارتكب ذنوباً فقال عنه: «**وما خَطَر ذنب عند الله ان يغفره لمحب عليٍّ**»[3].

والنقطة التي تستثير الاهتمام فيما يخص تشتت شمل الشيعة او بعبارة أخرى ظهور التفرقة فيما بينهم هو ان بعض علماء البلاط في عهد المهدي العبّاسي كانوا يؤجّجون هذه الاختلافات ويبذلون جهوداً كبيرة في اظهارها بمظهر يفوق حجمها الحقيقي. وفي هذا الصدد يذكر الكشي شخصاً يدعى بابن المفضل الّفَ كتاباً في الفرق وذكر فيه كل واحد من اصحاب الامام الصادق عليه السلام باعتباره زعيماً لفرقة من الفرق.

---

(١) وسائل الشيعة ج١١ ص٣٢.

(٢) الطوسي، اختيار معرفة الرجال ص٢٢٨. الاغاني ج٧ ص٢٣٣.

(٣) الاغاني، ج٧ ص٢٤٢ و٢٧٧.

وفي ختام هذا الفصل لابد من الاشارة الى أنّ شيعة الامام الصادقعليه السلام كانوا يتواجدون على الاغلب في العراق وفي الكوفة على وجه الخصوص. واما بقية الولايات فكانت اما خالية من الشيعة او تضمّ عدداً قليلاً منهم، رغم ان بعض الناس كان يأتي الى الامام من خراسان ويعرض عليه الاسئلة الفقهية[1].

فحين ذهب حفص بن غياث الى البصرة لرواة الاحاديث طلبوا اليه أن لا يروي عن بعض الناس وكان من جملتهم جعفر بن محمد، وسبب ذلك هو الروحية العثمانية التي كانت سائدة على اهالي البصرة ومنشؤها حرب الجمل، فقال لهم حفص: «**لو أنكم قلتم هذا الكلام في الكوفة لاخذتكم النِعال المُطرقة**»[2].

## الامام الصادقعليه السلام والغلاة

لقد تعرضنا اثناء حديثنا عن حياة الامام الباقرعليه السلام الى مسألة مواجهته للغلاة، ونرى هنا وجوب التعرض الى هذه المسألة بشكل اوسع حيث نستعرض تصرفات وافعال الغلاة وردّ فعل الامام الصادقعليه السلام تجاههم. حيث يبدو لنا أن اسلوبه في مواجهتهم يُعتبر من اهم الجهود التي بذلها للحفاظ على الشيعة وصيانتهم من الانحراف، فكل مذهب يمر في زمان حياته بمرحلتين وهما مرحلة النشوء والتكوين والثانية هي مرحلة الاتساع والتطوّر، وفي كل مرحلة يوجد خطر جسيم يتربص به الدوائر.

تشتمل عقائد الغلاة على آراء ينسبون بموجبها بعض صفات الله الى بعض

---

(١) تاريخ يحيى بن معين، ج ٤ ص ٣٧٢.

(٢) ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال ج ٢ ص ٥٥/ تهذيب الكمال، ج ٢ ص ٧٨/ سير اعلام النبلاء ج ٦ ص ٢٥٧.

البشر ويعترفون لهم بنوع من الالوهية، فيجعلون منهم آلهة حيناً او اصحاب صفات الهية حيناً آخر[1].

وبما ان الائمة كانوا يطرحون انفسهم بصفتهم منصّبين من قِبَل الله فان ذلك كان يسهّل الارضية للصق مختلف الصفات بهم ويجعلهم غرضاً للحب والولاء المتطرف ويهيّئ الظروف لمثل تلك الآراء المغالية.

ان اهمّ جوانب حياة الامام الصادقعليه السلام التي لها دور كبير في حياة الشيعة هي معارضته وتصدّيه العلني للغلاة ومسألة الغلو، والتي نتج عنها تحجيم الغلاة في شتى المجالات، وجعلهم خارج دائرة الشيعة، والاّ لما بقي للتشيّع الحقيقي من اثر يُذكر ولاصبح هذا المذهب العوبة بيد المخبولين الذين سيشكلون صورة أخرى عن الشيعة متأثرة بالثقافة والآراء المسيحية واليهودية.

وقبل التطرق الى موضوع مواجهة الامام الصادقعليه السلام للغلاة، ينبغي الاشارة الى هذه الحقيقة وهي ان كتب الفرق والمذاهب التي كُتبت فيما بعد على يد علماء اهل السُنّة وبسبب عدم تمييزها بين الشيعة الواقعيين والغلاة، حرّفت افكار قُرائها عن حقيقة الحال وضللتهم. وبقيت الاوساط السنية الى ما قبل عدّة سنوات بل بقي بعضها الى الآن، غير مدركة لهذه الحقيقة وهي ان الشيعة الامامية يختلفون عن الغلاة، وان الامامين الباقر والصادقعليهما السلام قد رفضا وجود هذه الفئة بين اوساط الشيعة. فلو كان مؤلفو تلك الكتب على دراية بمدى تصدّي الشيعة للغلاة وتكفير أئمة الشيعة لهم لما وقعوا في مثل هذا الخطأ الفاحش. بل ان بعض

---

(١) ابن ابي الدنيا، مقتل امير المؤمنينعليه السلام مجلة تراثنا، العدد ١٢ ص١٢١ حديث ٩٢، وقد سبق للنبيصلى الله عليه وآله ان تحدث بمثل هذا الحديث قائلاً لامير المؤمنينعليه السلام: «سيهلك فيك رجلان». وقال كذلك لابن عباس: «ايّاك والغلو انّما هلك من كان قبلك بالغلو». الطبقات ج٢ ص١٨١.

المستشرقين حاول مؤخّراً ـ وبأهمال متعمّد ـ التحدث عن الشيعة وكأنهم يحملون نفس افكار وآراء الغلاة، بينما تشير الحقائق التاريخية التي سنتطرق الى بعضها فيما يأتي الى انفصال هاتين الفرقتين عن بعضهما منذ تاريخ نشوئهما، وهو ما يبطل اوهام المستشرقين في هذا المجال.

اما سياسة الائمة تجاه الغلاة فكانت تتمثل بما يلي:

**١ ـ صيانة الشيعة الحقيقيين من الغلاة:**

فمن جملة الاساليب التي دأب عليها الامام في مواجهته للغلاة هو ايجاد فاصل بينهم وبين الشيعة الاصليين. إذ كان الاتصال بهم والاختلاط معهم يعني ترك بعض الآثار السلبية على الشيعة.

فقد ورد في رواية مسندة عن الامام الصادق عليه السلام انّه قال للمُفضّل بن مَزْيد مشيراً في كلامه الى اصحاب ابي الخطّاب والغُلاة: «**يا مُفضّل لا تقاعدوهم ولا تؤاكلوهم ولا تشاربوهم ولا تصافحوهم ولا تؤاثروهم**»[1].

وفي رواية أخرى منقولة عن ابي عبدالله عليه السلام انه قال: «**احذروا على شبابكم الغلاة لا يفسدوهم، الغلاة شر خلق الله يصغّرون عظمة الله ويدّعون الربوبية لعباده**»[2].

**٢ ـ تكذيب عقائد الغُلاة:**

دأب الامام على رفض واستنكار عقائد الغلاة مستهدفاً بذلك ابعادهم عن

---

(١) الطوسي، اختيار معرفة الرجال ج٢ ص٥٨٦ حديث ٥٣٥/ مستدرك الوسائل، ج١٢ ص٣١٥.

(٢) امالي الشيخ، ج٢ ص٢٦٤.

المجتمع الشيعي، فحدد الامام كتاب الله باعتباره الميزان الذي يميز الحق عن الباطل ، وهو في نفس الوقت الذي انبرى فيه لتسفيه معتقدات المغالين، اوجد حركة فكرية مناسبة بين الشيعة في سياق تصحيح احاديث وعقائد الشيعة.

ينقل الشهرستاني بأن سُديراً الصيرفي جاء الى الامام الصادقعليه السلام وقال له: «بنفسي انت، ان شيعتك اختلفوا فيك ويصرّون على ذلك، فمنهم من يقول ان كل ما يحتاج اليه الامام لهداية الناس يُلقى اليه، وبعضهم يقول: يوحى اليه، وبعضهم يقول: يُلهم قلبه، ويقول جماعة آخرون: يرى في المنام، ويقول جماعة آخرون: يفتي على كتابات آبائه فاي هذه الآراء صحيح فدتك نفسي؟

فقال له الامام: «**يا سدير ليس من هذه الاحاديث حديث صحيح، فنحن حُججُ الله وامناؤه على عباده ونأخذ الحلال والحرام من كتاب الله**»[1].

تظهر الرواية السالفة كيف اثّرت العقائد المغالية على الشيعة، واوجدت بينهم الانقسامات حتى احتار طلاب الحقيقة وسط هذا المعترك فوجدوا في الامام الصادقعليه السلام الملاذ الوحيد الذي يمكن الاطمئنان اليه، فيقوم بارشادهم كما ينبغي.

وينقل الشهرستاني رواية أخرى تعكس وجود نفس هذا الاختلاف الفكري بين الشيعة فقد جاء الفيض بن المختار الى الامام الصادقعليه السلام وقال له:

«بنفسي أنت، ما هذا الاختلاف الذي وقع بين شيعتك؟ فاني احضر في مجلسهم احياناً فأوشك على الشك فيكم، ثم اذهب الى المفضل فيطرح عليَّ بعض النقاط التي تعيد لي الثقة والسكينة.

---

(١) تفسير الشهرستاني المخطوط، الورقة ٢٥، نقلاً عن آذرشب، مجلة تراثنا، العدد ١٢ ص١٨.

**فقال له ابو عبدالله عليه السلام: نعم ان الناس قد اصبحوا ميّالين للكذب وكأن الله قد اوجبه عليهم ولا يريد منهم سواه. فأنا احدثهم بالحديث فما يخرجون من عندي الا ويأولونه على غير معناه الصحيح»**[1].

يعكس القسم الاخير من الرواية مشكلة اختلاف وجهات النظر بين الشيعة والتي اشرنا اليها في البداية باسم الانحراف. فنفوذ بعض الافكار الالحادية للغلاة بين بعض اتباع الامام دفعهم الى تأويل احاديثه تأويلاً غير صحيح خلق مشاكل بين الشيعة، بحيث ان عدداً معدوداً من الاصحاب الحقيقيين للامام كان باستطاعتهم أن يكونوا مرجعاً لحل تلك المشاكل مثل المفضل.

وجاء في رواية أخرى ان عيسى الجرجاني قال: قلت للامام جعفر بن محمد عليه السلام هل لي ان اعرض عليك ما سمعته من هذه الجماعة؟ قال: قل. فقلت له:

«فان طائفة منهم عبدوك واتخذوك الهاً من دون الله، وطائفة أخرى والوا لك بالنبوّة. قال فبكى حتى ابتلت لحيته ثم قال: «**ان امكنني الله من هؤلاء فلم اسفك دماءهم سفك الله دم وَلدي على يديَّ**»[2].

وكانت مهدوية الامام الباقر عليه السلام من جملة ما تخرّصت الغلاة في عهد الصادق عليه السلام به وقد استنكرها الامام بشدّة[3]. وقد طرحت قضية نبوّة الائمة المعصومين من قبل الغلاة ايضاً، وردّ عليها الائمة، فقد نُقِلَ عن الامام الصادق عليه السلام انه قال بهذا الشأن «**مَن قال إنّا انبياء فعليه لعنة الله ومن شك في ذلك فعليه**

---

(١) الشهرستاني نفس المصدر ص٢٦/ تراثنا، العدد ١٢ ص١٨.

(٢) السهمي ـ تاريخ جرجان ص٣٢٢.

(٣) الطوسي ـ اختيار معرفة الرجال ص٣٠٠.

**لعنة الله»**[1].

ومن المعتقدات الاخرى المتطرفة للغلاة هي اطلاقهم كلمة (إله) على الامام وقالوا: «هو الذي في السماء إله وفي الارض إله» قال: «هو الامام».

وقد اعتبر الصادق عليه السلام القائلين بهذا الرأي شرٌّ من المجوس واليهود والنصارى[2].

وجاء في رواية اخرى ان فنّد قول الغلاة «علي في السحاب» وقال: «ان النبي قد غطّى علياً بعباءة اسمها الس٢حاب، ولما جاء بها مع آله الى الرسول صلى الله عليه وآله قال: **هذا عليٌّ قد اقبل في السحاب**»[3].

القضية الاخرى المهمة التي كان يستند اليها الغلاة هي اعطاؤهم صفة الالوهية للائمة ورفعهم من مقام العبودية لله، لكن الامام الصادق عليه السلام قال في دحضه لهذه المقولة: «**لعن الله من قال فينا ما لا نقوله في انفسنا، ولعن الله من ازالنا عن العبودية لله الذي خلقنا واليه مآبنا ومعادنا وبيده نواصينا**»[4].

**٣ ـ تكفير الغلاة:**

لقد كفّر الامام عليه السلام قادة الغلاة واتباعهم وفصل بذلك بين خطّهم وخط شيعته، وبهذا الموقف تمكّن الامام من تعيين المسار الذي ينبغي ان يسلكه الشيعة وانقذهم من التلوّث والانحراف الذي كان يُنفث نحوهم من قبل اولئك المغالين.

---

(١) نفس المصدر ص٣٠١.

(٢) نفس المصدر ص٣٠٠.

(٣) الذهبي، ميزان الاعتدال ج٣ ص٩٨.

(٤) نفس المصدر السابق ص٣٠٢.

كان التجسيد او التجسيم واحداً من ادوات الغلاة في تحليل المفاهيم الدينية، فهم لم يطلقوا المفاهيم الدينية على مصاديقها الحقيقية، بل كانوا يتصورون امثلة تجسد معانيهم المفترضة وقد ادى مثل هذا الاتجاه الفكري ـ الذي يُعد انحرافاً جلياً في الدين واقصاءً له عن حقيقته ـ الى ان يستنكره الامام الصادقعليه السلام. إذ جاء في رواية انه كتب كتاباً الى ابي الخطاب وهو من زعماء الغلاة ورد فيه:

**«بلغني انك تزعم ان الزنا رجل وان الخمر رجل وان الصلاة رجل وان الصيام رجل وان الفواحش رجل، وليس هو كما تقولُ انّا اصل الحق وفروع الحق طاعة الله، وعدوّنا اصل الشر وفروعهم الفواحش»**[1].

وجاء في رواية اخرى انه كلّم بعض الغلاة فقال لهم: **«توبوا الى الله فانتم فساق كفار مشركون»**[2].

ان تأكيد الامام على استنكار وادانة الغُلاة كان بسبب اتساع عملهم الدعائي وتأثيرهم على فئة كبيرة من اهل الكوفة، وقد ادّى وجود التقية آنذاك في اغلب تصرّفات الشيعة الى أن يتصور الكثير منهم ان الامام قد ادانهم في الظاهر ولكنه يؤيدهم في الباطن وانه هو الذي رتب لهم الامور واظهرهم الى الوجود. وقد ضاعف هذا التصوّر من معاناة الامام بشأن فرز وابعاد الغلاة من الاوساط الشيعية.

وقد كان الغلاة عادة يروّجون لمثل هذه المعتقدات لاسباب ودوافع خاصة نجملها بالنقاط التالية:

---

(١) نفس المصدر ص٢٩١.

(٢) نفس المصدر ص٢٩٧.

١ ـ التحرر من قيود العمل وبنفس الشكل الذي قالت به المرجئة في وقت من الاوقات. فهم يروون حديثاً عن الامام الصادقعليه السلام انه قال: «من عرف الامام فليفعل ما شاء»[١].

الاّ ان الامام رد عليهم قائلاً: «**انّما قُلت اذا عرفت فاعمل ما شئت من قليل الخير وكثيره فانّه يُقبل منك**».

فعندما يخرج الخمر والصوم والصلاة عن معانيها الفقهية، لا تعود هناك اية ضرورة للالتزام بالعمل بها، ولذا فانهم كانوا يختبرون الغُلاة باداء الصلاة في وقتها[٢].

ودعوى ان الغلاة جعلوا من هذه المسائل ذريعة للتهرب من العمل غير مجازفة بل قد وردت في رواية مطولة ضمن كتاب بعثه الامام الصادق الى بعض اصحابه، وقد روى هذا الحديث القاضي النعمان[٣].

وهذا الحديث نقله الشهرستاني بتفصيل اكثر، وجاء في روايته ان الامام ذكر في احدى فقرات كتابه ما يلي:

«**واعلم ان هؤلاء القوم سمعوا ما لم يقفوا على حقيقته ولم يعرفوا حدود تلك الاشياء مقايسة برأيهم ومنتهى عقولهم ولم يضعوها على حدود ما أمروا به تكذيباً وافتراءً على رسوله وجرأة على المعاصي**».

ومن ثم بين الامام اساس هذا الانحراف وهو ان التاكيد المتواصل من قبل

---

(١) اصول الكافي ج ٤ ص ٤٦٤ ط. غفاري.

(٢) الطوسي نفس المصدر ص ٥٣٠.

(٣) ابو زهرة الامام الصادق، ص٥٨ ـ ٥٩ نقلاً عن دعائم الاسلام.

الامام الصادقعليه السلام وبقية الائمة المعصومينعليهم السلام على موضوع معرفة الامام، ادى بهم الى تصور أن الدين يتلخص في معرفة الامام فتركوا العمل بتعاليمه جانباً. ولهذا فقد اشار الامام في مقاطع أخرى من نفس الكتاب الى هذا الموضوع ثانية وجعل العمل بالاوامر الالهية الى جانب معرفة الله والنبي والامام وقال:

**«ان الله تبارك وتعالى اختار الاسلام لنفسه ديناً ورضيه من خلقه فلم يقبل من احد الاّ به، وبه بعث انبياءه ورسله، فمعرفة الرسل وولايتهم وطاعتهم هو الحلال، فالمحلل ما احلوا والمحرم ما حرموا وهم اصله ومنهم الفروع والحلال وذلك سعيهم، وعدوّهم هو الحرامالمحرم، واولياؤهم الداخلون في امرهم الى يوم القيامة، فهم الفواحش ما ظهر منها وما بَطن»**[1].

٢ ـ الغباء وحب الدنيا هو ايضاً واحد من اسباب ظهور الغلاة[2] حيث سعى الغلاة الى جمع الناس حولهم تحت ستار المذهب الحق ليبلغوا بذلك غاياتهم واغراضهم، يقول الامام الصادقعليه السلام في هذا السياق:

**«ان الناس اولعوا بالكذب علينا واني لاحدث احدهم بحديث فلا يخرج من عندي حتى يتأوله على غير تأويله وذلك لأنهم لا يطلبون بحديثنا وبحبنا ما عند الله وانما يطلبون الدنيا»**[3].

لقد ترك انتشار افكار الغلاة ضرره على الشيعة، وخلق اجواء من السخط ضدهم ناهيك عن تأليب اهل السُنّة ضد الشيعة والعمل على تحجيمهم ـ بهدف

---

(١) تفسير الشهرستاني، راجع مقالة آذرشب في مجلة تراثنا، العدد١٢ ص١٨ / بحار الانوار ج ٢٤ ص٢٨٦ ـ ٣٨٩ نقلاً عن الشهرستاني.

(٢) الطوسي، نفس المصدر ص٢٩٥.

(٣) الطوسي، نفس المصدر السابق ص١٣٦.

تحجيم الغلاة ـ حتى ان ابا حنيفة كان يوصي اتباعه بعدم رواية حديث الغدير مَنعاً لانتشار الغلو[1].

## اعتماد الفقه الشيعي على روايات اهل البيت عليهم السلام

كان عصر الامامين الباقر والصادق عليهما السلام هو عصر انتشار علوم اهل البيت في مختلف المجالات. وهذه المسألة تصدق على الامام الصادق عليه السلام اكثر من غيره، وذلك يعود الى تزامن جزء من عهد امامته مع اجواء من الانفتاح السياسي نتيجة للفراغ السياسي الذي نشأ من سقوط الحكم الأموي من جهة، ومجيء الحكم العباسي من جهة أخرى. فقد جعل الامام الشيعة يلتفون بشكل تام حول احاديث اهل البيت ونهاهم عن التمسك بأحاديث غيرهم. وكان هذا من اهم العوامل في تشكل الفقه الشيعي بصورته المستقلة الاصيلة. وقد اوضحنا اهمية هذا الامر الى حد ما سابقاً في حياة الامام الباقر عليه السلام. ومع هذا فسوف نُلقي فيما يلي نظرة عامة على تأكيدات الامام الصادق عليه السلام في هذا الجانب:

قال الامام في رواية: «**ايّتها العصابة، عليكم بآثار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسُنّته وآثار الائمة الهداة من اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم**»[2].

وقال ايضاً ليونس بن ضبيان: «**يا يونس ان اردت العلم الصحيح فعندنا اهل البيت، فانّا ورثنا وأوتينا شرح الحكمة وفصل الخطاب**»[3].

---

(١) امالي الشيخ المفيد ص٢٧. يحتاج البحث في موضوع الغلاة الى دراسة مستقلة وهذا ما لا يستوعبه مثل هذا المختصر، نأمل القيام بهذه المهمة في الفرصة المناسبة ان شاء الله.

(٢) وسائل الشيعة، ج١٨ ص٢٣ و ٦١ نقلاً عن روضة الكافي ص٥.

(٣) وسائل الشيعة ج١٨ ص٤٨.

وقد خصص الشيخ الحر العاملي في كتابه (وسائل الشيعة) باباً تحت عنوان (باب وجوب الرجوع في جميع الاحكام الى المعصومين)، جمع فيه احاديث اهل البيت في هذا الجانب[1].

قال ابان بن تغلب ـ وكان من الشيعة الصادقين المخلصين للامام الصادقعليه‌السلام ـ في وصف المذهب الشيعي ما يلي: «**الشيعة الذين اذا اختلف الناس عن رسول الله**صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم **اخذوا بقولِ علي واذا اختلف الناس عن علي اخذوا بقول جعفر بن محمد**»[2].

قال يونس بن يعقوب للامام الصادقعليه‌السلام: «**اني سمعتك تنهى عن علم الكلام، فقال له الامام: انّما قلتُ ويل لهم ان تركوا ما اقول وذهبوا الى ما يريدون**»[3].

ومن هذا المنطلق كان الامام يوصي شيعته بمساعدة بعضهم الآخر، ويقول: «**رحم الله من احيا امرنا**»[4].

كان الامام الصادقعليه‌السلام ينقل رواياته لتلاميذه وكانوا ـ بشيعتهم وسنّتهم ـ يكتبونها مع فارق واحد وهو أن اهل السنة كانوا ينقلون الحديث عن جعفر بن محمد عن ابيه عن آبائه عن رسول اللهصلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وبعبارة أخرى ينقلون الحديث عنه مع ذكر السند، بينما كان تلامذته من الشيعة ينقلونه عن ابي عبدالله دون بقية السند الى رسول اللهصلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، لأنّ اعتقاد الشيعة بعصمة وامامة الائمة وحجّية قولهم

---

(١) وسائل الشيعة ج١٨ ص٤١.

(٢) رجال النجاشي، ص٩ ط داوري.

(٣) الكافي ج١ ص١٧١، وسائل الشيعة ج١٨ ص٤٥.

(٤) على سبيل المثال راجع كتاب تاريخ جرجان ص ٥٧١، ٤٠٥و٢٦٥، ١٧٠.

يغنيهم عن ذكر السند، ومع كل هذا فقد كان الامام يؤكّد بأن احاديثه هي نفس احاديث رسول الله ﷺ: **«حديثي حديث ابي وحديث ابي حديث جدّي وحديث جدّي حديث علي بن ابي طالب وحديث علي حديث رسول الله ﷺ وحديث رسول الله ﷺ قول الله»**[1].

وجميع احاديث ائمة الشيعة تقريباً لها نفس هذا الحكم الاّ ما كانت الضرورة تقضي بنقله عن شخص آخر. قيل لأبي بكر بن عيّاش لم تستمع الحديث من جعفر بن محمد مع انك ادركته؟ قال: سألت جعفر بن محمد عن الاحاديث التي كان ينقلها هل سمع شيئاً منها ـ اي هل لها شيوخ حديث ـ؟ قال: لا، لكنّها رواية رويناها عن آبائنا»[2].

اهمية هذا النقل ذات قيمة كبيرة جداً وهو في الحقيقة يوضح ماهيّة عقائد الشيعة من حيث المبدأ. يقول ابن عدي:

«ولجعفر بن محمد حديث كبير عن ابيه عن جابر وعن ابيه عن آبائه ونسخاً لأهل البيت يرويه جعفر بن محمد»[3]، ويضيف ان اشخاصاً مثل ابن جريج وشعبة بن الحجاج وآخرين يروون عنه ايضاً.

وقد حاول ابو زهرة جاهداً العثور على شيوخ رواية يربط من خلالهم بين الصادق عليه السلام ورسول الله ﷺ فيجعل منهم قناة في ايصال ونقل الاحاديث من غير قناة اجداده الطاهرين، لكنه لم يذكر كمثال على ذلك سوى اسم قاسم بن

---

(١) كشف الغمة ج ٢ ص ١٧٠/ الكافي ج ١ ص ٥.

(٢) تهذيب الكمال ج ٥ ص ٧٧/ الكامل في ضعفاء الرجال ج ٢ ص ٥٥٥.

(٣) الكامل في ضعفاء الرجال، ج ٢ ص ٥٥٨.

محمد بن ابي بكر[1].

اما اذا افترضنا انّ الامام الصادقعليه السلام ـكما في كتاب تذكرة الحفّاظ حيث ذكر كل واحد منهم عشرة اشخاص على الاقل كمشايخ لروايته ـ كما يفعل سائر المحدّثين الكبار في ذلك العصر، فينقل الاحاديث عن طريق شيوخ الرواية ودون الطريق المتعارف عن اجداده عن رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم فقد كان ينبغي له ان يذكر مشايخ روايته بينما نرى انه ينقل الاحاديث عن طريق اجداده فقط وهم ممن لا يمكن اعتبارهم شيوخ رواية.

لقد اكد ائمة اهل البيت منذ البداية ان ليس لديهم شيوخ رواية، وانهم يستقون علمهم عن طريق آخر غير طريق مشايخ الرواية المتعارف يقول امير المؤمنينعليه السلام في تبيان هذا الموضوع: «**الا أن ابرار عترتي واطائب ارومتي احلم الناس صغاراً واعلمهم كباراً الا وانّا اهل البيت من علم الله علمنا وبحكم الله حكمنا ومن قول صادق سمعنا فان تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا، معنا راية الحقّ من تبعها لحق ومن تأخر عنها غرق**»[2].

وقال الامام الصادقعليه السلام: «**ان عندنا ما لا نحتاج معه الى الناس وان الناس ليحتاجون الينا وان عندنا كتاباً املاه رسول الله وخطه عليعليه السلام صحيفة فيها كل حلال وحرام**»[3].

هذا التناسق والتناغم الموجود في كتب الاحاديث الشيعية لا يوجد له نظير

---

(١) الامام الصادق، ابو زهرة، ص٨٨ـ ٩٠.

(٢) العقد الفريد، ج ٤ ص٦٧. نقلاً عن كتاب الامام الصادق لمحمد جواد فضل الله ص ٩٠.

(٣) الكافي ج ١ ص ٢٤١ نقلاً عن كتاب الامام الصادق لفضل الله ص ٩٥.

مطلقاً في كتب حديث السنّة لان كتبهم مشحونة بالآراء المختلفة والاحاديث المتناقضة التي تعود في الاساس الى الاختلاف والتناقض في آراء الصحابة. وعلى هذا فمن غير الانصاف وصف الشيعة عند الحديث عنهم بانهم نحلة مركّبة من آراء وافكار مختلفة تسللت اليه الكثير من الاوهام والاباطيل[١].

ولذلك فعندما اراد الامام الصادقعليه السلام تقييم علوم محدثي العامّة في زمانه قال: «**ان الناس بعد نبي الله ركب الله به سُنّة من كان قبلكم فغيّروا وبدّلوا وحرّفوا وزادوا في دين الله ونقصوا منه فما من شيء عليه الناس اليوم الا وهو متحرف عمّا نزل به الوحي من عندالله**»[٢].

وقد نفذت روايات ائمة الشيعة في فقه السُنة ايضاً ونقل الكثير من محدثيهم روايات عن الامامين الباقر والصادقعليهما السلام وبعضها مدروج في جوامع احاديثهم وتوجد ايضاً في كتب السنّة الكثير من الروايات التي تشابه روايات اهل البيت من ناحية اللفظ او من ناحية المضمون[٣].

والحقيقة ان مثل هذا الطريق في الحديث الذي نقل عن الامام الصادق في مثل هذه الموارد التي لم يطرح بشأنها اي حكم لحد الآن، اظهرت حاجة اهل السنّة الى الاجتهاد في العصر الحالي ليبدأ بعملية استنباط من الروايات والحصول على احكام جديدة.

والمشكلة الاساس التي كانت تواجه اهل السنّة تتمثل في قلّة مصادر

---

(١) ابو زهرة، الامام ابو حنيفة ص ١١١.

(٢) الطوسي نفس المصدر ص ١٤٠.

(٣) راجع كتاب الشيخ محمد قانصوة، الروايات المشتركة، طبعة قسم العلاقات الدولية في منظمة الاعلام الاسلامي.

الحديث عندهم[1] وبالاضافة الى ذلك فان المقدار الموجود منها كان مخزوناً في ذاكرة بعض الاشخاص من المؤرخين على مُدَدٍ متعددة ومتباعدة مع ما كان يوجد بين تلك الروايات من اختلاف في المحتوى، وهذه الروايات نفسها كانت سبباً في مضاعفة المشكلة وقد حلّت هذه المشكلة المستعصية فيما بعد ـ الى حدٍ ما ـ عندما اعتبر علماء اهل السنّة افعال الخلفاء والصحابة وحتى التابعين شرعية.

أما مدى انسجام هذا العمل مع المباني الدينية والعقلية فهي مسألة أخرى طبعاً، وقد وردت عن الامام الصادقعليه السلام رواية جميلة تشير الى ضعف الاحاديث عند غير الشيعة وهي كما يلي:

**«يظنُّ هؤلاء الذين يدّعون انهم فقهاء علماء انهم قد اثبتوا جميع الفقه والدين مما يحتاج اليه العامة وليس كلّ علم رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم علموه ولا صار اليهم من رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم ولا عرفوه ، وذلك ان الشيء من الحلال والحرام والاحكام يرد عليهم فيسألون عنه ولا يكون عندهم فيه اثر عن رسول الله»**[2].

وهذا الضعف في روايات اهل السنّة واتكاؤهم على عمل الصحابة والتابعين ادى بشكل طبيعي الى ضعف بنائهم الفقهي، لأن اختلاف الآراء والاذواق بين الصحابة والتابعين كان على درجة من الكثرة يصعب معها جداً جمع الآراء والفتاوى، فقد كتب ابو زهرة عن العصر الذي عاش فيه كل من ابي حنيفة والامام الصادقعليه السلام ما يلي:

«لقد كثر المأثور من فتاوى الصحابة في ذلك العصر كثرة عظيمة شغلت

(١) والسبب الاساسي في ذلك يعود الى عدم السماح للناس بتدوين الحديث بعد رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم.

(٢) تفسير العياشي، ج٢ ص٣٣١ ط الاسلامية / وسائل الشيعة ج١٨ ص٤٠.

عقول الفقهاء واتخذوها نبراساً في اجتهادهم فتأثروا بها في اجتهادهم»[1].

وعلاوة على استناد فقهاء اهل السنة الى سيرة الصحابة والتابعين، نجدهم قدّموا ايضاً مصادر أخرى للحكم والفتوى اهمها طريقة القياس. وقد تذرّع احد علماء السُنّة عن سبب تمسكه بالقياس فقال انه نقص النصوص[2]. وهذا ما كان يصرّح به الامام الصادق عليه السلام في ذلك الزمان، فقال مشيراً الى الضعف في مجال الروايات عند اهل السنة «**ويستحيون ان ينسبهم الناس الى الجهل ويكرهون ان يُسألوا فلا يجيبون فيطلب الناس العلم من معدنه فلذلك استعملوا الرأي والقياس في دين الله وتركوا الآثار ودانوا بالبدع**»[3].

يشير الامام في الرواية السالفة الى سبب اتجاه السنّة نحو الرأي والقياس ويحدده بضعفهم في مجال الحديث والرواية، وهذا التوجّه هو سبب اعراضهم عن الروايات.

وفي الحقيقة ان تشبثهم بالرأي والقياس لسد النقص الحاصل لديهم في الحديث ادّى الى ان يفقد التعبد بالنص قيمته تقريباً ليحل محله الرأي والقياس كمصدر للحكم والفتوى. وان فقهاً كهذا وبمثل هذه المصادر لا يمكن أن يكون فقهاً اصيلاً متطابقاً مع الآثار والاخبار.

لقد وقف الامام الصادق عليه السلام موقف المعارض لمثل هذا المذهب الفقهي، وخصّص الجزء الاكبر من نشاطه الثقافي لمعارضته اسلوب الرأي والقياس حيث

---

(١) الامام ابو حنيفة ص١٠٥.

(٢) مصطفى احمد الزرقاء، المدخل الفقهي العام ج١ ص٧٤ نقلاً عن مجلة نور العلم العدد ١٠ ص٥٥.

(٣) وسائل الشيعة ج١٨ ص٤٠.

نقلت عنه روايات عديدة في هذا المجال سنشير الى بعضها في الفقرات القادمة.

وكان ابو حنيفة من جملة المتمسكين بالرأي والقياس ويبدو أنه سبق الآخرين في هذا المضمار حتى ان مذهبه الفقهي في العراق كان معروفاً بمذهب الرأي، ومردّ ذلك هو عدم اعترافه بصحّة الروايات المنقولة عن طريق اهل السنّة. يقول ابن خلدون بشأن مجموع الروايات التي يقبلها (ابو حنيفة) هي ١٧ رواية او ما يقارب ذلك.

وكذلك مالك فانه يقبل ٣٠٠ حديث فقط ويعتبرها صحيحة[١].

ويقول ابو بكر بن داود: تبلغ الاحاديث التي رواها ابو حنيفة مائة وخمسون حديثاً[٢].

وكان توجّه ابي حنيفة نحو الرأي والقياس وترك العمل بالنصوص يُعزى الى سببين:

١ ـ عدم اعترافه بصحة الروايات الموجودة مما حدا به الى عدم نقلها والتمسك بها.

٢ ـ منذ أن اتّجه الى الرأي والقياس، بدا له ان مثل هذه المصادر تغنيه حتى عن النصوص، فترك حتى ذلك المقدار الذي كان يؤمن بصحته، وعدل الى الرأي والقياس تماماً.

وكان مركز انتشار مذهب الرأي هو العراق، وهو الاقليم الذي كان يتواجد

---

(١) مقدّمة ابن خلدون ص٤٣٤ ط بيروت.

(٢) تاريخ بغداد ج١٣، ص٤١٦.

فيه الشيعة بكثرة ايضاً ولذلك بدا اصطدام الشيعة واصحاب الرأي امراً لا مفر منه، وفي نفس هذا السياق كان الامام الصادقعليه السلام يبذل كل مساعية لنقض مبدأ الرأي والقياس والاستحسان.

وورد في الرواية المشهورة عن المناقشة التي جرت بين الامام الصادقعليه السلام وابي حنيفة، بان الامام حذّره من القياس في الدين وذكر له عدّة موارد لا يمكن استخدام القياس فيها بأي شكل من الاشكال.

فقد سأله الامامعليه السلام: أيّهما اعظم قتل النفس أو الزنا؟ قال: قتل النفس. قالعليه السلام: فان الله عزوجل قد قبل في قتل النفس شاهدين ولم يقبل في الزنا إلاّ اربعة، ثمّ أيّهما أعظم الصلاة أم الصوم؟ قال: الصلاة. قالعليه السلام: فما بال الحائض تقضي الصيام ولا تقضي الصلاة فكيف يقوم لك القياس.

وذكرت امثلة أخرى من هذا القبيل في روايات أخرى[١]. وبهذا اثبت الامام كيف ان القياس يوقع الفقيه في آراءٍ وفتاوى مناقضة للاحكام المسلّمة في الاسلام. وقد نقل هذه الرواية موفق المكّي في كتاب مناقب ابي حنيفة وبشكل يظهر وكأنّها جرت بين ابي حنيفة والامام الباقرعليه السلام وليس الامام الصادقعليه السلام ويظهر كذلك كأنَّ ابا حنيفة هو الذي يضرب هذه الامثلة للامام الباقرعليه السلام، ويريد ان يثبت من خلال اعتراض الامام انه لا يعتقد بمبدأ القياس[٢].

لقد كان الامام يمنع اصحابه من مجالسة اهل الرأي اذا كان يؤثر على

---

(١) وسائل الشيعة ج١٨ ص٣٠/ الاحتجاج ص١٩٦ ط النجف / وفيات الاعيان ج١ ص٤٧١.

(٢) راجع كتاب ابو زهرة، الامام ابو حنيفة ص٦٩.

افكارهم[1]، وقد وردت روايات كثيرة تُظهر استنكار الامام للعمل بمبدأ القياس[2]. وما كان الامام يخفي قلقة الشديد من اولئك الذين كانوا ينقلون عنه الحديث ويعملون بالقياس.

قال داود بن سرحان، سمعت الامام الصادقعليه السلام يقول: «**انّي لاحدّث الرجل بالحديث وانهاه عن الجدال والمراء في دين الله وانهاه عن القياس فيخرج من عندي فيتأول حديثي على غير تأويله**»[3].

ومن المؤكد لو أن الامام الصادقعليه السلام لم يقف بوجه القياس واصحابه ومبتدعيه لتأثر فقه الشيعة ـالذين لم تكن تفصلهم عن اصحاب الرأي في العراق سوى فاصلة قصيرةـ ولفقد اصالته، لكننا نرى العكس من ذلك، حيث بقي فقهاء شيعة العراق يتعبدون بالنص الى حد كبير وجعلوه اسلوبهم الدائم في استنباط الاحكام وظلوا يبيّنون الاحكام الفرعية على مرّ الزمن وفقاً لتلك النصوص، وقدّموا مذهباً فقهياً غنياً ومثيراً وذا اصول وقواعد متينة وهو عمل ادّى الشيخ الطوسي دوراً اساسياً في تكوينه في (المبسوط).

واما ما يخص موضع السند فقد وجد اهل السنة انفسهم امام مصاعب جمّة ولهذا لم يعتمد عليه ابو حنيفة لكون اكثر طرق الحديث ما كانت من النوع الذي يُطمأن اليه والخلاصة هي ان الفقه غير الشيعي يستند الى مجموعة ناقصة من الاحاديث التي لا يعتمد عليها.

---

(١) المحاسن ص٢٠٥ الحديث ٣٥٦/ وسائل الشيعة ج١٨ ص١٦.

(٢) وسائل الشيعة ج١٨ ص٢٣ ـ٢٩/ الكادي ج١ ص٥٨ / علل الشرائع ج١ ص٨٢/ رجال الكشي ص١٨٩.

(٣) الطوسي، اختيار معرفة الرجال ص١٧٠.

لكن الشيعة المعتقدين بعصمة الائمة وعلى رأسهم الامام امير المؤمنين عليه السلام لم تكن لديهم ايّة مشكلة في هذا الصدد، وحتى الكثير من علماء اهل السنة لم يكن لديهم اي شك في هذا. وابو حنيفة نفسه يؤمن بصحّة عدد كبير من الاحاديث التي وردت عن طريق اهل البيت[1].

حتى انّه سمع في احد الايّام حديثاً عن الامام الصادق عليه السلام ولما خرج من عنده سُئل: «لماذا لم تسأل جعفر بن محمد عن السند الذي نقل اليه الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: ماذا اقول لرجل يقول قال رسول الله؟»[2].

والمصدر الذي كان يستند اليه الشيعة كان مقبولاً لدى السنة ايضاً لأن الامام الصادق عليه السلام كان ينقل الاحاديث عن طريق آبائه ومردّها النهائي الى امير المؤمنين عليه السلام ثم الى شخص الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقد بقي امير المؤمنين لسنوات متمادية في محضر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكان فقيهاً ومحدثاً معتمداً من جميع الفقهاء والمحدثين.

وفي عهد بني أمية اندرست الآثار المتبقية من امير المؤمنين عند غير الشيعة، ولم يحفظ تراثه وآثاره غير اهل بيته حيث تناقله ابناؤه وشيعته يداً عن يد وجيلاً بعد جيل.

يشير ابو زهرة الى زوال الكثير من اقوال امير المؤمنين في عهد بني امية قائلاً: «من غير المعقول ان يسبّوا علياً على المنابر ويتركون احاديثه شائعة ومتداولة بين الناس باعتبارها مصدراً ثرّاً وغنياً بالعلوم الاسلامية.. ولذلك بقيت

---

(١) راجع كتاب الآثار لما سئل احمد بن حنبل عن السند عن موسى بن جعفر بن محمد عن محمد بن علي عن علي بن الحسين عن الحسين بن علي عن علي بن ابي طالب عن النبي قال: هذا اسناد لو قُرء على المجنون لأفاق، مناقب ابن شهرآشوب ج ٢ ص ٣٧٨.

(٢) امالي المفيد ص ٢١ ـ ٢٢.

علومه بين اهل بيته فقط».

وبناءً على ما مَرَّ ذكره بقيت روايات امير المؤمنين عليه السلام محفوظة باكملها عند اهل بيته، وابناؤه هم الذين نقلوا احاديثه التي رواها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكذلك فقهه وفتاواه[1]. والحديث المنقول عن هذا الطريق لا يقاس بايّ سند آخر، فشخصية الائمة عليهم السلام اسمى وارفع علمياً واخلاقياً من اية شخصية أخرى وفقاً لابسط المقاييس الموجودة عند اهل السنة. ولهذا السبب كان العجلي -وهو من قدماء رجال الحديث عند اهل السنة- يكتب في نهاية اسم الامام الصادق عليه السلام: «جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم اجمعين وهم شيء ليس لغيرهم خمسةُ ائمة»[2].

## كتابة الحديث في عصر الامام الصادق عليه السلام

لقد منعت كتابة الحديث بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الاّ ان كراهية كتابة الحديث بقيت سائدة بين الناس الى فترة طويلة، حتى ان بعض محدّثي اهل السنة في القرن الثالث للهجرة كانوا يمتنعون عن تدوين الحديث[3].

وفي مقابل هذا النمط، كان اهل بيت العصمة ومنذ البداية يشجعون اصحابهم على تدوين الاحاديث وحفظها من الاندراس[4]، وكان الامام الصادق عليه السلام شأنه في ذلك شأن بقية الائمة يؤكد على هذا الامر كثيراً. ورغم ان

---

(١) ابو زهرة الامام الصادق ص١٩٥.

(٢) العجلي، تاريخ الثقاة ص٩٨.

(٣) تذكرة الحفّاظ ج١ ص٤٦١/ جامع بيان العلم ج١ ص٧٨-٧٩/ سنن الدارمي ج١ ص١١٩-٢١٠.

(٤) الطبقات الكبرى ٦ ص١٦٨/ تقييد العلم ص٩٠، ربيع الابرار ج٣ ص٢٩٤.

بعض الاشخاص في عهده بدأوا بجمع وتدوين الاحاديث لكن الكثير لم يزل في شك وريبة من ذلك، وقد اشار ابو زهرة الى أن الامام الصادقعليه السلام كان من دعاة كتابة الحديث مدّعياً انّ هذا الامر كان شائعاً في تلك الايام، كما ان مالك بن انس الّف كتابه (الموطأ) في جمع الاحاديث في ذلك العصر[1]. ولو قبلنا ان مالكاً كتب موطأه في ذلك العصر فان ذلك كان خلافاً للمسار العام الذي كان سائداً آنذاك كما هو الحال بالنسبة لأبي حنيفة الذي امتنع عن القيام بايّ اجراء في هذا الصدد.

فقد روي انه كان يقول: «رأيت رجال الحديث واخذته عنهم، اما جعفر بن محمد فهو صحّاف». فلما بلغ هذا الكلام الى سماع الامام الصادقعليه السلام ضحك وقال: **«حقاً انني صحّاف فقد قرأت صُحف اجدادي وصُحف ابراهيم وموسى»**[2]. والاستناد الى صحف الآباء يدل على انّه ورث عن آبائه صُحفاً وهذا تأييد صريح لحقيقة انّ فقه الشيعة يعوّل ومنذ عهد الرسولصلى الله عليه وآله وسلم على ركيزة مدوّنة في الحديث. وفي هذا المضمار نُقلت عشرات الروايات في كتب الشيعة الروائية تشير الى أن الائمة ينقلون الاحاديث للناس من تلك الصحف وكانوا يؤكدون للناس في بعض الاوقات على ضرورة مشاهدة تلك الصحف[3].

وجاءت روايات متعددة عن الامام الصادقعليه السلام يحث فيها اصحابه على كتابة الحديث وهي تُظهر ايضاً ضعف رغبة الناس آنذاك في تدوين الاحاديث. فقد جاء في رواية انّهعليه السلام قال: **«أكتب وبثّ علمك في اخوانك فان مُتّ فورّث**

(١) ابو زهرة الامام الصادق، ص٩٥.

(٢) روضات الجنّات ج٨ ص١٦٩.

(٣) فروع الكافي، ج٧ ص٧٧ ـ ٩٥ ـ ٩٨ / مكاتيب الرسول ص٧٣ ـ ٧٦ / رجال النجاشي ص٢٥٥.

كتبك بنيك»[1].

## الامام الصادق والاحتجاجات الفقهية لأهل السُنّة

يختلف المذهب الفقهي الشيعي مع الرؤيا الفقهية عند اهل السنّة في عدة جوانب.

في الفترة التي عاش فيها الامامان الباقر والصادقعليهما السلام كان الفقه في حالة نمو واتساع وكانت هناك احتجاجات مختلفة تطرح في مجال تطبيق الاحكام على الموارد الجديدة. وكان الامام الصادقعليه السلام يؤكد ان آثار رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم موجودة بتمامها عند اهل البيت فقط، في الوقت الذي ضيّعها الآخرون بقيت باجمعها عندهم من غير أن يمسّها ايّ سوء، يقول الراوي سألت الامام الصادقعليه السلام:

**«اصلحك الله اتى رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم الناس بما يكتفون في عهده؟ قال: نعم وما يحتاجون اليه الى يوم القيامة. فقلت: فضاع من ذلك شيء؟ فقال: لا، هو عند اهله»**[2].

## الضغط السياسي على الشيعة

لم تتوفر الحرّية السياسة في عهد الامام الصادقعليه السلام سوى في العقد الثالث من القرن الثاني للهجرة، وكانت حرّية نسبية طبعاً بقيت خلالها نشاطات الامام وشيعته تحت المراقبة. اما قبل هذه الفترة وما بعدها فقد كانت اشد الضغوط السياسية تُمارس ضد الشيعة على يد بني اميّة وبني العباس حيث لم يكن يسمح

---

(١) كشف الغمة، ابن طاووس، نقلاً عن بحار الانوار ج٢ ص١٥٠ كتاب العلم.

(٢) وسائل الشيعة ج١٨ ص٢٣.

هم بالتعبير عن وجودهم. جاء في الرواية:

قال رجل لأبي جعفر الثاني عليه السلام: **«جُعلت فداك ان مشايخنا رووا عن ابي جعفر وابي عبدالله عليهما السلام وكانت التقية شديدة فكتبوا كتبهم ولم تُروَ عنهم، فلمّا ماتوا صارت الكتب الينا، فقال: حدّثوا بها فأنّها حقّ»**[1].

وهذا التضييق طبعاً ادّى الى أن تبق علوم اهل البيت وفتاواهم متروكة. فعن ابان بن تغلب، قال: **«قلت لأبي عبدالله عليه السلام اني اقعد في المسجد فيجيء الناس فيسألوني، فان لم اجبهم لم يقبلوا منّي واكره ان اجيبهم بقولكم وما جاء عنكم! فقال لي: انظر ما علمت انه من قولهم فاخبرهم بذلك»**[2].

ان تأكيد الامام الصادق عليه السلام على التقية لهو دليل واضح على وجود مثل هذه الضغوط السياسية. فقد كان خطر الهجوم على الشيعة متوقعاً الى درجة ان الامام اعلن ان ترك التقية هو بمثابة ترك الصلاة[3].

فمن جملة ما قاله الامام للمعلى بن خنيس الذي قتل بيد حكّام ذلك العصر، ما يلي: **«يا معلى اكتم امرنا ولا تُذعه فانَّ من كتم امرنا ولا يذيعه اعزّه الله في الدنيا»**[4].

وعلى ايّة حال توجد روايات تشير الى انَّ الضغط كان شديداً على الشيعة حتى ان احدهم كان يمر على صاحبه فلا ينظر اليه[5]. وجاء في رواية أخرى عن

---

(١) الكافي ج١ ص٥٣ / وسائل الشيعة ج١٨ ص٥٨.

(٢) الطوسي، اختيار معرفة الرجال ص٣٣.

(٣) مستدرك الوسائل ج١٢ ص٢٥٤ / وسائل الشيعة ج٩ ص٤٥٩ وما بعدها.

(٤) مختصر بصائر الدرجات ص١٠١.

(٥) الطوسي اختيار معرفة الرجال، ص٣٧٨ / مستدرك الوسائل، ج١٢ ص٢٩٧ ـ ٢٠٠ / وسائل

جواسيس المنصور ما يلي: «كان له بالمدينة جواسيس ينظرون على من اتفق شيعة جعفر فيضربون عنقه»[1].

وجاء في تاريخ الواقدي ان المنصور قبض على معتب وهو من غلمان الامام الصادق عليه السلام فضربه الف سوط الى أن مات[2].

وفي ذلك العهد كان اتهام اي شخص بالرفض كافياً لزوال حرمة نفسه وماله فيؤخذ ويعذب[3].

## الامام الصادق عليه السلام والمسائل السياسية

### ا ـ ثورة زيد:

وقعت في عهد الامام الصادق عليه السلام احداث سياسية مهمة كان من جملتها حركة العلويين (قيام زيد بن علي، وقيام محمد بن عبدالله بن الحسن واخيه ابراهيم في الاعوام ١٤٥ ـ ١٤٦) وثورة العباسيين التي تبعها سقوط الحكومة الاموية وسيطرة بني العباس على مقاليد الامور وابتعاد العباسيين عن العلويين وهو ما كانت ارضيته قد تهيأت قبل وصول بني العباس الى السلطة، وهذه من جملة الاحداث التي وقعت في عهده.

ولا يسعنا المجال لطرح جميع المسائل السياسية والدينية المهمة التي حصلت

---

⇐ الشيعة، ج١٩ ص٣٢.

(١) الطوسي نفس المصدر ص٢٨٢.

(٢) المنتخب من ذيل المذيل، ج٣ ص٦٥٢.

(٣) المحاسن ص١١٩ / حياة الامام الباقر عليه السلام، ج١ ص١٥٦.

للعلويين والعباسيين (بني هاشم) منذ اوائل القرن الاول للهجرة وبشكل كامل ومفصّل، لكننا سنحاول توضيح المسائل المذكورة فيما يتعلق منها بالامام الصادقعليه السلام جهد الامكان.

فالولاء الذين كان يحظى به العلويّون ـ والفاطميون على وجه الخصوص ـ بين محبي اهل البيت لم يكن يحظى به العباسيون. وكان لهذا الولاء اسبابه المختلفة من اهمها معاملة النبيصلى الله عليه وآله لهم. اضافة الى ان مسألة امامة امير المؤمنين وابنائه ـ والتي كانت ذات اهمية قصوى بالنسبة للشيعة على اقل تقدير ـ كانت ترفع من نسبة هذا الحب و الولاء. وكان الفاطميون هم المتبقي الوحيد من نسل النبيصلى الله عليه وآله، وهذا ما كان يعطيهم اهمية خاصة ايضاً.

وبعد شهادة الامام الحسينعليه السلام، كان محمد بن الحنفية يتميز بمقام اجتماعي وسياسي مرموق، الا أن الشخصية العلمية والاخلاقية للامام السجاد احتلت مكانتها في المجتمع بالتدريج واضحت الشخصية الوحيدة من اهل بيت رسول اللهصلى الله عليه وآله التي تستقطب الانظار. فهو الولد الوحيد من بين ابناء الامام الحسين من عليعليه السلام الذي نجى من واقعة كربلاء الرهيبة. وحال ببقائه دون انقراض ذرية فاطمة بنت الرسول الكريمصلى الله عليه وآله عن طريق الحسين.

كما ان عبدالله بن عباس كان من الشخصيات العلمية المعروفة في صدر الاسلام، وقد ادرك صحبة الرسول ويُعد من اكبر واوثق محدّثي عصره. والى زمن وفاته (٦٨ هـ) لم يقع اي اختلاف بين العلويين وبني العباس، لكنه ما ان توفي حتى بدأ الاختلاف يدبُّ بين الفريقين بالتدريج. ففي اوائل القرن الثاني بدأ العباسيون يفكّرون بالاستقلال عن العلويين وكانوا يدعون الناس سرّاً الى انفسهم، ولكن لم يكن يحدوهم كبير امل في النصر، وذلك لان الناس كانوا يعتبرون آل علي هم

المتبقي الوحيد من ذريّة النبي، وكان الظلم الذي تعرّضت له هذه العائلة وخصوصاً بعد مأساة كربلاء قد رفع منزلتهم الاجتماعية بين الناس الى درجة كبيرة.

وكانت الثورة التي قادها زيد بن علي بن الحسين عليه السلام تأكيداً آخر على اهمية العلويين عند اهل العراق. ومع ان زيداً كان أخ الامام الباقر عليه السلام، إلاّ أن الاهمية العلمية التي كان يحظى بها الامام الباقر في المجتمع، ادّت الى عدم حصول زيد وحركته الثورية على وقع شديد في نفوس الناس، رغم كونه من زمرة المحدّثين وموضع اهتمام اهل العراق بسبب كونه علوياً.

وفي العام (١١٤ هـ) ارتحل الامام الباقر عليه السلام فبدأ الامام الصادق عليه السلام يستقطب الانظار بصفته الامام السادس من ائمة الشيعة. وفي اواخر العقد الثاني من القرن الثاني للهجرة قرر زيد ـ بعد سلسلة من المشاحنات والمشاجرات اللفظية مع هشام بن عبدالملك ـ رفع لواء المعارضة ضد السلطة الحاكمة. فأعلن ثورته في الكوفة في صفر من العام (١٢٢)، واستشهد بعد يومين من المعارك[١]. والمهم بالنسبة لنا هنا هو موقف الامام الصادق من خروج زيد ومن الفرقة المسماة بالزيدية التي اعلنت عن وجودها في العراق بعد مقتل زيد.

تذكر الروايات الشيعية ان زيداً كان من المعتقدين بامامة ائمة الشيعة ومن جملتهم الامامان الباقر والصادق عليهما السلام كما نقل عنه انه كان يقول: «جعفر امامنا في الحلال والحرام»[٢].

(١) هناك اختلاف حول تاريخ استشهاد زيد.

(٢) الطوسي، نفس المصدر ص٣٦١، راجع كتاب رجال النجاشي ص١٣٠/ كفاية الاثر ص٣٢٧/ كريمان سيرة وقيام زيد ص٤٩.

وجاء في رواية عن الامام الصادق عليه السلام بحق زيد انه قال فيه: **«رحمه الله اما انه كان مؤمناً وكان عالماً وكان صدوقاً اما انه لو ظفر لوفى أما انه لو ملك يعرف كيف يضعها»**[1].

وفي هذا الصدد نُقلت روايات كثيرة، ولذا لا يمكن التحدّث عن زيد بمعزل عن الامام الصادق عليه السلام كما لا يستبعد ان يكون زيد ورغم قبوله بامامة الامام الصادق عليه السلام قد ثار غير ملتفت لاوامره ولا مدّع لخلافة لنفسه، فتزعم بحركته تلك، الثورة ضد بني امية، الذين كان يعتبرهم رمزاً للجاهلية، بعد ان دام الصراع والجدال بينهم وبين عائلته حول موضوع الخلافة الاسلامية الى ما يقارب الثمانين عاماً.

وقد وردت عدّة روايات عن الصادق عليه السلام يخبر فيها مسبقاً بشهادة زيد في محلة الكناسة في الكوفة[2].

وجاء في روايات أخرى ان الامام الصادق عليه السلام اعلن عن تأييده لزيد في مقابل بعض الشيعة الذين تبرأوا منه[3]. وقد وردت روايات كلا القسمين في مصادر اهل السنة. وهي في نفس الوقت الذي تبعث على الثقة والاطمئنان الاّ انها لا تعكس رضى الامام على مبدأ قيام زيد وخاصّة بسبب ما ورد في الكافي وبعض جوامع احاديث الشيعة الاخرى من انتقاد لثورة زيد.

ومن بعد ثورة زيد وفي اعقاب استيلاء بني العباس على السلطة انفصل بنو

---

(١) الطوسي، نفس المصدر ص ٣٨٥.

(٢) عيون اخبار الرضا ج ١ باب ٢٥/ امالي الصدوق مجلس ١٠ ص ٤٠/ تنقيح المقال ج ١ ص ٤٦٨.

(٣) خطط المقريزي ج ٤ ص ٣٠٧/ فوات الوفيات ج ١ ص ٢١٠.

الحسن عن بني الحسين بذريعة زيد وابنه يحيى، ونصبوا لهم رجلاً من بني الحسن يدعى محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي عليه السلام والتفّوا حوله. وقد التف حول هؤلاء ايضاً جماعة من الشيعة اطلق عليهم فيما بعد اسم الزيدية. ثم برزت بين آل جعفر والزيدية خلافات شديدة وصراعات حادّة جعل الزيدية فيها الامام الصادق غرضاً للاتهامات المختلفة.

فقد ورد في الحديث ان الزيدية اتّهموه بانّه لا يرى الجهاد في سبيل الله فردّهم وقال: **«ولكني اكره ان ادع علمي لجهلهم»**[1].

**ب ـ الامام الصادق ودعوة ابي سَلَمة وابي مسلم.**

عقد الامام الصادق عليه السلام العزم على تربية شخصيات من اصحابه عدّوا فيما بعد من بُناة التشيع من الناحية الفقهية ومن ناحية الاحاديث والروايات وكانت المساعي السياسية للامام في تلك الظروف محصورة في نطاق عدم الرضا عن الحكم القائم، والاعلان عن انحصار الامامة وقيادة الاسلام باهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله. وكان الامام الصادق عليه السلام يرى انَّ المعارضة المسلّحة ضد الحكم من غير توفير المستلزمات الضرورية ـ خاصة في الجانب الثقافي ـ لن يتمخّض عنها سوى الهزيمة والاندثار. وان مثل هذا العمل كان يستلزم تحركاً شيعياً شاملاً يعتقد بالامامة لكي تبدأ الجهود المضادّة للحكومة التي يمكن بلوغ النصر من خلالها، والاّ فان الاجراء الساذج والمستعجل لن يدوم طويلاً بل سيتفيد منه الانتهازيون لا اكثر. كما هو الحال بالنسبة لثورة زيد بن علي ومن بعدها ثورة ابنه يحيى التي قام بها في خراسان، فقد استغلها العباسيون الى اقصى حدّ وكانوا يشيعون في

(١) فروع الكافي ج ١ ص ٣٣٢/ التهذيب ج ٢ ص ٤٣/ وسائل الشيعة ج ٢ ص ٣٢.

دعاياتهم بأنهم المقصودون بشعار الرضا من آل محمد، واقترن عملهم هذا بقتل عـدد من الطالبيين ـ كما ذكر بعض المؤرخين ـ الذين كانوا يدعون لنيابة ابي هاشم بن محمد بن الحنفية.

وقد اتضحت نتيجة هذا الموقف فيما بعد حيث اضحى الفقه الجعفري نواة لتشيّع قوي. وأخذ يرتفع شامخاً يوماً بعد آخر، واما الزيدية والخوارج الذين انحصر نشاطهم بالجانب السياسي فقط فما لبثوا ان تعرّضت ثقافتهم للاضمحلال وفقدوا شيئاً فشيئاً ما كانوا يتمتعون به من مكانة قوية نسبياً وانحدروا نحو الافول فكانت النتيجة هي انتصار العباسيين في تلك المعركة السياسية العسكرية واستيلائهم على مقاليد الامور. في حين ان الشخص المرشّح عن بني هاشم كان رجلاً من بني الحسن اسمه محمد بن عبدالله والذي سنتحدث عن ثورته لاحقاً. واما هنا فسنتناول ذلك الجانب الذي يرتبط بالامام الصادق عليه السلام وبني العباس فقط.

لقد كان الدور الأساس لدعوة بني العباس منحصراً في شخصين وهما ابو سلمة الخلاّل الذي اشتهر بوزير آل محمد[1] وابو مسلم الخراساني، كما سنوضح ذلك في حينه. وكان شعار الحركة في بداية الامر هو الرضا من آل محمد، حيث لم تكن اذهان الناس عند سماعهم لهذا الشعار لتنصرف إلاّ الى احد العلويين. لكن الضعف السياسي الذي كان يسود العلويين والجهود المتواصلة لبني العباس قد غير مسار الاحداث الجارية وراء الستار لصالح الفريق الثاني. كما أن مجريات الامور كانت بيد ابي سلمة الخلاّل الذي هيأ للسفّاح والمنصور في الكوفة، واخذ البيعة للسفاح من الناس بمجرد سقوط بني امية، الا انه لم يلبث ان اتّهم بالدعوة للعلويين

---

(١) الوزراء والكتاب ص٨٤ كان هو وابو مسلم من الموالي.

وانه يعمل للمجيء بهم بدل العباسيين، فقتل في تلك الظروف. ولم تكن الارضية مهيئة امام الصادقعليه السلام بل ان ذا النفس الزكية (محمد بن عبدالله) الذي كان يتمتع بظروف ايجابية من الناحية السياسية لم يستطع الصمود امام العباسيين ومواصلة وجوده. وانطلاقاً من هذه الحسابات، لم تكن امام العلويين ايّة فرصة لأي نوع من الجهود السياسية التي تُبنى عليها الآمال.

كان الامام الصادق يرى ان دعوة ابي سلمة لا تستند الى ركائز متينة، ولذا ردّ على الكتاب الذي بعثه له ابو سلمة وقال لرسوله: «**ابو سلمة شيعة لغيرنا**»[1].

وذكر بعض الرواة ايضاً ان ابا مسلم ارسل كتاباً ايضاً الى الامام الصادقعليه السلام فكتب له الامام في الجواب: «**ما انت من رجالي ولا الزمان زماني**»[2].

وعلى كل حال فقد كان موقف الامام حذراً ولم يوافق على ما ورد في الكتاب واوصى ايضاً عبدالله بن الحسن باتخاذ نفس هذا الموقف فيما يخص ابنه محمداً (ذا النفس الزكية).

ان وفاء ابي سلمة للعباسيين، وعدم تركه القطعي لهذا الأمر دليل على عدم جدّية دعوته. وحتى اذا فرضنا اصراره على تلك الدعوة الا أن القيام بمثل هذا الامر مع وجود اشخاص مثل ابي مسلم والعباسيين كان يبدو امراً غير عملي وكان القبول به يعني الوقوع في الهلكة.

---

(١) مروج الذهب ج٣ ص٢٦٩/ الوزراء والكتّاب ص٨٦.

(٢) راجع كتاب ـ حياة الامام الرضا، ص٤٩.

**ج ـ الموقف تجاه المنصور.**

لقد تزامن الردح الاخير من حياة الامام الصادقعليه السلام مع عهد حكومة المنصور. وكان الامام هو الشخصية المعنوية الوحيدة البارزة بين بني هاشم[1]. وكان يتمتع في زمن المنصور بشهرة علمية عظيمة واهتمام وتبجيل الكثير من علماء السنّة. ونظراً لما يكنّه المنصور من حقد على العلويين كان من الطبيعي أن يضيق عليه الخناق ولا يتيح له فرصة العيش بحرية. وكان الامام يعتقد ـ شأنه شأن آبائه ـ ان الامامة حق خاص به وان الآخرين قد غصبوها منه، ولم يكن ليخفي مثل هذا الاعتقاد، وكان سلوك بعض اصحابه مثل ابن ابي يعفور فيما يخص كونه واجب الطاعة، يعكس مدى اعتقاد الشيعة الراسخ بهذا المبدأ. يقول الامام الصادقعليه السلام في حديث له: «**بُني الاسلام على خمسة اشياء: على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية.**

**قال زرارة: فقلت واي شيء من ذلك افضل؟**

**فقال: الولاية افضل لأنها مفتاحهن والوالي هو الدليل عليهن**»[2].

لقد طُرحت الولاية هنا بصفتها ركناً يتوقف عليه تطبيق بقية الاركان.ومثل هذا الطرح كان بمثابة ناقوس خطر يهدد المنصور، ولهذا فقد بدأ يتحيّن الفرص حتى يغتال الامام بذريعة ما.

كتب ابن عنبة يقول: «قرر المنصور عدّة مرات قتل الامام، لكن الله

---

(١) ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب ج ١ ص ٢٢٠/ جهاد الشيعة ص ١٠٤.

(٢) وسائل الشيعة ج ١ ص ٧ ـ ٨.

حفظه»[1].

وكانت نشاطات الامام في اغلب الاحيان تجري في الخفاء وكثيراً ما كان يؤكد على اصحابه بضرورة كتمان اسرار اهل البيت وقد نقلت عنه في هذا المضمار روايات كثيرة[2]. ولهذا لم يذكر التاريخ بدقّة كيفية عمل الامام، غير ان قيادة الشيعة -وكما ذكرنا سابقاً- كان لها برنامج ونشاط في الخفاء بحيث ظلّت محافُظة على انسجام الامامية.

وكان الامام يرفض -إلاّ بالاكراه- التردد على بلاط المنصور، فكان المنصور يلومه على ذلك[3]، حيث قال له في احدى المرّات: «لماذا لا تغشانا كما يغشنا سائر الناس؟ فقال له: **ليس لنا ما نخافك من اجله وليس عندك من امر الآخرة ما نرجوك له. ولا انت في نعمةٍ فنهنيك، ولا تراها نقمة فنعزّيك بها، فما نصنع عندك؟**»[4].

وبهذا الاسلوب كان الامام يعبر عن سخطه على حكومة المنصور، وكذلك كان يحذر اصحابه واتباعه من مجالسة الملوك بهذه المقولة الخالدة: «**ايّاك ومجالسة الملوك**»[5].

بل انه حذر العلماء الذين يترددون على بلاط الملوك من عملهم هذا فقال:

---

(١) عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب ص ١٩٥ ط النجف.

(٢) مستدرك الوسائل ج ١٢ ص ٢٩١ ـ ٣٠٤.

(٣) مستدرك الوسائل ج ١٢ ص ٣٠٧.

(٤) كشف الغمة، ج ٢ ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩ / ابو زهرة الامام الصادق ص ١٤١.

(٥) مستدرك الوسائل ج ١٢ ص ٣١٠.

**«الفقهاء امناء الرسل، فاذا رأيتم الفقهاء قد ركبوا الى السلاطين فاتّهموهم»**[1].

وفي احد الايام سأله المنصور: يا ابا عبدالله لم خلق الله الذباب؟

فقال: **«ليذل به الجبابرة»**[2].

ونقلت روايات اخرى ايضاً عن الامام الصادقعليه السلام كقوله: **«لا تحاكموا الى الطاغوت»**.

وهي تعكس نمط سلوكه مع السلطة الحاكمة. واجاب على سؤال عرض عليه بهذا الصدد فقال:

**«من تحاكم اليهم (السلطان او القضاة) في حقٍّ او باطل فانّما تحاكم الى الطاغوت»**[3].

وقد تصوّر بعض المؤلفين بان سياسة الامام ينبغي ان تكون اما قائمة على الثورة او ان يكون على رأس السلطة. ومثل هذا التصور صحيح من وجهة نظر الزيدية، اما من وجهة النظر الشيعة، فان سياسة الامام كانت تقوم على قيادة اكثر الثورات شدة وتطرّفاً ضد الحكومات الفاسدة لبني امية وبني العباس وتكون مثل هذه الثورات مع ذلك مدعومة بأسس ثقافية وفقهية متينة وذات جذور عميقة. وقد اتضح مثل هذا بصورة جلية في تاريخ الشيعة وبدأ اطلاق اسم المذهب الجعفري على مذهب الامام الصادقعليه السلام في عهده[4].

---

(١) كشف الغمة ج٢ ص١٨٤ / تهذيب الكمال ج ٥ ص٨٨/ الذهبي سير اعلام النبلاء، ج٦ ص٢٦٢.

(٢) نفس المصدر السابق ج٢ ص١٥٨/ تهذيب الكمال ج ٥ ص٩٢ ـ ٩٢.

(٣) فروع الكافي ٧ ص٤١/ التهذيب ج٦ ص٢١٨/ وسائل الشيعة ج١٨ ص٤.

(٤) رجال الكشي ص٢٥٥.

ومن هنا يمكن اكتشاف الخطأ الفادح الذي وقع فيه الشهرستاني، فقد كتب هذا الرجل عن السلوك الاجتماعي للامام قائلاً: «ما تعرّض للامامة قط ولا نازع احداً الخلافة قط»[1].

ومثل هذا الكلام لا ينسجم مُطلقاً مع الواقع العيني لوضع الشيعة لا في عصر الامام ولا بعده.

**د ـ موقف الامام من محمد بن عبدالله بن الحسن (النفس الزكية).**

نشأ الاختلاف بين بني الحسن وبني الحسين عندما اعتبر عبدالله بن الحسن بن الحسن ابنه محمداً هو قائم آل محمد[2]، ويبدو ان العباسيين وخاصة المنصور قد وسعوا من نطاق هذا الاختلاف لغرض استغلاله سياسياً، فبعد قيام واستشهاد زيد، اجمع بنو هاشم من علوييهم وعباسييهم على بيعة محمد بن عبدالله (باستثناء الامام الصادق وعدة اشخاص آخرين).

ولو امعنّا النظر فيما نمتلكه من معلومات عن الحركة العباسية التي كانت تجري في الخفاء لأدركنا ان ذلك الفعل كان موقفاً سياسياً صرفاً او انه حصل اضطراراً. وقد نقل ابو الفرج الاصفهاني وقائع تلك البيعة بالتفصيل. فقد ذكر ان من حضر من العباسيين داود بن علي وابراهيم الامام وصالح بن علي والمنصور والسفّاح. ولما جاؤوا على ذكر الامام الصادقعليه السلام قال عبدالله بن الحسن والد ذي النفس الزكية: «لا نريد جعفراً لئلاّ يُفسد عليكم امركم».

وبعد أن حضر الامام في ذلك المجلس واعلن معارضته لثورتهم فسر

---

(١) الملل والنحل ج١ ص١٤٧.

(٢) مقاتل الطالبيين ص١٤١.

عبدالله بن الحسن عمله هذا بالحسد[1].

ولم يمضِ طويل من الوقت حتى ثار كلا الأخوين محمد بن عبدالله بن الحسن في المدينة وابراهيم في البصرة، وقتلا بعد معركة قصيرة مع الجيش العباسي. وكانت تلك الهزيمة بداية لسلسلة من الهزائم التي لحقت بالزيديين الذين ثاروا في العراق وايران، ولم تفلح سوى واحدة منها وهي ثورة الحسن بن زيد في طبرستان التي نالت انتصاراً نسبياً واستمرت مدّة زهاء النصف قرن (النصف الثاني من القرن الثالث)[2].

---

(١) مقاتل الطالبيين ص ٤٠ ـ ٤١ / كريمان، سيرة وحياة زيد ص ٧٥ نقلاً عن الارشاد ص٢٧٦ ـ ٢٧٧.

(٢) كشف الغمة ج٢ ص ١٧٢ ـ ١٧٣ / راجع كتاب الطبري ج٧ ص ٣٠٢ ط عزالدين.

# الفهرست


الحياة
الفكرية والسياسية
لأئمة أهل البيت عليهم السلام


بسم الله الرحمن الرحيم

# الحياة الفكرية والسياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام

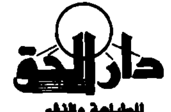
المجلد الثاني

تأليف
رسول جعفريان

منشورات
دار الحق
بيروت

الطبعة الأولى

١٤١٤هـ - ١٩٩٤م




لبنان - بيروت - بئر العبد - قرب محطة دياب - بناية المهنية اللبنانية.

ص. ب ١٧٩/ ٢٥ غبيري تلفون: ٨٢٥٣١٦ فاكس ٠٠١٢١٢٤٧٨١٨٢٧

# الامام الكاظم عليه السلام

قال الطبرسي: «**وكان الناس بالمدينة يسمونه زين المجتهدين**»[1]

سابع ائمة الشيعة الامامية هو الامام موسى بن جعفر عليه السلام، وقد لقبه المسلمون والشيعة خاصة بالكاظم لحلمه وصبره وكظم غيظه امام اعدائه[2]. كانت ولادته في العام ١٢٨هـ في الأبواء وهي منطقة بين مكة والمدينة، وشهادته في الخامس والعشرين من رجب من العام ١٨٣هـ في بغداد في سجن الخليفة العباسي الظالم هارون الرشيد. وكانت أُمه تدعى «حميدة البربرية» أو «الأندلسية»[3].

تولى الامام الكاظم عليه السلام زعامة الشيعة بعد استشهاد ابيه في العام ١٤٨هـ.

---

(١) اعلام الورى: ٢٩٨.

(٢) راجع كتاب المناقب ج٢ ص٣٨٢، الارشاد ص٢٧٩، عمدة الطالب ص١٦٩، الصواعق المحرقة ص٢٠٣.

(٣) تاريخ اهل البيت ص١٢٣.

وأمضى عمره الشريف في المدينة وبغداد، ولم تكن بين الشخصيات العلوية في ذلك العصر من يُضاهيه في مختلف الصفات، فقد كان وحيد دهره في العلم والتقوى والزهد والعبادة.

قال عنه الشيخ المفيد: «**كان ابو الحسن موسى**عليه السلام **أعبدَ اهل زمانه وافقههم وأسخاهم كفاً واكرمهم نفساً**»[1].

وكتب الشيخ الطبرسي عنه يقول: «**كان**عليه السلام **احفظ الناس لكتاب الله. وكان الناس بالمدينة يسمونه زين المجتهدين**»[2].

وكتب عنه ابن ابي الحديد: «**جمع من الفقه والدين والنسك والحلم والصبر**»[3].

وكتب المؤرخ الشهير اليعقوبي عن شخصيته ما يلي: «**وكان موسى بن جعفر من اشد الناس عبادة**»[4].

وجاء في شذرات الذهب عنه ما يأتي: «**كان صالحاً عابداً جواداً حليماً كبير القدر**».

وكتب عنه نقلاً عن ابي حاتم: «**ثقة إمام من أئمة المسلمين**»[5].

وكتب اليافعي يقول عنه: «**كان صالحاً عابداً جواداً حليماً... وكان**

---

(١) الارشاد، ص٢٧٧.

(٢) اعلام الورى ص٢٩٨.

(٣) شرح نهج البلاغة: ج١٥، ص٢٧٣.

(٤) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٤١٤، طبعة دار صادر.

(٥) شذرات الذهب، ج١ ص٣٠٤.

**سخياً»**[1].

وقال عنه النسّابة المشهور يحيى بن الحسن بن جعفر: «**كان موسى بن جعفر يُدعى العبد الصالح من عبادته واجتهاده**»[2].

كانت هذه نماذج قليلة مما وصف به المؤرخون والمحدثون الشيعة والسنة الامام الكاظمعليه السلام. وقد اورد الاستاذ عطاردي كلمات كثيرة من هذا القبيل فيكتابه القيم (مسند الامام الكاظم).

لكن ما يلفت النظر في الخصائص الخلقية في شخصية الامام اكثر من غيره هو جوده وكرمه الذي كان مضرباً للامثال. فقد كتب ابن عنبة في هذا الصدد يقول: «**وفي كُمه صُررٌ من الدراهم فيُعطي من لقيه ومن اراد برّه وكان يُضرب المثل بصُرة موسى**»[3].

بل ان كرمه شمل من كانوا يؤذونه ايضاً فقد كتب ابن خلّكان نقلاً عن الخطيب ما يلي:

«**وكان سخياً كريماً وكان يبلغه عن الرجل أنه يؤذيه فيبعث اليه بصرّة فيها الف دينار وكان يصرّ الصُرَرَ ثلاثمائة دينار واربعمائة دينار ومائتي دينار ثم يقسمها بالمدينة**[4]**، فكانت صِرارُ موسى مثلاً**»[5].

---

(١) مرآة الجنان، ج١٠ ص٣٩٤.

(٢) تهذيب التهذيب ج١ ص٣٣٩.

(٣) عمدة الطالب ص١٩٦.

(٤) تاريخ بغداد، ج١٣ ص٢٧، وفيات الاعيان ج٥ ص٣٠٨.

(٥) تاريخ بغداد، ج١٣، ص٢٧، وفيات الاعيان ج٥ ص٣٠٨.

واورد ابو الفرج الاصفهاني رواية مطولة تثير العجب من جوده على من كان يؤذيه[1].

وكتب الذهبي وهو من علماء الرجال المشهورين عن الكاظم عليه السلام ما يلي: **«وقد كان من اجواد الحكماء ومن العبّاد الاتقياء»**[2].

وكانت من جملة خصاله الأُخرى زهده وعبادته. فهو قد امضى في السجن سنوات طويلة كان خلالها منهمكاً بالعبادة حتى اثر على الكثير من سجانيه فكانوا يمتنعون عن حبسه بالمعنى المعروف للحبس[3].

وقد قال هارون للربيع بشأنه: **«أما إنّ هذا من رهبان بني هاشم».**

**يقول الربيع : فقلت لهارون : فلماذا تسجنه اذن ؟ قال : هيهات لابد من ذلك»**[4]

وذكر ابن الوردي وهو من مؤرخي القرن السابع رواية مسندة عن كثرة عبادته[5].

وبسبب هذه الخصال الحميدة كان الناس يُكنّون له وافر الاحترام والمحبّة ويتحدثون عن كثرة كراماته. وقد اورد ابن الجوزي في هذا المضمار رواية رواها ابن حجر الهيثمي ايضاً مضمونها: **«ان شقيقاً البلخي التقى بالامام عام ١٤٩هـ**

---

(١) مقاتل الطالبيين، ص٣٣٣.

(٢) ميزان الاعتدال، ج ٤ ص ٢٠١.

(٣) مقاتل الطالبيين ص٣٣٢.

(٤) عيون اخبار الرضا عليه السلام ج١ص ٣١.

(٥) تتمة المختصر ج١ ص٢١٠، مسند الامام الكاظم ج١ ص٤٢، زهر الآداب ج١ ص١٣٣، الارشاد ص٢٨١.

**وصحبه في سفره الى الحج فكان كلما اراد سؤاله عن امرٍ بادره الامام بتلاوة آية له تكشف عما في قلبه»(١).**

## مشكلة الامامة بعد الصادق عليه السلام:

إنَّ الاختلافات التي ظهرت بين الشيعة كانت تنشأ عادة نتيجة تعيين الامام اللاحق، فالظروف السياسية كانت تحتّم احياناً ـ وخاصة بسبب الخوف من السلطات العباسية ـ بقاء الامام مجهولاً بالنسبة للكثير من شيعته اذ ان ظهور امامة احد الائمة علناً على الملأ قد يعرض الشيعة لضغط شديد من قبل الخلفاء. وقد ادّى الكبت الذي فرضه المنصور على العلويين ولا سيما الامام الصادق عليه السلام الذي احرز مقاماً سامياً في المجتمع الى حصول حالة من الاضطراب بين بعض الشيعة حول الزعامة الآتية، وقد ضاعف من قلق الشيعة قيام بعض ابناء الامام الصادق عليه السلام ـ الذين ادعوا الامامة زوراً ـ بالدعوة الى انفسهم واستقطاب الشيعة حولهم. كما كان تفرق الشيعة يعد مشكلة اخرى حيث كان الشيعة منتشرين هنا وهناك مما يجعل التيقن من الامام الحقيقي أمراً عسيراً عليهم فالامام الصادق مثلاً عمد الى التمويه على وصيه فجعل المنصور العباسي ـ اضافة الى ولديه الكاظم عليه السلام وعبدالله ـ وصياً له ايضاً(٢).

وقد كانت هذه العوامل تتظافر فيما بينها بعد استشهاد كل امامٍ، فتترك تأثيرات قوية في ايجاد الانشقاقات داخل الصف الشيعي.

---

(١) صفة الصفوة ج٢ ص١٠٢، الصواعق المحرقة ص٢٠٤.

(٢) الخرائج ص٢٣٩، مسند الامام الكاظم ج١ ص٣٩٠.

وعلى هذا الغرار يأتي الانشقاق الذي حصل بعد رحلة الامام الصادقعليه السلام حتى ان رجلا من اصحاب الامام الكاظمعليه السلام راح ـ نتيجة لما تعرض له الشيعة من انقسامات بعد الامام الصادق ـ يسأل عن وصي الامام أيضاً.

وعلاوة على كل ذلك فان هناك مسألة اخرى حصلت في زمن الامام الصادقعليه السلام استغلها اصحاب المصالح هي مسألة اسماعيل بن جعفر بن محمد عليه السلام الذي كان الابن الاكبر للامام الصادق، فقد كان جملة من الشيعة يتصورون ان الزعامة المستقبلية للشيعة ستكون من نصيبه الا أنه توفي في حياة ابيه.

وقد أكد الامام الصادق طبقاً لما تشير اليه الروايات على ضرورة ان يصدق الشيعة بموته ومع هذا فان جماعة من الشيعة قامت اثر وفاة الامام ـ بذريعة الدعوة الى مهدوية اسماعيل وذرائع اخرى ـ الى ايجاد فرق تحت عنوان الاسماعيلية او الباطنية او غيرهما.

لكن الأمر المهم في المسألة هو ان طرح اسماعيل اماماً للشيعة وزعيماً لها بعد ابيه كان بدافع سياسي، وان اسهم كونه الابن الاكبر للامام في افراز الامر ايضاً، خصوصاً وان الامام الصادق كان يمتنع حتى الأيام الاخيرة من حياته عن التصريح باسم وصيه.

طبيعي ان هناك روايات تشير الى ان الامام الكاظمعليه السلام كان قد عين كوصي للامام الصادق من أول الامر لكنه لم يصرح بذلك الا لعدد محدود من خواص الشيعة[1]. وقد رويت تلك الروايات من طرق مختلفة اضافة الى ان حديث اللوح الذي يشتمل على ذكر اسماء المعصومين يدعم هذا الموضوع.

---

(١) الكافي ج١ ص٣٠٧ـ٣٠٩.

ومع كل هذا فان اسماعيل ـ وللأسباب التي تقدم ذكرها ـ قد طرح في زمن ابيه بنحو اثار شبهة لدى بعض الشيعة فقد وردت ـ على سبيل المثال ـ رواية عن الفيض[1] أنه كان يوماً لدى الامام الصادقعليه السلام ودار بينهما بعض الحديث فصرح له الامام بأن اسماعيل ليس وصيه.

يقول: «**فقلت: جعلت فداك فقد كنا لا نشك ان الرحال ينحط اليه من بعدك**».

وفي تتمة الرواية عرف الامام ابنه موسى خليفة له من بعده.

ونقل الطبري عن اسحق بن عمار الصيرفي: «**كنت بين يدي الامام الصادقعليه السلام فاشرت الى امامة ولده اسماعيل من بعده فانكر ذلك**»[2].

وجاء في رواية أُخرى ان الوليد بن صبيح قال للامام الصادقعليه السلام: قال لي عبدالجليل بأنك جعلت اسماعيل وصياً لك» فانكر الامام ذلك وقال انه الكاظم.

ولذا كان الامام الصادق، يؤكد على ضرورة ان يصدق الشيعة بوفاته. لأن تصور بقائه على قيد الحياة اضافة الى الاعتقاد بالمهدوية الذي ـ كان قد روج له بين بعض غلاة الشيعة ـ كان سينجم عنه حتماً خطر ظهور فرقة جديدة بين الشيعة وكان تأكيد الامام الصادقعليه السلام على موت اسماعيل ينطلق من هذه الرؤية، ويهدف الى الحيلولة دون وقوع هذا الخطر.

ففي رواية عن زرارة انه قال: «**دخلت على ابي عبداللهعليه السلام وعن يمينه سيد ولده موسىعليه السلام، وقدامه مرقد مغطّى، فقال لي: يا زرارة جئني بداود بن**

(١) رجال الكشي ص٣٠٢، طبعة النجف، مطبعة الاداب.

(٢) نفس المصدر ص٣٢٦.

**كثير الرقي، وحمران، وابي بصير ودخل عليه المفضل بن عمر. فاحضرته من امرني باحضارهم، ولم تزل الناس يدخلون واحداً اثر واحد حتى صرنا في البيت ثلاثين رجلاً. فلما حشد المجلس، قال : يا داود اكشف لي عن وجه اسماعيل، فكشف عن وجهه، فقال ابو عبدالله عليه السلام: يا داود احي هو أم ميّت؟ قال داود : يا مولاي هو ميت . فجعل يعرض ذلك على رجل رجل حتى اتى على آخر مَن في المجلس وانتهى عليهم باسرهم، كل يقول : هو ميّت يا مولاي. فقال : اللهم اشهد، ثم امر بغسله وحنوطه وادراجه في اثوابه»** وكرر الامام ذلك الى أن حمل الى قبره . ثم قال زرارة : «**فلما وضع في لحده قال : يا مفضل اكشف عن وجهه، وقال للجماعة : احي هو أم ميّت ؟ قلنا له : ميّت، فقال : اللهم اشهد واشهدوا فانه سيرتاب المبطلون ....**» .

ثم اعلن موسى بن جعفر عليه السلام اماماً للناس بعده[1].

يقول الشيخ المفيد: «**وروي ان ابا عبدالله جزع عليه جزعاً شديداً وحزن عليه حزناً عظيماً وتقدم سريره بغير حذاء ولا رداء وامر بوضع سريره على الارض قبل دفنه مراراً كثيرة، وكان يكشف عن وجهه وينظر اليه يريد بذلك تحقيق امر وفاته عند الظانين خلافته له من بعده، وازالة الشبهة عنهم في حياته**»[2].

وقد وردت روايات تظهر مدى الاضطراب الذي كان يعاني منه بعض الشيعة، منها ما رواه هشام بن سالم حيث قال:

---

(١) الغيبة ، للنعماني ص٣٢٨.

(٢) الارشاد، ص٢٦٧.

**«كنا بالمدينة بعد وفاة ابي عبداللهعليه السلام انا ومحمد بن النعمان ومؤمن الطاق والناس مجتمعون على عبدالله بن جعفر انه صاحب الامر بعد ابيه، فدخلنا عليه والناس عنده فسألناه عن الزكاة في كم تجب؟ فقال: في مائتي درهم خمسة دراهم فقلنا: ففي مائة؟ قال: درهمان ونصف. قلنا: والله ما تقول المرجئة هذا. فقال: والله ما ادري ما تقول المرجئة.**

**قال فخرجنا ضـلّالاً ما ندري الى اين نتوجه انا وابو جعفر الاحول. فقعدنا في بعض ازقة المدينة باكين لا ندري الى اين نتوجه والى من نقصد نقول الى المرجئة، الى القدرية، الى المعتزلة، الى الزيدية، فنحن كذلك اذ رأيت رجلاً شيخاً لا اعرفه يؤمي اليَّ بيده فخفت ان يكون عيناً من عيون المنصور وذلك انه كان له بالمدينة جواسيس على من يجتمع بعد جعفر اليه الناس فيؤخذ فيضرب عنقه. فخفت ان يكون ذلك منهم فقلت للاحول: تنَحَّ فاني خائف على نفسي وعليك وانما يريدني وليس يريدك فتنحَّ عني لا تهلك فتعين على نفسك. فتنحّى عني بعيداً، وتبعت الشيخ وذلك اني ظننت اني لا اقدر على التخلص منه. فما زلت اتبعه وقد عزمت على الموت حتى ورد بي على باب ابي الحسن موسىعليه السلام. ثم خلاّني ومضى. فاذا خادم في الباب فقال لي: ادخل رحمك الله. فدخلت فاذا ابو الحسن موسىعليه السلام ثم لقيت المفضل بن عمر وابا بصير، فدخلوا عليه وسلموا وسمعوا كلامه وسألوه قال: ثم قطعوا عليه قال: ثم لقينا الناس افواجاً قال: وكان كل من دخل عليه قطع عليه الا طائفة مثل عمار الساباطي واصحابه فبقي عبدالله لا يدخل عليه احد الا قليل من الناس»[1].**

من الامور التي تلفت النظر في الرواية اعلاه، هو ان الشيعة لم يكونوا

(١) الارشاد ص ٢٩١.

يصدقون كل من يدعي الامامة بلا بحث أو تحقيق، بل كانوا يعرضون عليه اسئلة خاصة يقيمون بها علمه، فان حصل لهم يقين بكفاءته العلمية يقبلون وصايته، كما تعكس الرواية ايضاً مدى دقة اشخاص من امثال هشام والمفضل وابي بصير. ويتضح منها ايضاً حجم المخاطر والتهديدات التي كان يتعرض لها الشيعة على يد المنصور حتى ان جماعة من الشيعة التفّت حول عبدالله بن جعفر ـ الملقب بالافطح ولذلك سموا بالفطحية[1] ـ وعرضوا عليه بعض الاسئلة حول شؤون الحلال والحرام والصلاة والزكاة، ولما وجدوه قاصراً عن الاجابة عليها تركوه.

ذكر النوبختي في فرق الشيعة[2] أيضاً، بأن هذه الرواية وروايات اخرى غيرها تشير الى ميل عبدالله من الوجهة العقائدية نحو المرجئة[3].

كما اشار ايضاً الى انقسام الشيعة الى ستّ فرق بعد وفاة الامام الصادق عليه السلام وكانت كما يلي:

**١ ـ الناووسية : وهم القائلون بمهدوية الامام الصادق عليه السلام.**

**٢ ـ الاسماعيلية الخالصة : الذين يصرّون على ان اسماعيل لا زال حياً.**

**٣ ـ المباركية : وهم الذين يعتقدون بامامة محمد بن اسماعيل[4].**

**٤ ـ السمطية : وهم المعتقدون بامامة محمد بن جعفر المعروف بالديباجة.**

---

(١) ذكرت اسباب اخرى لتسمية هذه الفرقة بهذا الاسم. راجع ص٧٧ من كتاب فرق الشيعة.

(٢) فرق الشيعة ص٧٧ ـ ٧٨.

(٣) الفصول المختارة ص٢٥٣.

(٤) الفصول المختارة ص٢٥٢.

**٥ ـ الفطحية : وهم الذين كانوا يعتقدون بامامة عبدالله الافطح.**

ويعلل النوبختي اسباب انقسام الشيعة الى هذه الفرق، بما يلي:

**«اعتقد الشيعة امامته لما روي عنهمعليهم السلام: الامامة في الاكبر من ولد الامام اذا مضى فذهبوا اليه، ولما وجدوه عاجزاً عن الاجابة على اسئلتهم تركوه».**

وكتب قائلاً: **«قال بامامته عامة مشايخ الشيعة ثم عبدالله مات بعد ابيه بسبعين يوماً».**

ولم يخلف من بعده ابناً ذكراً فرجع الباقون الا شذاذاً عن القول بامامته الى القبول بامامة موسى بن جعفرعليه السلام وان كان منهم من كان معتقداً لامامة موسى بن جعفرعليه السلام اثناء حياة عبدالله.

**٦ ـ وبقيت فرقة اخرى اعتقدت بامامة موسى بن جعفرعليه السلام.**

وكان من بين شخصيات الشيعة وكبار رجالها ممن اعتقدوا بامامة موسى بن جعفرعليه السلام هشام بن سالم وعبدالله بن يعفور[1]. وعمر بن يزيد بياع السابري ومحمد بن النعمان مؤمن الطاق، وعبيد بن زرارة وجميل بن دراج وابان بن تغلب[2] وهشام بن الحكم وهم من علماء الشيعة وأجلّة فقهائها.

وأما غيرهم ممن لم يعتقدوا بامامته فهم عبدالله بن بُكير بن اعين، وعمار بن موسى الساباطي[3] وقد ذكر المرحوم الطبرسي في اعلام الورى الانقسامات التي

---

(١) يبدو ان هذين الشخصين قد توفيا قبل ذلك.

(٢) يبدو ان هذين الشخصين قد توفيا قبل ذلك.

(٣) فرق الشيعة ص ٧٩.

حصلت بين شيعة اميرالمؤمنين واشار الى اسبابها ايضاً[1]

## المواقف السياسية للامام الكاظمعليه السلام.

اقترنت حياة الامام الكاظم باول مرحلة من مراحل ظلم وطغيان الخلفاء العباسيين؛ فان بني العباس كانوا اول تسلمهم للخلافة باسم العلويين يعاملون الناس وخاصة العلويين منهم بالحسنى، لكنهم ما ان ثبتوا اركان حكمهم، وحدثت بعض الثورات المناصرة للعلويين في ارجاء مختلفة من العالم الاسلامي مما اثار فيهم الخوف والهلع حتى مارسوا اقسى اشكال الظلم ضد الناس، وعاملوا معارضيهم بمختلف اساليب الكبت والتنكيل، بل قد قضوا على اقرب المقربين اليهم من انصارهم مثل عبدالله بن علي (بسبب نشاطه السري لاسقاط العباسيين، وكان يتوقع لنفسه ولاية عهد السفاح) وابي مسلم الخراساني، وقتل المنصور عدداً كبيراً من العلويين، ومات في سجنه الكثير منهم ايضاً[2].

وقد بدأت هذه الضغوط في زمان حياة الامام الصادقعليه السلام واستمرت في وتيرة متصاعدة حتى عهد الامام الرضا الذي تزامن مع خلافة المأمون. وفي زمن المأمون شعر الناس بشيء من الأمن السياسي، لكن سرعان ما بدأت الاجهزة الحاكمة بانتهاج سياسة الضغط والقمع من جديد،فبعد ان مَـهَّـدَ الامامان الباقر والصادقعليهما السلام الارضية على الصعيد الفكري العقائدي واصبح من المتوقع لتلك الحركة الثقافية ان تقود ثورة سياسية كبرى بدأ الحكام العباسيون تهديداتهم وضغوطهم ضد معارضيهم.

---

(١) اعلام الورى ص٢٨٨.

(٢) الفخري في الاداب السلطانية ص١٦٣ ـ ١٦٤.

ووجد الامام الكاظمعليه السلام نفسه بين امرين بين هذه الضغوط من جهة، وبين مسؤوليته الكبرى في رعاية الشيعة والمحافظة عليهم من جهة ثانية، اذ ان الامام لو لم يكن لديه عمل ونشاط غير اقرار العلاقات بين الشيعة وقيادتهم لكان ذلك كافياً في جعل الامام اكبر خطر يتهدد العباسيين وكيانهم.

لقد اقترنت امامة الكاظمعليه السلام بخلافة المنصور (المتوفى عام ١٥٨هـ) والمهدي (المتوفى عام ١٦٩هـ) والهادي (المتوفى عام ١٧٠هـ) واستمرت الى زمان وفاته في العام ١٨٣هـ.

وكما ذكرنا سابقاً، فان الفترة التي تولى فيها الامام الكاظمعليه السلام الامامة كانت فترة عصيبة على الشيعة حيث قام الشيعة والعلويون بعدة ثورات ضد خلفاء بني العباس كان من اهمها ثورة الحسين بن علي شهيد فخ التي حدثت في زمن خلافة الهادي وثورة يحيى وادريس ابنا عبدالله التي وقعت في زمن هارون.

وقد نقلت كتب التاريخ والحديث المواقف التي اتخذها الخلفاء العباسيون مع الامام الكاظم ومن ابرزها موقف هارون منه، هذا في الوقت الذي ينبغي الالتفات الى ان ائمة الشيعة كانوا يؤكدون باجمعهم على ضرورة التزام مبدأ التقية والسعي لادارة قواعد الشيعة وقيادتها بخفية، وهو ما ينتج عنه طبعاً عدم قدرة التاريخ على اعطاء تقييم صحيح ودقيق لتحركاتهم السياسية. اضافة الى ذلك فان الدليل القاطع على وجود مثل تلك القيمة وتلك الاهمية هي النتيجة التي افرزها ذلك التحرك السياسي المتمثل بقيادة تيار اصبح من ذلك الحين احد اكبر تيارين موجودين في المجتمع الاسلامي، فقيادة تلك الحركة، والدقة التي استخدمت في ادارتها وتوجيهها مما لا يمكن تجاهله. والشواهد الواردة في التاريخ واضطرار هارون الى قتل الامام الكاظم والاسلوب المخادع الذي ارتكبت به تلك الجريمة

المروعة حيث ارتكبت تلك الجريمة تحت غطاء مزيف يعكس عدم رغبة هارون في المنظار السياسي بتبني مثل هذه الجريمة والاعتراف بانه مات مقتولاً يعكس مدى الخطر الذي كان يشعر به هارون من وجود الامام على خلافته، رغم اعترافه بعدم ثبوت ا ية تهمة ضد الامام.

ونحن فيما يلي ننقل مواقف الخلفاء مع الامام الكاظم محاولين في ذلك ابراز اهمية الدور الذي لعبه الامام في القضايا السياسية.

كتب ابن شهرآشوب في كتابه عن موقف المنصور ازاء الامام الكاظمعليه السلام ما يلي:

**«طلب المنصور من الامام ان يجلس مكانه في عيد النوروز ويستلم نيابة عنه ما يؤتى اليه من هدايا، فقال له الامام: اني قد فتشت الاخبار عن جدي رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم فلم اجد لهذا العيد خبراً انه سنة للفرس ومحاها الاسلام ومعاذ الله ان نحيي ما محاه الاسلام». قال المنصور: أنما نفعل ذلك سياسية للجند فسألتك بالله العظيم الا جلست فجلس. ودخلت عليه الملوك والامراء والاجناد يهنونه ويحملون اليه الهدايا والتحف وعلى رأسه خادم المنصور يحصي ما يحمل وقد كان المنصور يفعل ذلك لأن اغلب جنده كانوا من الايرانيين وكانوا يقدمون للمنصور في هذا العيد هدايا ثمينة ليضيف بها اموالأ على امواله وهو المشهور بالبخل»**[1].

ويعبر جواب الامام عن حقيقة ينبغي لنا الالتفات اليها جيداً.

وفي فترة خلافة المهدي كان الامام مشغولاً بالتدريس ونقل الاحاديث

---

(١) المناقب، ج ٢ ص ٣٧٩، مسند الامام الكاظم ج ١ ص ٥١ ـ ٥٢.

وممارسة النشاطات السرية احياناً، وقد سجل له التاريخ خلال تلك الفترة مواقف مهمة تسترعي الانتباه، كان من ابرزها ما نقله بعض المؤرخين من امثال ابن الاثير والخطيب البغدادي وابن خلكان ورواة الشيعة. فقد نُقل انه تعرض لفترة طويلة من السجن ثم اطلق سراحه في بغداد.

**ويحتمل ان تكون عطايا الامام وهباته قد ارعبت المهدي فظن ان الامام يجمع الاموال لينفقها في تنظيم الشيعة وتقويتهم فامر عامله على المدينة بحبس الامام فحبسه وبعث به مقيداً الى بغداد فاودع السجن.**

**وبينما كان الامام حبيس سجنه رأى المهدي العباسي الامام علياً عليه السلام في الحلم وهو يتلو عليه الآية: ﴿فهل عسيتم إن توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم﴾[1]، فقام من ساعته فنادى الربيع حاجبه فامره باحضار موسى بن جعفر عليه السلام اليه فلما حضر قص عليه رؤياه وقال: «أفتؤمنني ان لا تخرج عليَّ أو على احد من ولدي؟» فاجابه الامام عليه السلام: «والله ما فعلت ذلك ولا هو من شأني» فصدق المهدي كلامه ودفع له ثلاثة آلاف دينار ليعود الامام راضياً الى المدينة»[2].**

وقد حدث نظير هذا في عهد هارون وهو ما سنأتي على ذكره لاحقاً.

---

(١) سورة محمد: ٤٧.

(٢) حياة الامام موسى بن جعفر ج ١ ص ٤٥٤ نقلاً عن: نور الابصار ص١٣٦، تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٠، وفيات الاعيان ج ٥ ص٣٠٨، المناقب لابن شهرآشوب ج ٢ ص ٢٦٤، جهاد الشيعة ص ٢٥١، نقلاً عن مقاتل الطالبيين ص ٥٠٠، مسند الامام الكاظم ج ١ ص٥٧، نقلاً عن كشف الغمة ج ٢ ص ٢١٣، الكامل في التاريخ ج٦ ص٥٨، مرآة الجنان ج١ ص ٢٩٤، تتمة المختصر ج١ ص ٣١٠، شذرات الذهب ج١ ص ٣٠٤.

كما واجه من الاحداث ما لم يواجهه احد من سائر الائمة سوى الامام اميرالمؤمنين‌عليه‌السلام. ويمكن العثور على كثير من هذه الشواهد ليس في المصادر الشيعية فحسب، بل في المصادر السنية ايضاً.

فقد روى ان الامام جاء الى المهدي العباسي ووجده يرد المظالم فقال له: **«ما بال مظلمتنا يا أمير المؤمنين لا تُردّ؟ فقال له: وما هي يا ابا الحسن؟ فقال له: ان الله عزوجل لما فتح على نبيه‌صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم فدك وما ولاها ما لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، فانزل الله تعالى على نبيه‌صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: ﴿وآتِ ذا القربى حقه﴾، نحلها النبي‌صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم الى ابنته فاطمة ملكاً خالصاً، وبعد وفاته اخرج عنها ابو بكر وكلاءها فاتته بشهود وهم علي والحسنين وام ايمن فشهدوا لها بذلك فكتب لها بترك التعرض الا ان الخليفة الثاني عارض الامر ومنعها من فدك، فقال المهدي للامام الكاظم: حدها لي: فحدها، فقال هذا كثير فانظر فيه»**[1].

لكن المهدي ما كان ليفعل ذلك طبعاً لأن وجود هكذا ثروة بيد الامام الكاظم‌عليه‌السلام تشكل خطراً على حكومته.

وتولى الخلافة بعد المهدي ابنه الهادي، لكنه لم يبق على قيد الحياة اكثر من سنة، وفي ايام خلافته ثار الحسين بن علي شهيد فخّ وقُتل ولما جيء برأسه الى الهادي العباسي، تغنى ببعض الاشعار وصف فيها الطالبيين بقطع الرحم و... ثم صرح بما يجول في خاطره من قلق شديد من موسى بن جعفرعليه‌السلام وأقسم انه سيقتله، فقال:

**«والله ان الحسين (شهيد فخّ) ثار بأمر منه (الامام الكاظم) وكان شديد**

---

(١) التهذيب ج ٤ ص١٤٨، مسند الامام الكاظم ج١ ص٥٦ ـ ٥٧.

**التأثر به، فهو صاحب الامر النافذ في هذا البيت قتلني الله ان لم اقتله».**

وكان القاضي ابو يوسف حاضراً في المجلس فهدأ من روعه وقال له: «**لا موسى بن جعفر ولا اي من ابناء هذا البيت يعتقد بالثورة ضد الخلفاء**»[1].

لقد كان النشاط السري لائمة الشيعة يجري في الخفاء، حتى ان خصومهم ما كانوا يتصورون ان في نيتهم الثورة ضد الخلفاء. وبغض النظر عن مدى صحة قول الهادي بشأن ثورة الحسين بن علي شهيد فخ، وكونها حصلت بأمر الامام أم لا، فان كلام القاضي ابي يوسف يعكس مدى سرية النشاط الذي كان يضطلع به الامام الكاظمعليه‌السلام حتى ان الشيعة الزيدية ـ الذين كان يعتبرون فرقة متطرفة ـ تصوروا الامام الصادقعليه‌السلام رجلاً لا يؤمن بالجهاد الا ان الامامعليه‌السلام ـ وكما ذكرنا سابقاً ـ رد ادعاءهم وقال: **هيهات ان ادع علمي لجهلهم**».

وجاء في الرواية المتقدمة ان الامام حين سمع بتهديد الهادي العباسي دعا عليه، وسرعان ما بلغ نبأ موته المدينة[2] بينما كان المحيطون بالامام قد طلبوا منه التخفي عن أعين بني العباس.

اما بالنسبة الى شهيد فخّ وثورته فينبغي الاشارة الى انه يمكن تصنيفها ضمن سلسلة الثورات الزيدية فعلى الرغم من ان تلك الثورات كانت تمتاز بالاخلاص وصدق النية وان بعض قادتها كانوا من العلماء والفضلاء ورغم كثرة اتباعها وانصارها الا انها ونتيجة لعوامل سياسية مختلفة لم تؤد الى نتيجة مثمرة ولم

---

(١) حياة الامام موسى الكاظم ج١ ص٤٧٢، نقلاً عن بحار الانوار ج١١ ص٢٧٨، المناقب ج٢ ص٣٧٠.

(٢) راجع كتاب: المناقب ج٢ ص٣٧٠، عيون اخبار الرضا ج١ ص٧٩، الدعاء الذي قرأه الامام لما بلغه تهديد الخليفة يسمى بالجوشن الصغير، وهو موجود في كتب الادعية.

يتمكن قادتها من تحقيق ادنى انتصار لهم لا في العراق، ولا في غيره من البلاد الاسلامية، ولم يكن من الصحيح طبعاً بالنسبة للشيعة الاثنى عشرية المشاركة في تلك الثورات، خصوصاً وان الفواصل اخذت تتعمق تدريجياً بينهم وبين الزيدية، لأن زعامة الزيدية كانت بيد اشخاص غير ائمة الشيعة ولعل جذور هذا الاختلاف بين الشيعة والزيدية ترجع الى ايام زيد، وبلغ ذروته أيام ثورة محمد ذي النفس الزكية، حيث انقطعت سبل التعاون بين الزيدية والشيعة، فعندما ثار شهيد فخ شارك في ثورته اكثر العلويين في المدينة، الا ان موسى بن جعفر لم يشارك فيها، بل وحذّره ايضاً حتمية هزيمته ومقتله[1]. ورغم ان شهيد فخ كان يبدو عازماً على الثورة منذ بداية الامر، الا ان الضغوط التي مارسها الهادي العباسي ضد علويي المدينة، وجور والي المدينة ـ وكان من سلالة الخليفة الثاني ـ قد عجل في اندلاع الثورة فاعلنت في ايام الحج، في وقت كان الخليفة قد ارسل جموعاً غفيرة من الناس الى مكة. وقوبلت الثورة بردود فعلٍ من قبل قوى خاصة ما كان بوسعها ان تقف الى جانب الخليفة الا في تلك الايام وانتهت المعركة بهزيمة ومقتل الحسين بن علي واكثر اتباعه ولما جيء بالرؤوس الى موسى بن عيسى وكان في مجلسه عدد من ابناء علي بن ابي طالب عليه السلام ومن بينهم الامام موسى بن جعفر عليه السلام، اشار موسى بن عيسى الى رأس الحسين بن علي وسأل الامام عليه السلام **«أهذا رأس الحسين بن علي؟» فقال له: «نعم أنا لله وانا اليه راجعون مضى والله مسلماً، صالحاً، قوّاماً، آمراً بالمعروف، وناهياً عن المنكر، وما كان في اهل بيته مثله»[2]. فسكت موسى بن عيسى ولم يُجب بشيء.**

(١) مقاتل الطالبيين. ص٢٩٧ ـ ٢٩٨.

(٢) مقاتل الطالبيين، ص٣٠٢.

## الامام الكاظم‏عليه السلام وهارون الرشيد

ان القسم الاعظم من الروايات الواردة بشأن حياة الامام الكاظم‏عليه السلام تتحدث عن المصاعب التي تعرض لها على يد هارون الرشيد ونحن سنحاول استعراض تلك الروايات ضمن الابواب الثلاث التالية:

**١ ـ الروايات الواردة بشأن العلاقة بين الامام وهارون، وتتضمن ايضاً مواضيع ونقاط ذات اهمية خاصة.**

**٢ ـ الروايات المتعلقة بالقبض على الامام وسجنه.**

**٣ ـ الروايات الواردة بشأن شهادته.**

يجب الاشارة قبل كل شيء الى ان هارون قد تسلم زمام الامور من العام ١٧٠هـ، وحتى العام ١٩٣هـ. وكانت له خلال هذه الفترة صراعات مختلفة مع العلويين فقتل وعذب الكثير منهم.

وقد سطر اخبار تلك الحوادث ابو الفرج الاصفهاني في (مقاتل الطالبيين)، كما ذكر الطبري بعضاً منها في كتابه ايضاً. وعلى العموم فان الضغط الذي مارسه الرشيد على الشيعة لا يمكن مقارنته ابداً بالضغوط التي مورست ضدهم في العهود السابقة له، بل ينبغي مقارنته بادوارٍ نظير عهد المتوكل، ولا ينفي هذا طبعاً تهاون هارون مع بعض خصومه وخاصة العلويين منهم في بعض المواقف.

ولكن ذلك ـ للاسف ـ لا يمكن وضعه في اطار مسارٍ تأريخي منتظم بسبب عدم وجود تاريخ دقيق يوضّح طبيعة المواقف والعلاقة بين الامام الكاظم‏عليه السلام وهارون الرشيد.

## ١ ـ مواقف هارون الرشيد من الامام:

يظهر من بعض الروايات ان الرشيد لم يبدِ موقفاً شديداً ازاء الامام في بداية حكمه، لكنه اخذ بالضغط على الامام تدريجياً. فقد وردت رواية في كتاب الاختصاص نذكرها فيما يلي:

**«كان مما قال هارون لأبي الحسن عليه السلام حين ادخل عليه: ما هذه الدار؟ فقال: هذه دار الفاسقين.**

**فقال له هارون: فدار من هي؟ قال: هي لشيعتنا فترة ولغيرهم فتنة، قال: فما بال صاحب الدار لا يأخذها؟**

**فقال: اخذت منه عامرة ولا يأخذها الا معمورة، قال: فاين شعيتك؟**

**فقرأ ابو الحسن عليه السلام: ﴿لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكّين عنك حتى تأتيهم البينة﴾[1].**

**فقال له: فنحن كفار؟**

**قال: لا، ولكن كما قال الله: ﴿الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحَلوا قومهم دار البوار﴾[2]. فغضب عند ذلك وغلظ عليه[3].**

كما ذكر الشيخ الصدوق رواية اخرى اشير فيها الى ان الرشيد ارسل مرة في طلب موسى بن جعفر عليه السلام، وامر باحضاره من توّه.

---

(١) البينة: ١.

(٢) ابراهيم: ٢٨.

(٣) الاختصاص ص٣٦٢، تفسير العياشي ج٢ ص٢٣٠، بحار الانوار ج٤٨ ص١٣٨.

ولما بلغه رسول الخليفة في المدينة طلب منه المثول عند الخليفة.

فقال الامام عليه السلام: **«لولا حديث سمعته من جدي بوجوب اطاعة السلطان تقية، لما ذهبت اليه»**. ولما حضر عند هارون، كتم هارون غضبه واخذ يلاطف الامام وسأله: **ما يمعنك من لقائنا؟ فقال: سعة مملكتك وحبك الدنيا.**

**فقدّم له الرشيد هدايا ثمينة فقال الامام عليه السلام: والله لولا أني ارى ان ازوّج بها من عزاب بني ابي طالب لئلا ينقطع نسلهم ما قبلتها ابداً»**[1].

## ٢ ـ سجن الامام:

هناك اخبار متعددة ومختلفة وردت بشأن سجن الامام يستفاد من مجموعها ان الامام الكاظم اودع السجن مرتين على يد هارون الرشيد، وكانت المرة الثانية ما بين عام ١٧٩هـ وعام ١٨٣هـ، اي انها استمرت مدة اربع سنوات وانتهت باستشهاده. أما بالنسبة الى المرة الاولى التي اودع فيها الامام السجن، فرغم ان الروايات اشارت اليها، الا انها لم تتطرق ابداً الى ذكر مدتها. والدليل على ان الامام أودع السجن مرتين على يد هارون الرشيد، هو اشارات المؤرخين الى تلك القضية. اضافة الى ما ورد في الروايات التاريخية عن اطلاق سراح الامام من السجن في المرة الاولى وهو ما نقله الكثير من رواة الاخبار.

يقول المسعودي: **«قال عبدالله بن مالك الخزاعي رئيس ديوان شرطة الرشيد: دخل عليَّ مبعوث هارون في وقت لا يجيئني فيه ابداً فلم يدعني ارتدي لباسي حتى اخذني عنده، فلما بلغته حييته وجلست، وكان السكوت**

---

(١) عيون اخبار الرضا ج١ ص٧٥ ـ ٧٦.

**مخيماً على كل زاوية من زوايا القصر فداخلني من ذلك قلق وخوف. وبينما انا كذلك إذ قال هارون: يا عبدالله اتدري لماذا احضرتك؟ قلت: لا، قال: رأيت حبشياً في منامي وبيده سيف وهو يقول لي: اطلق عن موسى بن جعفر الساعة والا قطعت رأسك بسيفي هذا، فاذهب اليه فاطلقه واعطه ثلاثين الف درهم، وقل له: ان كان له حاجة أو اراد البقاء هنا قضينا حاجته، وان اراد ان يرجع الى المدينة فجهزه. فسألته غير مصدق: أتأمر ان اطلق موسى بن جعفر؟ اعدتها عليه ثلاثاً، وهو في كل مرة يكرر كلامه، ويؤكد عليه. فخرجت من هارون، ودخلت السجن. فلما رآني موسى بن جعفر قام مرعوباً وكأنه ظن أنّي سأوذيه فقلت: مهلاً، امرت ان اطلقك الساعة واعطيك ثلاثين الف درهم، فلما سمع موسى بن جعفر ذلك قال: رأيت جدّي رسول الله ﷺ وهو يقول يا موسى سجنت مظلوماً فاقرأ هذا الدعاء وستخرج الليلة من سجنك ثم قرأ الدعاء»[1].**

ان وجود هذه الرواية في الكتب التاريخية الاخرى، دليل على شهرتها بين المؤرخين، رغم ما فيها من اختلاف في اسماء الاشخاص و...

وقد نقل الشيخ الصدوق هذه الرواية بتفصيل اكثر[2].

وهذه الحادثة شبيهة بتلك التي وقعت في عهد المهدي العباسي، وان نقلها من قبل مصادر اهل السنة دليل على قبولها عند مؤرخيهم ايضاً اذ ان اهالي بغداد ـ وكما اشير في موضعٍ آخر ـ كانوا يحتفظون بالكثير من الذكريات حول الامام الكاظم عليه السلام، وكان قبره مزاراً لهم ايضاً، وكان يعرف عندهم بباب الحوائج.

---

(١) مروج الذهب ج٣ ص٣٥٦، شذرات الذهب ج١ ص٣٠٤، وفيات الاعيان ج٥ ص٣٠١ ـ ٣٠٩.

(٢) عيون اخبار الرضا ج١ ص٢٧٣، امالي الصدوق ٢٢٦، وراجع كتاب: مهج الدعوات لابن طاووس ص٢٤٥، مسند الامام الكاظم ج١ ص٩٢.

وعلى كل حال فان هذا الخبر يشير الى ان هارون كان يشعر بحساسية شديدة تجاه موسى بن جعفر علاوة على ما كان يحمل من خشونة وقسوة تجاه العلويين.

ولم يحفظ الامام من شرّ هارون الا اتّباعه للتقية، والرؤيا المنطوية على التخويف والتهديد، كالمثال الذي اشرنا اليه انفاً، الا ان شعور هارون بخطورة الامام على حكمه، والحقد والبغض الذي كان يكنّه له، وكذلك المكانة التي كان يتمتع بها الامام بين الشيعة بصفته زعيماً وقائداً لهم، وحسد بعض العلويين له وسعايتهم الى هارون الرشيد ضدّه دفعت هارون الى التضييق عليه. وفيما يلي امثلة للحوادث التي ادت الى وضع الامام في السجن:

لقد ادى تأكيد النبي على وجوب اعتبار الحسنين عليهما السلام ابنين له الى ان يكون لاهل البيت عليهم السلام جلالاً وعظمة خاصة بين المسلمين. وهذا ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبغيه، حيث كان يهدف من وراء ذلك الى تركيز مكانة سامية لهم في المجتمع الاسلامي، وقد رويت عنه صلى الله عليه وآله وسلم روايات كثيرة في هذا الصدد وردت بكثرة في مصادر اهل السنة والشيعة، من جملتها حديث الثقلين وحديث السفينة.

ان اعتبار الحسنين عليهما السلام ابنين لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أدى الى انعطاف انظار المسلمين نحوهما، ولهذا السبب كان اعداء اهل البيت عليهم السلام يحاولون انكار هذا المبدأ. ورغم ان الاكثرية الساحقة من المسلمين كانت تنظر اليهما بصفتهما ابنين لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الا ان ذلك كان يثير غضب الحكام فيدعون الناس الى اعتبارهما ابني علي عليه السلام[1].

(١) كشف الغمة ج ٢ ص ١٧٦.

وكان عمرو بن العاص ممن ينفر من ذلك ايضاً، كما كان الحجاج يبدي تاثراً عجيباً منها، فعندما بلغه ان يحيى بن يعمر يعدُّ الحسن والحسين ابنين لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استدعاه من خراسان، وشدّد عليه ليأتيه بدليل من القرآن على هذا الادعاء، فقرأ عليه الآية ٨٥ من سورة الانعام التي تشير بصراحة الى ان عيسى من ابناء ابراهيم عليه السلام، واستدل على ذلك كما يلي: «**اذ كان القرآن يعتبر عيسى ابناً لابراهيم وهو لا يرتبط به بنسب الا من جهة الأمّ فلماذا لا يمكن اعتبار الحسنين ابناءً لرسول الله؟**»[1].

وقد اورد الاستاذ السيد جعفر مرتضى العاملي ادلة وشواهد اكثر على هذا الموضوع في كتابه القيم (الحياة السياسية للامام الحسن)[2].

وقد تعرض لهذه المسألة أيضاً في زمن هارون من خلال مواقفه مع اهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخاصة مع الامام الكاظم، وقد كان استدلال الامام على هذه القضية ـ في احد المواقف على الاقل ـ سبباً من اسباب سجنه، فقد ورد ان هارون الرشيد سأل الامام الكاظم عليه السلام: «**أتقولون أننا من ذرية رسول الله ولم يكن لرسول الله ابناء، وانما انتم ابناء ابنته**» فذكر له الامام دليلين:

١ ـ الآية ٨٥ من سورة الانعام التي تعتبر عيسى ابناً لابراهيم.

٢ ـ آية المباهلة، التي كان الحسنان يمثلان فيها المصداق الخارجي لـ (أبناءنا)[3].

---

(١) وفيات الاعيان ج٦ ص١٧٤، تفسير ابن كثير ج٢ ص١٥٥، الدر المنثور ج٣ ص٢٨، نور الابصار ص٢١ ـ ٢٢.

(٢) راجع: الحياة السياسية للامام الحسن عليه السلام ص٣٤ ـ ٣٥.

(٣) نور الابصار ص١٤٨ ـ ١٤٩، عيون اخبار الرضا ج١ ص٨٤ ـ ٨٥، الصواعق المحرقة ص٢٠٣،

وكانت هذه القضية اكثر اثارة بالنسبة للعباسيين الذين كانوا يعتبرون انفسهم ابناء عم النبي صلى الله عليه وآله، ويستدلون بقاعدة الوارثة لاثبات افضليتهم واحقيتهم بالحكم، وكانوا يشيرون في استدلالهم الى ان العباس هو عم النبي صلى الله عليه وآله وقد بقي حياً بعد وفاة النبي، ومع وجوده لا يبقى حق لسائر ابناء عمومته. وقد نظم مروان بن حفصة شعراً يقوم على هذا الاستدلال ورد فيه:

**انّى يكون ولا يكون ولم يكن ... لبني البنات وراثة الاعمام**

وقد نُقلت ضمن هذا السياق ابيات شعرية جميلة منسوبة للامام الكاظم عليه السلام في الرد على هذه الابيات[1].

أما الشيعة فلم يعيروا قضية الوراثة اية اهمية لاثبات الامامة، بل استندوا الى النصوص الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله، وكذا النصوص الواردة عن الامام السابق في تعيين الامام اللاحق. وليس غير بني العباس من ركز على الوارثة، وذلك لحصر الخلافة بهم. ولهذا كانوا يحرصون على اظهار الحسنين ابنين لعلي عليه السلام لا للنبي صلى الله عليه وآله وبذلك لا ينتفي امر وراثتهما فحسب، بل هم بذلك يعرضون ما يحظى به اهل البيت عليهم السلام من احترام واهتمام في المجتمع كابناء لرسول الله صلى الله عليه وآله للشك والترديـد. ويمكن القول باطمينان ان النفوذ المعنوي الذي كان يتمتع به العلويون في مجتمعات اهل السنة آنذاك في ايران واليمن والشام وغيرها، كان يعود في الغالب الى اقوال النبي صلى الله عليه وآله في منزلة اهل بيته العظيمة، وتلقي الحسنين عليهما السلام بعنوان (ابناءنا).

---

⇐ ينابيع المودة ص٤٣٥، مسند الامام الكاظم ج١ ص٥٠.

(١) الاحتجاج ج٢ ص١٦٧.

وقد ذكر ابن الاثير «ان هارون الرشيد اعتمر في شهر رمضان من السنة ١٧٩هـ، فلما عاد الى المدينة على ساكنها السلام دخل الى قبر النبي ﷺ يزوره ومعه الناس، فلما انتهى الى القبر وقف وقال: **السلام عليك يا رسول الله، يا ابن عم،** افتخاراً على من حوله.

فدنا موسى بن جعفر فقال: **السلام عليك يا ابه.**

فتغير وجه الرشيد وقال: هذا الفخر يا ابا الحسن جداً.

ثم امر به فحبس عند السندي بن شاهك[1].

واورد اليافعي هذه الرواية بشكل مختصر[2].

ثم التفت هارون الى يحيى بن جعفر وقال: «**اشهد انه ابوه حقاً**»[3].

ويعد هذا القول بمثابة اعتراف صريح بعدم أحقية بني العباس بالخلافة بناء على مدعاهم من كون الخلافة تنتقل وفقاً لقواعد الوراثة، كما يعد اعترافاً منه بان العلويين من نسل فاطمة عليها السلام ابناء للنبي ﷺ.

ويظهر من سجن الامام عقيب ذلك ان كلام الامام ذاك اعتبر بمثابة تحرك سياسي ضد هارون. ان مواقف كهذه من الامام الكاظم عليه السلام كانت تشتمل على مخاطر على هارون.

---

(١) ابن الاثير، ج٦ ص١٦٤، وراجع كتاب الاحتجاج ج٢ ص١٦٥، روضة الواعظين ص١٨٧، الصواعق المحرقة ص٢٠٤.

(٢) مرآة الجنان ج١ ص٣٩٥.

(٣) كامل الزيارات ص١٨، الكافي ج٤ ص٥٥٣.

## ٣ ـ استشهاد الامام:

إن لاعتقال الامام وسجنه دوافع اخرى ايضاً، من جملتها انه كان على الشيعة اخفاء ما يتعلق بالامام وزعامته، وعدم افشاء ما يقال لهم من اسرار القيادة الشرعية. الا أنه قد يحصل احياناً انهم يذيعون بعض المواضيع بشأن امامة موسى‌بن جعفر ووجوب طاعته، وهو ما كان يسبب لهم وللامام الكثير من المتاعب. وهذه المشكلة كانت موجودة ايضاً في عهد الامام الصادقعليه‌السلام الذي كانت تغلب على المنصور حساسية خاصة تجاهه. لكن انتهاج الائمة مبدأ التقية كما ذكرنا سابقاً، خلق تصوراً لدى العباسيين بعدم وجود نوايا لدى الشيعة وامامهم بالثورة على الخليفة وان كانوا يدّعون الامامة. ولهذا كان الناس ينصحون العلويين الذين يتفقون مع زعماء الزيدية في الرأي بالقول: كونوا كابن عمكم (موسى بن جعفر) لتكونوا في مأمن.

ورغم اعتقاد الائمة بانحصار الامامة والزعامة فيهم وثبوت بطلان النظام الحاكم لديهم، الا أنهم لم يجوزوا الثورة عليه، لأنهم لم يكونوا يرون في الثورة نتيجة مثمرة. هذا هو الوضع الذي كان يعيشه الشيعة. ولكن قد يحدث احياناً ان يفضي بعض شيئاً من عقيدتهم بوجوب اتباع الامام الكاظمعليه‌السلام. فيسبب له الكثير من المشاكل. وانطلاقاً من هذه الزاوية يمكن القول ان احد اسباب سجن الامام الكاظمعليه‌السلام هو وجود مثل هذه العقائد التي كانت تعتبر من جملة الاخطار الكثيرة التي تهدّد بني العباس. وقد تضمنت كتبنا الروائية باباً تحت عنوان: (باب تحريم اذاعة الحق مع الخوف به)[١] يشتمل على احاديث كثيرة في هذا المجال، رُويت عن الائمة وخاصة عن الامام الصادقعليه‌السلام. كما وردت في كتاب رجال

(١) مستدرك الوسائل ج١٢ ص٢٨٩.

الكشي رواية طويلة نسبياً عن يونس بن عبدالرحمن يمكن اعتبارها مثالاً واضحاً لما ذكرنا، فقد ورد في تلك الرواية:

«كان يحيى بن خالد البرمكي قد وجد على هشام بن الحكم شيئاً من طعنه على الفلاسفة، واحب ان يغري به هارون ويغريه على القتل. قال: وكان هارون لما بلغه عن هشام مال اليه... فقال يحيى لهارون: اني قد استبطنت امر هشام فاذا هو يزعم ان لله في ارضه اماماً غيرك مفروض الطاعة. قال: سبحان الله، قال: نعم ويزعم أنه لو امره بالخروج لخرج، وانما كنا نرى انه ممن يرى الالباد بالارض (عدم الخروج على السلطان).

فقال هارون ليحيى: فاجمع عندك المتكلمين واكون انا من وراء الستر بيني وبينهم، لا يفطنون بي، ولا يمتنع كل واحد منهم ان يأتي باصله لهيبتي.

فتوجه يحيى فاشحن المجلس من المتكلمين، وابتدأوا بالمناظرة. ولما انتهوا الى طريق مسدود، قال لهم يحيى بن خالد: اترضون فيما بينكم هشاماً حكماً؟ قالوا: قد رضينا ايها الوزير، وأنّى لنا به وهو عليل، فوجه اليه يحيى لاحضاره الى المجلس.

وكان هشام قد عزم إن منَّ الله عليه من تلك العلة ان يشخص الى الكوفة، ويحرّم الكلام، ويلزم المسجد. ولكنه اضطر امام اصرار يحيى لحضور المجلس. وبعد ان اطلّع على المورد الذي انتهت اليه المناظرة، حكم لبعض على بعض فكان من المحكومين سليمان بن جرير.

ثم طلب اليه يحيى ان يبين رأيه في فساد اختيار الناس للامام. فتكلم هشام في ذلك على كراهية. فلما فرغ من كلامه، قال يحيى لسليمان بن جرير:

قوله: سل ابا محمد عن شيء من هذا الباب فقال سليمان لهشام.. اخبرني عن علي بن ابي طالب مفروض الطاعة؟

فقال هشام: نعم، فقال له: فان امرك الذي بعده بالخروج بالسيف تفعل وتطيعه؟

فقال هشام: لا يأمرني. قال: ولِمَ اذا كانت طاعته مفروضة عليك، وعليك ان تطيعه؟

قال هشام: عُد عن هذا فقد تبين منه الجواب. قال سليمان: فلِمَ يأمرك في حال تطيعه، وفي حال لا تطيعه؟ فقال هشام: ويحك لم أقل لك اني لا اطيعه فتقول ان طاعته مفروضة، انما قلت لك لا يأمرني.

قال سليمان: ليس اسألك الا على سبيل سلطان الجدل ليس على الجواب انه لا يامرك.

فقال هشام: كم تحول حول الحمى، هل هو الا ان اقول لك ان امرني فعلت، فينقطع اقبح الانقطاع ولا يكون عندك زيادة، وانا اعلم ما تحت قولي، وما يؤول اليه جوابي.

فتغير وجه هارون وقال: قد افصح، فبعث الى ابي الحسن موسى عليه السلام فحبسه.

واضاف يونس بن عبدالرحمن بعد ذكره للخبر: «فكان هذا سبب حبسه مع غيره من الاسباب».

ثم صار هشام الى الكوفة، وهو يعقب علته، ومات في دار ابن شرف

بالكوفة رحمه الله[1].

وجاء في رواية اخرى: «ان الامام امر هشام بن الحكم بالسكوت، فامسك هشام بن الحكم عن الكلام شهراً لم يتكلم ثم تكلم، فاتاه عبدالرحمن بن الحجاج رسولاً من الامام، فقال له: سبحان الله يا ابا محمد تكلمت وقد نُهيت عن الكلام. قال: مثلي لا ينهى عن الكلام. فلما كان من قابل آتاه عبدالرحمن بن الحجاج، فقال له: يا هشام ان الامام يقول لك هل يسرّك ان تشرك في دم امرئ مسلم؟ قال: لا. قال: وكيف تشرك في دمي، فان سكت والا فهو الذبح. فما سكت حتى كان من امره ما كان»[2].

وهذه الرواية تعبّر بكل وضوح عما سبق منا القول اليه.

ورويت ايضاً في هذا السياق رواية اخرى يحتمل ان تكون نفس هذه لكنها تشتمل على اضافة هي: «ان هارون كان متخفياً خلف ستار يستمع للمناظرة، وقد اتفق الحاضرون على عدم مناقشته الا في موضوع الامامة. وقد سمع هارون الرأي الصريح لهشام فذعر وعضّ على شفته وقال: مثل هذا حي ويبقى لي ملكي ساعة واحدة؟ فوالله للسان هذا ابلغ في قلوب الناس من مائة الف سيف».

وعلم هشام أنه قد أُتي فقام، ولبس نعليه، وانسلّ وهرب، ومر من فوره نحو الكوفة ونزل على بشير النبّال، وكان من حملة الحديث ومن اصحاب ابي عبدالله الصادقعليه السلام فاخبره الخبر، ثم اعتل علة شديدة فقال له بشير: آتيك بطبيب؟ قال: لا، انا ميت.

---

(١) رجال الكشي ص٢٥٦ ـ ٢٦٢.

(٢) رجال الكشي ص ٢٧١.

وكان هارون عندما طلبه ولم يجده، اخذ اخوته واصحابه وحبسهم. ولما بلغه خبر موته خلّى عمن كان اخذ به[1].

ويذكر الصدوق في مكان آخر سبباً آخر لاستشهاد الامام الكاظم عليه السلام، فهو يذكر ان من اسباب شهادته هو ان هارون ضاق صدره مما كان يظهر له من فضل موسى بن جعفر عليهما السلام، وما كان يبلغه من قول الشيعة بامامته، واختلافهم في السرّ اليه بالليل والنهار خشية على نفسه وملكه، واشار كذلك الى سعاية بعض المقربين اليه. مضافاً الى ذلك، الحقد الذي كان يكنّه له يحيى بن خالد البرمكي[2].

وقد نقل الشيخ المفيد وابو الفرج الاصفهاني رواية اخرى في هذا الخصوص، ندرج ملخصها فيما يلي: «ان يحيى بن خالد البرمكي حسد جعفر بن محمد بن الاشعث لما وضع هارون ابنه في حجره لتربيته (وكان ابن الاشعث يعتقد بامامة الكاظم عليه السلام) لذلك كان يقرح عليه في قلب هارون، (ويبدو انه دبر موامرة ضد الامام الكاظم عليه السلام بهدف الانتقام منه) ولذا بدأ البحث عن شخص من بيت الامامة يكون مناسباً لتدبير مثل هذه المكيدة، فعثر على علي بن اسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام وكان رجلاً فقيراً، فدفع اليه مبلغاً من المال، ورغبه في قصد الرشيد، ووعده بالاحسان اليه، لينفّذ به خطته ضد الامام الكاظم. ولما عزم علي بن اسماعيل على الذهاب الى بغداد، حاول الامام صرفه عن ذلك واعطاه المال ووعده باداء دينه، الا انه ذهب الى هارون وتكلم عنده بما يسيء الى عمه[3] ونُقلت هذه الرواية كسبب آخر لسجن الامام عليه السلام.

---

(١) بحار الانوار، ج٤٨، ص٢٠٤، اكمال الدين ص٣٦٢، مسند الامام الكاظم ج١ ص٣٩٩.

(٢) عيون اخبار الرضا ج١ ص١٠٠.

(٣) الارشاد ص٢٩٩، مسند الامام الكاظم ج١ ص١١٥، المناقب ج١ ص٣٧١.

ونقل الشيخ الصدوق هذه الرواية بشكل ادق واكمل، فبعد اشارته الى العلاقة الخفية بين جعفر بن محمد بن الاشعث والامام الكاظم عليه السلام قال: «**بعد سعاية يحيى بجعفر طلبه هارون وقال له: خُبرت انك تبعث الى موسى بن جعفر من كل ما يصير اليك بخمسه، وانك قد فعلت بذلك في العشرين الف دينار فاحببتُ ان اعلم ذلك فاتاه جعفر بالاموال كما هي بخواتيمها وقال: هذا اول ما تعرف به كذب من سعى بي اليك، فنجى من كيد يحيى واطمأنت اليه نفس الرشيد، الا ان يحيى بقي يحتال في اسقاط جعفر**»[1].

وفي الحقيقة كانت تلك آخر مرة يسجن فيها الامام وكان هذا هو سببها.

وبعد نقل الرواية السالفة يذكر الشيخ المفيد: «وخرج الرشيد في تلك السنة (١٧٩) الى الحج وامر بالقبض على الامام وسجنه».

وقبل الاشارة الى اعتقال الامام ينبغي الاشارة الى ان بعض المصادر ذكرت اسم محمد بن اسماعيل بدل علي بن اسماعيل.

قال ابو نصير البخاري: «**كان محمد بن اسماعيل بن جعفر مع عمه موسى الكاظم عليه السلام يكتب له كتب السر الى شيعته من الآفاق، فلما ورد الرشيد الحجاز سعى محمد بن اسماعيل بعمه الى الرشيد فقال: ما علمت ان في الارض خليفتين يجبى اليهما الخراج**».

**قال الرشيد: ويحك انا ومن؟ قال: موسى بن جعفر واظهر اسراره.**

**فقبض الرشيد على موسى بن جعفر عليه السلام وحبسه وكان سبب هلاكه**»[2].

---

(١) عيون اخبار الرضا ج١ ص٦٩.

(٢) سر السلسلة العلوية ص٣٥، مسند الامام الكاظم ج١ ص١٢٧، نقلاً عن البخاري.

وذكر هذه الرواية ابن شهر آشوب ايضاً[1].

فهاتان روايتان قد ورد في احداهما اسم علي بن اسماعيل وفي الاخرى اسم محمد بن اسماعيل وهما متشابهتان الى حد كبير وهذا التشابه يقوي في ذهن الانسان فكرة وجود اصل واحد لهما، وانهما نابعتان من حادثة واحدة.

وقد عرف عن هارون انه كان يحج عاماً ويحارب آخر.

وكان العام (١٧٩) عام حج، فسافر بقصد الحج فوصل المدينة، وكان اشراف المدينة في استقباله، ومنهم الامام الكاظمعليه السلام ايضاً. وكان هارون على علم بنشاط الامام السري، فلما صار الى ضريح رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم، اشار اليه وقال على مسمع من المستقبلين وفيهم الامام الكاظم.

**«يا رسول الله اني معتذر اليك من شيء اريد فعله اريد ان احبس موسى بن جعفر فانه يريد ان يفرق بين امتك ويسفك دماءها»**[2].

فهذه المصانعة التي ابداها هارون كانت لاجل ان الناس يعتبرون موسى بن جعفرعليه السلام ابناً لرسول الله، فالاعتذار المذكور يصب في هذا الاتجاه. كما يبدو ان مثل تلك التهمة ببثّ الفرقة بين الامة كانت كافية لاقناع من قد يثير مثل ذلك الاجراء في ذهنه بعض التساؤلات.

والكلام المذكور سالفاً يشير الى ان الامام الكاظم كان ذا شخصية مرموقة تلفت الانظار في المدينة، ولهذا السبب اضطر هارون مع ما كان لديه من قدرة سياسية الى الالتجاء لمثل هذه التبريرات حتى لا تكون اجراءاته مثاراً لسخط

---

(١) المناقب ج٢ ص٢٨٥.

(٢) الارشاد ص٣٠٠.

الناس، فاصدر امره بالقبض على الامام وهو لا يزال في المسجد[1] واعَدَّ قبتين وجعله في احداهما، ثم سيّر واحدة منها الى الكوفة، والثانية الى البصرة.

وانما فعل هارون ذلك ليعمّي على الناس الامر في الامام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام[2].

وكتب ابو الفرج الاصفهاني بعد ذكره لهذه الواقعة: «ارسل هارون الرشيد الامام الكاظم الى والي البصرة عيسى بن جعفر بن المنصور فحبسه عنده سنة، الا أنه ضاق بهذا الأمر فكتب الى هارون بتحويله الى شخص آخر أو يخلي سبيله. وذلك لأنه سعى طوال تلك المدة ليجد عليه حجة وسبيلاً، لكنه لم يعثر على شيء من ذلك.

ومن الملفت للنظر ان عيسى ذكر في رسالته ايضاً: «ووضعت من يسمع منه ما يقول في دعائه فما دعا عليك، ولا عليَّ ولا ذكرنا بسوء، وما يدعو لنفسه الا بالمغفرة والرحمة»[3].

وهذا الامر كما يعكس منتهى زهد الامام وتقواه، يظهر في نفس الوقت شدة تقيته ونشاطه الخفي. ثم سلموا الامام الى الفضل بن الربيع، وبقي عنده مدة طويلة فاراده الرشيد على شيء من امره، فابى، فكتب اليه بتسليمه الى الفضل بن يحيى فتسلّمه منه، وجعله في بعض حجر دوره، وذكر المؤرخون انه كان يكرم الامام. ووصل خبر ذلك الى الرشيد وهو بالرقة، فغضب ودعا عليه في ذلك المجلس

---

(١) ارجع: كتاب روضة الواعظين ص١٨٧.

(٢) قال المرحوم الصدوق، قبض عليه وهو عليه السلام عند رأس النبي صلى الله عليه وآله قائماً يصلي، عيون اخبار الرضا ج١ ص٧٠.

(٣) مقاتل الطالبيين ص٣٣٥، الائمة الاثني عشر ص٩١، جهاد الشيعة ص٣٠٢.

علناً، وامر الجالسين بلعنه، لأنه عصى الخليفة، وضرب مائة سوط لذلك. ثم سلّم الامام الكاظمعليه السلام الى سجان آخر هو السندي بن شاهك[1].

## شهادة الامام الكاظمعليه السلام:

وبلغ يحيى بن خالد الخبر فارتاع لذلك، وركب الى الرشيد ودخل عليه، واعتذر اليه مما كان من الفضل، وتعهد للرشيد بأمتثال امره فيما يريد وقتل الامام الكاظمعليه السلام.

وهذا ما حدث، اذ قتل الامام بامره على يد السندي بن شاهك[2].

وقد صرحت بعض الروايات بانّ يحيى بن خالد كان هو المنفذ لقتل الامام، ومن جملة من ذكر ذلك ابو الفرج الاصفهاني حيث قال: انه دخل بغداد، واظهر أنه جاء لتعديل السواد، والنظر في امور العمال، لكن ذهابه كان بهدف قتل الامام الكاظمعليه السلام. وهذا التصرف يعبر عن عدم رغبة يحيى في تحمل مسؤولية هذا الفعل علناً.

ومما يجدر ذكره انا قد شاهدنا عناد يحيى في قضية هشام بن الحكم مع الامام الكاظمعليه السلام. وعلى هذا يبدو ان ما ورد في بعض الروايات بشأن اضماره الحب للامام وجهل هارون بذلك أمر لا اساس له من الصحة.

وقد ورد في رواية عن الامام الرضاعليه السلام أنه سُئل: «**هل ان يحيى بن خالد**

---

(١) مقاتل الطالبيين ص٣٣٦.

(٢) مقاتل الطالبيين، ص٣٣٥.

**سمَّ أباك؟ فاكد الامام هذا القول»**[1].

وهناك روايات اخرى تؤكد هذا الموضوع ايضاً[2].

اما عن استشهاده عليه السلام فهو امر لاشك فيه وفقاً لاقوال اغلب المؤرخين، لكن لما كان امر استشهاده قد عُمّي عليه، واعلن بنو العباس للناس ان موته كان طبيعياً، فقد إنطلت الحيلة على بعض المؤرخين، فذكروا ان موته كان طبيعياً. وهناك من المؤرخين من نقل خبر استشهاده مسبوقاً بكلمة (قيل)[3].

اما بشأن كيفية استشهاده فقد وردت ثلاث روايات مختلفة:

١ ـ انه عليه السلام قُتل بالسم كما جاء في الرواية التي نقلناها عن الامام الرضا عليه السلام وفي روايات اخرى تتهم يحيى بن خالد بقتله تأييداً لهذا المعنى.

٢ ـ روايات اخرى تشير الى انه لُفَّ في الفراش وضغط عليه حتى مات[4].

٣ ـ رواية شاذة ونادرة نقلها المستوفي تقول:

«يقول الشيعة ان هارون الرشيد امر بالرصاص فاذيب ثم صب في فمه»[5].

والرواية الأشهر من بين الروايات هي تلك التي تقول بأنه قتل مسموماً ثم عرض جسده المبارك على نظر خاصة اهل بغداد وعامة الناس وذلك لسببين:

---

(١) رجال الكشي ص٥٠٣.

(٢) دلائل الامامة ص١٤٧.

(٣) راجع ابن خلكان ج٥ ص٣١٠، عمدة الطالب ص١٩٦.

(٤) مقاتل الطالبيين ص٣٣٦.

(٥) المختار من التاريخ ص٢٠٤ (بالفارسية).

١ ـ ذكر الأربلي ان السندي بن شاهك جمع وجهاء بغداد واشرافهم وكان بينهم هيثم بن عدي واوقفهم على الجسد الشريف للامام الكاظم ليشاهدوه خالياً من اثر الجراح والخنق، وليفهمهم ان موته كان طبيعياً.

٢ ـ لما كان عدد من الشيعة من المعتقدين بمهدوية الامام الكاظم عليه السلام أو كان محتملاً اعتقادهم بها، فقد وضع جسده فوق جسر بغداد على الارض، وامر يحيى بن خالد أن ينادوا: «هذا موسى بن جعفر الذي يزعم الرافضة أنه لا يموت»، فاجتمع الناس وشاهدوه وقد فارق الحياة. ثم دفنوا جنازته في (باب التين) في مقبرة القرشيين ببغداد[١].

وكان تاريخ استشهاده على ما ذكر الشيخ الصدوق في يوم ٢٥ رجب من العام ١٨٣هـ. وقال الشيخ المفيد انه كان يوم ٢٤ من صفر بينما يعتبره المستوفي قد استشهد يوم الجمعة ١٤ من صفر.

## الجوانب الاخرى لمقارعة الامام الكاظم للخلافة العباسية:

يمكن الاشارة الى جوانب اخرى من جهاد الامام الكاظم ومواقفه ضد النظام العباسي الحاكم، من جملتها نشاطه السري.

فرغم ان جهاده لم يتخذ طابع التخطيط لاسقاط الحكم آنذاك، الا أنه كان يؤكد على عدم مشروعيته، ويسعى لسلب ثقة الناس به. اذ المهم في الجهاد هو عدم التعاون، وهو ما ينشأ تلقائياً نتيجة عدم الاعتراف بالمشروعية، اذ ان وجود نظرة كهذه لدى الناس، ورسوخها في اذهانهم تجاه اية حكومة يعتبر بمثابة تهديد

---

(١) كشف الغمة ج٢ ص٢٣٤.

خطير لها، لأن زوال اعتقاد الناس بشرعية النظام يعني امكانية قيامهم في اية لحظة لاسقاط ذلك النظام او دعمهم لأية محاولة من هذا القبيل.

ويمكن الاشارة الى امثلة تاريخية متعددة في هذا الصدد، منها الرواية التي وردت بشأن صفوان بن مهران الجمال فهو يقول عندما دخلتُ على الامام موسى الكاظم قال لي:

**«يا صفوان كل شيء منك حسن جميل ما خلا شيئاً واحداً! قلت: جعلت فداك اي شيء؟ قال: اكراؤك جمالك من هذا الرجل، يعني هارون. قلت: والله ما اكريته اشراً ولا بطراً، ولا لصيد، ولا للهو، ولكني اكريته لهذا الطريق يعني طريق مكة، ولا اتولاه بنفسي، ولكن ابعث معه غلماني.**

**فقال لي: يا صفوان أيقع كراؤك عليهم؟ قلت: نعم جعلت فداك. فقال لي: اتحب بقاءهم حتى يخرج كراؤك؟ قلت: نعم. قال: فمن احب بقاءهم فهو منهم. ومن كان منهم ورد النار. قال صفوان: فذهبت وبعت جمالي عن آخرها.**

**فبلغ ذلك هارون فدعاني، فقال لي: يا صفوان بلغني انك بعت جمالك؟ قلت: نعم، قال: لمَ؟ قلت: انا شيخ كبير وان الغلمان لا يفون بالاعمال، فقال: هيهات هيهات، اني لأعلم من اشار عليك بهذا، اشار عليك بهذا موسى بن جعفر. قلت: ما لي ولموسى بن جعفر؟ فقال: دع عنك هذا فوالله لولا حسن صحبتك لقتلتك».**

فكل فعل يصدر من الامام كان يشتمل على حكم عام لجميع الشيعة الاّ اولئك الذين كانوا على ارتباط باجهزة الدولة بامر منه، وكان ذلك بمثابة حكم يمكن الالتزام به ضمن سياق ذلك النشاط السري.

والجانب الاخر من مواقف الامام موسى بن جعفر عليه السلام تجاه الحكم العباسي هو ما جسده في موقفه بشأن الابقاء على علي بن يقين في البلاط العباسي، وكان يسعى من خلاله الى استنقاذ الشيعة من التشريد والمصائب. فقد كان ابن يقطين من جملة اصحاب الكاظم عليه السلام الذين لهم نفوذ في الحكومة العباسية. وكان له نفوذ واسع على عهد المهدي وهارون. وكان يستغل ذلك لمصلحة الشيعة.

ولما طلب من الامام السماح له بترك العمل في اجهزة الحكم، امتنع الامام عن السماح له بمثل هذاالعمل، وقال له: «**لا تفعل فانَّ لنا بك أُنساً، ولا خوانك بك عزّاً، وعسى ان يجبر الله بك كسراً، ويكسر بك نائرة المخالفين عن اوليائه. يا علي كفارة اعمالكم الاحسان الى اخوانكم**»[١]. وجاء في رواية اخرى ان الامام قال له: «**لابد من البقاء على عملك، إتّقِ الله**»[٢]

وورد في رواية اخرى ان الامام لما جاء الى العراق قال له علي بن يقطين:

«**أنه يأسف أن يرى نفسه على مثل هذا الحال**» **فقال له الامام:**

«**يا علي ان لله تعالى اولياء مع اوليائه الظلمة يدفع بهم عن اوليائه وانت منهم يا علي**»[٣].

وجاء في رواية اخرى: «**ان لله مع كل طاغية وزيراً من أوليائه يدفع به عنهم**»[٤].

---

(١) بحار الانوار ج٤٨، ص١٣٦.

(٢) قرب الاسناد، ص١٢٦.

(٣) رجال الكشي ص٤٣٣.

(٤) رجال الكشي، ص٤٣٥.

ان مباركة الامام لعمله واصراره على ضرورة البقاء في نفس ذلك العمل، وثنائه عليه في الاقوال المذكورة اعلاه، وخاصة القول الاخير يكشف عن انه كان عليه السلام يستفيد من وجوده في الدفاع عن الشيعة. وقد تعرض هذا الرجل لوشايات متعدّدة، لكنه خرج منها سالماً من خلال التزامه بمبدأ التقية، وبتوجيهات الامام ابي الحسن عليه السلام[1]. وكان علي بن يقطين يستفيد كذلك من آراء الامام الكاظم عليه السلام في حلّ بعض المعضلات الدينية التي كانت تواجهها الحكومة[2].

ومن الامثلة الاخرى على مواقف الامام موسى بن جعفر عليه السلام السياسية هو مواجهته لعلماء السوء الذين وضعوا انفسهم في خدمة البلاط العباسي وهو ما يلاحظ في اقواله وكلماته بوضوح. فوجود مثل هؤلاء الاشخاص في جهاز الحكومة كان وثيقة مشروعيته من وجهة نظر الناس. ولذا كانوا يعتبرون بمثابة الحاجز الذي يحول دون سقوطها. ولهذا السبب كان هؤلاء الاشخاص يحظون برعاية خاصة في جهاز الخلافة.

فقد وردت عنه عليه السلام رواية يقول فيها: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الفقهاء امناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا**[3]. **فسئل: وكيف يدخلون في الدنيا؟**

**قال: اتّباع السلطان فاذا فعلوا ذلك فاحذروهم على اديانكم**».

وامثال هؤلاء العلماء هم الذين استغلهم هارون عند استشهاد الامام ليعلنوا ان وفاته كانت طبيعية واستفاد من وجاهتهم لخداع الناس.

---

(١) الارشاد ص٢٤٧ـ٢٧٥.

(٢) التفسير العباسي ج١ ص١٨٥.

(٣) بحار الانوار ج٢ ص٣٦.

## المواقف الكلامية للامام الكاظم عليه السلام ازاء المعتقدات المنحرفة لاهل الحديث:

كان ترك النص الالهي في امامة علي بن ابي طالب عليه السلام بداية للاختلافات اللاحقة التي حدثت في صفوف المسلمين. فبعد ان وقعت الخلافة بيد اشخاص غير صالحين اخذوا على عاتقهم قيادة زمام الشؤون السياسية وتصدوا لتفسير الدين وبيان الاحكام الفقهية، ومع انهم كانوا يفتقدون القدرة العلمية الكافية فقد طرحت الكثير من الآراء التي كانت تؤدي بشكل طبيعي الى اثارة الاختلافات من قبلهم، أولاها مسألة ارث النبي صلى الله عليه وآله، ومسألة قتال (مانعي الزكاة)[1]. كما طرحت في المراحل التالية ـ اي في عهد سلطة الخلفاء ـ الكثير من امثال هذه الاختلافات، وجملة من الموضوعات الكلامية ايضاً فكان الخلفاء هم الذين يتصدّون للاجابة عليها[2].

اما اولئك الذين لم يكن باستطاعتهم قبول تلك الاجابات لسبب أو لآخر فانهم كانوا ينحون مناحٍ اخرى، وكذا الجهلة كانوا يقعون في التيه والضياع ايضاً وهذه الاسباب ادّت بالتدريج الى خلق اختلافات متعددة في المجتمع الاسلامي.

وقد ادى منع تدوين الحديث ونقله ونفوذ وتسرب الثقافة اليهودية الى اوساط المسلمين ورسوخ حب الدنيا والتفسير المنحرف للدين لتوطيد اركان

---

(١) الشهرستاني: الملل والنحل ج١ ص٣١.

(٢) لا بأس هنا من الالتفات الى الرواية التالية: «اخرج اللالكائي في السُنة عن عبدالله بن عمر قال: جاء رجل الى ابي بكر، فقال: أرأيت الزنا بقدر؟ قال: نعم قال: فان الله قدّره علي ثم يعذبني؟ قال: نعم يا ابن اللخناء، أما والله لو كان عندي انسان امرت ان يلجأ انفك» ، الغدير ج٧ ص١٥٣ نقلاً عن تاريخ الخلفاء ص٦٥.

الحكم الاموي الفاسد، وازاحة (اهل الذكر) عن الساحة الدينية والسياسية والعلمية الى تأجيج نار الاختلافات بين المسلمين، فقام الخوارج بايجاد اكبر انشقاق فكري وسياسي، وسرعان ما انفصل نطاق معتقداتهم ـ بشكل اساسي ـ عن نطاق معتقدات الآخرين، وقام ائمة الشيعة منذ البداية بشرح وتبيان آرائهم ومعتقداتهم الى عامة الناس ما وسعهم ذلك والى شيعتهم في بعض الموارد الاخرى، وسعوا الى إبعادهم عن علماء السوء والمحدثين العملاء للسلطة.

وفي عهد حكومة الامام علي عليه السلام التي استمرت مدة خمس سنوات توفرت الارضية المناسبة لنشر فكر اهل البيت عليهم السلام على نطاق واسع. الا ان انتهاء تلك الفترة كان ايذاناً بانتعاش المحدثين والفقهاء المرتبطين بالسلطة الاموية من جديد ليمارسوا دورهم في جعل الناس يماشون الحكومة وتسييرهم ضمن الخط العام الذي تريده السلطة.

وفي نهاية القرن الاول وحلول القرن الثاني للهجرة، برزت الى الوجود فرق دينية اخرى ـ سوى الشيعة ـ وكان من اهمها واكثرها نشاطاً وتأثيراً هي: الخوارج والمرجئة والجهمية والمعتزلة. وكانت لكل واحدة من هذه الفرق معتقداتها في كل جانب من جوانب الحياة وكانت تبذل المساعي من اجل نشرها. ويمكن القول ان الحكومة الاموية لم تكن على وفاق مع ايٍّ من هذه الفرق. فكانت في صراع مع الجهمية والمرجئة في خراسان، كما كانت منهمكة في معارك حامية الوطيس مع الخوارج في جنوب ايران والاصقاع النائية في الاقسام الجنوبية منها، ولم تتوفر للمعتزلة القدرة الكافية الا في بعض الموارد المحدودة. وأما موقف الشيعة تجاه الامويين والمذهب العثماني الذي اوجدوه فقد كان واضحاً وجلياً.

وعامة الناس كانت على نهج ملوكهم وولاتهم تبحث عن دين ينشره امثال

ابن شهاب الزهري، ومن قبله عروة بن الزبير، ومن قبله ابو هريرة، وسمرة بن جندب. اذ كان يعتقد هؤلاء بوجوب اغواء الناس بواسطة الحديث، لأن الحديث كلام رسول الله ﷺ ووضعه امر سهل، ولهذا اتسعت دائرة نقل الحديث بسرعة. ورغم ما اعلنه بعض ائمة اهل السنة من عدم تجاوز احاديث النبي ﷺ عن بضع مئات[1] فنحن نرى ان عددها تجاوز في اواسط القرن الثاني عشرات الآلاف، ثم تجاوزه بعد مدة يسيرة الى مئات الآلاف. وكانت اكثر الاحاديث الموضوعة في مجالي الفقه والمسائل الكلامية. وفضلاً عن وضع الاحاديث فان تحريفها كان وسيلة اخرى لتحريف الدين ايضاً.

ويتضح من بعض النصوص التاريخية انه لم يكن في بداية الامر سوى عدد معدود من الاحاديث الموضوعة في باب التشبيه، الا أنه بعد مضي فترة وجيزة جمع ابن خزيمة في كتاب التوحيد عدة آلاف من امثال هذه الاحاديث وقد اتخذ المسار العادي للمجتمع نظامه الديني وفقاً لهذه الاحاديث الموضوعة، وخرجت بقية الفرق الدينية عن ذلك المسار باعتبارها من اهل الرأي والبدع. وهكذا وجد (اهل الحديث)، واطلق اسم المذهب العثماني على كل من كان يتمسك بتلك الاحاديث، ويعتبر من سواه خارجاً عن الدين وهو المذهب الذي الف الجاحظ كتاباً في تأييده ومساندته واطلق عليه اسم (العثمانية).

وكان احد اوجه النشاط المتواصل لائمة الشيعة عليهم السلام هو التصدي لهذه الاحاديث او بعبارة اخرى لـ(اهل الحديث)، فكانوا يكشفون في بعض المواقف عن الاحاديث المحرفة والموضوعة، وينبهون في مواقف اخرى الى عدم صحة فهمهم الساذج والسطحي في تفسير بعض الآيات المتشابهة والاحاديث.

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٤٤٤، وراجع تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٤١٦.

ويمكن ملاحظة مثل هذا التحرك في الحياة الفكرية لجميع الائمة. وربما يكون ذلك اكثر تركيزاً في حياة البعض منهم وتحققت فيه نتائج لا يُستهان بها في الابواب الفقهية والكلامية.

ونحن نشير هنا الى عدد من المواقف الفكرية التي تخللت حياة الامام الكاظم عليه السلام.

١ ـ من الروايات التي تمسك بها اهل الحديث واكثروا من تناقلها، هو حديث (نزول الله الى السماء الدنيا).

فعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول من يدعوني فاستجيب له، من يسألني فاعطيه، من يستغفرني فاغفر له»[1].

ان قبول رواية كهذه يستلزم الاعتقاد بالتشبيه والقبول بتنقل الله من مكان لآخر. وقد اعلن اهل الحديث هذه العقيدة ونشروها وكانوا يستندون ايضاً الى احاديث اخرى في هذا الباب، وكان احمد بن حنبل ـ وهو حصيلة التطور الفكري لأهل الحديث ـ رغم ادخاله بعض التعديلات على هذه العقيدة يعتقد ان:

«لله عزوجل عرش، وللعرش حملة يحملونه، والله عزوجل على عرشه ليس له حد والله اعلم بحده... يتحرك، يتكلم، ينظر، يبصر، يضحك... وينزل كل ليلة الى السماء الدنيا، وقلوب العباد بين اصبعين من اصابع الرحمن... وخلق آدم بيده على صورته»[2].

---

(١) البخاري، ج ٤ ص ١٠١، طبعة دار المعرفة، سنن الدارمي، الصلاة باب ١٦٨، موطأ القرآن رقم ٣٠.
(٢) طبقات الحنابلة ج ١ ص ٢٩.

وكانوا يعتقدون ايضاً بوجود مكان خالٍ في عرش الله على قدر اربعة اصابع وهو مكان رسول الله ﷺ الذي يكون الى جانبه[1]، وكانت هذه العقائد قد بُنيت على اساس ما وصل اليه من الاحاديث المحرفة والموضوعة.

وكما اشرنا سابقاً فانهم كانوا يتشددون بالتمسك (بالاحاديث)، فعندما جاء رجل الى احمد بن حنبل وقال له: «يبدو ان الذي نقل حديث : (رأيت ربي عزوجل شاباً امرد جعداً قططاً عليه حلة حمراء) شخص واحد لا غيره». غضب عليه ابن حنبل وذكر له طرقاً متعددة[2].

ان هذه الروايات لم توضع في زمن احمد بن حنبل، بل ان الكثير منها كان متداولاً من قبل هذا بين الناس. ولهذا السبب نرى اصحاب الائمة كثيراً ما يسألون الائمة عن هذه الاحاديث فقد سئل الامام الكاظم عليه السلام وكذلك الامام الرضا عليه السلام عن حديث نزول الله نفسه، اذ ورد عن يعقوب بن جعفر الجعفري، عن ابي ابراهيم عليه السلام قال:

**«ذكر عنده قوم يزعمون ان الله تبارك وتعالى نزل الى السماء الدنيا، فقال: ان الله لا ينزل ولا يحتاج الى ان ينزل انما منظره في القرب والبعد سواء، لم يبعد منه قريب، ولم يقرب منه بعيد، ولم يحتج الى شيء يحتاج اليه، وهو ذو الطول لا إله الا هو العزيز الحكيم. اما قول الواصفين: أنه ينزل تبارك وتعالى فانما يقول ذلك من ينسبه الى نقص او زيادة. وكل متحرك محتاج الى من يحرّكه او يتحرك به. فمن ظن بالله الظنون هلك. فاحذروا في صفاته من ان تقفوا له على حد تحدونه بنقص، أو زيادة، أو تحريك، أو تحرك، أو زوال، أو**

---

(١) نفس المصدر، ج٢ ص٦٧.

(٢) نفس المصدر ج٢ ص٤٦.

**استنزال، أو نهوض، أو قعود، فانَّ الله جلَّ وعزَّ عن صفة الواصفين، ونعت الناعتين، وتوهم المتوهمين. وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين»**[1].

فقد انكرت هذه الرواية نزول الله الى السماء الدنيا، وبينت مذهب اهل البيت عليهم السلام بتعابير دقيقة لنفي التشبيه عن الله سبحانه، وقد نقلت مثل هذه المفاهيم بكثرة عن اهل البيت عليهم السلام، وجذورها مستلة من خطب اميرالمؤمنين عليه السلام الواردة في نهج البلاغة. ففي مذهب اهل البيت عليهم السلام لا توجد عقيدة بالنفي ولا بالتشبيه، بل يوجد اثباتٌ بلا تشبيه، وهو ما صرح به الامام الرضا عليه السلام[2].

والنقطة المثيرة للانتباه حول حديث (نزول الله الى السماء الدنيا) هي عدم انكار اصل الرواية من قبل الامام الرضا، بل أنه بين التحريف الذي طرأ عليها. وهذه قضية مهمة تظهر الفعل المتعمد لتحريف الاحاديث على يد الوضاعين والكذابين.

فعن ابراهيم بن محمود قال: «**قلت للرضا عليه السلام يا ابن رسول الله ما تقول في الحديث الذي يروونه الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: ان الله تبارك وتعالى ينزل كل ليلة جمعة الى السماء الدنيا؟ فقال: لعن الله المحرفين الكلم عن مواضعه والله ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كذلك، انما قال: ان الله تعالى ينزل ملكاً الى السماء الدنيا كل ليلة في الثلث الأخير وليلة الجمعة في أول الليل فيأمره فينادي: هل من سائلٍ فاعطيه سؤاله؟ هل من تائب فاتوب عليه هل من**

---

(١) الكافي، ج١ ص١٢٥، التوحيد ص١٨٣.

(٢) التوحيد، ص١٠٢.

**مستغفر فاغفر له. حدثني بذلك ابي عن جدي عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»**[1].

يشير المقطع الاخير من الحديث الى ان طريق اهل البيت عليهم السلام في نقل الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو اسلم الطرق في نقل الحديث. وهذا هو سبب تعاهد الشيعة لهذا الطريق ولهم الحق في عدم الركون والاطمئنان الى الطرق الاخرى، سوى ما ارتضاه هذا الطريق وايده.

٢ ـ والمورد الآخر الذي كان يتمسك اهل الحديث بظاهره هو آية: **﴿الرحمن على العرش استوى﴾**[2]. فهؤلاء وبسبب عدم التفاتهم الى سائر الآيات، وعدم استخدامهم للاستدلال والتعقل ـ وهو المعروف من خصامهم العنيد مع المعتزلة على مدى سنوات طويلة ـ جعلهم يتقوقعون وبشدة على نوع من الرؤية الظاهرية. ولما كان لديهم عدد من الاحاديث في باب التشبيه. فقد كان من الطبيعي ان يفسروا نظير هذه الآيات على ضوء تلك الاحاديث. ولو نظرنا الى ذيل الآية المذكورة في تفسير البرهان لوجدنا روايات كثيرة وردت في تفسيرها. وهذه الروايات المنقولة عن الائمة اما انها كانت اجابات لتساؤلات اصحابهم أو انها كانت رداً على اهل الجدل[3].

وقد سُئل الامام الكاظم عليه السلام ايضاً عن معنى هذه الآية فاجاب كما في الرواية التالية:

**«عن الحسن بن راشد قال: سئل ابو الحسن موسى عليه السلام عن معنى قوله**

---

(١) عيون اخبار الرضا ج١ ص١٠٤.

(٢) سورة طه، الآية ٥.

(٣) البرهان، ج٣ ص٤٣ ـ ٤٤.

تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ فقال: استولى على ما دق وجل»[1].

والآية المذكورة كناية عن احاطة الله بجميع الامور صغيرها وكبيرها، ولا شك ان فهم هذا التعبير مرتبط بالآيات المحكمة التي تنكر محدودية الله. فلو اننا تمسكنا بظاهر الآية لكان لزاماً علينا القبول بمحدوديته تعالى عن ذلك.

٣ ـ وفي جانب الجبر والتفويض التزم اهل الحديث بمذهب الجبرية وكانوا يظهرون تزمتاً شديداً لهذه الفكرة في مقابل التطرف الذي كان يبديه المعتزلة.

وعقيدة الجبر هذه لها جذور في الجاهلية كما تصرح بذلك بعض الآيات القرآنية على لسان المشركين[2].

وبعد ظهور الاسلام، نشر معاوية عقيدة الجبر[3]، وكان متأثراً ـ كما يتضح من بعض القرائن والشواهد ـ بالافكار الجاهلية وبعض الآراء اليهودية فيما يتعلق بمسألة الجبر. ومن الواضح ان الاعتقاد بالجبر يعين الخلفاء على توطيد دعائم حكمهم، ويبرر لهم اخطاءهم، كما يردع الناس عن معارضتهم او الاعتراض عليهم[4]. وقد نقل لنا التاريخ بأنهم هددوا الحسن البصري بالوشاية به لدى السلطة ما لم يكفّ عن عقيدته في التفويض[5].

وكان اهل الحديث يتمسكون ببعض الآيات والروايات لاثبات صحة معتقدهم ويتشبثون بآيات وروايات اخرى في مقابل (اهل العدل).

---

(١) الاحتجاج ج ٢ ص ١٥٧، مسند الامام الكاظم ج ١ ص ٢٦٢.

(٢) النحل: ٣٥.

(٣) فعل الاعتزال، ص ١٤٤، راجع كتاب: بحوث مع اهل السنة والسلفية ص ٥٣.

(٤) راجع كتاب: (التاريخ السياسي للاسلام من سنة ٤٠ حتى سنة ١٠٠ للهجرة) ص ١٤٥ ـ ١٤٦.

(٥) الطبقات الكبرى ج ٧، ص ١٢٢، اخذ عنه «بحوث مع اهل السنة والسلفية ص ٥٣.

وكان من المهم هنا ايضاً فهم الآيات فهماً صحيحاً وارجاع المتشابه الى المحكم.

ومن جملة الروايات الواردة في هذا الباب، حديث: «**الشقي من شقى في بطن أمه والسعيد من سَعد في بطن أمه**»[1].

فقد كان من الممكن تفسير ذلك الحديث بالمعنى الذي يدعم مذهب الجبر دعماً مُطلقاً وقاطعاً ولهذا يثير الكثير من التساؤلات في اذهان اصحاب الائمة ويدفعهم الى السؤال عن معناه الصحيح.

وسُئل الامام الكاظمعليه السلام ايضاً في هذا المجال، وهو ما نورده في الرواية الآتية:

«... عن الفضل بن شاذان عن محمد بن ابي عمير قال: سألت أبا الحسن موسى بن جعفرعليه السلام عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

«**الشقي من شقى في بطن امه والسعيد من سعد في بطن أُمه**».

**فقال: الشقي من علم الله وهو في بطن امه انه سيعمل اعمال الاشقياء والسعيد من علم الله وهو في بطن امه أنه سيعمل اعمال السعداء**»[2].

واستمراراً لهذه الرواية، سئل سؤالاً آخر عن حديث آخر يفهم منه الجبر ايضاً، فاجاب الامام جواباً وافياً ولطيفاً.

«**قلت له: فما معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم: اعملوا فكلٌ ميسر لما خلق له. فقال: ان الله**

---

(١) ر.ك.: سنن ابن ماجة، المقدمة رقم ٧، سنن الدارمي المقدمة رقم ٢٣، مسند احمد ج ٢ ص ١٧٦.

(٢) التوحيد ص ٣٥٦، مسند الامام الكاظم ج ١ ص ٢٧٣.

**عزوجل خلق الجن والانس ليعبدوه ولم يخلقهم ليعصوه. وذلك قوله عزوجل: ﴿وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون﴾ فيسّر كلاً لما خلق له، فالويل لمن استحبّ العمى على الهدى»**[1].

ورأي الامام الكاظم عليه السلام في مسألة الجبر والتفويض هو أنه امر بين امرين، وعندما سئل عن فاعل المعصية، قدم جواباً واضحاً حين قال:

**«لا تخلو من ثلاث: اما ان تكون من الله عزوجل، وليست منه، فلا ينبغي ان يعذب عبده بما لا يكتسبه. وأما ان تكون من الله عزوجل ومن العبد، وليس كذلك، فلا ينبغي للشريك القوي ان يظلم الشريك الضعيف. واما ان تكون من العبد وهي منه، فان عاقبه الله فبذنبه، وان عفا عنه فبكرمه وجوده»**[2].

٤ ـ ومن الامثلة الاخرى على الانحراف العقائدي الذي ساد المجتمع عقيدة المرجئة عن الايمان وماهيته. فالمرجئة كانوا يعتقدون ـ ولأسباب قد تكون سياسية على الارجح ـ بأن الايمان هو مجرد تصديق ذهني لا علاقة له بالعمل، وكما لا يؤثر العمل في تقويته أو اضعافه.

فاما ان يكون للانسان تصديق أو لا يكون. ومثل هذا التصديق لا يعتريه الضعف والقوة.

ان مثل هذه العقيدة وبشكلها المتطرف ـ لو اخذناها بمعزل عن معتقدات المرجئة الأخرى ـ يمكن ان يستهوى الحكّام، أو اي انسان فاسد وفاسق، لأنهم ـ اي المرجئة ـ يعتقدون بأن الانسان المسلم يبقى مؤمناً حتى اذا ارتكب اقبح

---

(١) التوحيد ص٣٥٦، مسند الامام الكاظم ج ١ ص٢٧٣.

(٢) التوحيد، ص٩٦، مسند الامام الكاظم ج ١ ص٢٧٣.

الذنوب وخالف الشريعة.

وأما ائمة الشيعة عليهم السلام فانهم كانوا يؤكدون ومنذ البداية على الجوانب الذهنية والقلبية والعملية للايمان، واهم ما جاء عنهم هو كلام امام المتقين علي عليه السلام في قوله:

**«الايمان معرفة بالقلب واقرار باللسان وعمل بالاركان»**[1].

وقد تصدى الامام الكاظم عليه السلام ايضاً ـ شأنه في ذلك شأن سائر الائمة عليهم السلام ـ لمثل هذا الاعتقاد الخاطئ وفنّده. فعندما سئل في هذا الصدد قال:

**«ان للايمان حالات ودرجات وطبقات ومنازل، فمنه التام المنتهي تمامه، ومنه الناقص المنتهي نقصانه، ومنه الزائد الراجح زيادته»**[2].

وفي نفس الوقت ينبغي القول ان أئمة الشيعة ـ ومن الناحية الكلامية ـ يعتقدون ان الانسان المؤمن بالله ورسوله يبقى مسلماً وان ارتكب فسقاً، ولا ينقض ذلك الا اذا انكر ضرورياً من ضروريات الاسلام.

وقد كانت هذه الاسئلة تطرح من قبل اصحاب الائمة بسبب وجودهم في مجتمع تنتشر فيه مثل هذه الافكار، فكانوا يبحثون عن الاجابة المناسبة لاقناع انفسهم من جهة، وكان عليهم من جهة اخرى ان يتسلحوا بآراء اهل البيت عليهم السلام في مناقشاتهم الكلامية مع تلك الفرق. وكان الامام الكاظم عليه السلام يتباحث ما وسعه ذلك مع اصحاب الجدل ايضاً، ويثقف اصحابه، ليتمكنوا من نشر افكار اهل البيت عليهم السلام بين الناس. وكان هشام بن الحكم من اقوى صحابة الامامين الصادق

---

(١) نهج البلاغة، الكلمات القصار رقم ٢٢٧.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٣٨.

والكاظم عليهما السلام الناشطين في نقل آراء اهل البيت الى الفرق الاخرى كما كان الامام الكاظم عليه السلام يحث اصحابه ممن يمتلك قابلية البحث والجدل سوى هشام بن الحكم على مناقشة اتباع المذاهب الاخرى، وتبيان المعتقدات الكلامية للشيعة التي كان بعضها شائعاً بين الناس بصوره المحرفة.

ويظهر كتاب (الانتصار) للحافظ المعتزلي مدى التحريف الذي حصل في افكار الشيعة ومعتقداتهم في باب التوحيد والتي عُرضت وكأنها تشبيه. بينما تشير احاديث الائمة الكلامية مدى تأكيد المذهب الشيعي على فكرة التنزيه (تنزيه الله من الجسمية والشكلية). ومن الموارد التي كان فيها الامام الكاظم عليه السلام يأمر اصحابه بمناقشة الخصوم هو ما ورد عنه بشأن محمد بن حكيم، اذ قيل:

**«كان ابو الحسن عليه السلام يأمر محمد بن حكيم ان يجالس اهل المدينة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وان يكلمهم ويخاصمهم»**[1].

ان الجهود التي بذلها ائمة الشيعة واصحابهم -رغم ما تعرضت له من مضايقة وتقييد- ادى الى ان تؤلف معتقدات اهل البيت عليهم السلام الاساس الفكري للشيعة، وان يتم عن طريق اهل البيت عليهم السلام المحافظة على الاسلام الصحيح بعيداً عن التحريف.

(١) رجال الكشي ص ٣٨٠.

# الامام الرضا عليه السلام

**«عن الرضا عليه السلام عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى: كلمة لا إله الا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي. ثم قال الرضا عليه السلام: بشروطها وانا من شروطها».**

كانت ولادة الامام الرضا عليه السلام ـ استناداً الى قول اكثر المؤرخين ـ عام ١٤٨هـ. وإن قيل انها كانت عام ١٥٣هـ، وفارق الحياة عام ٢٠٢هـ[1] أو ٢٠٣هـ.

أمه تسمى بالخيزران وقيل انها كانت ام ولد (اي أَمة) من اهل النوبة اسمها اروى ولقبها الشقراء. كما قيل ان اسمها نجمة وكنيتها ام البنين. وقال آخرون ايضاً ان اسمها تكتم[2].

---

(١) تاريخ اهل البيت ص٨٣.

(٢) سيرة الائمة الاثني عشر، هاشم معروف الحسني، ج٢ ص٣٤٢، وراجع كتاب: تاريخ اهل البيت ص١٢٣، فقد ذكر ان اسم امه ورد في بعض الروايات باسم الخيزران، وورد في بعض الروايات ان اسمها كان «اروى» وكنيتها ام البنين.

وكان نقش خاتمه هو: **(ما شاء الله لا حول ولا قوة الا بالله)**[1].

كان الامام الرضاعليه السلام يقيم بالمدينة حتى العام ٢٠١هـ، وفي شهر رمضان من تلك السنة ذهب الى مرو، واستشهد ـ كما ذكرنا ـ في صفر عام ٢٠٣هـ.

لقد حصلت اكثر الاحداث السياسية في حياة الامام الرضا اثناء توليه لولاية العهد، وأما قبل ذلك فلم ينقل عنه شيئاً من المواقف السياسية الا في موارد قليلة، منها موقفه السياسي ازاء الهجوم الذي قاده (الجلودي) وهو احد قوّاد جيش هارون الرشيد الذي ارسله لقمع حركة محمد بن جعفر في المدينة[2] حيث نقل ابو الفرج الاصفهاني خبراً عن النوفلي بشأن وساطة الامام الرضاعليه السلام في موضوع حركة محمد بن جعفر الا أنه خبر مشكوك في صحته وكيفيته[3].

فقد ذكر الرافعي: «من المشهور ان علي بن موسى الرضاعليه السلام جاء الى مدينة قزوين واختبأ فى دار داود بن سليمان الغازي كما نقل اسحاق بن محمد وعلي بن مهرويه رقعة من الامام عن طريق داود بن سليمان هذا يشير فيها الى ان احد ابناءه قد دفن في قزوين، وكان له من العمر سنتان أو اقل[4]. ويحتمل ان يكون سفره هذا قد حصل عام ١٩٣هـ مقترناً مع موت الرشيد[5].

كما ذكر الاصفهاني ان الجلودي امر بجلب آل ابي طالب من المدينة الى

---

(١) بحار الانوار ج٤٩ ص٢، نقلاً عن الكافي.

(٢) مقاتل الطالبيين ص٣٦٠.

(٣) التدوين في اخبار قزوين ج٣ ص٤٢٨.

(٤) التدوين في اخبار قزوين ج٣ ص٤٢٨.

(٥) حياة الامام الرضا ص٢٢٥.

خراسان، وكان فيهم علي بن موسى الرضا عليه السلام ايضاً[1]. والظاهر ان هذه الرواية قد اختلطت مع غيرها من الروايات، وذلك لأن الجلودي وان كان قد جاء الى المدينة، الا ان هجومه عليها كان قبل مجيء الامام الى خراسان. ونحن في بحثنا هذا سنبدأ بالخلافات التي حصلت بعد الامام الكاظم عليه السلام ثم نتطرق من بعد ذلك الى المسائل المهمة في حياة الامام.

فالادلة الروائية الكثيرة وما كان يحظى به الامام من قبول بين الشيعة بالاضافة الى افضليته العلمية والاخلاقية كلها تثبت صحة وصدق امامته، ورغم صعوبة العلم بامامته ووصايته في اواخر حياة موسى بن جعفر عليه السلام الا ان اكثر اصحاب الامام الكاظم عليه السلام ايدوا تعيين الامام الرضا كوصي من قبل الامام الكاظم عليه السلام.

وقد ذكر الشيخ المفيد اسماء اثني عشر شخصاً من هؤلاء الصحابة ـ الذين نقلوا الروايات بشأن تعيين الامام الرضا وصياً عن ابيه ـ اهمهم: داود بن كثير الرقي، ومحمد بن اسحق بن عمار، وعلي بن يقطين، ومحمد بن سنان[2]، ثم استعرض الروايات المذكورة بشكل موسع.

وذكرها الأربلي ايضاً مشفوعة بروايات اخرى، وقد جمعها بعض المؤرخين والمحدثين في موضع واحد[3].

ان الاختلافات التي حصلت بعد استشهاد الامام الصادق عليه السلام حول وصيته

---

(١) مقاتل الطالبيين ص٣٧٥.

(٢) الارشاد، ص٣٠٤.

(٣) عيون اخبار الرضا ج١ ص١٧ ـ ٢٧، مسند الامام الرضا ج١ ص١٨ ـ ٣٧، ر.ك: روضة الواعظين ج١ ص٢٢٢.

جعلت الاصحاب يحتاطون هذه المرة، وهو ما دفعهم الى السؤال والتثبت من الامام الكاظم حال حياته عن وصيه من بعده.

فقد روى نصر بن قابوس: «**قلت لأبي ابراهيم (موسى بن جعفر) اني سألت ابا عبدالله عن الامام من بعده، فاخبرني أنك انت هو. فلما توفي ذهب الناس عنك يميناً وشمالاً، وقلت فيك انا واصحابي، فاخبرني عن الامام من ولدك، قال: ابني علي**».

ومع ذلك فقد حصلت عدة مشاكل بسبب ظروف التقية وانتهازية بعض الاشخاص الذين استلموا اموالاً من شيعة الكوفة نيابة عن الامام الكاظمعليه السلام، ووجود عدد من الروايات الملفقة والمعدة لحرف الاذهان عن الامامعليه السلام، في حين ان الامام الكاظمعليه السلام نصب الامام الرضا وصياً له وهو في المدينة بين الشيعة والعلويين. وقد حضر الكثير منهم الواقعة وشهد عملية التنصيب بنفسه[1].

كما روى المرحوم الطبرسي ان المشكلة الاساسية سببها بعض ممن اجتمعت لديهم الاموال الشرعية خلال المدة الاخيرة من حياة الامام التي قضاها في السجن.

فقد كتب الطبرسي ما يلي: «**لما مات ابو الحسنعليه السلام وليس من قوّامه احد الا عنده المال الكثير، فكان ذلك سبب وقفهم وجحودهم لموته**»[2].

وقول الطبرسي هذا، اشارة الى رواية وردت عن الكشي قال فيها: ان ثلاثين الف دينار قد حملت الى وكيلين لموسىعليه السلام بالكوفة احدهما حيان السراج

---

(١) الكافي ج١ ص٣٣، رجال الكشي ص٤٥١.

(٢) عيون اخبار الرضا ص٢٨.

والآخر كان معه، وكان موسى عليه السلام في الحبس فاتخذا بذلك دوراً وعقداً العقود واشتريا الغلات. فلما مات موسى عليه السلام وانتهى اليهما الخبر، انكرا موته، واذاعا في الشيعة أنه لا يموت، لأنه القائم. حتى كان عند موتهما اوصيا بدفع ذلك المال الى ورثة موسى عليه السلام، واستبان للشيعة انهما قالا ذلك حرصاً على المال[1].

ومن الاسباب الاخرى لظهور هذا الانحراف ـ وهو ما حصل لبعض الائمة السابقين ايضاً ـ هو مفهوم المهدوية الذي كان يمتاز بفاعلية بين الشيعة وان كانت روايات اهل السنة ليست بأقل منها في هذا المضمار.

ولا شك ان هذا الانحراف لا يعزى في اكثر المناسبات الى الانتهازيين والنفعيين فقط، بل ان بعض الناس كان يقع في مثل هذا الانحراف نتيجة لاعتقاده بمهدي آل محمد، وجهله بالمصداق الحقيقي لذلك. كما لا يخفى ايضاً تأثير الافكار المغالية والآراء المتطرفة في ظهور وانتشار مثل هذه التوجهات. وعلى اية حال فان فكرة مهدوية الامام الكاظم عليه السلام كان يروّج لها بعد استشهاده ايضاً حيث كان يُشاع من قبل جماعة من الناس أنه لا زال حياً وقد قرر الغيبة.

وقد احصى الشيخ المفيد في كتاب (الفصول المختارة) الانقسامات التي حصلت بين الشيعة بعد استشهاد الامام الكاظم عليه السلام. واورد سعد بن عبدالله الاشعري نفس المواضيع في كتابه (المقالات والفرق). والمجال لا يسع هنا للتحدث عن جميع تلك القضايا. ولكن لا باس بالاشارة اليها باختصار:

بعد استشهاد الامام الكاظم عليه السلام انقسمت الشيعة الى قطعية وواقفية. فالقطعية: الذين قطعوا بوفاة الامام الكاظم عليه السلام. والواقفية: هم من وقفوا على

---

(١) رجال الكشي، طبعة مشهد ص ٤٦٠.

امامة الكاظم عليه السلام، وقالوا انه لم يمت وسيخرج بعد الغيبة. وقد اعتبر الشهرستاني القطعية و(الشيعة) الاثني عشرية مذهب واحد[1].

وعلى اية حال فان الاعتقاد بمهدوية الامام الكاظم عليه السلام ادى الى حصول انحراف لدى الشيعة وبقيت جماعة منهم بلا امام[2]. وفي نهاية المطاف انتهز شخص يدعى (محمد بن بشير) هذه الحالة من التشتت واسس فرقة اطلق عليها اسم المطورة، تعتقد بالتناسخ وتُبيح المحرمات. فسمّاهم علي بن اسماعيل وهو احد متكلمي الشيعة بالكلاب المطورة، فاشتهروا لاحقاً بهذا الاسم[3]. وقد اورد الاشعري تفاصيل معتقداتهم وقال: عقائدهم في التفويض كعقائد الغلاة. وبقيت هذه الفرقة حتى زمن تاليف كتاب الاشعري[4]. وقد اشار كل من الاشعري والمفيد الى ظهور معتقد آخر آنذاك يشير الى ان الائمة من بعد الامام الكاظم عليه السلام ليسوا بأئمة، بل هم خلفاؤه واحداً بعد واحد الى اوان خروجه. وجذور هذا المعتقد مأخوذة من فكرة المهدوية ايضاً[5].

والنقطة التي ينبغي الاشارة اليها هنا، هو ان الثقافة والمعارف الشيعية قد انتشرت بين الشيعة بشكل واسع وكامل. وانطلاقاً من هذه الحقيقة، لم يكن لتلك الانحرافات السطحية اي تأثير على اصل التشيع. فبعد الامام الباقر قام كل من الامام الصادق والامام الكاظم عليهما السلام بتربية عدد كبير من الشيعة صار كل واحد منهم عالماً متبحراً في الفقه والكلام الشيعي فيما بعد، في الوقت الذي كان اغلب

---

(١) الفرق بين الفرق، ص٤٠، الملل والنحل، الشهرستاني، ج١ ص١٥٠.

(٢) وصفهم الامام الرضا في رواية وردت عنه بقوله: «**يعيشون حيارى ويموتون زنادقة**».

(٣) راجع: كتاب الملل والنحل، ج١ ص١٥٠.

(٤) المقالات والفرق، ص٩٣.

(٥) الفصول المختارة، ص٢٥٤، المقالات والفرق، ص٩٠.

المنحرفين عن الخط الشيعي من ضعيفي النفوس الذين لا يمكنهم النمو الا في ظل ظروف خاصة واستثنائية. وقد حال بعض الاشخاص من امثال هشام بن الحكم وهشام بن سالم ويونس بن عبدالرحمن وعلي بن اسماعيل ـ وكانوا من كبار رجال الشيعة ـ دون رسوخ الانحرافات في المذهب الشيعي، وحافظوا بعد ذلك على ثقافة الحديث لدى الشيعة مستعينين بالاصول الى ان قام كل من المرحوم الكليني والصدوق بجمع تلك الاصول باسلوب منظم.

## ولاية عهد الامام:

إن اهم مسألة تاريخية في حياة الامام الرضا عليه السلام هي حادثة توليته للعهد، حيث سنحاول في هذه العجالة القاء الضوء على بعض جوانبها والنقطة الاساسية في ولاية عهد الامام هي قصد المأمون الى استغلال تلك القضية، وموقف الامام الرضا عليه السلام الهادف الى احباط تلك النية. وقد تم ايضاح هذه النقطة بشكل واسع ومفصل على يد الاستاذ العزيز الفاضل السيد جعفر مرتضى العاملي في كتابه القيم (الحياة السياسية للامام الرضا).

وقد عرض الاستاذ السيد جعفر في كتابه احدى عشرة نقطة كأهداف ودوافع للمأمون، واورد لكل نقطة منها شواهد وقرائن خاصة[1]. اما نحن فسنأتي على ذكر المواضيع المستفادة من كلمات المأمون او الامام الرضا عليه السلام في هذا الصدد فقط. ونترك مهمة مراجعتها والاطلاع عليها للقارئ العزيز بعد التنبيه الى ان الاستاذ اوردها في كتابه على افضل وجه ممكن.

---

(١) كشف الغمة، ج٢ ص٢٨٢ ـ ٢٨٣.

## هدف المأمون:

لم تكن فكرة ولاية العهد وليدة الساعة وإنما هي فكرة خطّط لها بدقة من قبل المأمون، وحسب لها حسابها. حيث اظهر المأمون من خلالها وباداء خاصٍ أنه كثير الحب للامام الرضاعليه السلام، وأنّه قام بهذا العمل لاعتقاده باحقية العلويين في موضوع الخلافة. وقد كان المأمون ماهراً في تظاهره بحيث جعل مثل الاربلي ينسب اقوالاً الى السيد ابن طاووس ويبدي نفسه ايضاً تمايلاً واضحاً الى اعتبار المأمون بريئاً من تهمة قتل الامام، وانه كان يحبه ويميل اليه ولا ريب ان تسليم الخلافة لشخص علوي ـ في تلك الظروف التي كان يتعرض فيها العلويون لاقسى انواع القمع على يد خلفاء بني العباس عامة ـ يوقع الانسان في الخطأ بشأن المأمون، ويبدو ان هاتين الشخصيتين قد وقعتا في نفس ذلك الخطأ.

ان القاء نظرة واحدة على بعض كلمات المأمون او كلمات الامامعليه السلام نفسه بل وبعض صحابة الامام وشيعته يمكن ان تدلنا على حقيقة الامر. والقضية التي تسترعي الانتباه هنا هي ان المأمون كان شخصاً يمتاز بنبوغ سياسي بارع، حيث تمكن من التغلب على جميع المعوقات والعراقيل التي كانت تعترض سبيل خلافته منذ البداية، واستطاع تذليلها الواحدة بعد الاخرى وتثبيت ركائز حكمه بالتدريج.

والنقطة الاخرى التي ينبغي النظر اليها من وراء تظاهر المأمون هي ان الاتجاهات المذهبية التي كانت سائدة في زمانه بالاضافة الى الشيعة والزيدية هم اهل الحديث والمعتزلة.

واهل الحديث باعتبارهم فرقة عثمانية المذهب كان لهم موقف معارض لامير المؤمنينعليه السلام، لكن المعتزلة فيبغداد كانت لهم ميولات نحو اميرالمؤمنينعليه السلام

على العكس من قدمائهم في البصرة الذين كانوا عثمانيي المذهب ايضاً. وقد ادىموقف اهل الحديث هذا الى ان يتهم كل من يبدي راياً ايجابياً بشأن اميرالمؤمنين بالتشيع ولهذا السبب اتهم المعتزلة بالتشيع. اذ كان اهل الحديث يعتقدون ان التشيع ليس الا حمل نظرة ايجابية عن الامام عليعليه السلام، وان كان قد حصل فيما بعد تغيّر في ثقافة علماء الرجال في هذا المفهوم، وهو ما يخرج عن نطاق بحثنا[1].

لقد راج سوق تهمة التشيع في تلك الأيام الى درجة ان المأمون والمعتزلة انفسهم لم يسلموا من تلك التهمة ايضاً، بل قد وجهت لهم التهم وبشكل اكثر تطرفاً مما تعرض له الآخرون، لأنه كان يقول بتفضيل وتقديم الامام عليعليه السلام على سائر الخلفاء. وقد ادى ذلك الى اعتبار المأمون من وجهة النظر التاريخية شخصاً شيعياً[2]. لكن ما ينبغي الاشارة اليه هنا هو ان اعتبار المأمون شخصاً معتزلياً يحمل عن الامام اميرالمؤمنينعليه السلام مثل هذه النظرة لا يتنافى ابداً وموقفه السياسي من الامام الرضاعليه السلام والاستفادة منه في الاعيبه السياسية، بل يحتمل ان معتقداته ايضاً لم تكن سوى مسرحية سياسية فقط لكن اثبات ذلك يستلزم كثيراً من المطالعة والتتبع.

وفي هذا السياق ينبغي بحث ودراسة هدف المأمون من تنصيب الامام الرضاعليه السلام كولي للعهد.

وقد عرض المأمون عدة نقاط للرد على الاعتراضات التي وجهت اليه بخصوص تولية الامام الرضا توضح الخطوط العريضة لسياسته وغرضه من ذلك.

---

(١) راجع كتاب: تاريخ التشيع في ايران ص١٥ وما تلاها.

(٢) مروج الذهب، ج٣ ص٤١٧، ابن الاثير ج٦ ص٤٠٨.

اذ قال المأمون في رد المعترضين عليه: «قد كان هذا الرجل مستتراً عنا يدعو الى نفسه، فاردنا ان نجعله ولي عهدنا، ليكون دعاؤه لنا، وليعترف بالملك والخلافة لنا، وليعتقد فيه المفتونون به أنه ليس مما يدّعى في قليل ولا كثير، وان هذا الامر لنا من دونه، وقد خشينا ان تركناه على تلك الحالة ان يفتق علينا منه ما لا نسده، ويأتي علينا منه ما لا نُطيقه. والآن قد فعلنا به ما فعلناه، واخطأناه في امره بما اخطأنا، واشرفنا من الهلاك بالتنويه به على ما اشرفنا، فليس يجوز التهاون في امره، ولكنا نحتاج ان نضع منه قليلاً قليلاً حتى نصوّره عند الرعايا بصورة من لا يستحق لهذا الأمر، ثم ندبر فيه بما يحسم عنا موادّ بلائه»[1].

ففي بداية حديثه اشار المأمون الى هدفه من هذا الاجراء وبين ان الامام الرضا لو قبل ولاية العهد، فانه يقبل لزاماً بمشروعية خلافة بني العباس، مما يشكل اعترافاً رسمياً من العلويين بخلافة العباسيين. وهذا ما يعتبر امتيازاً ضخماً بالنسبة لهم، وسيؤدي ذلك بشكل طبيعي الى زوال ذلك الاختلاف والعداء الذي كان قائماً بين تينك العائلتين وينتهي لصالح العباسيين.

والنقطة الاخرى المستهدفة من وراء المجيء بالامام الى اجهزة الخلافة هي تحديد نشاطاته والسيطرة عليها، فلا يكون بامكانه بعد ذلك تقديم نفسه كامام للناس. لأنه سيكون مطلوباً منه حينذاك ليس الدعوة لنفسه فقط بل الدعوة للخليفة الذي قبل ولاية عهده. وبهذا ينتهي والى الابد جانب الاستقلال الذي كان يصبغ خلافة آل علي.

والنقطة الثالثة هي ان قبول الرضا عليه السلام لولاية العهد سيؤدي الى تحجيم

(١) عيون اخبار الرضا: ج٢ ص١٦٧ ـ ١٦٨.

شخصيته، والتقليل من شأنه ومنزلته، واسقاطه في نظر اتباعه، ولن يعترف به احد بعد ذلك كشخصية منزهة ومقدسة. وسيكون من الواضح آنذاك ان اقواله لم تكن إلاّ ادعاءات خاوية لا اكثر ولا اقل.

فحين سُئل ابو الصلت الهروي عن سبب جعل المأمون ولاية عهده للامام الرضاعليه السلام قال:

**«وجعل له ولاية العهد من بعده ليرى الناس انه راغب في الدنيا، فيسقط محله في نفوسهم»**[1].

«وكان المأمون قد راى آل امير المؤمنين علي بن ابي طالب متخشين، متخفين من المنصور ومن جاء بعده من بني العباس، ورأى العوام قد خفيت عنهم امورهم بالاختفاء، فظنوا بهم ما يظنونه بالانبياء، ويتفوهون بما يخرجهم عن الشريعة من التعالي، ففكر المأمون ان لو اخرجهم للناس ورأوا فسق الفاسق منهم، وظلم الظالم، لسقطوا من اعينهم، ولانقلب شكرهم لهم ذماً. وهذا ما ذكره القفطي في كتابه»[2].

وبما ان الناس كانت تنظر الى الخلافة نظرة استهجان واحتقار وتعتبرها نوعاً من الفساد، فقد كان ادخال شخص مهذب فيها يعني الانتقاص من قيمته، والحط من شخصيته الاجتماعية. كما ان الزهد والورع لمّا كان يتنافى مع الخلافة ـ التي كان يسير عليها العباسيون ـ فقد كان القبول بولاية العهد إضعافاً وضعة لمقام الامام. ولذا اعترض عليه المعترضون بالقول: «يا ابن رسول الله ان الناس

(١) عيون اخبار الرضا، ج١ ص٢٦٥.

(٢) تاريخ الخلفاء، ص٢٢١، نقلناه عن كتاب حياة الامام الرضا ص٢٢٢.

يقولون: إنك قبلت ولاية العهد، مع اظهارك الزهد في الدنيا؟!! فقال عليه السلام: **«قد علم الله كراهتي...»**[1].

ويمكن الاشارة الى نقاط اخرى غير التي سبقت الاشارة اليها منها: ان المأمون كان يهدف من وراء ذلك الى مرافقة الامام الرضا بشكل افضل. ومع انه كان تحت قبضته فقد نصب له عيوناً يخبرونه بكل حركة من حركاته، وكل تصرف من تصرفاته[2].

اضف الى ذلك ان ولاية العهد ادت الى عزل الامام عن شيعته الحقيقيين واستعمال العلويين في اجهزة الخلافة بقبوله لها، بعد ان انفض العباسيون من حول المأمون نتيجة الحرب بينه وبين اخيه، وهو ما يشكل دافعاً مهماً للعباسيين للعودة والالتفاف ثانية حول المأمون[3].

كما ان عجز المأمون عن مواجهة الثورات العلوية كانت من المسائل التي يلزم البحث عن حل مناسب لها ولذا كتب في الكتاب الذي ارسله الى عبدالله بن موسى ليجعل له ولاية العهد بعد اخيه: **«ما ظننت احداً من آل ابي طالب يخافني بعدما عملته بالرضا»**[4].

«الا أنه لم ينخدع، بل اتهم المأمون بقتل الامام. وان جعل الرضا عليه السلام ولياً للعهد كان سيحط من منزلته في نظر بعض الناس. وقد نجح في التظاهر بحبه الشديد للامام ـ وهو ما كان مقبولاً لدى الكثيرين ـ حتى أنه حين قتله لم يلتفت

---

(١) بحار الانوار ج٤٩ ص ١٣٠، علل الشرائع ص٢٣٨، حياة الامام الرضا، ص ٢٤٤.

(٢) عيون اخبار الرضا ج٢ ص ١٥١، حياة الامام الرضا ص٢١٣.

(٣) الصلة بين التشيع والتصوف، الشيبي ص٢٢٣.

(٤) مقاتل الطالبيين ص٦٢٨.

احد من الناس الى تلك الجريمة، ولم يتهم فيها المأمون»[١].

## رد فعل الامام عليه السلام.

كان أول رد فعل ظهر من الامام تجاه ولاية العهد هو الامتناع عن التوجه الى خراسان حيث كان توجيهه اليها يعتبر انتصاراً سياسياً للمأمون، ورفض قبول ذلك، الا ان رجاء بن ابي الضحاك اكرهه على السفر.

ينقل الكليني عن ياسر الخادم وريان بن الصلت: «لما انتهت قضية الامين واستوى الحكم للمأمون كتب الى الرضا عليه السلام يستقدمه الى خراسان فاعتل عليه ابو الحسن عليه السلام بعلل، فلم يزل المأمون يكاتبه في ذلك حتى علم أنه لا محيص له، وانه لا يكفّ عنه، خرج الى خراسان»[٢].

ونقل الصدوق عن محول السجستاني «لما جاء رسول المأمون لياخذ الامام الرضا الى خراسان، كنت عنده، فذهب الرضا عليه السلام الى قبر جده رسول الله ليودعه فرأيته يخرج من الضريح ويعود اليه عدّة مرات وقد رفع صوته بالبكاء، فدنوت منه، وسلمت عليه، وسألته عن علة بكائه، فقال:

**«انني سأفارق جدي، واذهب عن جواره، واموت في دار الغربة...»**[٣].

مضافاً الى ذلك فان الامام لما عزم على السفر الى خراسان لم يصطحب معه احداً من افراد عائلته، وهذا دليل واضح على انه لم يولِ ذلك السفر أية قيمة.

---

(١) حياة الامام الرضا ص ٢٤١.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٤٤٨.

(٣) عيون اخبار الرضا ج ٢ ص ٢١٨.

يقول الحسن بن علي الوشاء، قال لي الامام: «**اني حيث ارادوا الخروج من المدينة، جمعت عيالي فامرتهم ان يبكواعليَّ حتى اسمع. ثم فرّقت فيهم اثنى عشر الف دينار، ثم قلت: اما اني لا ارجع الى عيالي ابداً**»[1].

لا شك ان مثل هذا السلوك كان كافياً لافهام ذوي الوعي السياسي وخاصة الشيعة المرتبطين بالامام مباشرة أنه وافق على السفر بالاكراه. وقد اوضح هذا المعنى فيما بعد بشكل مباشر لاصحابه المقربين، ومنهم عبدالسلام الهروي الذي نُقل عنه انه قال: «**والله ما دخل الرضا عليه السلام في هذا الامر طايعاً**»[2].

ثم أن الامام اخرج من المدينة، وأخذ الى خراسان عن طريق البصرة وفارس[3].

ولا بأس بالاشارة الى موقف الامام في مدينة نيسابور حيث استغلّ الامام وجود حشد غفير من الناس هناك، فبيّن لهم التوحيد والولاية واشتراطها للنجاة من النار، ثم دخل الى عاصمة المأمون في خراسان. وهناك عرض المأمون على الامام طلبه باحالة الخلافة اليه، لكن الامام رفض قبول الخلافة رغم اصرار المأمون على ذلك، ثم قبل ولاية العهد مكرهاً بعد ذلك.

وكما بين الاستاذ السيد جعفر مرتضى العاملي فان قرار المأمون بتسليم الخلافة للامام لم يكن جديا، والدليل المقنع على هذا الادعاء هو تهديده للامام بالقتل في حال عدم قبوله لولاية العهد[4] فانه لا ينسجم ابداً مع ما كان يتظاهر به

---

(١) عيون اخبار الرضا ج٢ ص٢١٩، اثبات الوصية ص٢٠٣، مسند الامام الرضا ج١ ص١٦٩.

(٢) نفس المصدر السابق ص١٤٠.

(٣) خصوصاً وان الامام لم يؤخذ من طريق الكوفة وقم. وان احتمل ان الامام كان قد مرَّ بقم خلال السفر الذي يحتمل أنه قام به قبل ذلك الى مدينة قزوين.

(٤) حياة الامام الرضا ص٢٨٥، راجع كتاب علل الشرائع فيما يخص اكراه الامام على قبول ولاية العهد

المأمون من التبعية العقائدية. ولو كان يعتقد به حقيقة لما ارجعه عن اداء صلاة العيد من منتصف الطريق.

وعلى أية حال فان اصرار المأمون على قبول الامام الرضاعليه السلام لولاية العهد، وما صاحبَ ذلك من تهديد بالقتل في حالة الرفض، ادى الى ان يجد ابو الحسنعليه السلام نفسه مكرهاً على الموافقة[1].

ومع ذلك فقد بذل الامام كل جهده لصرف المأمون عن بلوغ اهدافه التي توخاها من هذه اللعبة. وبعد شهرين من الأخذ والرد والبحث والجدل بين الامام والمأمون قبل الامام ولاية العهد مكرهاً[2].

والأهم من كل ذلك ان الامامعليه السلام اعتبر موقف المأمون عملاً يثبت احقية اهل البيت والائمة الاطهارعليهم السلام بالخلافة، لأنه لم يسبق لأحد من الخلفاء ان اعترف بمثل هذا الحق للعلويين وكان مثل هذا العمل يثبت بطلان جميع اجراءات الخلفاء السابقين ـ من الامويين والعباسيين ـ التي كانت تتعارض وهذه الاحقية. ولذلك قالعليه السلام.

**«الحمد لله الذي حفظ منا ما ضيع الناس ورفع منا ما وضعوه حتى لقد لُعنا على منابر الكفر ثمانين عاماً، وكتمت فضائلنا، وبذلت الاموال في الكذب علينا، والله يأبى لنا الا ان يُعلي ذكرنا ويبين فضلنا»**[3].

---

⇐ ج ١ ص ٢٢٦.

(١) مقاتل الطالبيين ص ٣٧٥.

(٢) عيون اخبار الرضا ج ٢ ص ١٤٨.

(٣) نفس المصدر ص ١٦٢.

وفي أول مجلس عُقد لتقديم الامام كولي للعهد، اوضح‌ عليه السلام هذا التعبير بشكل مختصر حين قال:

**«ان لنا عليكم حقاً، برسول الله صلى الله عليه وآله، ولكم علينا حق، فاذا اديتم الينا ذلك وجب علينا الحق لكم»**(1).

والامر الذي يبدو اكثر اهمية بين كل هذه النقاط، هو استدلال الامام على المأمون قبل الموافقة على قبول ولاية العهد، اذ محكه بذلك القول، وسد عليه الطريق، وهو اما ان ينكر حق الخلافة لنفسه ولآبائه، وأما ان يترك الامام وشأنه اذ قال له: **«ان كانت هذه الخلافة لك وجعلها الله لك فلا يجوز ان تخلع لباساً البسكه الله وتجعله لغيرك، وان كانت الخلافة ليست لك فلا يجوز لك ان تجعل ما ليس لك»**(2).

ومن اجل احباط الهدف الذي من اجله عينه المأمون ولياً للعهد قال الامام لمن سأله عن سبب قبوله لولاية العهد؟ **«حملني على قبولها ما حمل جدي امير المؤمنين عليه السلام على الدخول في الشورى»**(3).

وقال ايضاً: **«قد علم الله كراهتي لذلك، فلما خيرت بين قبول ذلك وبين القتل اخترتُ القبول على القتل»**(4).

وعلى اية حال فقد اضطر الامام الى قبول ولاية العهد، الا أنه ـ وكما سبقت

---

(١) مقاتل الطالبيين ص٣٧٥.

(٢) عيون اخبار الرضا، ج٢ ص١٣٨، روضة الواعظين ص٢٢٣.

(٣) نفس المصدر ص١٤٠.

(٤) نفس المصدر ص١٤٠.

منا الاشارة ـ سعى الى الحيلولة دون استغلال تلك القضية سياسياً، فقد اشار عليه السلام بعد مبايعته لولاية العهد ـ في خطبة مهمة ـ الى عدد من القضايا المهمة في قوله:

**«ان امير المؤمنين عضده الله بالسداد، ووفقه للرشاد عرف من حقنا ما جهله غيره، وانه جعل اليَّ عهده والامرة الكبرى ان بقيت بعده»**(١).

ان الحصول على اعتراف من المأمون باحقية اهل البيت عليهم السلام في الخلافة، كانت واحدة من النقاط التي يؤكد عليها الامام، فحصل عكس ما اراده المأمون وهو اعتراف الامام بخلافته، بينما اعترف هو بامامة واحقية اهل البيت عليهم السلام في الخلافة. وقد عرض الامام ابو الحسن عليه السلام شروطاً لقبول ولاية العهد كفيلة بابعاده عملياً عن التدخل في الشؤون السياسية والاجتماعية بشكل عام وكانت شروطه كما يلي:

**«وانا اقبل ذلك على اني لا أولي احداً، ولا اعزل احداً، ولا انقض رسماً، ولا سُنة، واكون في الامر من بعيد مشيراً»**(٢).

ان التمعن في جملة المسائل المارة الذكر يثبت لنا ان الامام لم يشأ تحمل تبعات الوضع القائم آنذاك والممارسات التي ترتكب من قبل السلطة، حتى لا يظن ظان ان الامام يشرف على تدبير الامور، أو يتهمه احد بالتدخل في تلك الشؤون، لأن ما يجري في البلاد والقرارات التي تتخذ فيها أنما هي من شخص المأمون، وليس للامام علاقة فيها، ويعتبر ذلك امتيازاً كبيراً كسبه الامام من المأمون.

---

(١) عيون اخبار الرضا ج٢ ص١٤٥، التدوين في اخبار قزوين ج٣ ص٤٢٦.

(٢) عيون اخبار الرضا، ج٢ ص١٤٨، ر.ك:: نور الابصار، ص١٤٣، الارشاد، ص٣١٠، الكافي، ج١ ص٤٨٧، روضة الواعظين ص٢٢٤، اعلام الورى ص٣٢٠، البحار ج٤٩، ص٣٤، حياة الامام الرضا ص٣٤٧.

وبهذا يكون علي بن موسى عليه السلام قد حال دون تشويه سمعته، والحط من قيمة نفسه من جرّاء تواجده في الجهاز الحكومي. ولهذا كان يقول عليه السلام: **«اني ما دخلت في هذا الأمر الا دخول الخارج منه»**[1].

والحقيقة ان الامام لم يكن مستعداً لتحمل النتائج المتأتية عن قرنين من الانحراف.

يقول محمد بن ابي عباد: **«قلتُ للرضا عليه السلام: لِمَ اخرت ـ اعزك الله ـ ما قاله لك المأمون وأبيته؟ فقال: ويحك انا لستُ من هذا الأمر في شيء؛ وما لكَ في هذا لو آل الامر الى ما تقول وانت مني كما انت عليه الآن ما كانت نفقتك الا في كمك وكنت كواحدٍ من الناس»**[2].

## علاقة الامام الرضا عليه السلام بالمأمون من بداية ولاية العهد حتى استشهاده:

يمكن هنا الاشارة وباختصار الى نقطتين جوهريتين هما:

أ ـ ان المأمون بعد ان جلب الامام عليه السلام الى مدينة مرو عقد اجتماعات عديدة للمناظرة كان يحضر فيها اكابر العلماء. وكانت تجري في تلك الجلسات مباحثات ومناظرات بين الامام عليه السلام وبقية الفقهاء والعلماء وكانت مواضيعها اشبه ما تكون مقصورة ـ وبصورة متعمدة ـ على المسائل الفقهية والاعتقادية، وقد جمع المرحوم

---

(١) عيون اخبار الرضا ج١ ص١٦٥.

(٢) نفس المصدر ج١ ص١٧٥.

الطبرسي اكثرها في كتابه[1].

وكان هدف المأمون من عقد تلك المناظرات العلمية اظهار حبه للعلم وذلك ما ينبغي اعتباره ميزة تميزه عن سائر خلفاء بني العباس، ولا سيما ميله للمسائل العقلية ومجاراته للمعتزلة. الذي ادّى به الى الوقوف بوجه اهل الحديث ودحرهم علمياً. الا ان القضية ما كانت تنتهي عند هذا الحد، فقد كان للمأمون هدف آخر من ورائها، حيث اراد من خلال حشره للامام في هكذا مناظرات ان يزيل تلك النظرة التي كانت في اذهان الناس عن اهل البيت عليهم السلام بشأن امتلاكهم علماً خاصاً كأن يكون من نوع العلم اللدني والالهي.

يقول المرحوم الصدوق في هذا المضمار. «**كان المأمون يجمع للامام الرضا عليه السلام اهل المقالات من اهل الاسلام والديانات من اليهود والنصارى والمجوس والصائبين، عسى ان يعجز عن الاجابة على احد اسئلتهم فيحط من قدره في اعينهم حسداً منه للامام ومنزلته الاجتماعية. ولكن لم يقم منهم احد الاوقد الزمه حجته كأنه القمَ حجراً**»[2].

وكان المأمون يعقد مجالس النظر، ويجمع المخالفين لاهل البيت عليهم السلام، ويكلمهم في امامة اميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام، وتفضيله على جميع الصحابة تقرباً الى ابي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام. وكان الرضا يقول لاصحابه الذين يثق بهم: «**لا تغتروا بقوله، فما يقتلني والله غيره، ولكنه لابد**

---

(١) الاحتجاج ج٢ ص١٧١، ر.ك.: عيون اخبار الرضا ج١ ص١٢٦، بحار الانوار ج٤٩ ص١٨٠ ـ ٢١٦.

(٢) عيون اخبار الرضا ص١٥٢.

**لي من الصبر حتى يبلغ الكتاب اجله»**[1].

وقد حكي عن عبدالسلام الهروي قوله: «**رُفع الى المأمون ان ابا الحسن علي بن موسى**عليه السلام **يعقد مجالس الكلام والناس يفتتنون بعلمه، فامر محمد بن عمرو الطوسي حاجب المأمون فطرد الناس عن مجلسه، فدعا الامام على المأمون وكان من جملة ذلك الدعاء:**

**«يا بديع، يا قوي، يا منيع، يا علي، يا رفيـع، صلِّ على من شرفت الصلاة بالصلاة عليه، وانتقم لي ممن ظلمني، واستخف بي، وطرد الشيعة عن بابي»**[2].

فاصبحت تلك القضية دليلاً اساسياً على استشهاد الامام.

يقول احمد بن علي الانصاري سألت ابا الصلت الهروي فقلت له: «**كيف طابت نفس المأمون بقتل الرضا**عليه السلام **مع اكرامه ومحبته له، وما جعل له من ولاية العهد بعده؟ فقال: ان المأمون انما كان يكرمه ويحبه لمعرفته بفضله، وجعل له ولاية العهد من بعده ليرى الناس أنه راغب في الدنيا فيسقط محله في نفوسهم. فلما لم يظهر في ذلك منه للناس الا ما ازداد به فضلاً عندهم، ومحلاً في نفوسهم، جلب عليه المتكلمين من البلدان طمعاً في ان يقطعه واحد منهم، فيسقط محله عند العلماء، ويشتهر نقصه عند العامة. فكان لا يكلمه خصم من اليهود والنصارى والصابئين والبراهمة والملحدين والدهرية، ولا خصم من فرق المسلمين المخالفين الا قطعه والزمه الحجة. وكان الناس**

---

(١) عيون اخبار الرضا ج٢ ص١٨٣، بحار الانوار ج٤٩ ص١٨٩.

(٢) عيون اخبار الرضا ج١ ص١٢٦.

**يقولون: والله أنه اولى بالخلافة من المأمون. وكان اصحاب الاخبار يرفعون ذلك اليه فيغتاظ، ويشتد حسده له. فلما اعيته الحيلة في امره اغتاله، فقتله بالسم»**[1].

ب ـ اما النقطة الثانية التي ادت الى تعكير العلاقة بين المأمون والامام فهي ذهاب الامام الى صلاة العيد. فقد طلب المأمون منه ان يركب ويحضر العيد، لكن الامام اعتذر عن ذلك بناءً على الشروط التي كان قد اتفق عليها مع المأمون في بداية القبول بولاية العهد. فما زال يرده الكلام في ذلك، فلما الح عليه قال: **اعفني وإلاّ تعفني اخرج كما كان يخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكما خرج اميرالمؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام. فقال المأمون: اخرج كما تحب .**

**وكان الناس يتوقعون حينها ان يخرج عليهم الامام الرضا عليه السلام على هيئة الملوك، وبآداب ورسوم خاصة، الا أنهم دهشوا لما رأوه خرج حافياً وهو يكبر. فسقط القوّاد عن دوابهم، ورموا بخفافهم، وانطلقوا خلف الامام. وكان الامام يمشي ويقف في كل عشر خطوات وقفة ويكبر.**

**وبلغ المأمون ذلك فقال له الفضل بن سهل: يا امير المؤمنين ان بلغ الرضا المصلى على هذا السبيل أُفتتن به الناس، فالرأي ان تسأله ان يرجع. فسأله الرجوع فدعا ابو الحسن عليه السلام بخفه فلبسه ورجع**[2].

ان الخطر الذي احس به المأمون من هذه الحادثة دفعته الى الاعتقاد بأن وجود الامام لن يجديه نفعاً، بل وسيكون سبباً في اثارة الاوضاع ضده. ولذا

---

(١) عيون اخبار الرضا ج١ ص٢٦٥.

(٢) الكافي ج١ ص٤٩٠، عيون اخبار الرضا ج٢ ص٢٦٥، روضة الواعظين ص٢٢٧.

نصب عليه العيون لينقلوا له ما يكون من اخبار الامام[1]. لكن الامام لم يكن يطرح المواضيع التي تثير المأمون.

يقول ابو الصلت: «**وكان الرضا عليه السلام لا يُحابي المأمون من حق، وكان يجيبه بما يكره في اكثر احواله، فيغيظه ذلك ويحقده عليه ولا يظهر له. ولما اعيته الحيلة قتله بالسم**»[2].

وذكر الشيخ المفيد: «**ان الرضا علي بن موسى عليه السلام كان يكثر وعظ المأمون اذا خلا به، ويخوفه بالله، ويقبح ما يرتكبه من خلافه، فكان المأمون يظهر قبول ذلك منه، ويبطن كراهته واستثقاله**». واورد الشيخ جملة من الامثلة على ذلك[3].

وفي موارد اخرى كان الامام ينتقد اعماله صراحة، وخصوصاً لما كان يبديه من اهتمام بالفتوحات العسكرية في البلدان غير الاسلامية، وقد قال له مرة: «**اتقِ الله في امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وفكّر في اصلاح امرهم**»[4].

## استشهاد الامام:

يتضح من خلال ما استعرضناه سابقاً ان المأمون لم يحقق النتائج التي كان يبتغيها من جلب الامام الى مرو، ولو ان الوضع استمر على هذا المنوال فان ذلك

---

(١) بحارالانوار ج ٤٩ ص ١٣٩، مسند الامام الرضا ج ١ ص ٧٧، عيون اخبار الرضا ج ٢ ص ١٥٣.

(٢) عيون اخبار الرضا ج ١ ص ٢٦٥.

(٣) الارشاد ص ٣١٥.

(٤) ر.ك، مسند الامام الرضا ج ١ ص ٧٤.

كان سيجلب عليه نتائج وخيمة وأضراراً لا تحمد عقباها. فالمأمون الذي لم يتورع عن قتل اخيه رغبة في الحصول على الخلافة، ولم يتردد فيما بعد عن قتل وزيره ـ الذي تحمل الكثير من المتاعب والمصاعب في سبيل ايصاله الى الخلافة ـ اقدم هذه المرة ايضـاً على مـا كان يفعله اسلافه من قتل ائمة الشيعة من اجل الابقاء على خلافته، فتجرأ على قتل الامام الرضا(ع) بواحدة من الاعيبه السياسية الخاصة[1].

وقد اظهر المأمون للناس أنه حزن كثيراً لرحيل الامام الرضا، وبقي على قبره ثلاثة أيام بلياليها. وقد كانت تلك حيلة مؤثرة بنحو جعل عدداً من علماء الشيعة لا يقرّون بفكرة استشهاد الامام الرضا على يده، ومن جملتهم الاربلي[2]. بينما تؤيد اكثرية علماء الشيعة صراحة وبالاستناد الى كثير من الروايات قضية استشهاد الامام على يد المأمون، وعلى رأس هؤلاء العلماء الشيخ الصدوق الذي الّف اكبر كتاب عن حياته.

## الامام في مواجهة الدعايات العباسية ضد العلويين:

ان اهم المشاكل التي واجهها العباسيون خلال فترة خلافتهم هي الثورات العلوية التي كانت تقوم ضدهم، وخاصة الزيدية الذين كان لهم الدور الفاعل فيها. ومع انقضاء فترة خلافة السفاح التي تخلّلتها ثورة الشيعي العلوي (شريك بن الشيخ المهري) في خراسان ايضاً، اخذت الثورات تندلع بين فترة واخرى على عهد المنصور والمهدي والهادي وهارون... الخ ضد الخلافة العباسية. وكان الخلفاء

---

(١) مقاتل الطالبيين ص٣٣٧، الارشاد ص٣١٦.

(٢) كشف الغمة، ج٢ ص٢٨٢، ونسب هذا الرأي ايضاً الى السيد ابن طاووس.

يقمعون تلك الثورات بأشد الاساليب قهراً ودموية. لكن ذلك لم يكن يحد من لهيب تلك الثورات بل كان لهيبها يندلع بين الحين والاخـر في زواية من زوايا البلاد الاسلامية. وقد اتخذت هذه القضية في القرن الثالث والرابع للهجرة طابعاً سياسياً خطيراً.

وقد ظل بعض الولاة مثل محمد خوارزم شاه حتى الايام الاخيرة من خلافة بني العباس يتمرّد علَيهم متذرّعاً بكون الخلافة الاسلامية للعلويين. وبعد اساليب القمع الشديدة تلك التي يمكن العثور عليها في كتب التاريخ وخاصة كتاب الاصفهاني (مقاتل الطالبيين) لجأ العباسيون الى انماط جديدة من المواجهة لتقويض مكانة العلويين في المجتمع، منها: الدعايات المسمومة التي كان يستهدف من ورائها اسقاط الشخصية العلمية التي كان العلويون يحظون بها في المجتمع. وقد كان تشويه الصورة الناصعة التي يحملها الناس عن عظمة بيت الرسالة هدفاً مهماً استخدم العباسيون مختلف اساليب الدعاية لتحقيقه وبما يتناسب وظروف كل مجتمع وعصر.

ومن الانماط الدعائية للعباسيين ضد العلويين ـ التي شاعت في عهد هارون الرشيد ـ وقد يكون هو المروج الاصلي لها ـ قولهم ان العلويين يعتبرون بقية الناس عبيداً لهم. وقد اخذ العباسيون هذا المفهوم من الروايات التي تتحدث عن افضلية اهل البيتعليهم السلام او مفهوم الامامة، وافضلية الامام واصطفائه، وهي روايات مروية عن النبيصلى الله عليه وآله وسلم أو أئمة الشيعة، فاستغلوها في دعاياتهم. في حين ان هذه الروايات تؤكد في الغالب على موضوع طاعة الناس المطلقة للامام وهذا شيء آخر غير الذي كان بنو العباس يشيعونه، لأن العباسيين كانوا يشيعون في دعاياتهم بين الناس ان العلويين يعتبرونكم خدما لهم ويحقّرونكم، ومن الطبيعي

ان تؤثر مثل هذه الدعايات في بعض الناس السذج، وتبعدهم عن اهل البيت.

ولدنيا شاهدان تاريخيان على هذه القضية:

**الاول:** هو الحادثة التاريخية التي وقعت بين محمد بن ادريس الشافعي وهارون الرشيد، اذ يظهر ان الشافعي كان من محبي اهل البيت ونقلت عنه اشعار ايضاً في هذا الصدد.

وكان الشافعي قد سافر الى اليمن، واقام فيها مدّة عام، وقد نقلوا خلال ذلك لهارون خبراً مفاده: «ان الشافعي واحد العلويين يخطّطان للثورة عليك» في حين ان الخبر كان عارياً عن الصحة. وغضب الرشيد لدى سماعه هذا الخبر وامر بالقبض على الشافعي، وإشخاصه اليه، فاشخص هو وجماعة من اصحابه الى بغداد. ولما وصل خبره الى محمد بن الحسين الشيباني الفقيه الحنفي الذي كان في خدمة هارون، طلب منه ان يعفو عن الشافعي كي لا يحمل ذلك على أنه مكيدة منه على الشافعي، لكن هارون رفض طلبه. ولما احضر الشافعي امام هارون كذّب الخبر من اساسه واضاف:

**«ليس في الناس علوي الا وهو يظن ان الناس له عبيد، فكيف اخرج رجلاً يريد ان يجعلني عبداً»**[1].

فانشرح هارون لسماع هذا الكلام، وخلع عليه خلعة العلماء.

وكان الشافعي ـ كما سبقت الاشارة إليه ـ مولعاً ومتمسكاً بحب آل محمد، ولكن لا يُستبعد ان تكون الدعايات العباسية قد اثرت فيه ايضاً.

---

(١) الفتوح ـ ابن اعثم الكوفي ج٨ ص٢٤٨ ـ ٢٤٩.

**الثاني** : رواية نقلتها مصادر متعددة : فقد اورد المرحوم الكليني ان زيد بن محمد الطبري قال : **«كنت واقفاً على رأس الامام الرضا، والى جانبه جماعة من بني هاشم وفيهم اسحق بن الحسين العباسي، فالتفت اليه الامام وقال:**

**يا اسحق بلغني انالناس يقولون انا نزعم انالناس عبيد لنا، لا وقرابتي من رسول الله ﷺ ما قلته، ولا سمعته من آبائي قاله، ولا بلغني عن احدٍ من آبائي قاله، ولكني اقول: الناس عبيد لنا في الطاعة، موال لنا في الدين، فليبلغ الشاهد الغائب»**[1].

وفي رواية اخرى جاء عن ابي الصلت الهروي انه قال : **«قلت للامام: يا ابن رسول الله ما شيء يحكيه عنكم الناس؟ قال: وما هو؟ قلت: يقولون انكم تدّعون ان الناس عبيد لكم.**

**فقال: اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت شاهد بأني لم اقل ذلك قط، ولا سمعت احداً من آبائي عليهم السلام قاله قط. وانت العالم لما لنا من المظالم عند هذه الامة، وان هذه منها. ثم قال لي: يا عبدالسلام! اذا كان الناس كلهم عبيدنا على ما حكوه عنا فممن نبيعهم؟**

**قلت: يا ابن رسول الله صدقت. ثم قال: يا عبدالسلام امنكر انت لما أوجب الله تعالىالناسالولاية كما ينكرها غيرك؟ قلت: معاذالله، بلأنا مقرٌّ بولايتكم»**[2].

تظهر هاتان الروايتان وبوضوح. كيف ان العباسيين اتخذوا قضية حقٍ هي

---

(١) الكافي ج١، ص١٨٧، امالي الطوسي ج١ ص٢١، امالي المفيد ص١٥٦، مسند الامام الرضا، ج١ ص ٩٦.

(٢) عيون اخبار الرضا ج٢ ص١٨٣، امالي المفيد، طبعة النجف ص١٤٨، امالي الطوسي ج١ ص٢١.

قضية الولاية ذريعة ووسيلة لابعاد الناس عن الائمةعليهم السلام.

ومن الاساليب الاخرى التي مارسها خصوم اهل البيتعليهم السلام لتشويه سمعتهم والحط من شخصيتهم في المجتمع هو وضع الاحاديث ونسبتها اليهم، وساهم في هذا المجال اشخاص سوى العباسيين. فقد كشف الامام الرضاعليه السلام الستار عن هذه المكيدة الخبيثة وقال في رواية وردت عنه:

**«ان مخالفينا وضعوا اخباراً في فضائلنا وجعلوها على ثلاثة اقسام:**

**احدها: الغلو. وثانيها: التقصير في امرنا. وثالثها: التصريح بمثالب اعدائنا. فاذا سمع الناس الغلو فينا كفروا شيعتنا، ونسبوهم الى القول بربوبيتنا. واذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا. واذا سمعوا مثالب اعدائنا بأسمائهم ثلبونا بأسمائنا»**[1].

يتضح جلياً من الروايات السالفة نوعية المساعي الخبيثة التي كانت تبذل للنيل من سمعة اهل البيت بشتى الصور، وجعل الناس ينظرون اليهم نظرة سلبية.

## الامام الرضا والمسائل الكلامية:

كان عصر الامام الرضاعليه السلام يعج بالبحوث الكلامية التي تمثل المذاهب الفكرية المختلفة، وكان لفئتين منها ـ وهما المعتزلة واهل الحديث ـ النصيب الاكبر في نشوب ذلك الصراع، ومع ان الخلفاء العباسيين كانوا يشاركون بشكل أو اخر في تلك المسائل، الا أنه لا يمكن مقارنة اي واحد منهم مع المأمون في قضية

(١) عيون اخبار الرضا ج١ ص٣٠٤.

الاتجاهات الفكرية، فمنذ عهد المأمون فصاعداً اصبح الخلفاء يشاركون بصورة جدية في المسائل الفكرية والكلامية.

وفي مقابل هذين الفريقين اللذين يرجح احدهما العقل على النقل (الحديث) والآخر النقل على العقل (اهل الحديث) سعى الامام الرضا الى تبيان موقفه. ولهذا السبب نرى اكثر الروايات المنقولة عنه تدور حول المسائل الكلامية على صورة سؤال وجواب أو على شكل مناظرات احياناً. وبما ان الامام الرضا‌عليه‌السلام كان يشغل منصب ولاية العهد، فكان من الطبيعي ان يعقد الكثير من امثال هذه المناظرات لاسيما وان المأمون سعى كثيراً في بداية الامر، ولاسباب متعددة لترتيب انعقاد مثل هذه الندوات والمناظرات.

وكانت اكثر البحوث اهمية وعرضة للنقاش في تلك الندوات هو تلك المسائل المتعلقة بالامامة التي تقوم احدى قاعدتيها على العقل، والاخرى على النقل. وهناك بعض المباحث كانت خلال قرون متمادية معتركاً لصراع حامٍ ونزاع محتدم ومنها ما يتعلق غالباً بالتوحيد وصفات الله وبالخصوص منها صفة العدل ـ التي لها علاقة مباشرة بالجبر والتفويض ـ وقد بدأت هذه المباحث في اواخر القرن الأول، ووصلت الى اوجها عند منتصف القرن الثاني.

وقد كنا خلال حديثنا عن حياة الائمة‌عليهم‌السلام نتناول بعض المسائل الكلامية بين الحين والآخر. لكننا سنحاول هنا التعرض للمسائل التي كانت جارية آنذاك، والتي اضحت اكثر انتشاراً وارفع مستوى مما كانت عليه في العصور المنصرمة، ونبين موقف الامام الرضا‌عليه‌السلام الذي كان له دور مهم في تبيان افكار الامامية في ذروة احتدام ذلك الصراع.

فالمضايقات التي كان العباسيون يمارسونها ضد العلويين والشيعة كانت

تؤدي الى ابعاد الشيعة عن الائمة، وتخلق لهم مشاكل في تعلم معتقداتهم، فقد ورد عن ابي نصر البزنطي أنه قال: «**قلت للامام ان بعض الشيعة يعتقد بالجبر، وبعضهم يعتقد بالاختيار فلو اوضحت لنا حقيقة الامر**»[1].

وورد في رواية اخرى بأن احد الشيعة قال للامام: «**يا ابن رسول الله صف لنا الله، فقد كثر الاختلاف بين اصحابنا بشان معرفة الله**»[2].

والمشكلة المستعصية التي كانت قائمة آنذاك هي وجود اهل الحديث الذين كانوا يعتبرون انفسهم الفئة الوحيدة التي تتمسك بظواهر الآيات والروايات، وكانوا متأثرين ببعض التفاسير المغرضة التي كانت تلفق وتنشر على يد بني امية واليهود، ويقبلون ظاهر الآيات والروايات الدالة على التشبيه.

ان هؤلاء الاشخاص لم يكونوا مستعدين مطلقاً لدراسة الآيات دراسة شاملة، والاستناد الى المحكمات التي تفسر المتشابهات، وتحل مشكلة التشبيه. وهم ينقلون جملة من الروايات، ويستدلون بها على تفسير صفات الله، فيتصورونه على شكل انسان له عين ويد ورجل... الخ.

أما الشيعة الذين يعتبرون انفسهم ملتزمين بالروايات، فقد بقوا حائرين امام تلك الروايات، فكانوا يسألون الامامعليه السلام عن ماهيتها وحقيقتها. يقول الهروي ما مضمونه: «**سألت الامام عن حديث: ان المؤمنين يزورون ربهم من منازلهم في الجنة، وغيرها من الروايات الدالة على رؤية الله بالعين يوم القيامة، فاخذ الامام يشرح لي تلك الرويات بالتفصيل، ويفند البعض منها،**

---

(١) التوحيد ص٣٢٨.

(٢) التوحيد ص٤٧.

**ويفسر البعض الآخر منها، على ضوء الآيات والروايات الاخرى وفي ظل المقدمات العقلية»**[1].

وتحدث الامام علناً عن هذا الموضوع، في رواية اخرى حين قال: **«ما شهد به الكتاب والسنة فنحن القائلون به»**[2].

كان موقف الشيعة ومنذ البداية يقوم على نفي التشبيه والجبر، بل كانوا يحاربونهما ايضاً، لأن المروجين لهما هم اليهود، والمتأثرون بهم، والحكام الامويون. ومع ذلك فان هناك اسباباً ادت الى اتهام الشيعة بالاعتقاد بعقيدة التشبيه، من جملتها وجود غلاة بينهم، وكثرة الدعايات التي تشوه معتقداتهم وتسيء الى افكارهم. اضافة الى عدم الفهم الصحيح لآرائهم، وأنهم يختلفون عن المعتزلة في بعض الجوانب. وظلت مثل هذه الاتهامات متداولة عند خصوم الشيعة منذ القرن الرابع الى ان كتب المرحوم الشيخ الصدوق كتابه (التوحيد). ولهذا كان غرض الشيخ الصدوق من تأليف ذلك الكتاب هو تفنيد الشبهات الباطلة التي يطرحها خصوم الشيعة كما اشار هو الى ذلك في بداية الكتاب.

وظلت هذه المشكلة قائمة في زمن الامام الرضا عليه السلام ايضاً، وسببها هو وجود بعض الروايات التي تتحدث عن التشبيه، وضعها الغلاة لتبرير معتقداتهم القائمة على التشبيه من قبيل حلول روح الله في الامام واشباه ذلك.

يقول الحسين بن خالد، قلت للامام الرضا عليه السلام: **«يا ابن رسول الله ان الناس ينسبوننا الى القول بالتشبيه والجبر لما روي من الاخبار في ذلك عن**

---

(١) التوحيد ص١١٧، عيون اخبار الرضا ج١ ص١١٥.

(٢) التوحيد، ص١١٣، الكافي ج١ ص١٠٠.

**آبائك الائمة عليهم السلام.**

**فقال: يا ابن خالد اخبرني عن الاخبار التي رويت عن آبائي الائمة في التشبيه والجبر اكثر أم الاخبار التي رويت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك؟ فقلت: ما روي عن النبي في ذلك اكثر. قال: فليقولوا: ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول بالتشبيه والجبر اذن[1].**

**فقلت له: انهم يقولون ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يقل من ذلك شيئاً وانما روي عنه. قال: فليقولوا في آبائي عليهم السلام انهم لم يقولوا من ذلك شيئاً وانما روي عنهم.**

**ثم قال عليه السلام: من قال بالتشبيه والجبر كافر مشرك، ونحن منه براء في الدنيا والآخرة».**

وبعد ان انتهى الامام عليه السلام من ايضاح ذلك اشار الى ان تلك الروايات من تلفيق الغلاة، وطلب الى الشيعة طردهم من بين صفوفهم[2].

ان وجود هذه الشبهات هو الذي دفع الامام الرضا عليه السلام الى الاعلان صراحة عن وجود تضاد بين الشيعة واصحاب الحديث، واوضح باحاديث مختلفة ـ بعضها منقولة عن علي عليه السلام[3] والاخرى عنه ـ عقيدة التنزيه. نورد فيما يلي امثلة في هذا السياق:

---

(١) التوحيد ص٣٦٤، عيون اخبار الرضا ج١ ص١٤٢.

(٢) التوحيد ص٣٦٤، عيون اخبار الرضا ج١ ص١٤٢.

(٣) التوحيد ص٦٩. (**ربما كان الامام احياناً ينقل خطب الامام علي عليه السلام بالنص**). عيون اخبار الرضا ج١ ص١٢١.

روى عليه السلام عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه دحض فكرة التشبيه والجبر وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما عرف الله من شبهه بخلقه، ولا وصفه بالعدل من نسب اليه ذنوب عباده**»[1].

يتضح جلياً من هذا الحديث الانكار والنفي القاطع لعقيدتي (التشبيه والجبر) وجاء في رواية اخرى عن الامام انه اعتبر الاعتقاد بالتشبيه ـ وهو ما كان شائعاً عند اصحاب الحديث باوسع اشكاله ـ كفرا. فقد نقل داود بن القاسم انه قال: سمعت علي بن موسى الرضا عليه السلام يقول: «**من شبه الله بخلقه فهو مشرك، ومن وصفه بالمكان فهو كافر**»[2].

ولأجل ان نبين هنا درجة الوقاحة التي بلغها اصحاب الحديث في التشبيه من الافضل الاشارة الى بعض رواياتهم:

أ ـ «قلب عباد الله بين اصبعيه»[3].

ب ـ «يتنزل الله في يوم عرفة الى السماء الدنيا»[4].

ج ـ «تلتهب نار جهنم يوم القيامة حتى يضع الله رجليه عليها».

د ـ ونقلوا حديثاً كاذباً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: «رأيت ربي على احسن هيئة».

---

(١) التوحيد: ص٤٧.

(٢) التوحيد، ص٦٩.

(٣) طبقات الحنابلة ج١ ص٢٣.

(٤) طبقات الحنابلة ج١ ص٢٣.

وقد قبل أولئك هذه الروايات الكافرة على ما فيها من كفر[1].

وذكروا في رواية اخرى ان: «لا يفضل من الكرسي الذي يجلس عليه الرب الا قدر اربع اصابع».

ثم يضيف ابو بكر بن ابي مسلم: «انه الموضع الذي يفضل لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ليجلسه معه»[2].

كانت هذه امثلة عن المعتقدات الخاطئة التي كان اصحاب الحديث يتمسكون بها وبشدة. وبديهي ان اساس الاعتقاد بالله حينما يكون على حد الشرك والكفر فانه يجعل الانسان بعيداً عن الحقيقة.

ومن المسائل الكلامية التي كانت تحظى بأهمية بالغة هي مسألة رؤية الله، وهي المسألة التي لم يتخلص منها حتى الاشاعرة رغم ما بذلوه من جهود في هذا السبيل، فصاروا في نهاية المطاف ـ كما هو حال اصحاب الحديث ـ يعتقدون برؤية الله يوم القيامة، واستندوا في اثبات عقيدتهم هذه الى رؤية النبي له التي وردت في بعض الآيات القرآنية المتشابهة، مثل: ﴿ولقد رآه نزلة اخرى﴾. والاحاديث المروية حول ذلك.

وفي معرض ردّه على هذه الشبهة والدليل الذي تقوم عليه، ولانكار قضية الرؤية من الاساس، قال ابو الحسن الرضا عليه السلام: «**ان بعد هذه الآية ما يدل على ما رأى حيث قال: ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ يقول: ما كذب فؤاد محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما رأت عيناه. ثم اخبر بما رأى، فقال: ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾. فآيات الله**

---

(١) طبقات الحنابلة ج١ ص٢٣.

(٢) طبقات الحنابلة، ج٢ ص٦٧.

**عزوجل غير الله، وقد قال: ﴿ولا يحيطون به علماً﴾ فاذا رأته الابصار فقد احاطت به العلم ووقعت المعرفة.**

**فقال ابو قُرة: فتكذّب بالروايات؟**

**فقال ابو الحسن عليه السلام: اذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذّبتها»**[1].

وقال عليه السلام في تفسير الآيات الاخرى التي يستدل بها اصحاب ا لحديث، اي آية: **﴿الى ربها ناظرة﴾** قال: يعني مشرفة تنتظر ثواب ربها[2].

وقال في تفسير الآية: **﴿وجاء ربك...﴾** قال عليه السلام. **«جاء امر ربك والملك صفاً صفاً»**[3].

وفي نفس الوقت وصف ابراهيم بن عباس كلام الرضا عليه السلام بقوله: **«كان كلامه كله وجوابه، وتمثله انتزاعات من القرآن»**[4].

ومن الملفت للنظر استناد الامام الى القرآن لدحض اقوال الآخرين، فعندما عرض على مسامع الامام رأي المعتزلة في عدم غفران الكبائر قال عليه السلام: **«قد نزل القرآن بخلاف قول المعتزلة ﴿وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم﴾»**[5].

ومن الروايات الاخرى التي تشبث بهااصحاب الحديث، ووصفوا بها الله، واصبحت معْلَماً من معالمهم وخصيصة من خصائصهم في التشبه، هي الرواية التي

---

(١) التوحيد ص ١١١، الكافي ج ١ ص ٩٥.

(٢) عيون اخبار الرضا، ج ١ ص ١١٤، امالي الصدوق، ص ٢٤٦، مسند الامام الرضا، ج ١ ص ٣٧٩.

(٣) التوحيد ص ١٦٢.

(٤) عيون اخبار الرضا ج ٢ ص ١٨٠.

(٥) سورة الرعد، الآية ٦.

ورد فيها: «**فان الله خلق آدم على صورته**» حيث كان احمد بن حنبل يقول: «المقصود من هذه الرواية هو ان الله قد خلق آدم شبيهاً به».

وكان يضيف قائلاً لتأكيد رأيه: «اذا كان الضمير في صورته يعود على آدم، سيكون كلام الله بلا معنى لأنه لم يكن هناك آدم قبل آدم، حتى يخلق آدم الثاني على هيئته»[1]. وقد رد الامام الرضا عليه السلام على هذا الاستدلال، ونسب هذا الحديث الى رسول الله قائلاً: قاتلهم الله، لقد حذفوا صدر الرواية.

**«ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مر برجلين يتسابان فسمع احدهما يقول لصاحبه: قبح الله وجهك ووجه من يشبهك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا عبدالله لا تقل هذا لأخيك فان الله عزوجل خلق آدم على صورته»**[2].

تعكس لنا هذه الرواية كيف ان الاحاديث بقيت محفوظة عند آل الرسول عليهم السلام، اما التي عند الآخرين فقد تعرضت للتحريف والحذف والتصرف.

وقد جاء في رواية عن الامام انه قسم الناس من الوجهة العقائدية الى ثلاثة اصناف ففريق يقول بالتشبيه وآخر يقول بالتعطيل، وكلاهما باطل، والثالث يثبت صفات الله دون ان يشبهه بشيء»[3].

واستدل اصحاب الحديث بالآية الكريمة: ﴿**بل يداه مبسوطتان**﴾ لأثبات ان لله يداً، ولما سئل الامام عليه السلام من قبل المشبهة عن تفسير هذه الآية قال عليه السلام: «ان

---

(١) طبقات الحنابلة ج٢ ص١٣١.

(٢) عيون اخبار الرضا ج١ ص١١٩.

(٣) فرج المهوم ص١٣٩.

**كان مرادهم انها كايدي الانسان كان مخلوقاً»**[1].

وقد وردت عن الامام روايات كثيرة في موضوع القضاء والقدر والجبر والاختيار، وايضاح معانيها يحتاج الى كثير من الشرح، وهذا لا يتناسب ومهمة هذا الكتاب. لكن ينبغي الاشارة الى ان الامام قد التزم الحد الوسط بين المعتزلة واهل الحديث. اذ تعتقد الفئة الاولى، بالتفويض والاخرى بالجبر. واوضح المفهوم الذي طرحه جده الصادق عليه السلام وهو مفهوم **«الامر بين الامرين»**[2].

ونعتقد ان من الافضل اختتام الموضوع بنقل الحديث التالي:

يقول الحسن بن علي الوشاء: «**سألت ابا الحسن الرضا عليه السلام: هل الله فوض الامر الى العباد؟ قال: الله اعز من ذلك: قلت: فاجبرهم على المعاصي؟ قال: الله اعدل واحكم من ذلك.**

**ثم قال: قال الله عزوجل: يا ابن آدم انا اولى بحسناتك منك، وانت اولى بسيئاتك مني عملت المعاصي بقوتي التي جعلتها فيك».**

اما بالنسبة للمعارف المتعلقة بالامامة، فلدينا مواضيع قيمة وصلتنا عن الائمة عليهم السلام، والنقطة المهمة هنا هي ان بحث الامامة كان يستند في اول الامر على النقل، ولهذا فان احد اركان هذا البحث يقوم في الحقيقة على موضوع النقل. لأن هذا الموضوع ينبثق تاريخياً من قضية هل ان النبي عيّن وصيا له من بعده؟ ثمّ بمرور الزمن وظهور الاتجاه العقلي اتخذت المسألة تدريجياً طابعاً عقلياً وتبرعت بعض المباني العقلية للاجابة على السؤالين التاليين: «**من الذي ينبغي ان يحكم**

(١) التوحيد، ص١٦٨.

(٢) عيون اخبار الرضا ج١ ص١٢٤.

**بعد رسول الله ﷺ؟ وهل يجب ان يكون منصوباً من الله أم من قبل الناس؟** ثمّ اتخذت سائر البحوث المتعلقة بالامامة منهجاً عقلياً مثل مسألة: «**هل يجوز ان يتصدى امامان في نفس الوقت لهذا المنصب؟**».

وهذا هو السبب الذي جعل مسألة الامامة، والى زمن الامام الرضا عليه السلام تستند الى العقل حيناً والى النقل احياناً اخرى، اما في زمن الامام الرضا عليه السلام فانها اتخذت طابعاً عقلياً مع كثير من التوسع والانتشار، وقد عرض الامام في هذا المجال معارف كثيرة ايضاً. وكان هناك سبب آخر ايضاً هو حق اهل البيت في الخلافة وهو ما اعترف به المأمون ولذا اصبح هذا الموضوع يتسم بجدية اكثر.

وقد جمعها الاستاذ عطاردي في مجموعة اطلق عليها اسم (مسند الامام الرضا) واورد فيها (٤٩٠) رواية في باب الامامة، ويشكل جزءاً منها بحوثاً تاريخية تتعلق بحياة الامام الرضا عليه السلام، واما الجزء الآخر من هذه الروايات فيتضمن بحوثاً عقلية عديدة لا نجد لها في كثرتها نظيراً عند سائر الائمة، حيث نجد في هذا الصدد رواية مطولة نقلها المرحوم الكليني تشتمل على بحث قرآني وعقلي مفصل حول موضوع الامامة طرحه الامام الرضا عليه السلام. تناولت بشكل عام الابعاد المختلفة للامامة، ويمكن اعتبارها نصاً شاملاً في هذا الصدد[1].

والرواية الاخرى المهمة نقلت عن طريق الفضل بن شاذان، واورد فيها مقاطع مهمة عن المسائل العقلية المرتبطة بقضية الامامة ويمثل احد هذه المقاطع اجابة على السؤال «**فلِمَ جعل أولي‌الامر وامر بطاعتهم؟** حيث عرضت فيه الاسباب المختلفة لتعيين الامام من قبل الله تعالى وهناك مقطع آخر يحمل جواباً على

---

(١) الكافي، ج ١ ص١٩٨، اكمال الدين ص ٦٧٥.

السؤال: «**فلمَ لا يجوز ان يكون في الارض امامان في وقت واحد واكثر من ذلك؟**»

وقد وردت فيه اجابات مثيرة حول ذلك الموضوع، وفي ثالث اجابة عن: «**لماذا يجب ان يكون الامام من بيت رسول الله؟**»[1].

ولعل اهم ما يوضح طبيعة العلاقة بين الولاية والتوحيد، هي الرواية التي قالها الامام الرضا عليه السلام في مدينة نيسابور اثناء توجهه الى خراسان، ويمكن التكهن بمدى الدور التاريخي الذي تؤديه رواية كهذه افصح عنها في ذروة حب الامة له، حيث جاء في تلك الرواية المشهورة ما يلي:

«**روى الامام عن آبائه كما هو الحال في سائر احاديثهم- عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله جل شأنه قال: كلمة لا إله الا الله حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي. فلما مرت الراحلة نادانا: بشروطها وانا من شروطها**»[2].

ومن المواقف العلنية الاخرى للامام في ما يخص الامامة هو حديثه البليغ الذي ادلى به عندما كان جالساً بجوار المأمون، وعرض عليه ولاية العهد، حيث قال: «**انَّ المأمون عرف من حقنا ما جهله غيره**»[3].

وعلى اية حال، فقد استفاد الامام ابو الحسن علي الرضا عليه السلام من الحرية النسبية التي توفرت له خلال فترة الصراع بين المأمون والامين وكذلك بعد تولّيه ولاية العهد ما بين عام ٢٠٠هـ الى ٢٠٣هـ في طرح مسألة الامامة، وخلّف وراءه

---

(١) عيون اخبار الرضا ج٢ ص٩٩.

(٢) عيون اخبار الرضا ج٢ ص١٣٤، التوحيد ص٢٥، معاني الاخبار ص٣٧١، امالي الصدوق ص١٤٦، حلية الاولياء ج٣ ص١٩٢، نقلاً عن مسند الامام الرضا ج١ ص٤٥.

(٣) عيون اخبار الرضا ج٢ ص١٤٥.

احاديث كثيرة صرح بها علناً، واكد ان لا تقية في اظهار امر الامامة[1].

ويمكن الجزم ان عهد الامام الرضا كان يمتاز بأهمية بالغة من ناحية اتساع مفهوم الامامة بين عموم الناس، وكانت هذه القضية تطرح ـ قبل ذلك ـ على نطاق الخاصة والمحافل العلمية فقط.

أما على نطاق عامة الناس، فقد ادى الامام الرضا دوراً فاعلاً في نشر هذه المفاهيم. كما بذل عليه السلام جهوداً لا نظير لها في اثبات مفهوم (الامامة حق العلويين)، ولا شك ان ولاية العهد قد اتاحت له مثل هذه الفرصة، ورأى كذلك ان الابواب الاعلامية قد فُتحت له، فاستفاد منها في المناظرات لتوضيح معنى الامامة.

## الامام الرضا عليه السلام وايران!:

ان الرضا عليه السلام هو الامام الوحيد المدفون في ايران من بين ائمة الشيعة. وقد كان عليه السلام مصدراً للخير والبركة من حين قدومه ـ وقد اشرنا الى هذه النقطة في موضع آخر ـ حيث كان للامام دوره المهم في نشر التشيّع في ايران سواء في حياته او بعد استشهاده نظراً لوجود مدفنه الشريف فيها.

ورأينا من الضروري هنا نقل حديث رواه ابن حبان: ان الشيعة ليسوا وحدهم يكنون له حباً واحتراماً خاصاً ويزورون مرقده الشريف ويستمدون منه الخير والبركة والقداسة بل ان اهل السنة ومحدثيهم كانوا كذلك. وكما ذكر ابن حجر فان اشخاصاً مثل: ابي بكر بن خزيمة، وابي علي الثقفي، وعدد آخر من

---

(١) عيون اخبار الرضا ج٢ ص٢١٣.

المحدثين الكبار كانوا يزورون مرقده الشريف[1].

وكان ابن حبان من محدثي اهل السنة وكبار علمائهم عاش في القرن الرابع للهجرة وكتب عن الامام الرضاعليه السلام: «توفي علي بن موسى الرضا بالسم الذي دسه له المأمون في يوم السبت آخر يوم من العام ٢٠٣ للهجرة، وقبره في سناباد خارج طوقان الى جوار قبر هارون. زرته عدة مرات عندما كنت في طوس، لم تكن تعرض لي مشكلة الاّ زرت ضريح علي بن موسى الرضا (صلوات الله على جده وعليه) وطلبت من الله حلها فيستجاب الدعاء وتحل المشكلة. ثم كتب يقول: وهذا شيء جربته مراراً فوجدته كذلك . اماتنا الله على محبة المصطفى واهل بيته صلى الله عليه وعليهم اجمعين»[2].

(١) تهذيب التهذيب ج٧ ص٣٨٧.

(٢) الثقاة، طبعة الهند، ج٨ ص٤٥٦.

# الامام الجواد عليه السلام

**قال المأمون: «انه لأفقه منكم، واعلم بالله ورسوله، وسنته واحكامه، وأقرأ لكتاب الله منكم، واعلم بمحكمه، ومتشابهه، وناسخه، ومنسوخه، وظاهره، وباطنه، وخاصه، وعامه، وتنزيله، وتأويله منكم[1].**

هو محمد بن علي بن موسى الرضا عليه السلام تاسع ائمة المذهب الشيعي ومن اصفياء الله لهداية[2] امة جده محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ولد في الخامس عشر او التاسع عشر من شهر رمضان من العام ١٩٥هـ في

(١) تحف العقول ص٤٥١.

(٢) روضة الواعظين ص٢٠٨.

المدينة وقبض في شهر ذي الحجة من «العام مائتين وعشرين»[1]. وقال بعضهم كانت ولادته في العاشر او الخامس عشر من شهر رجب من العام ١٩٥ للهجرة القمرية[2]، وامه ام ولد يقال لها سبيكة [سكينة][3] النوبية[4]، وقيل ان اسمها كان خيزران ايضاً، وقيل انها كانت من اهل بيت مارية القبطية زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[5].

وذكروا ايضاً ان اسمها كان ريحانة، وقال النوبختي: كان اسمها درة ثم دعيت فيما بعد خيزران[6].

اشهر القابه التقي والجواد، وله القاب اخرى كالزكي والمرتضى والقانع والرضي والمختار والمتوكل والمنتجب. وكنيته ابو جعفر ويذكر في الروايات بابي جعفر الثاني حتى لا يلتبس اسمه مع اسم ابي جعفر الباقر عليه السلام. تولى امامة الشيعة بعد استشهاد ابيه من العام ٢٠٣هـ حتى العام ٢٢٥هـ وكان سنه حينها ٢٥ سنة.

---

(١) تاريخ اهل البيت ص٨٥.

(٢) راجع كتاب: كشف الغمة، ج٢ ص٢٤٢، واقوال اخرى في مسند الامام الجواد ص١١ ـ ١٥.

(٣) تاريخ اهل البيت ص١٢٣، ذكرها باسم سكينة. وذكرها ايضاً باسم «خورنال».

(٤) يطلق اسم (النوبة) على اقاليم واسعة تقع جنوب مصر، واهلها من النصارى. كان افضل اسرى الحرب من النوبة، ووردت رواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مدح اهلها، راجع كتاب معجم البلدان ج٥ ص٢٠٩.

(٥) الكافي ج١ ص٤٩٢، التهذيب ج٦ ص٩٠.

(٦) فرق الشيعة ص٩١.

## امامة الجواد عليه السلام:

ان احدى المسائل التي احتلت مكانتها فيما بعد في المباحث الكلامية هي مسألة: **(هل يمكن ان يتولى الامام منصب الامامة قبل البلوغ؟)** وقد اتسمت هذه القضية بطابع الجدية منذ ان تولى جواد الائمة عليه السلام منصب الامامة عام ٢٠٣هـ وتكررت ايضاً عام ٢٢٠هـ بشأن الامام الهادي عليه السلام، ثم انطبقت ايضاً على الامام المهدي(عج).

فقد كان الشيعة حين استشهاد الامام الرضا عليه السلام سنة ٢٠٣هـ ينظرون الى الامور بقلق بالغ لأن ابنه لم يبلغ بعد سن الثامنة او التاسعة من العمر، ولم يكن لديه ولد آخر. ويذكر بعض المؤرخين عن هذه الحادثة ان الشيعة حاروا واضطربوا ووقع بينهم الخلاف، وكذا الشيعة في سائر الامصار[١].

وكان قد اجتمع عدد منهم في دار عبدالرحمن بن الحجاج وظلوا ينوحون ويبكون[٢].

وكانت تلك القضية بمثابة مشكلة كبرى بالنسبة للشيعة الذين كانوا يعيرون اهتماماً كبيراً لطاعة الامام، ويرجعون اليه في جميع مسائلهم الفقهية والدينية، وما كان من السهل عليهم بقاء مثل هذه القضية بلا جواب مقنع. وقد كان من الواضح بالنسبة للشيعة ان الامام الرضا عليه السلام عيّن الامام الجواد عليه السلام وصياً من بعده، لكن صغر سنه كان يدفعهم الى البحث والتقصي لغرض التأكد والاطمئنان.

لقد أكد الامام الرضا في الاحاديث المختصة بامامة الامام الجواد، أنه عيّن

---

(١) دلائل الامامة، ص٢٠٤.

(٢) عيون اخبار المعجزات، ص١١٩.

ولده الصغير هذا وصياً له، ومع ما يبدو من وجود الفرصة الكافية واصرار الامام على وصايته، الا ان بعض الاصحاب اشار الى صغر سنه، فذكّرهم الامام بنبوة عيسى في طفولتـه وقال : «**قـد كان سن عيسىعليه‌السلام حين أُعطي النبـوة اقل من سن ولدي**»[1].

ان حالة الشك التي حصلت بعد رحلة الامام الرضاعليه‌السلام ، ادت الى ان يتجه بعض الشيعة الى عبدالله بن موسى اخ الامام الرضاعليه‌السلام الا أنهم لم يكونوا مستعدين لقبول امامته بلا دليل وبرهان، فعرضوا عليه بعض الاسئلة، فلما رأوا عجزه عن الاجابة تركوه[2].

ورجعت جماعة الى القول بالوقف انتهاجاً لقول الواقفية الذي وقفوا على الامام الكاظمعليه‌السلام . وسبب هذين الاتجاهين كما يرى النوبختي هو اعتبارهما البلوغ شرطاً من شروط الامامة[3].

ومع ذلك فقد قبل اغلب الشيعة بامامة الجوادعليه‌السلام رغم قول بعضهم بحداثة سنه، فاحتجّ عليهم باستخلاف داود سليمان وهو صبي يرعى الغنم، فانكر ذلك عباد بني اسرائيل وعلماؤهم[4].

اما الذين اعتقدوا بامامة الامام الجواد، فقد اعتلوا في ذلك بحيى بن زكريا، وان الله آتاه الحكم صبياً، وعيسى بن مريم، وبحكم الصبي بين يوسف الصديق وامرأة الملك، وبعلم سليمان بن داود حكماً من غير تعليم، وغير ذلك فانه قد كان

(١) روضة الواعظين، ص٢٠٣.

(٢) المناقب ج٢ ص٤٢٩، مسند الامام الجوادعليه‌السلام ص٢٩ ـ ٣٠ ـ ٢٢٢.

(٣) فرق الشيعة ص٨٨، المقالات والفرق ص٩٥.

(٤) الكافي، ج١ ص٣٨٢.

في حججِ الله ممن كان غير بالغ عند الناس[1].

وكان الشيعة الامامية ينظرون الى الامامة باعتبارها قضية الهية فلذلك لم يكن صغر العمر قضية مهمة بالنسبة لهم هذا من جهة، ومن جهة اخرى فان القضية المهمة في نظرهم هي ظهور هذا الجانب الالهي في عملهم. وقد كان الائمة في الحقيقة يجيبون على جميع اسئلة الشيعة، وكان الشيعة يفترضون وجود هذه القدرة عند جميع الائمة. ولهذا السبب كانوا يعرضون عليهم انواع الاسئلة، ويقبلون بامامتهم فيما لو اجابوا على تلك الاسئلة، رغم وجود نص على امامتهم.

اما ما يخص الامام الجوادعليه السلام فقد اقتضت الضرورة المزيد من البحث والتحقيق، وقد اقدم الشيعة على اختباره في مواقف وحالات مختلفة، فكانوا في كل مرة ينقادون لامامته بعد الفحص والاطمئنان. ولم يكن من يرفض امامته الا افراد قلائل.

تجدر الاشارة هنا الى ان الشيعة اجتمعوا في المجلس الذي سبق ذكره لحل قضية الوصي، فقال يونس بن عبدالرحمن وكان من ثقاة الامام الرضاعليه السلام:

**«دعوا البكاء! من لهذا الامر؟ والى من نقصد بالمسائل الى ان يكبر هذا؟ يعني ابا جعفرعليه السلام.**

**فقام اليه الريان ووضع يده في حلقه ولم يزل يلطمه ويقول له: انت تظهر الايمان لنا وتُبطن الشك والشرك. ان كان امره من الله جل وعلا، فلو أنه كان ابن يوم واحدٍ لكان بمنزلة الشيخ العالم وفوقه، وان لم يكن من عند الله فلو عمر الف سنة فهو واحد من الناس، فاقبلت العصابة عليه تعذله وتوبخه.»**

---

(١) فرق الشيعة ص ٩٠، المقالات والفرق ص ٩٤ ـ ٩٥.

وكان حينها وقت الموسم فاجتمع من فقهاء بغداد والامصار وعلمائهم ثمانون رجلاً، فخرجوا الى الحج، وقصدوا المدينة ليشاهدوا ابا جعفرعليه السلام، فلما وافوا التقوا عبدالله بن موسى فسئل عن اشياء اجاب عنها بغير الواجب، فاحتاروا واغتموا واضطرب الفقهاء وهمّوا بالانصراف. ثم التقوا ابا جعفر، ووجهوا اليه اسئلتهم فاجاب عنها بالحق، ففرحوا ودعوا له واثنوا عليه»[1].

وجاءه مرة اخرى جمع من الشيعة وعرضوا عليه ثلاثين الف سؤال فاجاب عنها باجمعها، وكان عمره آنذاك عشر سنوات[2]. ومع احتمال وجود مبالغة في هذا الرقم، الا ان هذه الرواية تبرهن لنا اولاً: ان الشيعة كانوا يركزون على الجانب العلمي في قضية الامامة وقبول الامام. وثانياً: ان الامام كان يجيب على كل تلك الاسئلة الفقهية للشيعة رغم صغر سنه، وهذا دليل على كون الامامة قضية الهية.

ذكر الشيخ المفيد ان جماعة من الشيعة رجعوا بعد وفاة الامام الرضاعليه السلام الى عقيدة الواقفية منكرين بذلك ايضاً امامة الامام الرضاعليه السلام. وادعت جماعة اخرى منهم امامة احمد بن موسى. واعتبر المفيد امامة الجوادعليه السلام ـ وهو ما قبلته اكثرية الشيعة ـ حقاً، واستدل على ذلك مضافاً الى الدليل العقلي القائل: «كمال العقل لا يستنكر لحجج الله مع صغر السن»، ببعض الآيات الواردة بشأن عيسىعليه السلام كما اشار ايضاً الى دعوة النبيصلى الله عليه وآله وسلم للامام عليعليه السلام للايمان بالاسلام ولم يكن الامام قد بلغ سن الرشد بعد، بينما لم يوجه مثل هذه الدعوة لاشخاص آخرين في مثل سنه. وكذلك تمت المباهلة ايضاً بالحسنينعليهما السلام مع كونهما صبيين. وهو دليل آخر

---

(١) بحار الانوار ج٥٠ ص٩٩ ـ ١٠٠ نقلاً عن عيون المعجزات ص١١٩ ـ ١٢١، راجع كتاب: اثبات الوصية ص٢١٣.

(٢) الكافي ج١ ص٣١٤.

ساقه الشيخ المفيد في البرهنة على امامة الجوادعليه السلام في سن الطفولة[1]

فالمهم في قضية الامامة هو النص وقد رواه كثير من اصحاب الامام الرضاعليه السلام الاجلاء وفقاً لما ذكره الشيخ المفيد حيث قال: من روى النص عن أبي الحسن الرضاعليه السلام في امامة الجوادعليه السلام هم: علي بن جعفر بن محمد الصادقعليهما السلام وصفوان بن يحيى، ومعمر بن خلاد، والحسين بن بشار، وابن ابي نصر البزنطي، وابن قياما الواسطي، والحسن بن الجهم، وابو يحيى الصنعاني، والخيراني، ويحيى بن حبيب الريان، وجماعة كثيرة[2]، وقد ذكر بعض رواياتهم الشيخ المفيد في الارشاد، وقام الاستاذ عطاردي بجمعها كلها تقريباً في كتابه (مسند الامام الجواد)[3].

ومن قبله بادر العلامة المجلسي ايضاً الى تخصيص فصل من كتاب بحار الانوار ذكر فيه النصوص الواردة في امامة محمد بن علي الجوادعليه السلام. ويتضح من هذه الروايات ان الامام الرضاعليه السلام اشار عدة مرات الى امامة ولده، وأطلع اصحابه الأجلاء على هذا الامر. وفي الحقيقة ان استقامة اكثر الاصحاب وثبوتهم على الانقياد للامام الجوادعليه السلام ـ وهم الذين اسندوا تلك الروايات ـ يُعتبر افضل دليل على احقية ذلك الامام. لأن فقهاء الشيعة ومحدثيهم وكبار علمائهم كانت لديهم هواجس حقيقية في قبول ائمتهم كما ذكرنا سابقاً، وكانوا يعترفون لهم بالامامة عن طريق الاختبار العلمي فقط حتى مع وجود النص.

---

(١) الفصـول المختـارة ص٢٥٦ ـ ٢٥٧، «اظنّ ان البعض استـدل بدعـوة النبيصلى الله عليه وآله وسلم على بلوغ الامام عليعليه السلام».

(٢) الارشاد، ص٣١٧، اعلام الورى ص ٣٣٠.

(٣) مسند الامام الجواد ص٢٥٠ ـ ٣٣٣. لقد استفدنا كثيراً من هذ المجموعة فى تأليف هذا الكتاب ونعتبر عمل الاستاذ عطاردي في تنظيم هذ المساند من الخدمات الثقافية القيمة، وننتظر بفارغ الصبر صدور البقية المتبقية منها.

## حياة الامام الجوادعليه السلام:

إن معلوماتنا التاريخية عن حياة الامام قليلة، والسبب في ذلك يعود الى المضايقات السياسية التي كان ينتج عنها اخفاء الاخبار المتعلقة بالائمةعليهم السلام ليكونوا في مأمنٍ يقيهم شر الاعداء.

والسبب الاخر هو عدم استمرار حياة الامام الجوادعليه السلام طويلاً، حتى يمكن الحصول على اخبار ذات اهمية بشأنها.

اذ من المعلوم ان الامام الرضاعليه السلام عندما اشخص الى طوس لم يصطحب معه أياً من افراد عائلته، وكان يعيش وحده في طوس. ولكن هل ان الامام الجواد ذهب لمقابله ابيه طوال تلك المدة أم لا؟

إن احداً لم يشر الى هذا الأمر الا ابن فندق في تاريخ بيهق حيث ذكر أنه جاء الى طوس عام ٢٠٢هـ، والتق بوالده. وكتب عنه ما يلي:

«أجتاز محمد بن علي بن موسى الرضاعليه السلام وكان اسمه التقي، طريق طبس مينادريا ـ اذ لم يكن طريق قومس [دامغان] سالكاً آنذاك، وانما اصبح سالكاً في عهد قريب ـ واتى الى بلدة بيهق ونزل في قرية ششتمه وذهب من هناك لمقابلة والده علي بن موسى عام ٢٠٢هـ»[١].

ولم يرد ذكر لهذا الخبر في اي من المصادر الاخرى، والمستفاد من الاخبار المتعلقة باستشهاد الامام الرضاعليه السلام ان الامام الجواد كان في المدينة وقد ذهب الى طوس بأمر من الله سبحانه لتغسيل والده والصلاة عليه فقط، ولعل الامام كان قد

---

(١) تاريخ بيهق ص٤٦.

ذهب الى هناك قبل ذلك. ويُستشف من الخبر المذكور ان (ابن فندق) ربما يكون استقاه من تاريخ نيسابور للحاكم النيسابوري.

وعندما رجع المأمون الى بغداد عام (٢٠٤هـ) كان مطمئن الجانب من ناحية الامام الرضاعليه السلام لأنه قتله. لكنه كان يعلم ان الشيعة سيبقون في ظل امامة ابنه من بعده، وتبقى الامامة كما كانت عليه. والمأمون لا زال يذكر سياسة أبيه في مراقبة الامام الكاظمعليه السلام وتحديده، حينما استقدمه الى بغداد وحبسه فاتبع السياسة نفسها مع الامام الرضاعليه السلام، وباسلوب ماكر لا يظهر معه أنه سجنه أو اساء اليه بل يبدو من موقفه ذاك كأنه شديد الحب والتعلق به. وقد صارت النوبة الى الامام الجوادعليه السلام ليكون تحت سيطرته، وفي قبضته، وهو ما يمكن تحقيقه بعقد ابنته ليسيطر على الامام من جهة ويطلع على تردد الشيعة عليه من جهة اخرى. ولهذا فقد افادت بعض النصوص التاريخية أنه استدعى الامام من المدينة الى بغداد بعد وصوله اليها مباشرة وربما كان ذلك عام ٢٠٤هـ[١].

اضافة الى ذلك فان الشبهات التي كانت تدور حول المأمون في قتل الامام الرضاعليه السلام أملت عليه انيتصرف بنحو يُبعد التهمة عنه. الا ان بعضالاخبار تذكر ان المأمون ومنذ جعله ولاية العهد للامامالرضاعليه السلام عقد لابنه على ابنته ام الفضل، أو سماها له. ويذكر الطبري وابن كثير ان ام حبيب بنت المأمون عُقدت للامام الرضا وعُقدت ام الفضل للجوادعليه السلام[٢] من العام نفسه، وربما تعتبر هذه قرينة على قول مؤلف كتاب تاريخ بيهق بأن الامام جاء سنة ٢٠٢هـلرؤية ابيه في طوس.

---

(١) الحياة السياسية للامام الجوادعليه السلام ص٦٥، هذا يطابق بعض الاخبار التاريخية. الا أن اكثر الروايات وهو الموافق لما نقله الطبري بأن الامام جاء الى بغداد عام ٢١٥هـ.

(٢) البداية والنهاية ج١٠، ص٢٦٠، تاريخ الطبري، ج٧ص١٤٩.

ويُفهم من الرواية التي نقلها الشيخ المفيد عن (الريان بن شبيب)، ان المأمون لما اراد ان يزوج ابنته ام الفضل ابا جعفر محمد بن عليعليه السلام بلغ ذلك العباسيين فغلظ عليهم واستكبروه، وخافوا ان ينتهي الامر معه الى ما انتهى اليه مع الرضاعليه السلام[1]، فلاموا المأمون، وقالوا له: اتزوج ابنتك طفلاً لم يتفقه في دين الله، ولا يعرف حلاله من حرامه، ولا فرضه من سنته. فعقد المأمون استنكاراً لقولهم مجلساً للمناظرة بين الامام الجوادعليه السلام ويحيى بن اكثم[2]. فتبين من هذه الرواية ان عقد الزواج قد تم في وقت لا يزال الامام الجواد يصدق عليه اسم (الصبي). ومع ذلك لا يمكن اعتبار هذا دليلاً مبرماً على هذا الامر.

اما الرواية التي ينقلها ابن طيفور، وابن الاثير ومؤرخون، آخرون، ويبدو أنه يمكن التعويـل عليها فهي: «ان المأمـون حين عاد الى تكريت سنة ٢١٥هـ، كان الامام الجوادعليه السلام قد حضر من المدينة الى بغداد وذهب الى تكريت ايضاً، وهناك عُقدت له أم الفضل. وقد اقامعليه السلام في بغداد في دار احمد بن يوسف على شاطي نهر دجلة، وبقي هناك حتى ايام الحج، ثم ذهب منها الى مكة ثم الى المدينة حيث اقام فيها[3].

فاستناداً الى هذه الرواية التاريخية لم يبق الامام الجوادعليه السلام في بغداد سوى هذه الفترة، وان نفى المؤلف فكرة عدم مجيئه الى بغداد قبل هذا التأريخ.

وفي رواية اخرى نقلها الاربلي: «**ان المأمون حين قدم بغداد استدعى**

---

(١) الارشاد ص٣١٩.

(٢) الارشاد ص٣١٩ ـ ٣٢٠.

(٣) بغداد ص١٤٢ ـ ١٤٣، تاريخ الطبري، ج٧ ص١٩٠، تاريخ الموصل ص٢١٥، الكامل ج٦ ص ٤١٧، مسند الامام الجواد ص٥٥، الحياة السياسية للامام الجواد ص٧٩.

**الامام الجوادعليه السلام اليها ايضاً، فرآه يوماً وهو يلعب مع اترابه فهرب جميع الاطفال ما عدا الامام، فسأله المأمون: لماذا لم تفر؟ فقال له: لم اكن مذنباً فافر، ولم تكن الطريق ضيقة فاوسع لك، فسأله المأمون: من أنت؟ قال: انا محمد بن علي بن موسى الرضا...».**

وقد وردت في ذيل الرواية امور اخرى صارت موضع اخذ وردٍّ بين بعض المحققين فرفضها جماعة، وقبلها آخرون، ومنهم استاذنا الكبير العلامة السيد جعفر مرتضى العاملي الذي سعى الى اثبات صحة هذه الرواية[1].

غير ان الملاحظ في هذه الرواية تعرضها لبعض المواضيع التي تجعل التصديق بها امراً صعباً. فلو صحت هذه الرواية فان المأمون يكون قد وصل بغداد سنة ٢٠٤هـ، أو استدعى الامام الجوادعليه السلام اليها بعد ذلك بمدة قصيرة. وأما اذا شككنا في صحة هذه الروايات فينبغي القول ان الامام كان يعيش في المدينة قبل وبعد سنة ٢١٥هـ حتى استدعاه المعتصم الى بغداد عام ٢٢٠هـ. ولا يوجد حالياً بين ايدينا رواية تدل على مجيء الامام الى بغداد من السنة ٢١٥هـ الى السنة ٢٢٠هـ. وفيما يخص الاحترام الذي كان يحظى به الامام من قبل اهل المدينة هناك معلومات قليلة بهذا الشأن استفدناها من بعض الروايات[2].

بديهي انه لا يمكن تجريد طلب المعتصم من الامام بالمجيء الى بغداد من العوامل السياسية، لاسيما وان الامام قد قبض في نفس العام الذي وصل فيه الى بغداد، ولم يكن قد تجاوز الخامسة والعشرين من عمره بعد. فعداء العباسيين لآل عليعليهم السلام وخاصة امام الشيعة الذي كانت تنقاد له فئة كبيرة من الناس وبمعزل تام

---

(١) الحياة السياسية للامام الجواد ص٦٨ ـ ٧٥.

(٢) الكافي، ج١ ص٤٩٢ ـ ٤٩٣.

عن الحكم العباسي واستدعاؤه الى بغداد ووفاته في تلك السنة كلها دلائل على ان استشهاد ذلك الامام الطاهر كان على يد مرتزقة المعتصم العباسي.

ومع ذلك فان الشيخ المفيد اشار الى الروايات الدالة على قتله بالسم، وشكك في صحتها[1]. لكن الاخبار ليست وحدها في هذا الصدد. اذ ان القرائن الموجودة اضافة الى الاخبار المذكورة الواردة في مصادر مختلفة[2] تدل على هذا الامر بكل وضوح. فالمستوفي يذكر مثلاً ان الشيعة يقولون باستشهاده بالسم على يد المعتصم[3].

وكذا بعض مصادر اهل السُنة تشير في هذه القضية الى المعتصم[4]. بينما تذكر مصادر اخرى ان المعتصم امر ابن الزيات ان يرسل احداً خلف الامام الجوادعليه السلام[5]، كما ذكر ابن الصباغ ما يؤيد هذا المعنى من خلال قوله «اشخاص المعتصم له من المدينة»[6] اي أنه احضره بالاجبار.

واورد المسعودي خبراً يذكر فيه ان استشهاده كان على يد ام الفضل في الوقت الذي كان فيه قد جاء من المدينة الى بغداد عند المعتصم[7] وكانت مكافأة ام الفضل ان نقلت الى دار الحريم بعد قتلها للامام[8].

---

(١) الارشاد ص٣٢٦.

(٢) راجع كتاب الفصول المهمة ص٢٧٦.

(٣) تاريخ گزيده ص٢٠٥ ـ ٢٠٦ (التاريخ المنتخب).

(٤) الائمة الاثني عشر، عن ابن طولون ص١٠٣، شذرات الذهب ج١ ص٤٨.

(٥) بحار الانوار ج٥٠ ص٨.

(٦) الفصول المهمة ص٢٧٥.

(٧) مروج الذهب، ج٣ ص٤٦٣.

(٨) الائمة الاثني عشر ص١٠٤.

كما علينا ان لا نغفل عن ان حياة أم الفضل مع الامام الجواد كانت غير موفقة لسببين: الاول: عقمها وعدم انجابها. والثاني: تجاهل الامام لها فكان ابناؤه من امهات الاولاد.

وفي احدى المرات شكت أم الفضل لابيها امتلاك الامام للجواري، فكتب لها المأمون «لم نزوّجك ابا جعفر حتى نحرّم عليه حَلالاً، فلا تعودي لمثلها»[1]. وعلى اية حال فان ام الفضل بعد موت أبيها ومجيئها الى بغداد ـ على قول المسعودي ـ سمّت الامام، وحيث انها نقلت الى دار النساء، فينبغي ان يكون ذلك بأمر من المعتصم. وتفيد رواية العياشي ان سم الامام كان علي يد واحد من كتّاب المعتصم وبأمر منه[2].

والدليل الآخر هو ان الامام الجواد عندما جاء الى بغداد سنة ٢١٥هـ. لم يعين للشيعة وصياً من بعده. اما في سفره الذي استدعاه فيه المعتصم فانه عيّن وصيه. وهذا يبرهن لنا ان الامام كان يتوقع الاستشهاد وعدم العودة[3].

## المناظرات العلمية للامام الجواد عليه السلام:

لقد كان الامام الجواد يتعرض لنحوين من المناظرات:

**الاولى**: المناظرات التي كانت تقام بطلب من الشيعة الذين استصغروا الامام، حيث كانوا يطلبون منه عقد مجالس المناظرة ليطلعوا على ما يحمل علم إلهي.

---

(١) بحار الانوار، ج ٥٠ ص٧٩ ـ ٨٠.

(٢) تفسير العياشي ج ١، ص٣١٩.

(٣) الكافي، ج ١ ص٣٢٣.

**والثاني:** المناظرات التي كانت تجرى من قبل الخلفاء المعاصرين، وهما المأمون والمعتصم.

وبما ان الشيعة كانوا يدّعون العلم الالهي للأئمة فان الخلفاء كانوا يحاولون من خلال عقد مجالس المناظرة، ووضعهم امام مشاهير العلماء في ذلك العصر، اثبات عجزهم عن الاجابة على بعض الاسئلة، فتتقوض ثقة الناس بهم. وقد بينا قبل هذا مواقف المأمون من الامام الرضاعليه السلام، وان كان المأمون يتظاهر بعكس ذلك. واضافة الى ذلك فان المأمون كان من محبي المناظرات العلمية، وكان حبه للفلسفة، وطلب العلم من السمات البارزة في حياته التي تميزه عن سائر الخلفاء العباسيين. واهم الاخبار الواصلة الينا عن هذه المناظرات هي الرواية التي نقلها الشيخ المفيد عن الريان بن شبيب[1]، وهي رواية مطولة نلخصها فيما يلي:

«لما اراد المأمون تزويج ام الفضل للامام الجوادعليه السلام بلغ ذلك العباسيين، فغلظ عليهم، واستكبروه، وخافوا ان ينتهي الامر معه الى ما انتهى مع الامام الرضاعليه السلام. واجتمع منهم جماعة وجاءوا الى المأمون وحذروه من هذا، وخوفوه من احتمال زوال الحكم من ايديهم، وذكروه بما كان من ماضي الخصومة بين العباسيين والعلويين، وقالوا له: **قد كفانا من عملك ما عملت مع الرضا.**

**فقال لهم المأمون: أما ما بينكم وبين آل ابي طالب فانتم السبب فيه، ولو انصفتم القوم لكانوا اولى بكم، واما ما كان يفعله من قبلي بهم فقد كان به قاطعاً للرحم واعوذ بالله من ذلك.**

---

(١) الريان بن شبيب من الرواة الثقاة المعتمدين، كان في خراسان عند الامام الرضاعليه السلام، ثم سكن فيما بعد مدينة قم. وقد جمع مسائل [روايات] صباح بن نصر الهندي. ر. ك: النجاشي ص١١٨.

**وواللّٰه ماندمت على ما كان مني من استخلاف الرضا[1]، وأما ابو جعفر محمد بن علي فقد اخترته لتبريزه على كافة اهل الفضل فيالعلم والفضل مع صغر سنه والاعجوبة فيه بذلك، وانا ارجو ان يظهر للناس ما قد علمته منه، فيعرفوا ان الرأي ما رأيته فيه، فقالوا له: أنه صبي لا معرفة له ولا فقه، فامهله ليتأدب ويتفقه في الدين ثم اصنع ما تراه.**

**فقال لهم: ويحكم اني اعرفُ بهذا الفتى منكم وان هذا من اهل بيت علمهم من اللّٰه والهامه، لم يزل آباؤه اغنياء في علم الدين والأدب عن الرعايا الناقصة عن حد الكمال.**

**فان شئتم فامتحنوا ابا جعفر بما يتبين لكم به ما وصفت من حاله.**

**فقالوا: قد رضينا بذلك، واتفق رأيهم على يحيى بن اكثم[2] وهو قاضي الزمان على ان يسأله مسألة لا يعرف الجواب فيها، ووعده باموال نفيسة على ذلك. واجتمعوا في اليوم الذي اتفقوا عليه، وحضر معهم يحيى بن اكثم، وحضر المأمون ايضاً بنفسه.**

**فاستأذن ابن اكثم المأمون بسؤال ابي جعفر، وبعد ان اجازه، استاذن ايضاً من ابي جعفر في مساءلته فقال له الجوادعليه السلام: سل ان شئت. فقال له يحيى ما تقول في محرم قتل صيداً؟**

---

(١) ذكرنا بعض الاحداث في حياة الامام الرضاعليه السلام والتي يمكننا معها التصديق بادعاءات المأمون هذه وقد جاء في الخبر الذي اورده ابن شعبة: «ان المأمون طلب من يحيى ابن اكثم سؤال الامام». انظر: تحف العقول ص ٣٣٥.

(٢) قال عنه الذهبي: «كان من كبار الفقهاء»، توفي عام ٢٤٢، ميزان الاعتدال ج ٤ ص ٣٦١.

**فقال له ابو جعفر عليه السلام: قتله في حل أو حرم؟ عالماً كان المحرم أم جاهلاً؟ قتله عمداً او خطأ؟ حُراً كان المحرم أم عبداً؟ صغيراً كان أم كبيراً؟ مبتدئاً بالقتل ام معيداً؟ من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها؟ من صغار الصيد كان ام من كباره؟ مصرا على ما فعل أو نادماً؟ في الليل كان قتله للصيد أم نهاراً؟ محرماً كان بالعمرة اذ قتله أو بالحج كان محرماً؟.**

**فتحيّر يحيى بن اكثم وبان في وجهه العجز والانقطاع وتلجلج حتى عرف جماعة اهل المجلس امره. وقال: اعرفتم الآن ما كنتم تنكرونه؟ وهنا عقد له على ابنته أم الفضل. وجعل صداقها مهر جدته فاطمة الزهراء عليها السلام.**

**فلما تفرق الناس، طلب المأمون من ابي جعفر ذكر الفقه فيما فصله من وجوه قتل المحرم الصيد.**

**فذكرها لها الامام على وجوهها. ثم طلب منه المأمون ان يسأل يحيى مسألة، فسأله ابو جعفر: اخبرني عن رجلٍ نظر الى امرأة في أول النهار، فكان نظره اليها حراماً عليه، فلما ارتفع النهار حلت له. فلما زالت الشمس حرمت عليه. فلما كان وقت العصر حلت له. فلما غربت الشمس حرمت عليه. فلما دخل عليه وقت العشاء الآخرة حلت له. فلما كان انتصاف الليل حرمت عليه. فلما طلع الفجر حلت له. ما حال هذه المرأة وبماذا حلت له وحرمت عليه؟**

**فقال له ابن اكثم: والله ما اهتدي الى جواب هذا السؤال ولا اعرف الوجه فيه. فان رأيت ان تفيدناه، فقال ابو جعفر عليه السلام:**

**هذه أمة لرجل من الناس نظر اليها اجنبي في اول النهار فكان نظره اليها حراماً عليه، فلما ارتفع النهار ابتاعها من مولاها فحلت له. فلما كان عند الظهر**

**اعتقها فحرمت عليه. فلما كان وقت العصر تزوجها فحلت له، فلما كان وقت المغرب ظاهر منها، فحرمت عليه، فلما كان وقت العشاء الآخرة كفر عنها الظهار فحلت له. فلما كان في نصف الليل طلقها واحدة فحرمت عليه فلما كان عند الفجر راجعها فحلت له.**

**فابدى المأمون ثانية عجبه من علمه وقال: إن صغر السن في اهل هذا البيت لا يمنعهم من الكمال»**[1].

فاذا كان هذا الزواج قد تم في عام ٢١٥هـ، فمعنى ذلك ان سن الامام كان عشرين عاماً والذي يظهر من مجموع ما ذكر في الصفحات السابقة، ومما ورد في تكملة هذه الرواية من ان الامام اخذ ام الفضل معه الى المدينة بعد اكمال مراسيم العقد، ان هذه المناظرات قد جرت في نفس هذه السنة.

وقد جرى في مجلس المعتصم ايضاً ما يشابه هذه المناظرة وعندما ثبت علم الامام وافضليته فيها قتل.

فقد نقل العياشي في تفسيره عن الزرقان انه قال: «رجع ابن ابي داود ذات يوم من عند المعتصم وهو مُغتم، فقلت له في ذلك. فقال: سببه محمد بن علي بن موسى، فقلت له: وكيف كان ذلك؟ قال: ان سارقاً اقر على نفسه بالسرقة وسأل الخليفة تطهيره باقامة الحد عليه، فاختلف الفقهاء في المكان الذي ينبغي ان تقطع منه اليد، فقلت أنا تقطع من الكرسع ووافقني جماعة على قولي، وقال آخرون من المرفق، ولما سأل المعتصم ابا محمد اعتذر عن الاجابة. لكن الخليفة اقسم عليه فقال ان القطع يجب ان يكون من مفصل اصول الاصابع فيترك الكف،لأن الكف

---

(١) الارشاد، ص٤٦ ـ ٥١، الفصول المهمة ص٢٦٧ ـ ٢٧١، تفسير القمي ج١ ص١٨٣.

موضع سجود وقد قال جلّ شأنه: **﴿وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احداً﴾**.

فاعجب المعتصم بذلك فاصابني من ذلك خجل تمنيت الموت معه، وبعد ايام كلمت المعتصم فيما يلحقه مثل هذا الموقف به من ضرر، وهو ان يترك رأي الفقهاء لرأي شابٍّ حدثٍ، فانتبه لقولي وبعد ايام دعا احد وزرائه الجواد الى داره وسمه[1].

وفي مجلس آخر سأل يحيى بن اكثم الامام الجواد عليه السلام اسئلة اخرى وسأله عن فضائل الخلفاء الاوائل وعن رواية تقول: «انه نزل جبرائيل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: يا محمد ان الله عزوجل يقرؤك السلام ويقول لك: سل ابا بكر هل هو عني راضٍ فاني عنه راضٍ.

فقال الامام في ذلك المجلس الذي كان غاصّاً بجمع كبير من علماء السنة:

**«لست بمنكر فضل ابي بكر، ولكن يجب على صاحب هذا الخبر ان يأخذ مثال الخبر الذي قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع: لقد كثرت عليَّ الكذابة وستكثر بعدي فمن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار. فاذا اتاكم الحديث عني فاعرضوه على كتاب الله وسنتي، فما وافق كتاب الله وسنتي فخذوا به وما خالف كتاب الله وسنتي فلا تأخذوا به، وليس يوافق هذا الخبر كتاب الله. قال الله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد﴾[2]. فالله عزوجل خفي عليه رضاء ابي بكر من**

---

(١) مسند الامام الجواد، ص١٨١ ـ ١٨٣ نقلاً عن تفسير العياشي ج١ ص٣١٩، نقلنا فيما سبق قول المسعودي في ان ام الفضل هي السبب في سم الامام.

(٢) التوحيد ص١١٠، الكافي ج١ ص٩٥.

**سخطه حتى سأل عن مكنون سره، هذا مستحيل في العقول».**

يتضح لنا من هذه الرواية كيف واجه الامام مثل هذه الرواية الموضوعة، وانكرها بعد عرضها على القرآن. وقد رأينا نظير هذا النمط من البحث في حياة الامام الرضاعليه السلام حيث صرح الامام بشكل رسمي بأننا لا نقبل من الاحاديث ما يخالف كتاب الله[1] واصالة القرآن امام الحديث هي واحدة من الأسس التربوية التي كان يجري التأكيد عليها في مذهب اهل البيت.

ثم قال يحيى بن اكثم: «**وقد روي: ان مثل ابي بكر وعمر في الارض كمثل جبرائيل وميكائيل في السماء». فقال الامامعليه السلام: وهذا ايضاً يجب ان ينظر فيه، لأن جبرائل وميكائيل ملكان لله مقربان لم يعصيا قط، ولم يفارقا طاعته لحظة واحدة، وهما قد اشركا بالله عزوجل وان اسلما بعد الشرك، فكان اكثر ايامهما الشرك بالله فمحال ان يشبههما بهما.**

**قال يحيى: وروي ايضاً: انهما سيدا كهول اهل الجنة. فما تقول فيه؟**

**فقالعليه السلام: وهذا الخبر محال ايضاً لأن اهل الجنة كلهم يكونون شباناً، ولا يكون فيهم كهل وهذا الخبر وضعه بنو امية لمضادة الخبر الذي قاله رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم: في الحسن والحسين بأنهما سيدا شباب اهل الجنة.**

**فقال يحيى بن اكثم: وروي: ان عمر بن الخطاب سراج اهل الجنة.**

**فقالعليه السلام: وهذا ايضاً محال لأن في الجنة ملائكة الله المقربين وآدم ومحمد وجميع الانبياء والمرسلين، لا تضئ الجنة، بانوارهم حتى تضئ بنور**

---

(١) التوحيد، ص ١١٠، الكافي ج ١ ص ٩٥.

**عمر؟!**

**فقال يحيى: وقد روي: ان السكينة تنطق على لسان عمر.**

**فقالعليه السلام: لست بمنكر فضل عمر، ولكن ابا بكر افضل من عمر، فقال على رأس المنبر: ان لي شيطاناً يعتريني، فاذا ملت فسددوني.**

**فقال يحيى: قد روي ايضاً ان النبيصلى الله عليه وآله وسلم قال: لو لم ابعث لبُعث عمر.**

**فقالعليه السلام: كتاب الله اصدق من هذا الحديث، يقول الله في كتابه: ﴿وقد أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح﴾[1] فقد أخذ الله ميثاق النبيين، فكيف يمكن ان يبدل ميثاقه، وكل الانبياءعليهم السلام لم يشركوا بالله طرفة عين. فكيف يبعث بالنبوة من اشرك وكان اكثر ايامه مع الشرك بالله. وقال رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم: نبئت وآدم بين الروح والجسد.**

**فقال يحيى بن اكثم: وقد روي ايضاً ان النبيصلى الله عليه وآله وسلم قال: ما احتبس الوحي قط الا ظننته قد نزل على آل الخطاب.**

**فقالعليه السلام: وهذا محال ايضاً. لأنه لا يجوز ان يشك النبيصلى الله عليه وآله وسلم في نبوته. قال الله تعالى: ﴿الله يصطفي من الملائكة رُسلاً ومن الناس﴾[2]. فكيف يمكن ان تنتقل النبوة ممن اصطفاه الله تعالى الى من اشرك به؟**

**قال يحيى: روي ان النبيصلى الله عليه وآله وسلم قال: لو نزل العذاب لما نجى منه الا عمر».**

---

(١) الاحزاب: ٧.

(٢) الحج: ٧٥.

**فقال عليه السلام: وهذا محال ايضاً، لأن الله تعالى يقول: ﴿وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وماكان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾[1]. فاخبر سبحانه انه لا يعذب احداً ما دام فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما داموا يستغفرون[2].**

## التراث العلمي للامام الجواد عليه السلام.

لقد اصبح من المتعارف تقريباً ان الظروف السياسية القائمة آنذاك كانت تفرض ان تبقى العلاقة بين الشيعة والامام اللاحق محدودة وضعيفة الى مدة من الزمن بعد وفاة الامام السابق، ورغم وجود وكلاء للائمة في كل بلد الا أنهم كانوا يواجهون مصاعب كثيرة في ايجاد مثل هذه العلاقة. وكان صغر سن الامام الجواد يشكل مشكلة اخرى ايضاً استغرقت وقتاً طويلاً حتى زالت الشكوك والاوهام من قلوب الشيعة.

وجاء في الحديث ان الامام بقي مستخفياً بالامامة الى سن العاشرة[3]، وهذا يعكس لنا سبباً آخر يحول دون اقامة علاقة قوية ومثمرة معه.

ومن جهة اخرى فقد كانت هناك قيود ومضايقات مفروضة من قبل الحكام لا تسمح للشيعة بالتحرك بحرية تامة، وكانت القناة الوحيدة للاتصال بالامام تتمثل في كتابة الرسائل اليه واستلام الاجوبة، ولذا كان الائمة منذ عهد الامام الجواد عليه السلام فصاعداً والى ما قبل عهد الامام الرضا، يقيمون علاقاتهم مع

---

(١) الانفال: ٣٣.

(٢) الاحتجاج ج٢ ص٢٤٥ ـ ٢٤٩.

(٣) اثبات الوصية ص٢١٥.

الشيعة عن طريق الرسائل.

ومن ناحية اخرى فان الامام توفي وهو في الخامسة والعشرين من عمره، وهذه المدة لم تتح فيها للناس الفرصة الكافية للاتصال به. ورغم قصر هذه الفترة فان في ايدينا الآن اكثر من مائتين وعشرين حديثاً مروياً عن الامام الجوادعليه السلام في مواضيع مختلفة مضافاً اليها مسائل اخرى منقولة عنه بواسطة الاصحاب او كتبهم. وهذا العدد من الاحاديث هو ما وصل الينا طبعاً ولا شك ان هناك الكثير من المكاتيب التي كتبها الائمة الى اصحابهم وحالت الظروف السياسية آنذاك دون وصولها الينا. وقد روى الاحاديث المذكورة مائة وواحد وعشرون راوية، واحصى الشيخ الطوسي مائة وثلاثة عشر راوٍ لاحاديث الامام الجوادعليه السلام. وهذاالعدد من الاحاديث يعكس مدى عظمة الامام العلمية واحاطته بالفقه والتفسير والكلام والدعاء والمناجاة. اما الكمال الاخلاقي للامام فهو بارز في كلماته القصيرة والجذابة. وقد اورد ابن الصباغ المالكي بعضاً منها في كتاب الفصول المهمة. كما وتوجد امثال هذه الاحاديث بكثرة في كتاب تحف العقول، والقسم الاعظم من الروايات الفقهية للامام يمكن العثور عليها في الكتب التي كتبها لاصحابه ردّاً على اسئلتهم التي كانت تأتيه من مختلف انحاء البلاد الاسلامية.

## موقفهعليه السلام من الفرق المنحرفة:

كان للامام الجوادعليه السلام مواقف مبدئية ازاء الفرق المنحرفة، وكان يوصي اصحابه باتخاذ المواقف اللازمة تجاهها، ومن تلك الفرق فرقه المجسمة الذين يقولون ان الله جسم فقد قال ابو جعفر الجوادعليه السلام عنهم: «**من قال بالجسم فلا**

**تعطوه من الزكاة؟ ولا تصلوا وراءه»**[1].

وسببت فرقة الواقفية مشكلة للشيعة. وهي فرقة وقفت على الامام الكاظم عليه السلام بعد استشهاده، ولم تعترف بامامة ولده علي الرضا عليه السلام. ولما سئل الامام عن جواز الصلاة خلفهم نهى عن ذلك[2].

وكانت الزيدية فرقة منشقة عن الشيعة ايضاً. وقد سبقت منا الاشارة الى هذه الفرقة اثناء حديثنا عن حياة الامام الصادق عليه السلام، كما اشرنا ايضاً الى موقف الائمة منها وقد كانت للزيدية في بعض الاطوار مواقف عدائية ضد الامامية، وطعن على الائمة، وهذا ما حدا بهم عليهم السلام الى اتخاذ مواقف حازمة تجاهها حتى ان الامام الجواد عليه السلام اعتبر الواقفية والزيدية كالناصبية اذ جعلهم مصداقاً للآية الكريمة: **﴿وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة﴾**[3]»[4].

وكان لغُلاة الشيعة ايضاً دور في تلويث سمعة الشيعة الاثني عشرية، ولهذا السبب كانوا ملعونين على لسان الائمة. وكان خطرهم شديداً على الشيعة في مختلف المناطق، لأنهم كانوا ينقلون الروايات عن الائمة ويضلون بها الشيعة الذين كانوا يلتزمون طاعة الائمة. وكان ابو الخطاب من رؤساء الغلاة، وقد سمع ابو جعفر عليه السلام يقول وقد ذكر عنده ابو الخطاب: **«لعن الله ابا الخطاب ولعن اصحابه، ولعن الشاكين في لعنه ولعن من قد وقف في ذلك وشك فيه»**[5].

---

(١) التوحيد ص ١٠١، التهذيب ج ٣ ص ٢٨٣.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ٣٧٩.

(٣) الغاشية: ٢ و ٣.

(٤) رجال الكشي ص ٣٩١، مسند الامام الجواد ص ١٥٠.

(٥) رجال الكشي ص ٥٢٨.

ثم قال: «**وهذا ابو الغمر وجعفر بن واقد وهاشم بن ابي هاشم استأكلوا الناس بنا وصاروا دعاة يدعون الناس الى ما دعا اليه ابو الخطاب**». بل قد ورد في رواية رواها اسحق الانباري قال فيها: «**ان الامام اوعز اليه بقتل اثنين من الغلاة هما: ابو المهري وابن ابي الزرقاء، اللذان كانا يدعيان بأنهما دعاة للائمة، والدافع لذلك هو دورهما في تضليل الشيعة، فما زال اسحق يطلبهما الى ان عرفا قصده وحذراه**»[1].

## اصحابه:

ان كثيراً من اصحاب الامام الجواد هم اصحاب ابيه وابنائه، ولقد قضى بعضهم سنوات طويلة في صحبة الائمةعليهم السلام، بل وخلفوا وراءهم مؤلفات تحتوي على الكثير من احاديثهمعليهم السلام.

ومن اصحاب الامام الاجلاء السيد عبدالعظيم الحسني الذي روى عدداً كبيراً من الاحاديث عن الامام. وقد سكن هذا الصحابي العلوي الحسني في بلاد الري، ونذر نفسه لنشر احاديث اهل البيتعليهم السلام. ونتيجة لجهوده ازداد عدد الشيعة في الري، وانتشر التشيع هناك[2].

ومن اصحابه الآخرين داود بن قاسم المعروف بأبي هاشم الجعفري، الذي يرجع نسبه الى جعفر بن ابي طالب، كان من ابرز اصحاب الائمة، ونقل عنهم

---

(١) نفس المصدر.

(٢) كتب الاستاذ عطاردي كتاباً تحت عنوان: «عبدالعظيم الحسني، حياته ومسنده» وردت خلاصة منه في آخر اسمه الذي ورد في كتاب مسند الامام الجواد، ص٢٩٨ ـ ٣٠٨.

الكثير من الاحاديث وقد اثنت عليه كتب رجال الشيعة.

وكان علي بن مهزيار من جملة اصحاب الامام الجواد ايضاً، وله مكانة مرموقة بين الشيعة. قال عنه النجاشي: «انه روى عن الرضا والجوادعليهما السلام وكان وثيق الصلة بالامام الجواد، ويحظى باكرامه وتبجيله[1] وروى عنه الكثير من الاحاديث». وقال النجاشي: «انه كان يراسل علي بن ساباط. الذي كان فطحي المذهب، ويعودان فيما يختلفان فيه الى الامام الجوادعليه السلام. وكانت النتيجة ان رجع علي بن ساباط عن معتقده الخاطئ».

ومن جملة وكلاء الامام خيران الخادم وقد ذكره الكشي[2].

ومن وكلائه ايضاً ابراهيم بن محمد الهمداني، وكان ايضاً راوياً من رواته[3].

ومن اصحابه احمد بن محمد البزنطي، وهو من اصحاب الاجماع ايضاً، وكان من خواص اصحاب الامام الجوادعليه السلام، وقد اثنى عليه جميع اصحاب مصنفات الرجال، توفي عام ٢٢١هـ.

ذكره ابن النديم، وذكر كتابه الذي يحتوي على روايات الامام الرضاعليه السلام، ونسب له كتاب الجامع وكتاب المسائل[4].

---

(١) رجال النجاشي، ص١٧٧.

(٢) رجال الكشي، ص٦٠٨.

(٣) مسند الامام الجواد، ص٢٠٢، نقلاً عن جامع الرواة.

(٤) الفهرست، ص٢٧٦.

## علاقة شيعة ايران بالامام الجواد عليه السلام:

كان شيعة الامام موزعين على شتى بقاع البلاد الاسلامية، وكان الكثير منهم في بغداد والمدائن وسواد العراق[1]، وجماعة اخرى منهم تسكن في ايران وغيرها من البقاع.

وبالاضافة الى ما كان لديهم من ارتباط بوكلاء الامام، فانهم كانوا يعرجون عليه ايضاً اثناء سفرهم لاداء فريضة الحج، وبهذا النحو كانوا يحافظون على اتصالهم بالامام. ويستفاد من رواية وردت في الكافي ان الشيعة كان لهم وجود في مصر ايضاً حيث يقول علي بن اسباط: «فاخذت انظر اليه (الامام الجواد) وجعلت انظر الى رأسه ورجليه، لأصف قامته لاصحابنا في مصر»[2].

وورد في موضع آخر ان شخصاً من اهل خراسان جاء اليه[3].

ويُستفاد من رواية اخرى عن الحر بن عثمان العاملي ان جماعة من الامامية من مدينة الري جاءوا الى الامام[4]. ونحن نعلم ان الري كانت تحتضن الكثير من الشيعة على مر التاريخ وكان عددهم يتزايد باستمرار[5].

وكانت قم ايضاً واحدة من المراكز الاصلية للشيعة، وقد حافظت على اتصالها بالامام الجواد عليه السلام. وكان احمد بن محمد بن عيسى شيخ القميين من اصحاب الامام الرضا والامام الجواد وابنه وكذلك الامام العسكري، وكانت لديه

---

(١) الغيبة ، ص٢١٢.

(٢) الكافي، ج١ ص٣٨٤.

(٣) الثاقب، ص٢٠٨.

(٤) نفس المصدر.

(٥) مسند الامام الجواد ص٢٦٥.

الكثير من الرقاع التي تشتمل على احاديثهم[1].

ومن اصحابه صالح بن محمد بن سهل وكان يتولى له الوقف بقم[2]، كما كان يتولاها قبله احمد بن اسحق، وخلال تلك الفترة كان اهل قم يعارضون عمال الحكومة الذين يأتون من قبل المأمون.

وقد جاء تفصيل هذه الاشتباكات في تاريخ قم، فقد نقل فيه ان اهل قم كانوا قد طالبوا بتخفيض الخراج، فلما رفض طلبهم ثاروا ضد الوالي، ولم يخمد حركتهم الا الجيش الذي ارسله المأمون بقيادة علي بن هشام. وقد بقيت تلك الاضطرابات مستمرة لفترة من الزمن وبشكل متفرق[3].

وجاء في خبر تاريخي آخر ان رجلاً من اهالي بُست وسجستان جاء في ايام الحج الى الامام وقال له: «**ان والينا رجل يتولاكم اهل البيت، ويحبكم، وعليَّ في ديوانه خراج فان رأيت ان تكتب اليه كتاباً بالاحسان اليَّ فقال: لا اعرفه. الا ان الرجل تعلق بالامام واصرّ على كتابة الكتاب، فما كان من الامام الا ان كتب له كتاباً الى ذلك الوالي، فذهب الرجل وسلمه الكتاب، وكان اسم الوالي الحسين بن عبدالله النيسابوري، فاخذه ووضعه على عينيه وطرح ما عليه من الخراج واعطاه نفقة لعياله**»[4].

ومن جملة اصحاب الامام الجوادعليه السلام علي بن مهزيار، وقد كان نصرانياً ثم اسلم وصار من خواص اصحاب الامام الرضا والامام الجوادعليهما السلام . وكان من اهل

---

(١) راجع كتاب تاريخ كسرش يشع درری [بالفارسية]. (تهران ١٤١٣هـ).

(٢) التهذيب، ج ٤ ص ١٤٠، الاستبصار ج ٢ ص ٦٠.

(٣) راجع كتاب: تاريخ التشيع في ايران (بالفارسية) ص ١٢٤ ـ ١٢٥.

(٤) الكافي، ج ٥، ص ١١١، التهذيب ج ٦، ص ٣٣٦.

قرية (هندوان) في فارس، ثم سكن الاهواز[1].

وقد نقلت احدى الروايات التاريخية ان الامام الهاديعليه‌السلام كان يتكلم معه بالفارسية[2].

ان البحث عن هذا الارتباط الواسع بين الائمة وشيعتهم بدأ منذ عهد الامام الرضاعليه‌السلام فان انتشار التشيع في ايران يعزى في الواقع الى سفر الامام الرضاعليه‌السلام الى خراسان اكثر من اي سبب آخر وهو ـ اي التشيع ـ مدين الى شبكة وكلاء الائمةعليهم‌السلام في مناطق ونواحي ايران. وكان للكتب الجامعة لاحاديث الائمةعليهم‌السلام ـ التي جمعها اصحابهم من زمن الامام الباقرعليه‌السلام وكانت تعكس في الواقع اهتمام الائمة وشيعتهم في الجوانب الثقافية والفكرية ـ دوراً عظيماً في نشر عقائد وفقه الشيعة في هذه المناطق.

وقد سُئل الامام الجوادعليه‌السلام في احدى المرات عن جواز التحدث بالروايات الموجودة في كتب الاصحاب ـ والتي كانت لا تتداول تقية ـ فقالعليه‌السلام : «**حدّثوا بها فانها حق**»[3].

وهكذا سعى الشيعة لنشر آثار اسلافهم وعملوا على تقوية الدعامة الفقهية للشيعة والتي تعتبر في واقع الحال جوهر العمل. وكان عليهم ايضاً العمل بالقضايا الفقهية التي تجاهلها المنحرفون والعمل ايضاً على نشرها. ومن جملة ذلك حج التمتع الذي يُعتبر من وجهة النظر الاسلامية افضل عمل يقوم به الحاج[4].

---

(١) مسند الامام الجواد ص٣١٥.

(٢) بصائر الدرجات ص٣٣٣.

(٣) الكافي، ج١ ص٥٣.

(٤) الكافي ج٢ ص٢٩١، التهذيب ج٥ ص٣٠.

# الامام الهادي عليه السلام

الامام الهادي عليه السلام: «**اذا كان زمان العدل فيه اغلب من الجور، فحرامٌ ان يظن باحدٍ سوءاً حتى يعلم ذلك منه. واذا كان زمان الجور اغلب فيه من العدل فليس لاحدٍ ان يظن بأحد خيراً ما لم يعلم ذلك منه**[1].

عاشر ائمة الشيعة هو الامام الهادي عليه السلام وُلد في منتصف ذي الحجة عام ٢١٢هـ كما نقل الشيخ المفيد والشيخ الكليني والشيخ الطوسي وابن الاثير[2].

وهناك رأي آخر يشير الى ان ولادته كانت في شهر رجب عام ٢١٤هـ.

---

(١) بحار الانوار ج٧٨، ص٣٧٠.

(٢) الكافي، ج١ ص٤٩٧، الارشاد، ص٣٢٧، التهذيب، ج٦، ص٩٢، الكامل لابن الاثير ج٧ ص١٨٩.

وقال به الخطيب البغدادي وجماعة اخرون[1]، واشتهر هو وابنه الامام الحسن بن علي بالعسكريين[2]. وسبب هذه التسمية هو ان الامام الهادي قد أُخذ بصحبة ولده الى سامراء (العسكر) وبقي فيها الى آخر عمره الشريف، حيث قبض عليه السلام في جمادي الثاني عام ٢٥٤هـ[3].

واشتهر ايضاً امامنا الهادي عليه السلام بالقاب اخرى كالنقي والعالم، والفقيه، والامين، والطيب. وكنيته ابو الحسن. وكان يكنى بأبي الحسن الثالث، بعد ابي الحسن الاول الامام علي عليه السلام وابي الحسن الثاني الرضا عليه السلام. وذكروا له القاباً اخرى ايضاً. وامه ام ولد اسمها سمانة من بلاد المغرب، وجاء في تاريخ اهل البيت ان اسم امه هو (مدنب) و(غزال المغربية) و(حديث)[4].

وكان نقش خاتمه كما ذكر ابن الصباغ المالكي، **«الله ربي وهو عصمتي من خلقه»**[5].

وحسب رواية الشيخ المفيد وآخرين فقد قُبض الامام الهادي عليه السلام في رجب عام ٢٥٤هـ، بعد اقامة في سامراء استمرت عشرين سنة وتسعة اشهر[6].

وفي تلك الحقبة التاريخية، كانت الخلافة العباسية بيد المعتز، وهو الخليفة

---

(١) تاريخ بغداد، ج٢ ص٥٧، راجع كتاب مسند الهادي، ص١٣ ـ ١٤، تاريخ اهل البيت ص٨٦.

(٢) اليافعي في «مرآة الجنان» ج١، ص١٦٠، يشير الى الموضوع اعلاه ويقول ان اسم العسكر أُطلق على سامراء لأن المعتصم انتقل اليها مع عسكره.

(٣) تاريخ اهل البيت ص٨٦.

(٤) تاريخ اهل البيت ص١٢٣ ـ ١٢٤.

(٥) الفصول المهمة، ص٢٧٧.

(٦) تاريخ بغداد، ج١٢، ص٥٦.

الثالث عشر في سلسلة خلفاء بني العباس. وقد ذكر ابن شهرآشوب ان الامام استشهد في هذا التاريخ، ونقل عن ابن بابويه ان المعتمد العباسي هو الذي سمه ولكن الثابت تاريخياً ان المعتمد تولّى الخلافة عام ٢٥٥هـ.

ورغم ان الخبر الاصلي لشهادة الامام مذكور في الاخبار التاريخية الا ان الكثير من المؤرخين اما اهملوه ولم يشيروا اليه، أو نقلوه قولاً.

واشار المسعودي وسبط بن الجوزي الى وفاة الامام بالسم وقالا: «أنها رواية تاريخية»[١].

إن مما لا شك فيه ان العداء للعلويين وزعمائهم بالخصوص كان قائماً آنذاك. وكان عمر الامام يتراوح بين الاربعين والاثنين واربعين عاماً وما كان يشكو من اي عارض مرضي. كما أنه كان موجوداً في سامراء وتحت رقابة الخلفاء العباسيين.

فهذه القرائن تدعم الرواية القائلة باستشهاده وتجعل احتمالها قوياً، فضلا عن وجود بعض الروايات الدالة على استشهاد جميع الائمة، وسبق لنا ان اشرنا اليها في مواضع اخرى.

## امامته عليه السلام:

تسلم الامام الهادي عليه السلام الامامة وعمره ست سنوات، وذلك بعد استشهاد ابيه الامام الجواد عليه السلام عام ٢٢٠هـ، ولما كانت مشكلة البلوغ قد حُلت بالنسبة

(١) مروج الذهب، ج ٤ ص٨٦، تذكرة الخواص ٣٦٢، ر.ك، الفصول المهمة ص٢٨٣.

للامام الجوادعليه السلام فلم يحصل ادنى شك في امامته بالنسبة لكبار شخصيات الشيعة. وقد ذكر الشيخ المفيد والنوبختي ان جميع شيعة الامام الجواد دخلوا في طاعة الامام الهادي الا افراداً قلائل تبعوا لامد قصير موسى بن محمد المعروف بالمبرقع المتوفى في العام ٢٩٦هـ والمدفون في قم[١]، ثم تركوا القول بامامته بعد مدة قصيرة واعتقدوا بامامة الهادي[٢].

ويرى سعد بن‌عبدالله الاشعري ان سبب مفارقتهم لموسى‌المبرقع والتحاقهم بالامام الهاديعليه السلام هو ان موسى كذّبهم وتبرّأ منهم، وممن ادعى امامة لنفسه[٣].

اما الطبرسي وابن شهرآشوب فهما يريان ان اجماع الشيعة عليه، والتفافهم حوله، خير دليل على صحة امامته[٤]. ومع ذلك فقد بين المرحوم الكليني وآخرون اخبار امامته. ويتضح من بعض الاحاديث ان الامام الجوادعليه السلام حين طلب منه الحضور الى بغداد من قبل المعتصم العباسي فهم مغزى هذا السفر وادراك مدى خطورته، فبادر الى تعيين الامام الهاديعليه السلام وصيا له[٥].

اضافة الى ذلك، فقد اصدر الامام نصاً مكتوباً بامامة ولده الهاديعليه السلام بحيث لم يبقَ هناك اي مجال للشك»[٦].

(١) انظر الى: رسالة الميرزا حسين النوري حول موسى المبرقع، تحت عنوان: (البدر المشعشع، في احوال ذرية موسى المبرقع). وقد دافع عنه بشدة في هذه الرسالة.

(٢) فرق الشيعة ص٩١ـ٩٢، الفصول المختارة من العيون والمحاسن، ص٢٥٧.

(٣) المقالات والفرق، ص٩٩.

(٤) اعلام الورى ص٣٣٣، المناقب ج٢ ص٤٤٣، مسند الامام الهاديعليه السلام ص٢٠.

(٥) الكافي، ج١ ص٣٣٣، بحار الانوار ج٥٠، ص١١٨.

(٦) الكافي ج١ ص٣٢٥، انظر بحار الانوار ج٥٠ ص١١٨ـ١٢٣، مسند الامام الهادي ص١٨ـ٢٢.

## سياسة المتوكل ازاء الامام الهادي:

معروف عن المعتصم العباسي انه حكم منذ شهر رجب من العام ٢١٨هـ وحتى ربيع الاول من العام ٢٢٧هـ، ثم حكم من بعده الواثق حتى ذي الحجة من السنة ٢٣٢هـ. ثم تولى الحكم من بعده الخليفة المتوكل الذي بقي حياً حتى العام ٢٤٧هـ، ثم اعقبه المنتصر الذي استلم الحكم لمدة سنة واحدة وتوفي سنة ٢٤٨هـ، ثم انتقلت مقاليد الحكم الى المستعين بالله الذي استمر حتى العام ٢٥١هـ، ثم ولي الخلافة من بعده المعتز حتى العام ٢٥٥هـ[1].

والمشهور ان وفاة الامام الهادي كانت في سنة ٢٥٤هـ.

وكانت سياسة المأمون الى ما قبل مجيء المتوكل الى الخلافة هي السياسة المتبعة في الحكم. وهي سياسة تقوم على التمسك بمذهب المعتزلة والدفاع عنهم، وهذا يعني فسح المجال تلقائياً أمام الشيعة والعلويين. ولكن الامور تغيرت بمجيء المتوكل الى سدة الحكم حيث ابتدأ التشدد والضغط من جديد وانتهجت سياسة الدفاع عن آراء اهل الحديث وتحريضهم ضد المعتزلة والشيعة. وهو ما نجم عنه قمع هذين المذهبين بشدة.

وقد اشار ابو الفرج الاصفهاني في بداية حديثه عن النهضات العلوية في عهد المتوكل الى الشدة التي مارسها المتوكل في قمع الطالبيين كما اعتبر وزيره عبدالله بن يحيى بن خاقان يحمل نفس النظرة العدائية ضدهم. فيزين له القبيح في معاملتهم، حتى بلغ فيهم ما لم يبلغه احد من خلفاء بني العباس قبله. وكان من ذلك ان كرب قبر الحسين وعفى آثاره. ووضع على الطرق مسالح له لا يجدون

(١) اخذت هذه التواريخ من كتاب (انساب الخلفاء والولاة) ص٣. (المولف زامباور).

احداً الا اتوا به فقتله أو انهكه عقوبة[1]. وكان الدافع لذلك ان كربلاء صارت سبباً لشد الناس عاطفياً مع الافكار الشيعية والائمة. واورد ابو الفرج الاصفهاني بعض التفاصيل عما كان يلاقيه العلويون في المدينة من ضيق وعسر، مما يتقرح له الفؤاد ألماً.

## جلب الامام الى سامراء:

في اعقاب تلك الممارسات القاسية التي مورست ضد الامام الهادي عليه السلام وهو في المدينة، امر المتوكل بجلبه الى سامراء، وكان غرضه من ذلك مراقبة تحركات الشيعة وزياراتهم. وكان المأمون من قبله قد مارس نفس السياسة بهدف السيطرة على تحركات الامامين الرضا والجواد عليهما السلام.

وهناك اخبار تاريخية متعددة موجودة في كتب التاريخ والحديث عن جلب الامام من المدينة الى سامراء، الا أننا سنحاول التوفيق فيما بينها للخروج بخبر جامع عنها.

ففي سنة ٢٣٣هـ قرر المتوكل المجيء بالامام من المدينة الى سامراء، وذكر الشيخ المفيد ان ذلك كان في سنة ٢٤٣هـ، وهو غير صحيح. إذ ان هذا التاريخ اشارة الى السنة التي استنسخ فيها احد الشيعة رسالة المتوكل الى الامام[2]، لكن الشيخ

---

(١) مقاتل الطالبيين، ص ٣٩٠.

وذكر ضمن هذا السياق: «ان جماعة من محبي الامام الحسين عليه السلام زاروا قبره سراً في الليل، ووضعوا عليه بعض العلائم، ولما قُتل المتوكل جاءوا الى كربلاء مع سائر العلويين والطالبيين، واخرجوا تلك العلائم، واعادوا القبر على ما كان عليه».

(٢) انظر الارشاد، ص ٣٣٢، الكافي ج ١ ص ٥٠١.

تصور خطأ انها تاريخ جلب الامام الى سامراء . ففي تلك السنة كتب عبدالله بن محمد الهاشمي رسالة الى المتوكل جاء فيها : اذا كانت لك في الحرمين حاجة فاخرج علي بن محمد منها، فانه قد دعا الناس الى نفسه، واتبعه خلق كثير. ومن بعد هذا انفذ المتوكل يحيى بن هرثمة ليأتيه بالامام الهادي عليه السلام الى سامراء[1].

واشار ابن الاثير الى ظلم المتوكل للشيعة، وان هناك جماعة كانت تسايره في هذا الاتجاه منهم عبدالله بن محمد الهاشمي، وقد حذروه من العلويين وكانوا يحرضونه على نفيهم، والاساءة اليهم[2].

وذكر ابن الجوزي ايضاً ما جرى عند المتوكل من قدحٍ وسعاية ضد الامام الهادي عليه السلام وقال انه اشخصه الى سامراء لخبر بلغه بأن الناس قد افتتنوا به[3]. وذكرالشيخ المفيد انالامامارسل كتاباً الى المتوكل فنّد فيه ما بلغه عنه من اخبار[4].

وكتب المتوكل جواباً على كتاب الامام يتناسب مع مكانته، وقال فيه انه قد عزل عبدالله بن محمد الهاشمي عما كان يتولاه من الحرب والصلاة في مدينة الرسول، وطلب من الامام ايضاً ان يأتي الى سامراء، واكد في كتابه على معرفته بشخصية الامام، وتقديره لمكانته، وانه مستعد للبر به، وانه قد نصب محمد بن الفضل بدلاً عن عبدالله بن محمد، وامره باكرامه وتبجيله، والانتهاء الى رأيه. ثم ذكر في كتابه أنه مشتاق لرؤيته وإحداث العهد معه والنظر اليه. وطلب اليه الشخوص الى سامراء مع من شاء من اهل بيته ومواليه على مهل وطمأنينة. واذا

(١) بحار الانوار ج ٥٠، عيون المعجزات.

(٢) الكامل، ج٧ ص ٢٠، راجع كتاب مقاتل الطالبيين ص ٤٨٠.

(٣) تذكرة الخواص، ص٣٥٩.

(٤)الارشاد، ص٣٣٣.

احب ان يرافقه يحيى بن هرثمة ومن معه من الجند ويكون تحت طاعته فالامر اليه في ذلك.

ثم طلب المتوكل يحيى بن هرثمة وامره ان يسير الى الكوفة بثلاثمائة جندي وينزل فيها، ثم يذهب منها الى المدينة عن طريق البادية، ويأتيه بعلي بن محمد مكرّماً[1]. وواضح ان المتوكل انما فعل ذلك خشية حدوث حساسية سياسية في المجتمع.

ورغم كل ذلك فقد علم اهل المدينة بتلك القضية حيث ينقل ابن الجوزي قائلاً: «**يقول يحيى بن هرثمة: وجهني المتوكل الى المدينة فلما دخلتها ضج اهلها وعجوا ضجيجاً وعجيجاً ما سمعت مثله، فجعلت اسكتهم، واحلف اني لم أؤمر فيه بمكروه**»[2].

غير انه يظهر بوضوح انه كان مأموراً بأخذ الامام الهاديعليه السلام الى سامراء بالاكراه ولذا ورد في تتمة الرواية السابقة أنه فتّش منزل الامام فلم يُصب فيه الا مصاحف ودعاء وما اشبه ذلك. وهذا ما جعل يحيى يُفتتن به[3].

وقد روي فيكتاب عيونالمعجزات ان يحيى عندما قدمالمدينة بدأ عبدالله بن محمد فاوصل الكتاب اليه، ثم ركبا جميعاً الى ابي الحسنعليه السلام، واوصلا اليه كتاب المتوكل فاستأجلها ثلاثة أيام. فلما كان بعد ثلاثة عادا الى داره فوجدا الدواب مسرجة والاثقال مشدودة، فخرج متوجهاً الى العراق مع هرثمة[4].

---

(١) تذكرة الخواص، ص٢٥٩.

(٢) نفس المصدر، مروج الذهب ج٤ ص٨٤.

(٣) بحار الانوار ج٥، ص٢٠٩.

(٤) المباحث ج٢ ص٤٥٤، مسند الامام الهادي ص٤٤.

## اقامته عليه السلام في سامراء:

قدم الامام الى سامراء فاستقبله الناس، واقام في دار خزيمة بن حازم[1]. يقول يحيى بن هرثمة فلما قدمت الى مدينة السلام بدأت باسحق بن ابراهيم الطاهري، وكان على بغداد، فقال يا يحيى ان هذا الرجل قد ولده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمتوكل من تعلم، فان حرضته على قتله، كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خصمك. فصرت الى سامراء وقلت لوصيف بخبر وصول الامام، فقال: والله لأن سقط من رأس هذا الرجل شعرة لا يكون الطالب بها غيري. وذهب الى المتوكل وعرفته ما وقفت عليه من امره، وسمعته من الثناء فاحسن جائزته، واظهر بره وتكريمه[2].

ينقل الشيخ المفيد ان الامام لما وصل الى سامراء امر المتوكل بأن يحجب عنه في يومه. فنزل في خان يعرف بخان الصعاليك وفي اليوم التالي افردت له دار فاقام فيها. يقول صالح بن سعيد: «**دخلت على ابي الحسن يوم وروده فقلت له: جعلت فداك في كل الامور ارادوا اطفاء نورك والتقصير بك حتى انزلوك هذا الخان الاشنع خان الصعاليك**»[3].

اقام ابو الحسن عليه السلام في سامراء عشرين عاماً وعدة اشهر وتوفي فيها، وقال الشيخ المفيد: «**كان فيها الامام مكرّماً في ظاهر حاله، يجتهد المتوكل في ايقاع حيلة به فلا يتمكن من ذلك**»[4].

---

(١) اثبات الوصية ص٢٢٨.

(٢) مروج الذهب، ج٤ ص٨٥.

(٣) الارشاد، ص٣٣٤.

(٤) الارشاد ص٣٣٤.

## مواقف الامام من المتوكل:

وخلال المدة التي اقامها الامام في سامراء كان يبدو على الامام انه يحيا حياة طبيعية، الا ان المتوكل كان يرمي ـ سوى ما ذكرناه من المراقبة الى ادخاله ضمن نطاق البلاط العباسي واسقاط شخصيته. وقد قال الطبرسي في هذا الصدد: «ان المتوكل كان يسعى للحط من مكانة الامام في قلوب الناس»[1].

واورد المسعودي في مروج الذهب مثالين لمواقف الامام الهادي عليه السلام من المتوكل[2]. فقد نقل عن محمد بن يزيد المبرد أنه قال: «سأل المتوكل الامام الهادي عليه السلام: ما يقول ولد أبيك (يعني أنت) في العباس بن عبدالمطلب؟ قال: ما يقول ولد ابي يا امير المؤمنين في رجل فرض الله تعالى طاعة بنيه على جميع خلقه، وفرض طاعته على بنيه؟.

فانشرح المتوكل لجواب الامام الذي كان يعني تأييداً له في الظاهر وأجازه بمائة الف درهم».

وانما اراد ابو الحسن طاعة الله على بنيه فعرّض[3].

وهذا يظهر ان الامام كان مُعرضاً للتهديد المباشر من قبل المتوكل، وكان عليه التزام مبدأ التقية، لكنه تحدث بذكاء يدركه اهل الالباب، واصحاب الافهام، ويعرفون المقصد الحقيقي الذي انطوى عليه كلامه.

وفي نفس هذا السياق قيل للمتوكل ان ابا الحسن يعني علي بن محمد بن

---

(١) اعلام الورى، ص٤٣٨.

(٢) واشار ايضاً الى موقف الامام من زينب الكذابة وقال انها كرامة اخرى له.

(٣) مروج الذهب ج ٤ ص ١٠ ـ ١١.

علي الرضا عليه السلام يفسر قوله عزوجل: **﴿يوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت من الرسول سبيلاً﴾**[1] بالاول والثاني قال: فكيف الوجه في امره؟ قالوا: تجمع له الناس وتسأله بحضرتهم فان فسرها بهذا كفاك الحاضرون امره، وان فسرها بخلاف ذلك افتضح عند اصحابه. فوجه الى القضاة وبني هاشم والاولياء وسُئل عن ذلك، فقال عليه السلام: هذان رجلان كنى عنهما، ومنَّ عليهما بالستر، افيحب اميرالمؤمنين ان يكشف ما ستره الله؟ قال: لا أُحب[2]. وبهذا تخلص الامام من خطر كان يواجهه من ابناء العامة.

واورد المسعودي خبـراً آخـر في مروج الذهب قال: «سُعي الى المتوكل بعلي بن محمد الجواد عليه السلام ان في منزله كُتباً وسلاحاً من شيعته من اهل قم، وانه عازم على الوثوب بالدولة، فبعث اليه جماعة من الاتراك، وهجموا على داره ليلاً فلم يجدوا فيها شيئاً، ووجدوه في بيت مغلق عليه وعليه مدرعة من صوف وهو جالس على الرمل والحصا، ومتوجه الى الله تعالى يتلو آيات من القرآن. فحمل على حاله تلك الى المتوكل وقالوا له: لم نجد في بيته شيئاً ووجدناه يقرأ القرآن مستقبل القبلة. وكان المتوكل جالساً في مجلس الشراب، فدخل عليه والكأس في يد المتوكل. فلما رآه هابه وعظّمه واجلسه الى جانبه، وناوله الكأس التي كانت في يده. فقال: والله ما يخامر لحمي ودمي قط، فاعفني فاعفاه، فقال: انشدني شعراً: فقال عليه السلام اني قليل الرواية للشعر، فقال لابدّ: فانشده عليه السلام وهو جالس عنده:

**باتوا على قلل الاجبال تحرسهم غلب الرجال فما اغنتهم القُلَلُ**
**واستنزلوا بعد عز من معاقلهم فأُودعوا حُفراً يا بئس ما نزلوا**

---

(١) الفرقان: ٢٧.

(٢) مروج الذهب ج ٤ ص ١١.

**ناداهم صارخ من بعد ما قُبروا ... اين الاسرة والتيجان والحلل**
**اين الوجوه التي كانت مُنعمة ... من دونها تُضرب الاستار والكلِل**
**فافصح القبر عنهم حين ساءلهم ... تلك الوجوه عليها الدود تنتقلُ**
**قد طالما عمروا دوراً لتُحصنهم ... ففارقوا الدور والاهلين وانتقلوا**
**وطالما كنزوا الاموال وادخروا ... فخلّفوها على الاعداء وارتحلوا**
**اضحت منازلهم قفراً معطلة ... وساكنوها على الاحداث قد رحلوا**

يقول المسعودي: فبكى المتوكل حتى بلّت دموعه لحيته، وبكى الحاضرون، وامر بمائدة الشراب فرفعت، ثم سأل ابا الحسن عليه السلام: هل عليك دين؟ قال: اربعة آلاف دينار.

فدفع اليه اربعة الاف دينار ثم رده الى منزله مُكرماً[1]. كما ارسل له المتوكل مبلغاً آخر من المال، الا ان الامام عرض عليه ان ينفقه في سبيل الله»[2].

وكان استلام الهدايا من الخلفاء يختلف باختلاف الظروف والاموال التي تقدم فيها الهدايا ويمكن مراجعة الكتب الفقهية لمعرفة المباحث الفقهية المتعلقة بها بشكل اوسع.

وفي احد الايام امر المتوكل جميع اهل مملكته من الاشراف ومن اهله وغيرهم والوزراء والامراء والقواد وسائر العساكر ووجوه الناس ان يزينوا بأحسن التزيين، ويظهروا في افخر عددهم وذخائرهم، ويخرجوا مشاة بين يديه، وان لا يركب الا هو والفتح بن خاقان، فشق على الامام عليه السلام ما لقيه من الحر والزحمة،

---

(١) مروج الذهب ج ٤، ص ١١، مرآة الجنان ج ٢ ص ١٥٩، تتمة المختصر ص ٣٤٧.
(٢) تذكرة الخواص، ص ٣٦٠.

فدعا الامام بدعاء (المظلوم على الظالم)[1]. وسنذكر قسماً منه في مكان آخر.

كان المتوكل يسعى وبكل اصرار الى اشراك الامام الهاديعليه السلام في مجالس اللهو والطرب، وكان من الطبيعي ان تؤدي مثل هذه المكيدة الى اسقاط هيبة الامام في نظر الشيعة وانصاره وهو امامهم وقدوتهم، لكنه (اي المتوكل) اعترف بعجزه وعدم قدرته على اسقاط هيبة الامام في مثل هذه المكيدة، فكان يقول:

**«ويحكم قد اعياني امر ابن الرضا، ابى ان يشرب معي أو ينادمني أو اجد منه فرصة في هذا»**[2].

لقد كان لشخصية الامام من الجلال والعظمة والهيبة في سامراء ما يدفع بالجميع الى احترامه وتقديره، والخضوع امام هيبته[3]. لكن هذا الحال ما كان ليرضي المتوكل، فكان يزداد ضغطه عليه وشدته في معاملته[4].

وفي الايام الاخيرة من حياته، كان المتوكل قد عزم على قتل الامام. يقول ابن اورمة. **«خرجت الى سر من رأى فدخلت الى سعيد الحاجب ودفع المتوكل ابا الحسنعليه السلام اليه ليقتله. وبعد يومين هجم الترك ـ كما توقع الامام الهاديعليه السلام ـ على المتوكل في فراشه ليلاً وقتلوه. فنجا منه الامام»**[5].

وقد ورد في احاديث اخرى ايضاً ان المتوكل امر بحبس الامام، لكنه قتل

---

(١) مهج الدعوات ص ٢٦٥، مسند الامام الهادي ص١٨٦ ـ ١٩١.

(٢) كشف الغمة ج٢ ص ٣٨١.

(٣) المقالات والفرق، ص١٠٥.

(٤) كشف الغمة ج٢ ص ٣٩٤.

(٥) كشف الغمة، ج٢ ص ٣٩٤.

بعد ثلاثة أيام[1].

## احوال الشيعة في عهد المتوكل:

صارت الخلافة بعد مقتل المتوكل الى ابنه المنتصر، فنتج عن ذلك تقليل الضغوط التي كانت تمارس ضد الشيعة والامام الهاديعليه السلام، وان كانت الضغوط ظلت متواصلة ضد الشيعة في سائر البلاد[2]. فقد كان الشيعة في عهد المتوكل يئنون تحت وطأة الضغوط الشديدة، وكان من الواضح طبعاً ان تناقص تلك الضغوط بعد المتوكل كان يؤدي الى تقوية التنظيمات الشيعية في المناطق المختلفة وكان الامام كلما اعتقل واحد من وكلائه عيّن غيره، فكان من شيعته وكيله علي بن جعفر الذي قُبض عليه واودع الحبس[3].

وكذا محمد بن الفرج وقد قبض عليه في مصر واحضر الى العراق وبقي في السجن ثماني سنوات[4].

يقول الدكتور جاسم حسين بهذا الخصوص: «نقل الكندي ان الشيعة الامامية في مصر كانوا عرضة لمضايقة واذى الوالي هناك يزيد بن عبدالله التركي، فقبض على (ابي حُدُرّى)[5] وهو من كبار العلويين، وعلى اصحابه. وكانوا متهمين

---

(١) المناقب ج١ ص٤٤٧، مسند الامام الهادي ص٤١، هناك اخبار كثيرة عن مواقف الامام الهاديعليه السلام مع المتوكل. لا يمكننا التطرق اليها في هذه العجالة.

(٢) انظر: التاريخ السياسي لغيبة الامام الثاني عشرعليه السلام ص٨٥.

(٣) اثبات الوصية ص٢٣٢.

(٤) بحار الانوار ج٥، ص١٤٠.

(٥) هو محمد بن علي (ابن الحسن) بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب.

بالنشاط الخفي ضد الحكومة، وأُبعدوا الى العراق في عام ٢٤٨هـ[1]. ويقول الشيخ الكليني ايضاً: «ان عمليات الحبس والملاحقة قد أثرت على اتباع الامام الهادي عليه السلام[2] فعلى سبيل المثال: قُتل محمد بن حجر، وحبس حاكم مصر سيف ابن الليث، وتزامناً مع تلك الاحداث التي القبض على اصحاب الامام الهادي عليه السلام في سامراء[3]، واصبح وكيله في الكوفة، ايوب بن نوح مطلوباً من قبل قاضيها»[4].

وكان الامام ابو الحسن عليه السلام يخاطب الشيعة ويدعوهم الى الحفاظ على مكانتهم الاجتماعية، ومراعاة الجوانب الظاهرية، ومعالم الزينة والجمال في الشخصية. فعندما رأى الامام احد الشيعة يمشي وفي يده سمك قال له: «**يا معشر الشيعة، انكم قد عاداكم الخلق فتزينوا بما قدرتم عليه**»[5].

وكثيراً ما كان الشيعة يدخلون في المناصب الحكومية بامرٍ من الائمة عليهم السلام ليكونوا عوناً للشيعة في الاوقات المناسبة.

فكان يعقوب بن يزيد من كتّاب المنتصر، ومع ذلك فقد نقل عنه ان له كتباً منها كتاب البداء وكتاب المسائل ونوادر الحج و... الخ[6]. وبديهي ان هؤلاء كانوا يعملون سراً، والا فان الخلفاء كانوا يضيقون على كل من له علاقة بالامام

---

(١) ولاة مصر، ص٢٢٩.

(٢) الكافي ج١ ص٥١١ ـ ٥١٣.

(٣) المناقب ج٤ ص٤١٦.

(٤) كشف الغمة، ج٣ ص٢٤٧، نقلاً عن تاريخ سياسي غيبت امام دوازهم، (التاريخ السياسي لغيبة الامام الثاني عشر).

(٥) الكافي ج٦ ص٤٨٠.

(٦) رجال النجاشي ص٣٥٠.

الهادي، ويطردونه ويقطعون رزقه[1]. وان كان هذا الضغط قد قلَّ في عهد المقتدر بشكل مُلفت النظر.

وفضلاً عن شيعة الامام واصحابه فهناك ما يقرب من مائة وتسعين صحابياً رووا عن الامام الهادي عليه السلام. روى مائة وثمانون منهم ـ على اقل تقدير ـ مواضيع واحاديث مختلفة عنه.

وكانت لدى الشيعة في ذلك الوقت كتب الاحاديث والفقه والكلام التي ألّفها اصحاب الائمة، وكانوا يعرضون اسئلتهم ومشاكلهم على الامام الهادي عليه السلام عن طريق الوكلاء، وكان الامام بدوره يوجههم الى الاصحاب ذوي السبق، والمحبين لأهل البيت[2]. ويمكن ان نستشف من القرائن اللاحقة، ان التشيع كانت له قاعدة جماهيرية واسعة رغم ان التاريخ لا يقدّم لنا معلومات دقيقة في هذا المجال. ومن المؤكد ان هذا الانتشار يعزى الى العمل الدؤوب الذي كان يبذله ائمة الشيعة ووكلائهم الى محبة المسلمين العميقة لاهل البيت عليهم السلام.

وفي عهد الامام الهادي عليه السلام قام زعماء المذهب الزيدي بالعديد من الثورات في ارجاء مختلفة من البلاد الاسلامية والحصيلة العامة هي ان الزيدية صاروا مرفوضين من قبل الشيعة بسبب مواقفهم المتشددة ازاء الامامية. لكن الكثير منهم كانوا مخلصين في ثوراتهم، وهذا ما كان يؤدي الى اجتذاب الشيعة عاطفياً نحوهم وبشكل طبيعي ويمكن لمن يرغب في الحصول على اخبار تلك الحركات والانتفاضات الرجوع الى كتاب مقاتل الطالبيين لابي فرج الاصفهاني وكتاب تاريخ الطبري... الخ.

---

(١) امالي الشيخ ج١ ص٢٩١، مسند الامام الهادي ص٣٨ ـ ٣٩.

(٢) رجال الكشي، ص١١، مسند الامام الهادي ص٨٢.

## وكلاء الامام الهادي عليه السلام وصلاحياتهم:

كانت حياة ائمة الشيعة المتأخرين مقرونة عادة برقابة شديدة من خلفاء بني العباس، ومع ذلك فقد لاحظنا انتشار الشيعة في جميع البلاد الاسلامية. ويمكن ملاحظة ذلك الانتشار في المؤلفات المناهضة للشيعة، وفي الاجراءات السياسية والعسكرية التي مارسها الحكام ضدهم. وقد تحدثنا في فصل آخر عن علاقة الامام ابي الحسن علي الهادي عليه السلام بالشيعة الايرانيين. وعلى نفس تلك الشاكلة كانت علاقة الامام عليه السلام مع شيعة العراق واليمن ومصر والبلدان الاخرى.

اما الاسلوب الذي كان يجعل من تلك العلاقة علاقة متينة ومتواصلة، فهو اسلوب نظام الوكالة، فقد كان الوكلاء يتولون عملية تنظيم الاتصال بين الامام الرضا ثم الامام الجواد ثم الامام الهادي عليهم السلام والشيعة. وكان واجبهم يتمثل في جمع الخمس اضافة الى مسؤوليتهم في الاجابة على المسائل الفقهية والكلامية، وما كان لهم من دور في تثبيت الامامة للامام اللاحق. وقد يحصل ان ينحرف بعضهم فيقوم الامام بتكذيبه ويستبدله بشخص آخر، كما كان لنظام الوكالة دور حيوي في تثبيت الوضع الثقافي والسياسي للشيعة الامامية.

وكتب الدكتور جاسم حسين يقول: «يُستفاد من الاخبار التاريخية، ان المناطق التي كان ينبغي بث الوكلاء فيها تقسم الى اربعة اقسام وهي:

**المنطقة الاولى**: وتشمل بغداد والمدائن والسواد والكوفة.

**والمنطقة الثانية**: وتشمل البصرة والاهواز.

**والمنطقة الثالثة**: وتشمل قم وهمدان.

**والمنطقة الرابعة**: وتشمل الحجاز واليمن ومصر»[1]..

وكان ارتباط هؤلاء الاشخاص مع الامام يتم في الغالب عبر الكتب وعن طريق من يوثق بهم ممن كانوا يذهبون الى الحجاز لغرض الحج او الى العراق لزيارة قبر الامام الحسين عليه السلام.

ولهذا السبب اشرنا في دراستنا لحياة الامام الجواد والامام الحادي عشر، الى ان اكثر معارفهم الفقهية والكلامية قد نُقلت الى شيعتهم بواسطة المكاتيب ثم انتقلت من تلك المكاتيب الى الكتب التي تعتبر اليوم مصادر الحديث.

فمن وكلاء الامام الهادي عليه السلام علي بن جعفر الوكيل، وهو من قرية (همينيا) من قرى بغداد، سعي به الى المتوكل فقبض عليه وحبس، وقضى فترة طويلة في الحبس فلما اخلي سبيله، ذهب بأمر الامام الهادي عليه السلام الى مكة وأقام فيها[2]، وقد أيد الامام الهادي عليه السلام موقفه ازاء احد رؤساء الغُلاة يُدعى فارس بن حاتم القزويني وكتب في ذلك كُتباً في الاجابة على بعض اسئلة الصحابة وقد كتب احد هذه الكتب في العام ٢٤٠هـ[3].

ومن وكلائه ايضاً ابراهيم بن محمد الهمداني وكان حسب ما نقل الكشي من وكلاء الامام الهادي حج اربعين حجة[4]، وكتب له الامام كتاباً، ونوّه له الامام في كتاب بعثه له الى أنه «**قد وصل الحساب تقبل الله منك ورضي عنهم وجعلهم معنا في الدنيا والآخرة**».

(١) التاريخ السياسي لغيبة الامام الثاني عشر (بالفارسية) ص١٣٧.
(٢) رجال الكشي ص٦٠٧ـ٦٠٨، تنقيح المقال ج٢ ص ٢٧١، عن الكشي، اثبات الوصية ص ٢٣٢.
(٣) رجال الكشي ص٥٢٥ ـ ٥٢٧.
(٤) نفس المصدر ص٦٠٨.

ومن الواضح ان الرسالة تتحدث عن الارتباط المالي لهذا الوكيل ـ الذي استلم الخمس من الشيعة وارسله الى الامام ـ وكتب له الامام في هذا الكتاب: **«انني اوصيت فيك النضر بن محمد الهمداني[1] واعلمته بمكانتك عندي، وقلتُ له ان لا يضيق عليك. وامرت ايوب بن نوح الدراج[2] بنفس الامر، وكتبت ايضاً الى اصحابي في همدان كتاباً امرتهم فيه باتباع امرك، ولا يوجد وكيل سواك في تلك الناحية**[3].

ومن وكلاء الامام الهادي ايضاً الحسين بن عبد ربه ـ او كما ذكرت بعض المصادر ـ هو ابنه علي عليه السلام، ومن بعده عيّن الامام علي بن راشد محله. وكتب الامام في عام ٢٣٢هـ كتاباً الى علي بن بلال، قال فيه بعد حمد الله والثناء عليه:

**«ثم اني أقمتُ ابا علي مقام الحسين بن عبد ربه، وائتمنته على ذلك بالمعرفة بما عنده الذي لا يتقدمه احد، وقد اعلم انك شيخ ناحيتك فاحببت افرادك واكرامك بالكتاب بذلك، فعليك بالطاعة له، والتسليم اليه جميع الحق قبلك، وان تخص مواليَّ على ذلك، وتعرفهم من ذلك ما يصير سبباً الى عونه وكفايته فذلك توفير علينا ومحبوب لدينا، ولك به جزاء من الله واجر، فان الله يعطي من يشاء افضل الاعطاء والجزاء برحمته. وانت في وديعة الله. وكتبت بخطي واحمد الله كثيراً»**[4].

يعكس هذا الكتاب واجبات وحدود صلاحيات الوكلاء، وعلاقة الوكلاء

---

(١) تنقيح المقال: ج٢ ص٢٧١.

(٢) تنقيح المقال ج١ ص١٥٩.

(٣) رجال الكشي ص٦١١ ـ ٦١٢.

(٤) رجال الكشي ص٥١٣.

الادنى بهم، والذين يتحلمون اساساً مسؤولية مناطق شاسعة. وقد كُتب كتاب آخر من قبل الامام عن ابي علي بن راشد اوضح فيها مكانته واعتبر فيها طاعته طاعة للامام ولله.

**«فقد اوجب في طاعته طاعتي والخروج الى عصيانه الخروج الى عصياني. فالزموا الطريق يأجركم الله، ويزيدكم في فضله»**[1].

وكتب الامام كتاباً آخر وجّهه الى ايوب بن نوح امره فيه بعدم الاكثار بينه وبين ابي علي، وان يلزم كل واحدٍ منهما ما وكل به، وامر بالقيام فيه في امر ناحيته، واوصى ابا علي ايضاً بمثل ما اوصى به أيوب، وطلب من الاثنين ان يتولى كل واحد منهما الشؤون المالية لما يليه من الشيعة، وان لا يقبلا شيئاً من اموال شيعة المناطق الاخرى[2].

ويحتمل ان يكون احمد بن اسحق الرازي ايضاً من وكلاء الامام علي بن محمد الهادي عليه السلام اذ يُستفاد هذا المعنى من الخبر الذي اورده الكشي عن اسماعيل ابن اسحق النيسابوري[3]. ويُعتبر احمد من الشيعة الثقاة طوال حياة الائمة الاواخر وخلال فترة الغيبة الصغرى ايضاً.

(١) رجال الكشي ص ٥١٤.

(٢) رجال الكشي ص ٥١٤.

(٣) مسند الامام الهادي عليه السلام ص ٣٢٠.

## الامام الهادي عليه السلام والشيعة في ايران:

لا ريب ان اكثر الشيعة هم من اهل الكوفة، وهذه الحقيقة يمكن الحصول عليها من خلال مراجعة كتب رجال الشيعة. اذ غالباً ما نرى في هذه الكتب ان اسماء اكثر الشيعة تشير الى انهم من الكوفة، رغم ان ذلك لا يعني كون اولئك الرجال من العرب، فنسبتهم الى الكوفة كنسبة بعض اصحاب الائمة منذ عهد الامامين الباقر والصادق عليهما السلام فصاعداً الى قم، فيقال لهم القميون مع انهم كانوا من العرب الاشاعرة الذين سكنوا قم.

ففي زمن الامام الهادي عليه السلام كان مركز التشيع في ايران هو مدينة قم، وكان لشيعتها، وشائج متينة مع الائمة عليهم السلام وينبغي التأكيد على ان: كل مظاهر الانحراف والغلو التي حصلت في العراق، حدث في قم ما يقابلها من اعتدال ومناهضة للتوجهات المغالية، واصرار من شيعة هذه المدينة على مواقفهم. والرسالة المعروفة التي كتبت الى الامام الهادي عن الغلو، صدرت من هذه المدينة وكثيراً ما كانت الافكار المعادية للغلاة سائدة في اجوائها[1].

والى جانب قم كانت مدينتي آبة أو آوه ومدينة كاشان كذلك متأثرة بالثقافة الشيعية وتحكمها مثل هذه الاتجاهات اذ جاء في بعض الروايات ان (محمد ابن علي القاساني) كتب الى الامام يسأله عن التوحيد، فكتب له الامام الجواب[2].

وكان لاهل مدينة قم طبعاً ارتباط مالي واسع مع الامام الهادي عليه السلام. ووردت في الروايات اسماء مثل: (محمد بن داود القمي) و(محمد الطلحي) كانوا

---

(١) انظر: تاريخ التشيع في ايران منذ البداية وحتى بداية القرن السابع (بالفارسية) ص١١٧ ـ ١٢٣.

(٢) الكافي ج١ ص١٠٢، التوحيد ص١٠١.

يوصلون الى الامام الاموال والاخبار من مدينة قم[١].

ومن التهم التي وجهت للامام ابي الحسن الثالث عليه السلام هي استلامه اموالاً من اهل قم[٢]. وكان اهالي مدينتي قم وآبـة يسافرون الى خراسان لزيارة مشهد الامام الرضا عليه السلام، وكان الامام الهادي ايضاً يعتبرهم من المغفور لهم بسبب زيارتهم للرضا عليه السلام[٣].

ومثل هذه العلاقة كانت قائمة ايضاً بين الائمة ومدن اخرى. هذا في وقت كانت فيه المدن الايرانية آنذاك ذات ميول مذهبية سُنية سببها تسلط الأمويين والعباسيين وكان الشيعة فيها يشكلون اقلية قليلة.

وكان من اصحاب الامام الهادي عليه السلام رجل يدعى صالحاً ويعُرف بابي مقاتل الديلمي، وقد ألف هذا الشخص كتاباً عن الامامة من الناحية الروائية والكلامية[٤]، وقد بدأ الوجود الشيعي ينمو في الديلم منذ أواخر القرن الثاني للهجرة وكان شيعتها في الغالب من الشيعة المهاجرين من العراق اضافـة الى بعض اهلها الذين كانـوا على المذهب الشيعي.

ولا شك ان الأنساب والالقاب التي تختتم بها اسماء بعض اصحاب الامام الهادي تدلنا الى حدٍّ ما على المدينة التي ينتسبون اليها في ايران مثل: بشر بن بشار النيسابوري، الفتح بن يزيد الجرجاني، احمد بن اسحق الرازي، الحسن بن سعيد الاهوازي، حمدان بن اسحق الخراساني، علي بن ابراهيم الطالقاني، وهي امثلة

(١) مشارق الانوار ص١٠٠، مسند الامام الهادي ص٤٥.

(٢) امالي الشيخ ج١ ص٢٨٢، المناقب ج٢ ص٤٥١، مسند الامام الهادي عليه السلام ص٣٧.

(٣) عيون اخبار الرضا عليه السلام ج٢ ص٢٦٠.

(٤) مسند الامام الهادي ص٣١٧، تنقيح المقال، ج٢ ص٩٠.

لاشخاص من مختلف المدن الايرانية وكانوا من اصحاب الامام علي الهادي عليه السلام.

واضحت مدينتا نيسابور[1] وجرجان[2] بمرور الزمن من اكثر مراكز نفوذ الشيعة في القرن الرابع، بسبب ما كان يبذله الشيعة فيهما من جهود.

وهناك شواهد تدل على وجود اصحاب للامام في مدينة قزوين[3] ومدينة اصفهان التي اشتهر عنها انها من المدن السنية المتعصبة للمذهب الحنبلي ـ وهكذا كانت في واقع الحال ـ حيث كانت تشتمل احياناً على اشخاص من الشيعة من جملتهم ابراهيم بن شيبة الاصفهاني، وهو من اصحاب الامام الهادي عليه السلام. وهذا الرجل وان كان اصله كاشانياً، الا ان من المحتمل ان يكون قد عاش في اصفهان مدة من الزمن. وحالة معاكسة لهذه كانت موجودة ايضاً، فعلي بن محمد القاساني [الكاشاني] كان اصفهاني الاصل، وهو ايضاً من اصحاب الامام الهادي عليه السلام[4].

وورد في خبر تاريخي اخر اسم عبدالرحمن، وانه كان من اهالي هذه المدينة [اصفهان] فشاهد كرامة من الامام الهادي عليه السلام في سامراء فاصبح شيعياً. وفي القرن الرابع كان في هذه المدينة من يحب الامام علياً عليه السلام اكثر من حبه لداره وعياله[5]، وكان عددهم كثيراً. وذكر الامام في كتاب له بعثه الى وكيله في همدان قال فيه بأنني اوصيك خيراً بمحبينا في همدان[6].

---

(١) احسن التقاسيم ص٣٦٧/٣١٥/٣٧١/٣٥٨.

(٢) نفس المصدر ص٣٦٦.

(٣) رجال الكشي، ص٥٢٦.

(٤) مسند الامام الهادي، ص١٣٣.

(٥) مختصر تاريخ دمشق ج ١٠ ص ١٠٤.

(٦) رجال الكشي، ص ٦١٠.

## اصالة القرآن في فكر الامام الهادي:

من الانحرافات التي اشاعها غلاة الشيعة وأساءوا فيها الى سمعة هذا المذهب على مر التاريخ هي قضية تحريف القرآن. وهي القضية التي تمس اهل السُنة ايضاً، نظراً لاحتواء كتبهم على بعض الاحاديث غير الصحيحة الدالة على تحريف القرآن.

وفي نفس الوقت لم يكن بين اهل السنة ولا بين الشيعة الامامية من غير الغُلاة من يعتقد بتحريف القرآن. بل كانوا على العكس من ذلك يعارضون هذا الأمر بشدة. ومع ذلك فان الذي يظهر من كتاب (الانتصار) للخياط المعتزلي شيوع نسبة تهمة تحريف القرآن الى الشيعة على الالسن[1].

كان ائمة الشيعةعليهم السلام ازاء مثل هذه الاتهامات الباطلة يعطون الاصالة للقرآن دوماً في مقابل الروايات، ويعتبرون كل حديث مخالف للقرآن باطلاً كما كان الكثير من اهل السنة يعتقد بنفس هذا المبدأ ايضاً. لكن المهم هو تطبيق هذا المبدأ عملياً وبشكل صحيح. فقد نقل ابن شعبة الحراني رسالة مستفيضة عن الامام الهاديعليه السلام يؤكد فيها بشدة على اصالة القرآن، وكونه المعيار لقياس صحة الروايات، اضافة الى اعتبار القرآن النص الوحيد الذي تتفق جميع الفرق والمذاهب على الاعتقاد به.

حيث قسم الامام أوّلاً الاخبار الى صنفين:

**الاول**: الاخبار الصحيحة التي يلزم اتباعها والاقرار بها.

---

(١) الانتصار ص٤١.

**الثاني**: الاخبار المنافية للحق والتي يلزم اجتنابها وعدم القبول بها.

ثم اشار الامام الى اجماع الامة على ان القرآن حق، وانه لا تشك فيه فرقة. ثم قال: فاذا وافق القرآن خبراً فلم تقبله جماعة فالحق قبوله والاقرار به فان الكل مجمعون على صحة القرآن، ثم مثّل لذلك بخبر الثقلين ذاكراً الآية الكريمة: ﴿**انما وليكم الله..**﴾[1]، استناداً الى شأن نزولها الذي رواه اهل السنة. وبعد ان ضرب هذا المثل انتقل الى شرح معنى «**لا جبر ولا تفويض بل امر بين امرين**»، واستشهد بالقرآن على تصديق صحة هذا الخبر من خلال استعراضه للآيات الدالة عليه. وقد اقترن هذا العمل بتقديم عشرات الآيات القرآنية التي تشير الى التفويض من جهة، والى الجبر من جهة اخرى. واستشهد كذلك بالحِكم التي نطق بها اميرالمؤمنين عليه السلام في هذا المجال[2].

## الامام الهادي عليه السلام وعلم الكلام عند الشيعة:

ان الاختلافات التي برزت بين الفرق الشيعية ادت الى تعقيد عمل الائمة[3] في توجيه الشيعة، وكان مما يزيد في المصاعب التي يواجهونها تفرق الشيعة في الامصار المختلفة، وذلك ما يجعلهم عرضة للتأثر احياناً بالآراء والافكار المنتشرة هناك. وفي خضم ذلك المعترك كان أتباع الفرق الاخرى وغيرهم من المتعصبين ضد الشيعة ياججون نار الاختلاف، ويبذلون المساعي المحمومة لتعميق هوة الصراع، وتوسيع فجوة الخلافات الفكرية. فقد ذكر الكشي رواية تبرز بوضوح

---

(١) المائدة: ٥٥.

(٢) تحف العقول ص٣٣٨ ـ ٣٥٦.

(٣) المناقب ج٢ ص٤٤٣، مسند الامام الهادي، ص٢٨ ـ ٢٩.

كيف ان احد اتباع الفرق الاخرى قسّم الشيعة الى فرق، واطلق على كل واحدة منها اسم واحد من كبار اصحاب الامام الصادق عليه السلام مثل زرارة، وعمار الساباطي، وابن يعفور... الخ. فسماها بالزرارية والعمارية واليعفورية(١).

وكان الائمة عليهم السلام يواجهون مختلف انواع الاسئلة التي يكون منشؤها احياناً نفس الاختلافات الداخلية بين رجال الشيعة، وان كان بعض تلك الاختلافات لا تعدو ان تكن لفظية أو صورية. واحدى هذه المسائل الكلامية هو النقاش الذي دار حول قضية التشبيه والتنزيه.

فأئمة الشيعة عليهم السلام قد اكدوا ومنذ البداية على التنزيه، والخطب الواردة عن الامام علي عليه السلام في نهج البلاغة ـ والتي صارت في متناول ايدي الائمة وشيعتهم من بعده ـ افضل دليل يثبت صحة قولنا.

وكذلك الروايات الاخرى الواردة عن الائمة التي جمعها الشيخ الصدوق بعد جهود شاقة في كتاب التوحيد، وجمعها ايضاً الشيخ الكليني في الكافي كلها تشير الى هذا المعنى. ومع كل ذلك فقد كانت تهمة التشبيه من التهم المتداولة بين اتباع الفرق الاخرى ضد الشيعة. اما المنصفون منهم فكانوا على اقل تقدير يعتبرون المشبهة احد فرق الرافضة. ولا يخفى ما قام به الائمة من جهود لرد تلك التهمة وتفنيدها وشجبها عن الشيعة، وألّف الشيخ الصدوق كتاب التوحيد لدفع تهمة «التشبيه والجبر» عن الشيعة(٢).

والقضية التي نبحثها الآن هي كلام هشام بن الحكم وهشام بن سالم. ان

---

(١) رجال الكشي ص ٢٦٥، قاموس الرجال، ج ٩ ص ٣٢٤.

(٢) التوحيد، ص ١٧.

هذين الشخصين وان اختلفا فيما بينهما، وألّف ابن الحكم رسالة في الرد على ابن سالم[1]، الا ان عدم الاستخدام الصحيح للفظة الجسم واطلاقها على الله ادى الى الصاق تُهمة التشبيه والتجسيم بالشيعة من قبل بعض اصحاب الملل والنحل، كما اعتبر هشام بن الحكم من المشبهة الرافضة[2]. لكن هل ان هشاماً كان يعتقد بالتجسيم ام لا؟ موضوع اختلف فيه المحققون.

ولقد ثبت في هذا الصدد ضمن مقالة مؤكدة ان هشاماً ما كان يعتقد حقيقة بالتجسيم بل استخدم كلمة الجسم كجزء من معناها العام المتداول، واعتبر الجسم مساوياً للشيء[3]. وقد التفت الائمةعليهم السلام الى سوء استغلال الآخرين لرأي هشام هذا ـ وفي الحقيقة يمكن اعتبار تلك الحالة انحرافاً ذوقياً من هشام ـ فابدوا معارضتهم له في الوقت الذي كانوا يؤكدون على ان عقائد هشام صحيحة اساساً وأنه لا يؤمن بالتشبيه حقيقة.

كما يجب الاعتراف بان وجـود ذلك المقدار الكبير من روايات اهل البيت في مجال التنزيه، يجعل من البعيد لهشام ان يتجاهل ذلك باجمعه، وهو الشيعي الملتزم بمذهبه.

وقد سقنا هذه المقدمة لغرض ايضاح رواية نذكرها هنا لتفنيد عقيدة هشام ابن الحكم حتى لا يحصل فيها اي التباس.

يقول صقر بن ابي دلف: **«سألت ابا الحسن علي بن محمد بن موسى**

---

(١) رجال النجاشي ص٣٠٤.

(٢) الانتصار، ص٦١.

(٣) انظر مقولة: (جسم لا كالاجسام) بين موقف هشام بن الحكم ومواقف سائر اهل الكلام، السيد محمد رضا الجلالي، مجلة تراثنا، العدد ١٩ ص٧ـ١٠٨.

**الرضا(ع) عن التوحيد وقُلت له: اني اقول بقول الهشام بن الحكم، فغضب(ع) ثم قال: ما لكم ولقول هشام انه ليس منا من زعم ان الله عزوجل جسم ونحن منه براء في الدنيا والآخرة، يا ابن ابي دلف ان الجسم محدث، والله محدثه ومجسمه»**[1].

ويقول محمد بن فرج الرخجي: «**كتبت الى ابي الحسن(ع) اسأله عما قال هشام بن الحكم في الجسم وهشام بن سالم في الصورة، فكتب(ع): دع عنك حيرة الحيران واستعذ من الشيطان، ليس القول ما قال الهشامان**»[2].

وكتب السيد الجلالي مشيراً الى عبارة (في الجسم) قائلاً: «ليس المقصود منها ان هشاماً كان يقول (بالجسم) اي الاعتقاد بالتجسيم، بل أنه كان يقول (في الجسم) وهو اشارة الى استعمال كلمة الجسم ـ بالمعنى الخاص الذي يقصده هشام ـ بشأن الله جل وعلا»[3].

وقد جوبهت مقولة هشام هذه بردود فعل شديدة من جانب الامامين الصادق والكاظم(عليهما السلام)[4].

وهذا الجدل الذي دار بين الهشامين قد احدث اختلافاً بين الشيعة وجعل الائمة عرضة لاسئلة متواصلة من الشيعة. وكتب ابراهيم بن محمد الهمداني الى الامام ابي الحسن(ع): «**ان من قبلنا من مواليك قد اختلفوا في التوحيد، فمنهم من يقول صورة، ومنهم من يقول جسم**». فكتب(ع) بخطه: «**سبحان من لا يحد**

---

(١) التوحيد: ص ١٠٤.

(٢) التوحيد، ص٩٧.

(٣) مقالة: مقولة «جسم لا كالاجسام» تراثنا، شمارة ١٩، ص٩٢.

(٤) انظر التوحيد، ص٩٧ ـ ١٠٠.

**ولا يوصف، ليس كمثله شيء وهو السميع العليم، ـ او قال ـ البصير»**[1].

ونُقِل ان مثل هذا السؤال قد طُرح من قبل اشخاص آخرين كمحمد ابن علي الكاشاني وغيره، وهذا يعكس لنا مدى سعة الاختلاف الفكري في ذلك الزمن.

اما بشأن موضوع استحالة رؤية الله جل شأنه ـ حيث اشتهر عن المشبهة واصحاب الحديث قولهم بامكان الرؤية في يوم القيامة على الاقل ـ فقد وردت في هذا الصدد رواية عن الامام الهادي عليه السلام يبين فيها عدم امكانية رؤية الله[2].

وقد نقلت في هذا المضمار عن الامام الهادي عليه السلام اكثر من واحد وعشرين رواية ـ بعضها مستفيضة ـ وكلها تعكس ما قاله عليه السلام في باب التنزيه[3].

ولدينا ايضاً رسالة مبسوطة منقولة عن الامام عليه السلام بشأن عقيدة ائمة الشيعة في مسألة الجبر والتفويض حيث شرح الامام في هذه الرسالة الرواية الواردة عن الصادق عليه السلام: «**لا جبر ولا تفويض بل امرٌ بين امرين**»، على ضوء الآيات القرآنية، واوضح فيها بدقة الاسس الكلامية عند الشيعة في باب الجبر والاختيار[4] يقول عليه السلام:

**«لكنا نقول: ان الله جل وعز خلق الخلق بقدرته، وملكهم استطاعة تعبدهم بها، فامرهم ونهاهم بما اراد فقبل منهم اتباع امره، ورضي بذلك لهم، ونهاهم**

---

(١) التوحيد ص١٠٠، الكافي، ج١ ص١٠٢.

(٢) الكافي ج١ ص٩٧، التوحيد ص١٠٩.

(٣) الكافي ج١ ص١٢٦.

(٤) تحف العقول، ص٣٣٨ ـ ٣٥٦، مسند الامام الهادي ص١٩٨ ـ ٢١٣.

**عن معصيته وذم من عصاه وعاقبه عليها، ولله الخيرة في الامر والنهي يختار ما يريد ويأمر به، وينهى عما يكره ويعاقب عليه بالاستطاعة التي ملكها عباده لاتباع امره واجتناب معاصيه، لأنه ظاهر العدل والنصفة والحكمة البالغة»**[1].

وتتطرق بقية الرواية لتبيان الشبهات التي تُفهم من ظواهر بعض الآيات وتفيد معنى الجبر، وتتولى الاجابة عليها.

وقد تضمنت الروايات التي نقلت عن الامام الهاديعليه السلام في باب الاحتجاجات معارف اكثر في هذا الصدد[2].

## الامام الهاديعليه السلام ومسألة خلق القرآن:

إن من اهم القضايا التي تعرض لها العالم السُني في بداية القرن الثالث وادت به الى التشتت والفرقة هي قضية الصراع على مسألة خلق القرآن أو قِدَمه، وهذه المسألة اشاعها احمد بن ابي داود[3]، وتبعه على ذلك المأمون. ومن بعده المعتصم، وسعوا الى اكراه جميع العلماء والمحدثين على الاعتقاد بخلق القرآن، وسميت هذه القضية تاريخياً باسم محنة القرآن.

وكان احمد بن حنبل على رأس اهل الحديث الذين يعتقدون بعدم الخلق، وتعرض اثر ذلك للكثير من الضغط والسياط من جانب الحكومة العباسية. وفي نفس الوقت لما جاء المتوكل من بعد المعتصم عاضد ابن حنبل وتآزرا على انهاء

(١) مسند الامام الهادي ص٢٠٥.

(٢) مسند الامام الهادي ص١٩٨ ـ ٢٢٧.

(٣) الطبقات السُنية في تراجم الحنفية، ج١ ص٢٩ ،(طبعة الرياض١٩٨٣).

القضية لصالح مذهب ابن حنبل، واخراج الآخرين من الساحة بالقوة.

ولقد دخلت جميع المذاهب والفرق في ذلك المعترك، واظهر كل واحد منها وجهة نظره الخاصة في هذا الموضوع، لكن روايات اهل البيت عليهم السلام -على ما نعلم[1]- وآراء اصحاب الائمة لم تبحث في هذه القضية بل التزموا الصمت ازاءه.

وفي ايدينا كتاب من الامام ابي الحسن الهادي الى احد شيعته يأمره فيه بعدم الادلاء باي راي في هذا المضمار، لا الى جانب خلق القرآن، ولا الى جانب قِدمه، ونص كتاب الامام هو:

**«بسم الله الرحمن الرحيم، عصمنا الله واياك من الفتنة، فان تفعل فبها ونعمت، وان لم تفعل فهي الهلكة. نحن نرى ان الجدال في القرآن بدعة اشترك فيه السائل والمجيب.**

**فتعاطى السائل ما ليس له وتكلف المجيب ما ليس عليه. ليس الخالق الا الله وما سواه فمخلوق.**

**فالقرآن كلام الله لا تقبل له اسماً من عندك فتكون من الظالمين، جعلنا الله واياك من الذين يخشون الله بالغيب وهم من الساعة مشفقون»**[2].

ومن الطبيعي ان مثل هذا الكتاب، وما شابهه من المواقف ادى الى عدم تورط الشيعة في هذه المحنة التي لا نهاية لها.

---

(١) يعود هذا الرأي الى الاستاذ المحقق السيد مهدي الروحاني (حفظه الله). واني مدين له في اصل عنوان هذا البحث.

(٢) متشابه القرآن ومختلفه، ج ١ ص ٦١. وفي نفس هذه الصفحة جاءت رواية عن السجاد عليه السلام انه قال: لا خالق ولا مخلوق بل كلام الخالق.

## الامام الهادي عليه السلام والصوفية:

نرى من المناسب هنا ان ننقل حديثاً ورد عن الامام الهادي عليه السلام في الصوفية:

فقد جاء عن ابن حمزة انه نقل عن محمد بن الحسين بن ابي الخطاب أنه قال: «**كنت مع الامام الهادي عليه السلام في مسجد المدينة اذ جاءت جماعة وفيهم ابو هاشم الجعفري، وكان متكلماً بارعاً وصاحب مكانه رفيعة عند الامام. ثم دخلت من بعدهم ثلة من الصوفية، فاعتزلوا جانباً، وشكلوا حلقة وبدأوا بالتهليل**[1]**، فقال الامام الهادي عليه السلام: لا تغتروا بهؤلاء فهم اولياء الشيطان، وماحقوا دعائم الدين، احترفوا الزهد للراحة وتهجدوا لايقاع الناس في الاغلال.**

**ولم يتهلل هؤلاء سوى لخداع الناس ولم يقتصدوا في المأكل سوى لاغوائهم وبث الفرقة بينهم. فاورادهم الرقص، واذكارهم الترنم. لم يتبعهم الا السفهاء، ولم يلحق بهم سوى الحمقى.**

**من زار احدهم حياً او ميتاً لم يزر في الحقيقة الا الشيطان، ومن اعانهم فما اعان الا يزيد ومعاوية وابا سفيان». ثم تحدث الامام عن عداء الصوفية لاهل البيت وشبههم بالنصارى**[2].

## ثقافة الدعاء والزيارة في كلمات الامام الهادي عليه السلام:

ان تركيز اسس الامامة والولاية وتقويض دعائم الظلم والاستبداد يفرض الالتفات الى امر هو ان المذهب الشيعي غني بثقافة الدعاء والزيارة، واما سائر

---

(١) قول «لا إله الا الله».

(٢) ذرايع اللسان ج ٢ ص ٣٧، نقلاً عن منهاج التحرك عند الامام الهادي ص ١٣٩ ـ ١٤٠.

الفرق الاسلامية فهي لا تمتلك ولا حتى نصف ما يمتلكه الشيعة من هذا التراث الثر. وهذا ما يعكس الصورة الباطنية للتشيع والتي خلقت العرفان الشيعي وبلورت لدى المجتمع الشيعي مبادي الاخلاص الديني وتزكية النفس، واحتل الدعاء مكانة سامية عند ائمة الشيعة وبالخصوص منهم ذلك العدد من الائمة الذين ركزوا على الدعاء وخلفوا تراثا يفوق ما خلفه باقي الائمة.

وكنا قد تحدثنا ـ قبل هذا ـ عند استعراضنا لحياة الامام السجادعليه السلام عن دور الدعاء واهميته. وفي حياة الامام الهادي ايضاً نرى ان للدعاء والزيارة دوراً حيوياً في توعية الشيعة، وتزويدهم بالمعارف الشيعية.

فالادعية ـ اضافة الى ما تشتمل عليه من ذكر ومناجاة ـ تتضمن بشكل أو آخر اشارات الى القضايا السياسية والاجتماعية. وهي اشارات كان لها تأثيرها العميق في الحياة السياسية للشيعة وتلقين المجتمع الشيعي بعض المفاهيم الخاصة الواحد تلو الآخر نشير فيما يلي الى بعض الامثلة منها:

١ ـ **ايجاد وتوثيق الصلة بين الامة واهل البيت:** اذ تتضمن الادعية تحيات وصلوات متلاحقة على محمد وآله، وهذا من الادلة على صحة انتساب هذه الادعية الى الائمة.

كما ان في هذه الادعية تأكيداً خاصاً على علاقة الامة بآل محمد، نذكر على سبيل المثال.

**«اللهم فصلِّ على محمد وآله ولا تقطع بيني وبينهم في الدنيا والآخرة واجعل عملي بهم متقبلاً»**[1].

---

(١) مصباح المتهجد، ص٢٣٩، مسند الامام الهادي ص١٧٨.

**٢ ـ التأكيد على مكانة اهل البيت في قيادة الامة:** فقد اكدت الزيارات المروية عن الامام الهادي عليه السلام مرات ومرات على هذا المعنى ووصفتهم بـ**«معدن الرحمة وخزّان العلم، وقادة الامم، وساسة العباد، وامناء الرحمن، وائمة الهدى، وورثة الانبياء، وحجج الله على اهل الدنيا والآخرة والاولى»**[1].

وجاء ايضاً في نفس هذه الزيارة خطاب للائمة يقول فيه: **«اشهد انكم الائمة الراشدون المهديون المعصومون المكرمون المقربون المتقون الصادقون المصطفون المطيعون لله»**.

فالعبارات السابقة تستعرض خصائص الائمة عليهم السلام، وتقدم للشيعة معنى الامام، والمواصفات التي ينبغي ان تتوفر فيه.

**٣ ـ الدين الصحيح يتمثل في مذهب اهل البيت:** وهذه الادعية والزيارات تعلم الشيعة معنى الشهادة، فيخاطب احدهم ائمته قائلاً:

**«وجاهدتم في الله حق جهاده حتى اعلنتم دعوته، وبيّنتم فرائضه واقمتم حدوده، ونشرتم شرائع احكامه، وسننتم سنته و... وفصل الخطاب عندكم وآيات الله لديكم وعزائمه فيكم ونوره وبرهانه عندكم وامره اليكم»**.

وبهذا تكون المعارف الالهية الحقة في مذهب اهل البيت وحده، واتباع هذا المذهب فقط هم اهل الحق والا فسواهم خارج عن الدين. **«فالراغب عنكم مارق واللازم لكم لاحق»**[2].

---

(١) من لا يحضره الفقيه، ج٢ ص٦٠٩، عيون اخبار الرضا عليه السلام ج٢ ص٢٧٢، التهذيب ج٦ ص٩٥، مسند الامام الهادي ص٢٤٧.

(٢) مسند الاما م الهادي ص٢٤٩.

٤ ـ **مقارعة الظلم**: وان من اوضح المعالم البارزة في الفكر الشيعي مقارعته للظلم وهذا المعنى يتجسد بدقة في ادعية الامـام الهادي عليه السلام، وخاصة دعاء المظلوم على الظالم الذي جرى به لسان الامام ويدعو فيه ربه لازالة الظلم ومحق الظالمين. صحيح ان ظاهر هذا الامر متروك لله، لكن المهم توعية الناس الى وجود الظلم وتعريفهم باشكاله المختلفة، لأن تلك هي الخطوة الاساسية في ازالته وقد تُلي هذا الدعاء على اثر الظلم الذي واجهه الامام من المتوكل. ومن الواضح انه ذو بعد سياسي:

**«فها انا اذ يا سيدي مستضعف في يديه، مستضام تحت سلطانه، مستذل بعنائه مغلوب مبغي عليّ، مغصوب... فاسألك يا ناصر المظلوم المبغي عليه اجابة دعوتي، فصلِّ على محمد وآل محمد وخذه من مأمنه اخذ عزيز مقتدر، وافجائه في غفلته مفاجأة مليك منتصر، واسلبه نعمته وسلطانه، وافضض عنه جموعه واعوانه، ومزّق ملكه كل ممزق، واقصمه يا قاصم الجبابرة، واهلكه يا مهلك القرون، وابره يا مبير الامم الظالمة، واخذله يا خاذل الفئات الباغية»**[1].

## الامام الهادي عليه السلام وغلاة الشيعة:

لم تكن المشاكل الداخلية التي واجهها الشيعة، بأقل من المشاكل التي كانت تضغط من خارج المجتمع الشيعي، خاصة وان المشاكل الداخلية نفسها كان لها اكبر الاثر في ايجاد المشاكل الخارجية. لذا فقد بذل ائمة الشيعة جهوداً مضنية في

---

(١) مسند الامام الهادي: ص١٨٩ ـ ١٩٠.

سبيل تنقية الفكر الشيعي من انحراف المغالاة، وتنحية المغالين عن مذهب الشيعة. الا ان الغلاة كانوا ينسبون انفسهم للائمة لدوافع انتهازية ونفعية، او بسبب تفكيرهم الخاطئ، بل وكانوا يتصورون تصدي الائمة لهم نوعاً من التقية. وأما في المناطق البعيدة فلولا وجود العلوم الشيعية والفقه الشيعي لانخدع الكثير منهم بادعاءات الغلاة ولكان لذلك تأثيره الكبير في تشويه سمعة الشيعة في اذهان الفرق الاخرى.

واصطدم الامام الهادي عليه السلام -كما هو الحال بالنسبة لسائر الائمة عليهم السلام- مع الغلاة، وكان من بين اصحابه من يدعي نفس ذلك الادعاء.

فقد كان احمد بن محمد بن عيسى من علماء الشيعة المعتدلين، وكان شديد التمسك بالائمة عليهم السلام، ويعارض اي نوع من الغلو، وقد روى هذا الرجل بأنه كتب الى الامام الهادي في قوم يتكلمون ويقرأون احاديث ينسبونها اليك والى آبائك فيها ما تشمئز منها القلوب، ولا يجوز لنا ردّها اذا كانوا يروون عن آبائك عليهم السلام، ولا قبولها لما فيها.

وينسبون الارض الى قوم يذكرون انهم من مواليك، وهو رجل يُقال له علي بن حسكة، وآخر يقال له القاسم اليقطيني. ومن اقاويلهم: أنهم يقولون ان قول الله تعالى: **﴿ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾** معناها رجل لا سجود ولا ركوع. وكذلك الزكاة معناها ذلك الرجل لا عدد درهم ولا اخراج مال، واشياء من الفرائض والسنن والمعاصي تأوّلوها وصيّروها على هذا الحد الذي ذكرت. فان رأيت ان تُبين لنا وان تمن على مواليك بما فيه السلامة لمواليك ونجاتهم من هذه الاقاويل التي تخرجهم الى الهلاك، فكتب عليه السلام: «**ليس هذا ديننا**

**فاعتزله»**[1].

ونُقل نظير هذا الكلام عن ابراهيم بن شيبة وسهل بن زياد وكان جواب الامام في احد تلك الاخبار مستفيضاً، ويرد فيه على ابن حسكة وما يدعيه، ويعتبر قوله غير صحيح ويأمر الشيعة بالابتعاد عنهم بل ويحثهم على قتلهم انّى وجدوهم[2]. وجاء في حديث آخر ان الامام لعنهما[3].

كان علي بن حسكة استاذاً لقاسم الشعراني، وهو من كبار الغُلاة ايضاً وملعون على لسان الائمةعليهم السلام[4]، ومن تلامذة علي بن حسكة الاخرين حسين بن محمد بن بابا القمي، وكذلك محمد بن موسى الشريعي، أو التشريعي.

وكان ممن لعنهم الامام الهاديعليه السلام محمد بن نصير النميري، وفارس بن حاتم القزويني. واعلن الامام في كتاب آخر غضبه على ابن بابا القمي وقال: «**لقد ظن اني بعثته نبياً وأنه بابى**» وقال عنه ايضاً: «**اذا قدرتم عليه فاقتلوه**»[5]. وقد ادعى محمد بن نصير النميري النبوة ايضاً ـ وهو رئيس فرقة النميرية او النصيرية[6] ـ واشاع انه قد ارسل نبياً من جانب الامام الهاديعليه السلام، وكان يعتقد بتناسخ الارواح وربوبية الامام الهادي، وقيل انه كان يجيز نكاح المحارم ونكاح الذكور، وكان محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات يعضده ويقوي اسبابه،

---

(١) رجال الكشي، ص٥١٨ ـ ٥١٩.

(٢) رجال الكشي، ص٥١٨ ـ ٥١٩.

(٣) رجال الكشي، ص٥١٨ ـ ٥١٩.

(٤) رجال الكشي ص٥١٨ ـ ٥٢٠.

(٥) رجال الكشي ص٥١٨ ـ ٥١٩.

(٦) فرقة النصيرية من فرق الغلاة المشهورة وهم يُعرفون الآن باسم (العلوية) و(النصيرية).

وافترق اصحابه من بعده الى عدة فرق[1].

ومن الغلاة الآخرين الذين ظهروا في تلك الفترة العباس بن صدقة وابو العباس الطرفاني او [الطبراني] وابو عبدالله الكندي المعروف بـ(شاه رئيس) وكانوا من رؤوس الغلاة[2].

وقد امر الامام ابو الحسن علي الهادي عليه السلام بشأن فارس بن حاتم فقال: «**كذبوه واهتكوه ابعده الله واخزاه**»، وأما بشأن الاختلاف الذي وقع بين فارس وعلي بن جعفر المتوكل فقد امر الامام بمعاضدة علي بن جعفر واجتناب فارس وعدم ادخاله في شيء من امور الشيعة. ثم ان الامام امر اصحابه بقتل فارس وضمن لقاتله الجنة، وكلّف بذلك احد الشيعة واسمه جُنيد وبعد ان استلم جُنيد الأمر من قبل الامام، قصد الى فارس وقتله.

ان الروايات الكثيرة التي وردت بشأنِ فارس في كتاب رجال الكشي، تنمّ عن مدى خطورة ذلك الرجل على الشيعة،حيث كثرت اسئلتهم للامام بشأنه، وكان الامام يبدي غضبه عليه واستنكاره لفعله[3].

وكتب السري بن سلامة كتاباً الى الامام الهادي عليه السلام يُعلمه فيه بأخبار الغلاة وفسادهم، فدعا الامام الشيعة الى الثبات، وعدم الوقوع تحت تأثيرهم[4].

ومن اصحاب الامام الهادي عليه السلام الآخرين الذين تحولوا الى غلاة احمد بن

---

(١) رجال الكشي ص ٥٢١، فرق الشيعة ص ٩٣، المقالات والفرق ص ١٠٠ ـ ١٠١، راجع كتاب ابن ابي الحديد ج ٢ ص ٣٠٩، الغيبة ص ٢٥٩.

(٢) رجال الكشي، ص ٥٢٢ ـ ٥٢٨.

(٣) رجال الكشي، ص ٥٢٢ ـ ٥٢٨.

(٤) الدر النظيم، نقلاً عن كتاب حياة الامام الهادي ص ٣٣٦.

محمد السياري[1] الذي حكم اغلب رجاليي الشيعة بغلوه واعتبروه فاسد المذهب[2]، فهو قد الف كتاب (القراءات) وهو يضم الكثير من الروايات التي تقول بتحريف القرآن، ومن المؤكد ان مثل هذا الكتاب لا يحوي سوى اقاويل باطلة[3] لاسيما وان الامام الهادي قد اكد صحة القرآن وعدم تحريفه عند جميع الفرق الاسلامية وقال:

**«وقد اجتمعت الامة قاطبة لا اختلاف بينهم ان القرآن حق لا ريب فيه عند جميع اهل الفرق»**[4].

ومن غلاة الشيعة الآخرين الحسين بن عبيد وقد اخرجه احمد بن محمد بن عيسى القمي مع جماعة آخرين من مدينة قم بتهمة الغلو. وتجدر الاشارة هنا الى ان التشيع الذي ساد قم هو التشيع الخالص، ولم يكن شيعتها يتحملون ادنى انواع المغالاة. ولهذا فالاشخاص الذين كان القميون يطلقون عليهم لقب الغُلاة احياناً، ليس غلوهم من الغلو الذي يقول بنوع من الربوبية للائمة عليهم السلام. وعلى اي حال فان رفض الائمة المتواصل للغلاة ادى الى تقويضهم وسلبهم اهم سلاح كانوا يتمسكون به وهو الولاية للائمة.

وينبغي الاشارة في الوقت نفسه الى ان اثار الغلو قد بقيت في الاخبار والاحاديث، ويجب على كل مفكر يؤمن بالمذهب الامامي وبسيرة ائمة الشيعة غربلة تلك الاحاديث وازالتها من الفكر الشيعي وكان هناك بعض الاشخاص

---

(١) مسند الامام الهادي ص٣٢٣.

(٢) رجال النجاشي ص٥٨، قاموس الرجال، ج١ ص٦٠٨، معجم رجال الحديث ج٢ ص ٢٩٠.

(٣) انظر كتابنا: اكذوبة تحريف القرآن بين الشيعة والسنة.

(٤) تحف العقول ص٣٣٨.

الصالحين يقعون احياناً ضحية للاخبار والافكار المغالية. فها هو الفتح بن يزيد الجرجاني يروي رواية مستفيضة عن الامام الهاديعليه السلام، ويعترف أنه كان يتصور في الماضي ان الامام لا يأكل ولا يشرب، لأن هذا الفعل لا يتناسب ومقام الامامة.

ولكن الامام قال له في تلك الاثناء: «**يا فتح ان الانبياء اسوة لنا وكانوا يأكلون ويشربون ويمشون في الاسواق. وهذا فعل كل جسم سوى الله الذي افاض الجسمية على الأجسام**»[١].

الا ان هناك اشخاصاً كانوا يشيعون مثل هذه الافكار لأسباب مادية بحتة، من امثال عروة بن يحيى الدهقان وغيره[٢].

---

(١) كشف الغمة ج ٢ ص ٣٣٨، راجع كتاب تنقيح المقال ج ٣ ص ٣.

(٢) رجال الكشي ص ٥٧٣.

# الامام العسكري عليه السلام

**قال الجاحظ: «ومن الذين يعد من قريش او من غيرهم ما بعد الطالبيون في نسق واحد كل واحد منهم عالم زاهد، ناسك، شجاع، جواد، طاهر، ذاكر، فمنهم خلفاء ومنهم مرشحون: ابن، ابن، ابن، ابن... هكذا الى عشرة وهم الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي، وهذا لم يتفق لبيت من بيوت العرب ولا من العجم»**[1].

الامام الحادي عشر من ائمة الشيعة هو الامام الحسن العسكري، ولد ـ على قول الشيخ الكليني ـ في شهر رمضان أو ربيع الثاني من العام ٢٣٢ للهجرة

(١) آثار الجاحظ ص ٢٣٥.

الشريفة، وقبض وهو ابن ثمان وعشرين سنة[1].

وقال ابن خلكان ان ولادته كانت يوم الخميس في احد شهور العام ٢٣١هـ. واورد قولاً آخر انه كان في السادس من ربيع الاول او ربيع الثاني من العام ٢٣٢هـ[2]. وذكر الشيخ المفيد وسعد بن عبدالله انه ولد في ربيع الآخر[3]. وكتب المسعودي ان عمره كان ٢٩ عاماً[4]، فهو يعتبر ولادته في العام ٢٣١هـ طبعاً[5].

وقال اكثر المؤرخين ان استشهاده كان بتاريخ الثامن من ربيع الأول من العام ٢٦٠هـ[6]، وهناك رأي آخر يقول: ان وفاته كانت في جمادي الاولى من ذلك العام[7].

وبما ان وفاة الامام الهادي كانت في العام ٢٥٤هـ، فقد كانت فترة امامته ـ على قول الشيخ المفيد؈ ـ ست سنوات[8] او خمس سنوات وثمانية اشهر على قول سعد بن عبدالله[9].

وقد وقع اختلاف في اسم امه ايضاً وهي ام ولد. اذ ذكرت بعض المصادر ان

---

(١) الكافي، ج١ ص٥٠٣.

(٢) وفيات الاعيان ج٢ ص٩٤، ابن طولون الائمة الاثني عشر، ص١١٣.

(٣) المقالات والفرق، ص١٠٢، الارشاد ص٣٣٥.

(٤) مروج الذهب ج٤ ص١١٢.

(٥) جاء في «تاريخ اهل البيت» ص٨٧ سنة ٢٣١.

(٦) الارشاد، ص٣٣٥، المقالات والفرق ص١٠٢، نور الابصار ص١٦٨، الكافي، ج١ ص٥٠٣، تاريخ اهل البيت ص٨٧.

(٧) وفيات الاعيان ج٢ص ٩٤؟

(٨) الارشاد ص ٣٣٥.

(٩) المقالات والفرق ص١٠٢.

اسمها (حديث) او (حديثة) وقالت اخرى ان اسمها (سوسن)[1]. واعتبر كتاب عيون المعجزات ان اسمها الصحيح هو (سليل) ووصفها بانها كانت من العارفات الصالحات[2]. وجاء في تاريخ اهل البيت ان اسمها هو (سمانة) و(اسماء)[3].

**من القابه:** الصامت، الهادي، الرفيق، الزكي، النقي، واضاف اليه البعض لقب: (الخالص)، وكان اسم ابن الرضا من الاسماء التي عُرف بها الامام الجواد والامام العسكري ايضاً[4]. وكذلك اشتهر الامامان الهادي والعسكري بالعسكريين.

وكان نقش خاتمه على روايتين: «**سبحان من له مقاليد السماوات والارض**»[5]. و«**ان الله شهيد**»[6].

ووصف احمد بن عبدالله بن خاقان الشكل الظاهري للامام بقوله:

«رجل اسمر، اعين، حسن القامة، جميل الوجه جيد البدن، حدث السن، له جلالة وهيبة[7].

---

(١) الكافي ج١ ص٥٠٣، اكمال الدين، ج٢ ص٢٤٩، الفصول المهمة ص٢٨٤، كشف الغمة ج٢ ص ٤٠٢.

(٢) بحار الانوار ج٥ ص٢٣٨.

(٣) تاريخ اهل البيت ص١٢٤.

(٤) المناقب ج٤ ص٤٢١، بحار الانوار ج٥٠ ص٢٣٦، نور الابصار ص١٦٦.

(٥) نور الابصار ص١٦٦.

(٦) بحار الانوار ج٥٠ ص٢٣٨.

(٧) اكمال الدين، ج١ ص٤٠.

## امامته عليه السلام:

اخبر الامام الهادي عليه السلام في سنة وفاته عام ٢٥٤هـ، بوصيته لولده الامام الحسن العسكري بامامة الشيعة الاثني عشرية. أما الاخبار التي روت وصيته لولده فهي موجودة في الكثير من كتب الحديث والتاريخ الشيعية[١]. وان قبول اكثرية الشيعة لامامته يثبت صحة وصية الامام الهادي عليه السلام. وقد انقادت شيعة الامام علي الهادي عليه السلام ومجمل اصحابه لامامة ابنه وفقاً لما نقل سعد بن عبدالله، ولم يشذ منهم سوى من اعتقد بامامة «محمد بن علي» الذي مات في حياة ابنه الهادي عليه السلام، وجماعة قليلة مالت الى جعفر بن علي، وقد اطلق على اتباع جعفر اسم «الجعفرية الخلص»[٢]. ويعتبر المسعودي «جمهور الشيعة» اي الفرقة القطعية من اتباع الامام العسكري وولده[٣].

## الامام في سامراء:

يقول الشيخ المفيد ان الامام العسكري بقي في مدينة العسكر في سامراء لمدة عشر سنوات ونيف[٤] وهذا غير صحيح، لأن ما عداه ذكروا باجمعهم عام ٢٣٣هـ وربما يكون هذا التاريخ مأخوذاً من التاريخ الذي ذكره الراوي للسنة التي استنسخت فيه رسالة المتوكل للامام، لا لاصل تلك الحادثة. وقد حدد ابن

---

(١) ر.ك الغيبة للطوسي ص١٢٠ ـ ١٢٢، كشف الغمة ج٢ ص٤٠٤ ـ ٤٠٧، الارشاد ص٣٣٥، روضة الواعظين ص٢٤٧، بحار الانوار ج٥٠، ص٢٣٩ ـ ٢٤٦.

(٢) المقالات والفرق: ص١٠١.

(٣) مروج الذهب ج٤ ص١١٢.

(٤) الارشاد، ص٣٣٤.

خلكان والآخرون هذه المدة بعشرين سنة وتسعة اشهر، واعتبروها السبب في تسمية هذين الامامين بالعسكريين[1]. ولا شك ان احضار هذين الامامين الى سامراء التي اضحت عاصمة للخلافة العباسية يشبه الى حد بعيد الاجراء الذي لجأ اليه المأمون في جعل الامام قريباً منه. لأن مثل هذا القرب يجعل من المتيسر للخلفاء العباسيين مراقبة علاقات الامام مع شيعته والتعرف على الشيعة الذين يرتبطون بعلاقات وثيقة مع الامام ومن يقصده من شتى ارجاء العالم الاسلامي خصوصاً وان الشيعة كانوا يشكلون خطراً كبيراً على الحكم العباسي، وكان الامام طوال فترة اقامته في تلك المدينة باستثناء الفترة التي قضاها في السجن. وبهذه الصورة كانت عملية مراقبته من قبل الحكومة سهلة جداً، لأن وضع الامام في سامراء كان وضعاً عادياً، ولا يمكن تفسيره الا بكونه مُكرهاً على البقاء فيها. وكانت مثل هذه القضية في غاية الاهمية بالنسبة للحكومة التي كانت تدرك آنذاك وجود شبكة متينة ومنظمة من الشيعة، وهذا ما يستدعي مراقبتها وشل حركتها.

وقد كانت السلطات العباسية طلبت من الامام الابقاء على نوع من الاتصال المستمر بالبلاط حيث ينقل احد خدم الامام قائلاً: كان الامام يذهب في يوم الاثنين والخميس من كل اسبوع الى دار الخلافة[2].

ان مثل هذا التواجد يفهم في الظاهر على أنه نوع من الاحترام وهو في نفس الوقت اسلوب للمراقبة ايضاً.

وقد حدث في احدى المرات ان الخليفة حين خرج للقاء صاحب البصرة اصطحب معه الامام العسكري ايضاً، وكان اصحاب الامام قد اعدوا انفسهم على

---

(١) وفيات الاعيان ج٢ ص٩٤ ـ ٩٥، ياقوت معجم البلدان: ج٤ ص١٢٤، الائمة الاثني عشر ص١١٣.

(٢) الغيبة ص١٢٩، ورد في بعض الاخبار «دار العامة» والظاهر ان المقصود هو نفس دار الخلافة.

طول الطريق لرؤيته[1]. ويُستشف من هذا الخبر ان الامام قد مرت عليه فترة ما كان خلالها قادراً على مقابلة اصحابه بشكل مباشر في داره.

وقال اسماعيل بن محمد ايضاً انه جلس على الطريق في انتظار مرور الامام ليطلب منه بعض المال، فلما مر اخبره بطلبه[2]. وقال ايضاً ابو بكر الفهفكي باني اردت الخروج من سامراء لحاجة عرضت لي، فانتظرت الامام في شارع (ابي قطيعة بن داود) في يوم الموكب حتى اراه حين مروه الى دار العامة[3]. وكذلك قال محمد بن عبدالعزيز البلخي بانه كان ينتظر الامام في شارع (الغنم) ليشاهده وهو يمر متوجهاً الى دار العامة[4]. وكان محمد بن الربيع الشيباني جالساً على باب احمد ابن الخضيب اذ اقبل ابو محمدعليه السلام من دار العامة يوم الموكب فرآه الرجل هناك[5].

وحدّث علي بن جعفر عن الحلبي فقال: «**كنا مجتمعين في العسكر ننتظر قدوم الامام في يوم ذهابه الى دار الخلافة، فوصلتنا رقعة منه فيها:**

**الا لا يسلّمنَّ عليَّ احد، ولا يشير اليَّ بيده، ولا يومئ، فانكم لا تؤمنون على انفسكم**»[6].

وكلام الامام هذا يدل بوضوح على اهتمام الحكام بمراقبة علاقة الامام مع

---

(١) الكافي ج ١ ص ٥٠٩، الارشاد ص٣٨٧، اعلام الورى ص ٣٧٠، كشف الغمة ج ٢ ص ٤٢٥، الخرائج والجرائح ج ١ ص ٤٤٤، الصراط المستقيم ج ٢ ص٢٠٨.

(٢) كشف الغمة ج ٢ ص٤٤٦.

(٣) الخرائج والجرائح ج ١ ص٤٤٦.

(٤)الخرايج والجرائح ج ١ ص٤٤٧، نقل في هاشم المستدرك ج ٩، ص ٧٢، اثبات الوصية ص٢٤٣.

(٥) كشف الغمة ج ٢ ص ٤٢٥، الخرائج والجرائح ج ١ ص ٤٤٥، بحار الانوار ج ٥٠ ص٢٩٣.

(٦) الخرائج والجرائح ج ١ ص٤٣٩، الصراط المستقيم ج ٢ ص٢٠٧.

الشيعة ولا ريب ان الامام والشيعة كانوا يلتقون ببعضهم في الفرص المناسبة، تحت غطاء لا يثير ضدهم الشكوك وخاصة اسلوب (المكاتبة) الذي كان افضل اساليب الاتصال، وهو ما نراه بكثرة في المصادر التاريخية وكتب الحديث.

## مكانته عليه السلام في سامراء:

ورغم صغر سن الامام العسكري الا ان فضله العلمي والاخلاقي وزعامته للشيعة واعتقادهم بامامته، قد اكسبته شهرة واسعة وجعلته موضع اهتمام العام والخاص. وكانت السلطة العباسية تبدي احتراماً خاصاً له في الظاهر باستثناء بعض المواقف.

وهناك رواية مطولة ذكرتها جميع المصادر التي تحدثت عن حياته تعكس مدى اهمية وعظمة مكانته في سامراء. ونظراً لاهمية هذه الرواية التاريخية نذكر فيما يلي جزءاً منها: يقول سعد بن عبدالله الاشعري وهو من مشاهير علماء الشيعة ويحتمل أنه التقى بالامام العسكري ايضاً[١].

**«كنا جالسين في شهر شعبان من العام ٢٧٨هـ بعد ثمانية عشر عاماً من استشهاد الامام العسكري، في مجلس احمد بن عبدالله بن خاقان[٢]، وكان يومها على الضياع والخراج في قم، فجرى في مجلسه ذكر العلوية ومذاهبهم وكان شديد النصب والانحراف عن اهل البيت عليهم السلام فقال:**

**ما رأيت ولا عرفت بسر من رأى رجلاً من العلوية مثل الحسن بن علي**

---

(١) رجال النجاشي ص١٢٦.

(٢) كان ابوه وزير المعتمد العباسي. راجع كتاب الكامل ج٢ ص٢٣٥.

بن محمد بن علي الرضا في هديه وسكونه ونبله وعفافه وكبرته عند اهل بيته وبني هاشم كافة، وتقديمهم اياه في ذوي السن منهم، والخطر وكذلك كانت حاله عند القواد والوزراء وعامة الناس.

واذكر اني كنت قائماً يوماً على راس ابي وهو يؤمُّ مجلسه للناس اذ دخل حجّابه فقالوا: ابو محمد بن الرضا بالباب، فقال بصوت عالٍ: أئذنوا له. فدخل فلما نظر اليه ابي قام فمشى اليه خُطىً، ولا اعلمه فعل هذا باحدٍ من بني هاشم والقواد. فلما دنا منه عانقه وقبل وجهه وصدره، واخذ بيده واجلسه على مصلاه الذي كان عليه، وجلس الى جنبه مقبلاً عليه بوجهه، وجعل يكلمه ويفديه بنفسه.

ولما صار الليل جئت الى ابي وسألته: من الرجل الذي رأيتك بالغداة فعلت به ما فعلت من الاجلال والاكرام والتبجيل وفديته بنفسك وابويك؟ فقال: ذاك ابن الرضا امام الرافضة. وسكت ساعة ثم قال: يا بني لو زالت الخلافة عن بني العباس ما استحقها احد من بني هاشم غيره لفضله، وعفافه وصيانته وزهده، وجميل اخلاقه وصلاحه ولو رأيت اباه رأيت رجلاً جزلاً نبيلاً فاضلاً.

يقول احمد: فازددت قلقاً وتفكراً وغيظاً. فلم تكن لي همة بعد ذلك الا السؤال عن خبره والبحث عن امره، فما سألت احداً من القواد وبني هاشم والكتّاب والقضاة والفقهاء وساير الناس الا وجدته عندهم في غاية الاجلال والاعظام والمحل الرفيع، والتقدم له على جميع اهل بيته ومشايخه، وكلهم يقول: ذاك امام الرافضة، فعظم قدره عندي اذ لم ار له ولياً ولا عدواً الا وهو

**يحسن القول فيه»**[1].

تظهر هذه الرواية بجلاء ما كان يتمتع به الامام من مكانة اخلاقية واجتماعية بين الناس وحتى اعضاء الحكومة، هذا مع ان الراوي من مبغضي اهل البيت عليهم السلام.

ويروي خادمه: **«وكان يوم النوبة يحضر من الناس شيء عظيم، ويغص الشارع بالناس والدواب والضجة، فلا يكون لاحد موضع يمشي ولا يدخل بينهم، فاذا جاء الامام سكنت الضجة حتى يسير بينهم ويصير الى مرتبته التي جعلت له»**[2].

والظاهر ان هؤلاء الناس كانوا يأتون من خارج سامراء لرؤيته او من بقية الناس الذين لا يقلون عن الشيعة حباً لابناء النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

## مدة حبسه عليه السلام:

سبق وان اشرنا الى ان جلب الامام الهادي مع الامام العسكري عليهما السلام الى سامراء من قبل المتوكل العباسي، يُعتبر حبساً لهما في اجواء سامراء، والهدف من وراء ذلك واضح لا يحتاج الى بيان، وكان ذلك الحبس يتحول في بعض الاحيان الى حبس اضيق خاصة عند حصول الازمات التي تهدد بقاء السلطة، فيوضع الامام وبعض اصحابه في السجن.

وهناك روايات كثيرة بشأن حبس الامام العسكري، وهي تناقض نفسها

---

(١) الكافي، ج٢١ ص٥٠٠ـ٥٠٥، الغنية ١٣١ـ١٣٢، اكمال الدين ج١ ص٤٠ـ٤١، اعلام الورى ٣٥٧ ـ ٣٥٩، الارشاد ص٣٣٨، كشف الغمة ج١، ص٤٠٧.

(٢) الغيبة، ص١٢٩.

في بعض الجوانب والسبب في ذلك يعود الى امكان ان يكون حبس عدة مرات من جهة، مضافاً الى اختلاف الرواة فيذكر اسماء الخلفاء من جهة اخرى، ولو ان كل الروايات جُمعت وقورنت مع بعضها لكانت امكانية الوصول الى الحقيقة ايسر وادق. فهناك رواية تشير الى ان المعتز (المخلوع والمقتول في العام ٢٥٥هـ) عندما امر سعيداً الحاجب بحمله الى الكوفة وان يحدث عليه في الطريق حادثة انتشر الخبر بذلك في الشيعة فاقلقهم وكتب له بو الهيثم كتاباً، يبلغه فيه قلقه. فكتب له الامام: «**بعد ثلاث يأتيكم الفرج**»، فقتل المعتز في اليوم الثالث[١].

الا أنه من المؤكد لدينا ان الامام قد حبس مدة في عهد المهتدي الذي حكم من العام ٢٥٥هـ الى العام ٢٥٦هـ، ومن قبل هذا التاريخ كان هناك عدد من الشيعة منهم داود بن قاسم المعروف بابي هشام الجعفري في السجن، ويبدو ان ذلك كان في عام ٢٥٢هـ. وذكر (الخطيب) سبب حبسه كما روى ابن عرفة «سمع منه قول ادى الى حبسه»[٢]. بينما ذكر الشيخ الطوسي في رواية اخرى: «ان حبسه وجماعة آخرين من بني هاشم وغيرهم كان بسبب قتل عبدالله بن محمد العباسي»[٣]، ويفهم من بعض الروايات ان مسؤول السجن آنذاك كان (صالح بن وصيف) والذي قُتل عام ٢٥٦هـ على يد موسى بن بغا[٤].

وعلى هذا يكون الاحتمال الاقوى ان الامام العسكري قد سُجن في العام ٢٥٥هـ على عهد المهتدي.

---

(١) كشف الغمة، ج٢ ص٤١٦، الخرائج والجرائح، ج١ ص٤٥١.
(٢) نقلاً عن قاموس الرجال ج٤ ص٥٩، السمعاني ذكرها خطأً بعام ٢٤٢.
(٣) الغيبة، ص١٣٦، بحار الانوار ج٥٠، ص٣٠٦.
(٤) الكامل في التاريخ ج٧، ص٢١٨ ـ ٢١٩، ٢٢٥.

يقول ابو هاشم الجعفري : «انه لما كان في السجن في عهد المهتدي، جاءوا بالامام العسكري عليه السلام الى السجن، ولما قتل عام(٢٥٦هـ) انجانا الله منه، لأنه صحح العزم على قتل ابي محمد عليه السلام»[١].

واسم المكان الذي سجن فيه الامام هو الجوسق، وهو نفس المكان الذي سُجن وقتل فيه المهتدي وصالح بن وصيف. والظاهر ان الجوسق كانت قلعة تستعمل لسجن الاشخاص[٢].

اما المعلومات التي بين ايدينا عن هذا السجن، فتتلخص في نقطتين:

**الاولى:** هي ان الامام لما دخل السجن كان معنا في السجن رجل عجمي [جُمحي] يدعى انه علوي، فالتفت ابو محمد وقال: «**لولا ان فيكم من ليس منكم لأعلمتكم متى يفرج الله عنكم وأومأ الى الجُمحي فخرج، فقال ابو محمد: هذا الرجل ليس منكم فاحذروه فانه يخبر السلطان بما تقولون فيه**». يقول ابو هاشم: فقام بعضهم ففتش ثيابه فوجد فيها القصة يذكرنا فيها بكل عظيمة»[٣].

**والثانية:** تتعلق بسلوك الامام في الحبس ومعاملته الكريمة مع سجانيه وهي معاملة اخجلتهم وهذا ما روي ايضاً بشأن الامام الكاظم عليه السلام ايضاً وهو ما اشرنا اليه خلال حديثنا عن حياته عليه السلام. فقد كان صالح بن وصيف من جلاوزة بني العباس وقد دخلوا عليه يوماً عندما حُبس ابو محمد، فقالوا له: ضيق عليه

---

(١) بحار الانوار ج٥٠ ص٣١٣، عن مهج الدعوات ص٣٤٣، الغيبة ص١٢٣.

(٢) نور الابصار ج١٦٦ ـ ١٦٧، الفصول المهمة ص٢٨٦، الكامل في التاريخ ج٧ ص٢٣٠ ـ ٢٣٥، تاريخ الخلفاء ص٣٦٣.

(٣) نور الابصار ص١٦٦، كشف الغمة، ج٢ ص٤٣٢، بحار الانوار ج٥٠ ص٢٥٤، الخرائج والجرائح ج٢ ص١٨٢.

ولا توسع فقال لهم صالح: ما اصنع به وقد وكلت به رجلين من شر من قدرت عليه، فقد صارا من العبادة والصلاة والصيام الى امر عظيم[1].

وكتبوا عن الامام انه كان دائم الصيام في الحبس[2].

واما المرة الاخرى التي سُجن فيها الامام فكانت في زمن المعتمد العباسي الذي حكم من العام ٢٥٦هـ حتى العام ٢٧٩هـ وقد ورد في الخبر ان الامام كان عام ٢٥٩هـ في حبس المعتمد وكان سجانه علي بن جرين، وكان المعتمد يسأله عن اخباره في كل وقت فيخبره انه «يصوم النهار ويصلي الليل»[3].

وجاء عن الحميري ايضاً انه ذكر في كتاب (الاوصياء) نقلاً عن (المحمودي) انه قال: «رأيت خط ابي محمد العسكري عليه السلام وقد كتب هذه الآية الشريفة عند خروجه من السجن. **﴿يريدون ليطفئوا نور الله بافواهم والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾**[4].

وقد نقل الشيخ المفيد عن محمد بن اسماعيل العلوي قال: «حُبس ابو محمد عليه السلام عند علي بن اوتامش (پارمش). وكان شديد العداوة لآل محمد عليهم السلام غليظاً على آل ابي طالب. وقيل له افعل به وافعل، فما قام الا يوماً حتى وضع خديه له وكان لا يرفع بصره اليه اجلالاً له واعظاماً. وخرج من عنده وهو احسن بصيرة واحسنهم قولاً فيه»[5]. ويحتمل احتمالاً يقرب الى اليقين ان هذا

---

(١) الارشاد ص ٣٤٤، كشف الغمة ج ٢، ص ٤١٤، روضة الواعظين ص ٢٤٨.

(٢) نور الابصار ص ١٦٧، الفصول المهمة ص ٢٨٦، الكافي ج ١ ص ٥١٢.

(٣) بحار الانوار، ج ٥٠، ص ٣١٤، عن مهج الدعوات ص ٣٤٤.

(٤) سورة الصف: ٨٢.

(٥) الارشاد ص ٣٤٢، الكافي ج ١ ص ٥٠٨، كشف الغمة ج ٢ ص ٤١٢.

الحبس كان في عام ٢٥٩هـ، والدليل الذي يمكن سوقه على ذلك هو الرواية التالية: اورد الكشي في كتاب (رجاله) ان محمد بن ابراهيم السمرقندي قال:

«خرجت الى الحج فاردت ان امر على رجل كان من اصحابنا معروف بالصدق والصلاح والورع والخير، يقال له بورق البوسنجاني في قرية من قرى هراة وازوره واحدث عهدي به. قال فاتيته فجرى ذكر الفضل بن شاذان رحمه الله فقال بورق: كان الفضل به بَطَنٌ شديد العلة، ويختلف في الليلة مائة مرة الى مائة وخمسين مرة، فقال له بورق: خرجت حاجّاً فاتيت محمد بن عيسى العبيدي ورايته شيخاً فاضلاً ومعه عدة رأيتهم مُغتمين محزونين فقلت لهم: ما لكم؟ قالوا: ان ابا محمد عليه السلام قد حُبس. قال بورق: فحججت ورجعت، ثم اتيت محمد بن عيسى ووجدته قد انجلى عنه ما كنت رأيت به، فقلت: ما الخبر؟ قال: قد خلي عنه.

فخرجت الى سر من رأى ومعي كتاب يوم وليلة. فدخلت على ابي محمد عليه السلام وأريته ذلك الكتاب، فقلتُ له: جعلت فداك ان رأيت ان تنظر فيه فلما نظر فيه تصفّحه ورقة ورقه قال: هذا صحيح ينبغي ان يعمل به.

فقلت له: الفضل بن شاذان شديد العلة، يقولون انها من دعوتك بموجدتك عليه لما ذكروا عنه انه قال: وصي ابراهيم خير من وصي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولم يقل ـ جعلت فداك ـ هكذا كذبوا عليه. فقال: نعم رحم الله الفضل. قال بورق: فرجعت فوجدت الفضل قد توفي في الايام التي قال ابو محمد عليه السلام: رحم الله الفضل»(١). واذا قبلنا ان وفاة الفضل كانت كما هو مشهور في عام ٢٦٠هـ فيجب ان يكون سجن الامام قد حدث في اواخر عام ٢٥٩هـ قبل شهر ذي الحجة.

---

(١) رجال الكشي، ص٥٣٧ ـ ٥٣٨، الرواية: ١٠٢٣.

وقد نقلنا الرواية بتمامها لاسباب اخرى سنشير اليها فيما بعد.

## الامام وعلاقته بالشيعة:

لقد اضطر الشيعة منذ وصول الامام الرضا عليه السلام الى ايران وهجرة السادة العلويين الى مختلف نقاط العالم الاسلامي ولدوافع واسباب شتى ومن حين تزايد الضغوط على العلويين والشيعة في العراق على وجه الخصوص اضطروا الى البحث عن اماكن للعيش اكثر امنا، وهذه الاماكن قلما كانت تتوفر في المناطق الغربية من البلاد الاسلامية حيث كانت الروحية الاموية هي السائدة هناك.

اما في الشرق -اي في ايران- فقد كان الاجواء اكثر ملائمة، ولذا توجه عدد كبير من الشيعة نحو المناطق الشرقية، وعاشوا في اماكن متفرقة ومتباعدة عن بعضها الآخر. وكان اغلب هؤلاء بحاجة للاتصال بالامام، وذلك لحاجتهم لمن يعرضون عليه اسئلتهم الدينية، ويتلقون منه الحلول لمشاكلهم السياسية والاجتماعية، وهذا ما كان يدفعهم للاتصال بالائمة وبأساليب مختلفة منها ارسال المبعوثين الخاصين او الاتصال بهم في ايام الحج لاخذ الروايات والارشادات عنهم. ان تواجد الشيعة في امكان مختلفة من البلاد الاسلامية وخاصة في الستين سنة الاخيرة من الامامة الى بداية الغيبة الصغرى، امر يمكن معرفته من خلال شواهد وقرائن تاريخية كثيرة، ومن خلال الاحاديث الفقهية الى حد ما.

ونحن سنشير الى انتشار الشريعة أولاً ثم سنتناول اساليب اتصال الائمة بهم. وبحثنا هنا يشمل الشيعة الذين كان لهم ارتباط فكري وديني يصل الى حد الاعتقاد بالامامة طبعا، ولا يشمل المناصرين لاهل البيت بالشعارات والمحبين لهم بالمعنى العام لكلمة المحبة. وهو الفارق الذي حدده الامام العسكري عليه السلام

بشكل واضح في احدى الروايات[1].

ان من جملة المناطق التي كان للشيعة تواجد واضح فيها، وكان الامام على اتصال بهم ايضاً، مدينة نيسابور مثلاً فان شرق ايران كان من المناطق التي يسكنها عدد من اصحاب الائمة عليهم السلام وقد برز فيها علماء مشهورون من الشيعة في القرن الثالث والرابع.

ومن الامثلة الواضحة التي يمكن الاشارة اليها في هذا الصدد: الفضل بن شاذان الذي كان يحظى بمكانة متميزة بين اصحاب الائمة وعلماء الشيعة. وفضلاً عن نيسابور فان ولايات من امثال سمرقند وبيهق وطوس كانت تضم اعداداً كبيرة من الشيعة ايضاً بل قد يكون غالبية نفوسها من الشيعة، كما هو الحال بالنسبة لمدينة بيهق.

ان هذا التناثر والانتشار الذي كانت له نظائر مشابهة في المناطق الاخرى ايضاً كان يسلتزم وجود جهاز منظم يمكن بواسطته نشر التشيع أو المحافظة عليه على اقل تقدير. وقد تم ايجاد مثل ذلك الجهاز من خلال تعيين الوكلاء من جانب الائمة عليهم السلام حيث بات من المتيسر تقديم الارشادات والتوجيهات الدينية والسياسية الضرورية عن طريق العلاقة القائمة بين الامام ووكلائه وخاصة بواسطة المكاتبات. ان هذا الاسلوب المجرب استخدمه الامام العسكري عليه السلام في حياته ايضاً، وظل مستعملاً بل اصبح اكثر اتساعاً في فترة ما بعد الغيبة.

فالاشخاص الذين كانت لهم سابقة علمية وضاءة، ويرتبطون بعلاقات وثيقة مع الائمة السابقين او معه شخصياً، وكان بامكانهم تقديم الدعم والعون

---

(١) الخرائج والجرائح ج٢ ص٦٨٤.

للشيعة، كانوا يعينون كوكلاء عن الامام.

فمدينة نيسابور التي كانت تمتاز بموقع علمي وثقافي واقتصادي يربو على سائر المناطق الاخرى، كانت تعتبر مركزاً هاماً بالنسبة لولاية خراسان، وكان وكيل الامام فيها هو «ابراهيم بن عبدة» كما تذكر الرواية التي سنوردها فيما يلي. ولاجل توضيح اهمية هذا الجهاز والمهام التي يتولاها نذكر فيما يلي خلاصة لكتب الامام التي ارسلها بشأن قضية الوكالة:

ارسل الامام الحسن العسكري كتاباً الى عبدالله بن حمدويه، جاء فيه:

**«وبعد فقد نصبت لكم ابراهيم بن عبده ليدفع النواحي واهل ناحيتك حقوقي الواجبة عليكم اليه، وجعلته ثقتي واميني عند مواليَّ هناك، فليتقوا الله وليراقبوا وليؤدوا الحقوق فليس لهم عذر في ترك ذلك أو تأخيره»**[١].

يتبين من هذا الكتاب ان مسؤولية ابراهيم كانت واسعة وتشمل حتى ناحية عبدالله بن حمدويه البيهقي. وربما قصد من هذه الناحية هي مدينة بيهق التي ينتسب اليها هذا الشخص، ويبدو ان بعضهم قد شك في صحة خط الامام المرقوم في كتاب تعيين ابراهيم فكتب:

**«وكتابي الذي ورد على ابراهيم بن عبده بتوكيلي اياه لقبض حقوقي من موالينا هناك: نعم هو كتابي بخطي اقمته ـاعني ابراهيم بن عبده ـ لهم ببلدهم حقاً غير باطل. فليتقوا الله حق تقاته، وليخرجوا من حقوقي وليدفعوها اليه، فقد جوزت له ما يعمل به فيها».**

---

(١) رجال الكشي ص٥٨٠.

ومن الكتب المهمة للامام العسكري عليه السلام في هذا الصدد، هو الكتاب الذي ارسله الى اسحق بن اسماعيل النيسابوري بشأن ابراهيم بن عبدة، وهو كتاب يضم الكثير من النصائح الاخلاقية والتوجيهات القيمة. فبعد المقدمة الطويلة التي كتبها عليه السلام عن الهداية الربانية عن طريق الاوصياء، وانهم ابواب العلم الرباني، تطرق الى الآية الكريمة: ﴿**اليوم اكملت لكم دينكم...**﴾ كشاهد على منّة الله في تعيين الاوصياء لهداية الناس. كما وتحدث فيه الامام عليه السلام عن الحقوق الواجبة المفروضة لهم، وكتب لهم ما يلي:

**«وأنت رسولي يا اسحق الى ابراهيم بن عبدة وفقه الله ان يعمل بما ورد عليه في كتابي مع محمد بن موسى النيسابوري ان شاء الله ورسولي الى نفسك، والى من خلف ببلدك ان تعملوا بما ورد عليكم في كتابي مع محمد بن موسى النيسابوري.**

**وكل من قرأ كتابنا هذا من مواليَّ من اهل بلدك، ومن هو بناحيتكم ونزع عما هو عليه من الانحراف عن الحق، فليؤدِّ حقوقنا الى ابراهيم، وليحمل ذلك ابراهيم بن عبدة الى الرازي او الى من يُسمي له الرازي، فان ذلك من امري ورأيي ان شاء الله. ويا اسحاق اقرأ كتابي على البلالي رضي الله عنه فانه الثقة الامين وعلى المحمودي عافاه الله.**

**فاذا وردت بغداد فاقرأه على الدهقان وكيلنا وثقتنا والذي يقبض من موالينا، وكل من امكنك من موالينا فاقرأهم هذا الكتاب، وينسخه من اراد منهم ولا يُكتم هذا الامر عمن شاهده من موالينا. ولا تخرجَنَّ من البلد حتى تلقى العمري رضى الله عنه برضاي عنه، وتسلم عليه وتعرفه ويعرفك. فكل ما**

**يحمل الينا من شيء من النواحي فاليه يصير آخر امره، ليوصل ذلك الينا»**[1].

نستحصل من الكتاب السالف ذكره معلومات هامة تتعلق بالوكالة. فهذا الجهاز له دوره الحيوي في توجيه الشيعة لدفع ما عليهم من حقوق مالية، هذه الحقوق التي لها دورها الفاعل في الحفاظ على الشيعة. ومنها ايضاً تعريف الوكلاء وطرح الثقة بهم لتثبيت مكانتهم، وتقوية مركزهم في تلك المنطقة، وعلاوة على ذلك يفهم من الرواية المارّة الذكر ان وكلاء كل منطقة يسلمون ما لديهم من اموال الى وكلاء آخرين اكثر اتصالاً بالامام، وهؤلاء يُسلمونها بدورهم الى الوكيل الاصلي ليسلمها في نهاية المطاف الى الامام. ومن الواضح ان هناك بعض الشبهات التي تحصل احياناً، ويضطر معها الامام عليه السلام لارسال كتب اخرى لازالة تلك الشبهات عن الوكلاء.

ان وجود او ايجاد مثل هذه الوشائج كانت عاملاً حيوياً في احياء الشيعة في المجالات الثقافية والاجتماعية، والحيلولة دون ذوبانهم في المجتمع السُني، وهي العملية التي يحتمل حصولها بالنسبة الى أية اقلية، وقد اضطر العباسيون في فترة من الزمن الى ايجاد مثل هذا الجهاز والاستفادة منه في نشاطاتهم المختلفة، كما استخدمه الاسماعيليون لفترة زمنية اطول. ولا شك ان النتائج التي تمخضت عن وجود مثل هذا الجهاز كانت باهرة وفريدة، وتتمثل على اقل تقدير في الحفاظ على الشيعة من المخاطر التي كانت تتهددهم دوماً بالفناء، وهو بالاضافة الى ذلك كان عاملاً مساعداً في توضيح المعارف الدينية لدى الشيعة بحيث ان مناطق مثل كش وسمرقند احتضنت قسماً كبيراً من علماء الشيعة رغم بعد موقعها الجغرافي

---

(١) رجال الكشي، ص٥٧٥، الحديث ١٠٨٨، اعيان الشيعة ج ٤ ص١٨٨، عن تحف العقول، معادن الحكمة ج ٢، ص٢٦٢ ـ ٢٦٦، بحار الانوار ج ٥٠، ص٣١٩ ـ ٣٢٣.

عن مراكز تواجد الائمة عليهم السلام.

وكما ذُكر سابقاً: فان هذا التباعد كان يجري رتقه بواسطة المبعوثين وارسال الكتب، وخاصة المكاتبة التي كانت مستعملة على نطاق واسع في ذلك الزمن. ومع ان مثل هذا الكتب لا يبقى منها اثر عادة، الا أنه يوجد بين ايدينا الكثير منها، والكثير من الشواهد الدالة على كثرتها.

يقول ابو الديان: «**كنت اخدم الحسن بن علي العسكري عليهما السلام واحمل كتبه الى الامصار، فدخلت عليه في علته التي توفى فيها صلوات الله عليه، فكتب معي كتباً وقال: تمضي بها الى المدائن، فانك ستغيب خمسة عشر يوماً فتدخل الى سر من رأى يوم الخامس عشر وتسمع الواعية في داري وتجدني على المغتسل. ودخلت سر من رأى يوم الخامس عشر كما قال لي عليه السلام فاذا انا بالواعية في داره**»[1].

يظهر من هذه الرواية ان الامام كان له رسول خاص لبعث وجلب الكتب.

يقول محمد بن الحسين بن عباد: «**مات ابو محمد العسكري عليه السلام يوم الجمعة مع صلاة الغداة، وكان في تلك الليلة قد كتب بعده كُتباً كثيرة الى المدينة وذلك في شهر ربيع الاول لثمانٍ خلون من سنة ستين ومائتين للهجرة**»[2]. كما يوجد لدينا كتاب ارسله الامام العسكري عليه السلام الى اهالي مدينتي قم وآبة (آوه)[3].

وذكر ابن شهرآشوب ان الامام أبا محمد عليه السلام قد كتب كتاباً الى علي بن

---

(١) بحار الانوار ج ٥٠، ص٣٣٢، عن اكمال الدين ج ٢ ص١٤٩.

(٢) بحار الانوار، ج ٥٠، ص ٣٣١، عن اكمال الدين ج ٢ ص ١٤٩ ـ ١٥٠.

(٣) المناقب ج ٤ ص ٤٢٥، بحار الانوار ج ٥٠، ص٣١٧.

الحسين بن بابويه، وهذا الامر يبدو مستبعداً وذلك لأن وفاته كانت عام ٣٢٩هـ، وقد كان ابن بابويه طبعاً على اتصال دائم بالامام صاحب الزمان‌عليه السلام عن طريق تبادل الكتب والرسائل بواسطة السفير الثالث للامام ابي القاسم الحسين بن روح[1].

ومن الاساليب الاخرى التي كانت متبعة في الاتصال بالامام هي ارسال المبعوثين اليه من قبل الشيعة. يقول جعفر بن شريف الجرجاني: ذهبت في احدى السنوات للحج ومرت بالامام العسكري‌عليه السلام في سامراء قاصداً تسليمه الاموال التي اعطانيها اصحابي وقبل ان اسأله: لمن اعطيها؟ بادرني هو بقوله: **«اعطِ ما جئت به الى مبارك الخادم»**[2].

وجاء في رواية اخرى: خرج رجل من العلويين من سر من رأى في ايام ابي محمد الى الجبل يطلب الفضل، فتلقاه رجل من همدان فقال له: من اين اقبلت؟ قال: من سر من رأى.

قال: هل تعرف درب كذا وموضع كذا؟ قال: نعم: فقال: هل عندك من اخبار الحسن بن علي شيء؟ قال: لا قال: فما اقدمك الجبل؟ قال : طلب الفضل، قال: فلك عندي خمسون ديناراً فاقبضها وانصرف معي الى سر من رأى حتى توصلني الى الحسن بن علي‌عليه السلام فقال: نعم.

فقبض منه الخمسين ديناراً وعاد معه الى سامراء ودخلا على الامام

(١) النجاشي ص١٨٤.
(٢) كشف الغمة، ج٢ ص٤٢٧.

العسكري عليه السلام ودفع ذلك الرجل اربعة آلاف دينار للامام»[١].

ويمكن ذكر اسم ابراهيم بن مهزيار الاهوازي كواحد من وكلاء الامام، وكان يسكن الاهواز[٢].

وكانت قم تعتبر اكثر مدن الشيعة اصالة، وبقيت على اتصال دائم بالائمة منذ زمن الامام الصادق عليه السلام، وكان احد عوامل اتصالها بالامام العسكري عليه السلام على يد «احمد بن اسحق بن عبدالله الاشعري» الذي وصفه النجاشي بأنه وافد القميين الذين يشكلون حلقة وصل بين اهل قم والامام. معتبراً اياه واحداً من خواص ابي محمد عليه السلام[٣].

وصرح ابو محمد العسكري عليه السلام بكونه ثقة[٤]. وذكر الآخرون صراحة وكالته من قبل الامام[٥].

ومن اكبر وكلاء الامام الذي اصبح فيما بعد واحداً من السفراء الاربعة هو عثمان بن سعيد العمري المعروف بـ«السمان» وكان وكيلاً ايضاً من قبل الامامين الهادي والعسكري عليهما السلام وذكر الشيخ الطوسي سبب تسميته بالسمان قائلاً: «كان يعمل بتجارة السمن، ويستغل ذلك العمل كغطاء لنشاطه. وعندما يأتيه احد الشيعة بالمال كان يخفيه في وعاء السمن ويرسله سراً الى ابي محمد العسكري»[٦]

---

(١) كشف الغمة ج ٢، ص ٤٢٦.

(٢) قاموس الرجال، ج ١ ص ٣١٦ طبعة قم، دار النشر الاسلامي.

(٣) رجال النجاشي ص ٩١، فهرست الطوسي ص ٢٦.

(٤) رجال الكشي ص ٥٥٧، الحديث ١٠٥٣.

(٥) تنقيح المقال: ج ١ ص ٥٠ عن ربيع الشيعة.

(٦) الغيبة ص ٢١٤ ـ ٢١٥.

وقد جاء في رواية اوردها الكشي وذكرناها فيما سبق : ان جميع الاموال التي كانت تدفع الى الوكلاء،كانت تصل في نهاية الامر الى عثمان بن سعيد[١].

وقد اكد الامامان الهادي والعسكريعليهما السلام عدة مرات على كونه ثقة[٢]. ولما جاءه جماعة من شيعة اليمن، ارسل الامام العسكريعليه السلام عثمان بن سعيد ليستلم منهم الاموال التي جلبوها[٣].

ان القضية المهمة في نظام الوكالة هي حصول حالات من التجاوز احياناً من قبل بعض ضعفاء النفوس الذين يسرقون الاموال التي يدفعها لهم الشيعة لايصالها للامام، فيلعنهم الامام ويتبرأ منهم. كما اتّفق في بعض الاحيان التي يحدث ان يتوفى فيها احد الائمة ان الوكلاء ينكرون وفاته حتى لا يضطروا لدفع الاموال الموجودة لديهم الى الامام اللاحق، ولا شك ان هذا العامل هو السبب الرئيسي الكامن وراء فكرة الواقفية.

وعمر بن يحيى المعروف بـ(الدهقان) ـ والذي عد ثقة في كتاب الامام الىاسحق بن ابراهيم النيسابوري ـ كان احد وكلاء الامام في بغداد، وقد نسب بعض الاكاذيب للامامين الهادي والعسكري، فجلب لنفسه اللعن من جانب الامام العسكري، وامرعليه السلام جميع الشيعة بلعنه. وكان الدافع وراء ذلك هو أنه جمع مبالغ من المال لنفسه، وقد كان قبل ذلك خازناً للامام.

وكانت الكتب التي تصدر من قبل الامام يتم نشرها بسرعة بين الشيعة

(١) رجال الكشي، ص٥٧٥، الحديث ١٠٨٨.

(٢) الغيبة، ص٢١٥.

(٣) الغيبة، ص٢١٦.

حتى لا يطلع على مضمونها احد. ولذلك فلو صدر امر من الامام بطرد احدٍ؛ فانه سرعان ما يُرى مطروداً من بين صفوف الشيعة.

ومن الاشخاص الآخرين الذين حق عليهم اللعن، احمد بن هلال، فان هذا الشخص كان قد قضى عمره في صحبة الائمةعليهم السلام، الا ان اموراً حصلت في علاقته بالامام العسكري دفعت الامامعليه السلام الى اصدار توقيع ضده (وفي هذا الحديث وردت لفظة قوام بدل كلمة وكيل وربما تعني شيئاً آخر غير الوكيل، او تدل على الجانب المالي البحث) حيث كتب الامامعليه السلام الى وكلائه في العراق العبارة التالية: **«احذروا الصوفي المتصنع»**[1].

ولما شك جماعة في صحة التوقيع نظراً لثقتهم الشديدة به، كتب الامام لشيعته كتاباً مستفيضاً شرح لهم فيه اهم اخطائه، ومنها تجاهله للتعليمات الصادرة اليه، وتفرده في رأيه. واشار الامام في ختام كتابه الى الدهقان ايضاً قائلاً انه قد طرد ايضاً بعد عمر طويل من الصحبة والخدمة[2].

كما انتقد الامام في بعض الموارد الاشخاص الذين يتدخلون في عمل الوكلاء، عبر الانتقادات التي توجه للهبات والعطاءات التي تقدم من قبل الوكلاء، وحذرهم من التدخل في الامور الادارية التي لا تعنيهم[3].

وبهذا الترتيب كان جهاز الوكلاء يؤدي دوره في اقامة العلاقات بين الامام والشيعة، ولاسيما في باب استلام الوجوه الشرعية التي كانت تصرف على العوائل

---

(١) رجال الكشي، ص٥٣٥ ـ ٥٣٦.

(٢) راجع كتاب تنقيح المقالج ١ ص٩٩ ـ ١٠٠، النجاشي ص٦٠، الغيبة ص٢١٤.

(٣) الغنية، ص٢١٣، بحار الانوار ج ٥٠، ص٣٠٦.

الشيعية المحتاجة. وقد اشارت الكتب التي تناولت سيرة حياة الامام الى الكثير من امثال هذه المساعدات[1].

ومن ضمن المهام التي كان يقوم بها هؤلاء الوكلاء هي الحيلولة دون نفوذ افكار الواقفية والغلاة وسائر الافكار المنحرفة الاخرى في اذهان الشيعة، وخاصة اولئك الذين يعيشون في المناطق النائية. وهذا الاسلوب كان له دوره الفاعل في الحفاظ على اصالة الشيعة.

## اصحاب الامام وصيانة التراث الثقافي الشيعي:

ان ظاهرة تدوين الاحاديث ظاهرة عريقة عند اصحاب الائمة وخاصة منذ زمن الامام الصادق عليه السلام فصاعداً، اذ اصبح عدد كبير من الصحابة يقوم بتدوين روايات المعصومين في اغلب الاحيان، ليتم ارسالها الى الشيعة في البقاع الاسلامية الاخرى. ومع تقدم الزمن اقترن تزايد عدد الكتاب بتزايد عدد الكتب كماً ونوعاً، واتخذت هذه الظاهرة طابعاً اوسع على عهد الامام العسكري عليه السلام، وادت دوراً بالغ الاهمية في الحفاظ على كنوز الاحاديث الشيعية التي كانت السبب الاصلي في بقاء التشيع. ويمكن الاشارة الى اسم الحسين بن شكيب السمرقندي من بين اصحاب الحسن العسكري عليه السلام والذي كان يتولى سدانة مرقد السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام في مدينة قم مدة من الزمن ثم ذهب بعدها الى سمرقند. وقد احصى النجاشي اسماء كتبه، ومن بينها كتاب تحت عنوان: **(الرد على الزيدية)**[2].

---

(١) راجع كتاب الكافي ج ١ ص ٥٠٧ ـ ٥٠٨، اعيان الشيعة ج ٤، جزء ٢، ص ١٨٦.

(٢) رجال النجاشي ص ٣٣.

ويبدو ان نشاطات الزيدية وثوراتهم المتواصلة في تلك الحقبة الزمنية كان لها تأثيرها على بعض الشيعة. ولهذا السبب كانت تصدر من امثال هذه الكتب التي يعتمد معظمها على اقوال المعصومين اضافة الى بعض الادلة الأُخرى، وكانت في الواقع سلاحاً جيداً للتصدي لمثل تلك الانحرافات.

وكان احمد بن محمد بن خالد احد الشيعة المعاصرين للامام الحسن العسكري عليه السلام ومن اصحابه وله كتاب (المحاسن) وهو بمثابة الموسوعة التي تضم جميع مواضيع الفقه والاخلاق والتفسير[1].

ومن اصحابه ايضاً الحسن بن موسى الخشاب وكانت له عدة مؤلفات منها: **(الرد على الواقفة)**[2]. وتبدو اهمية هذه المؤلفات واضحة في مقابل المشاكل التي كان الواقفية يثيرونها آنذاك.

وفضلاً عن الكتب الفقهية او الكلامية فقد كانت تصدر في بعض الاحيان كتابات تاريخية ايضاً، مثل الكتاب الذي ألفه محمد بن علي بن حمزة وهو من اصحاب الامام ايضاً، وكان عنوانه **(مقاتل الطالبيين)**[3].

ومن الاشخاص الآخرين الذي كانت لهم علاقة بالامام علي بن الحسن بن علي بن فضال، وكان ثقة رغم كونه فطحياً، وألف كتباً كثيرة[4] قال عنه العياشي: لم يصدر عن الائمة كتاب في اي موضوع كان، الا وكان عنده[5] وهذا الخبر يثبت

---

(١) رجال النجاشي، ص٥٥ ـ ٥٦.

(٢) رجال النجاشي ص ٣١.

(٣) رجال النجاشي ص ٢٤٥، كتب ابو الفرج الاصفهاني في القرن الرابع كتاباً تحت نفس العنوان.

(٤) رجال الطوسي، ص٤٣٣، رجال النجاشي ص١٢٨.

(٥) رجال الكشي ص ٥٣٠، الحديث ١٠١٤.

وجود وتداول روايات الائمةعليهم السلام وحتى كتاباتهم عند الاصحاب، وينم عن وجود حركة علمية كانت تعتبر الدعامة الاساسية للتشيع.

ان المبادئ والاوليات التي تم تدوينها حتى ذلك التاريخ جُمعت فيما بعد على شكل مصنفات في الحديث اوسع واكبر. فجُمعت مصنفات كتاب الكافي مثلاً بالاعتماد على كتابات الاصحاب تلك. وكان الاصحاب احياناً يسألون الائمة عن رأيهم في بعض الكتب التي تم تدوينها وهذا ما فعله بورق البوشنجاني كما ورد في الحديث الذي نُقل عنه انه قال:

«**عرضت كتاب يوم وليلة على ابي محمدعليه السلام لينظر فيه. فلما نظر فيه وتصفحه ورقه ورقة، قال: هذا صحيح ينبغي ان يُعمل به**»[1].

وكان بعض اصحاب الائمة لهم مؤلفات ايضاً في مجال القضايا العلمية. وذكر النجاشي اسم احمد بن ابراهيم بن اسماعيل وعدّه من خواص ابي محمد العسكريعليه السلام، وله كتب كثيرة منها كتاب تحت عنوان: (**اسماء الجبال والمياه والادوية**)[2] ويُحتمل ان يكون في موضوع الجغرافيا.

## الامام العسكريعليه السلام ويعقوب بن اسحاق الكندي:

ينقل ابن شهر آشوب عن كتاب (**التبديل**)[3] [التحريف]» لأبي القاسم الكوفي جاء فيه: «بدأ يعقوب بن اسحاق الكندي فليسوف العرب في زمانه

(١) رجال الكشي ص٥٣٨، الحديث ١٠٢٣.

(٢) رجال النجاشي ـ ص٦٧ ـ ٦٨.

(٣) ر. ك: الذريعة ج١٢ ص٣١١.

(١٨٥ ـ ما يقارب ٢٥٢هـ) بتأليف كتاب في تناقض القرآن، وتفرد به في منزله. وان بعض تلامذته دخل يوماً على الامام الحسن العسكريعليه السلام فقال له ابو محمد: اما فيكم رجل رشيد يردع استاذكم الكندي عما أخذ فيه من تشاغله بالقرآن؟ فقال التلميذ: نحن من تلاميذه، كيف يجوز منا الاعتراض عليه في هذا او في غيره؟ فقال ابو محمدعليه السلام: أتؤدي اليه ما ألقيه اليك؟ قال: نعم.

قال: فصر اليه وتلطف في مؤانسته ومعونته على ما هو سبيله. فاذا وقعت الأُنسة في ذلك فقل: قد حضرتني مسألة اسألك عنها فانه يستدعي ذلك منك، فقل له: ان اتاك المتكلم بهذا القرآن هل يجوز ان يكون مراده بما تكلم به منه غير المعاني التي قد ظننتها انك ذهبت اليها؟ فانه سيقول من الجائز لأنه رجل يفهم اذا سمع، فاذا وجب ذلك فقل له: فما يدريك لعله قد اراد غير الذي ذهبت انت اليه، فتكون واضعاً لغير معانيه.

فصار الرجل الى الكندي وتلطّف الى ان الق عليه هذه المسألة، فقال له: اعد عليَّ فاعاد عليه. فتفكر في نفسه، ورأى ذلك محتملاً في اللغة وسائغاً في النظر. فقال: اقسمت اليك الا اخبرتني من اين لك؟ فقال: امرني فيه ابو محمد، فقال: الآن جئت به، وما كان ليخرج مثل هذا الا من ذلك البيت. ثم أنه دعا بالنار واحرق جميع ما كان الّفه»[1].

لقد ادى الخلط بين عالمين متعاصرين، ومتحدين في الاسم واللقب الى ان يعتبر بعض الاشخاص الرواية المذكورة اعلاه تخص الفيلسوف المسلم يعقوب بن اسحاق الكندي.

---

(١) المناقب، ج ٤ ص ٢٤٢، بحار الانوار ج ٥٠، ص ٣١١.

وهذه النسبة مضافاً الى انها لا تنسجم مع عهد امامة الامام العسكري عليه السلام حيث ان وفاة الكندي كانت في العام ٢٥٢هـ، فانها تواجه اشكالاً مهماً هو استبعاد صدور مثل هذا العمل القبيح من قبل فيلسوف مسلم. ومع معرفتنا بوجود عالم مسيحي يحمل اسم عبدالمسيح الكندي معاصر للفيلسوف المعروف بالكندي ندرك ان الرواية المذكورة تخصه، وقد وردت ترجمة كلا الرجلين في (موسوعة المعارف الاسلامية)[1].

## الكتب المنسوبة الى الامام:

أ ـ **التفسير**: هناك كتاب في التفسير يُنسب الى الامام العسكري عليه السلام ويحتوي على تفسير سورة الحمد وقسم من سورة البقرة، وقد تعرض هذا الكتاب منذ بداية شيوعه في القرن الرابع ولحد الآن لآراء متباينة. فوافق فريق على نسبته الى الامام ونقل منه عدة احاديث.

واعتبره فريق آخر موضوعاً ولا يحظى باي اعتبار، ويعود السبب في نشوء هذا الاختلاف الى سند الكتاب. فاساس هذا الحديث شخصان: الاول يدعى يوسف بن محمد بن زياد، والثاني هو محمد بن سيار، وانهما روياه عن أبويهما والواسطة بين هذين الرجلين والصدوق هو محمد بن قاسم الاسترآبادي. رغم ان ابن شهرآشوب اخبر ان حسن بن خالد البرقي قد روى هذا التفسير ايضاً[2]. وفضلاً عن الغموض الذي يلف رواة السند المذكورين ـ باستثناء حسن بن خالد البرقي ـ والابهام الموجود في كيفيته وهل هما الراويان ام ابواهما، هناك

(١) موسوعة المعارف الاسلامية **EI2** ج٥ ص١٢٠ ـ ١٢١.

(٢) معالم العلماء ص٣٤، طبعة النجف.

اشكالات اخرى واردة في الكتاب ايضاً[1]، وقد اجاب البعض عليها.

والاشكال الآخر: ان الكتاب يضم مواضيع يمكن طرح الكثير من المؤاخذات العلنية ضدها. بل لا يمكن نسبة بعضها الى الامامعليه السلام على الاطلاق.

وقد عرض العلامة التستري اربعين مثالاً لهذه المواضيع[2] ومن جملة المعارضين لنسبة هذا الكتاب الى الامام يمكن الاشارة الى كل من: الغضائري، العلامة البلاغي، والسيد الخوئي.

اما الفريق الاخر الذي يدعم وبقوة فكرة نسبته الى الامامعليه السلام فنذكر الصدوق، الطبرسي صاحب الاحتجاج، الكركي، المجلسي الاول، والثاني، والشيخ الحر العاملي[3].

واختار الفريق الثالث موقفاً وسطاً وقال: ان شأن هذا الكتاب شأن الكتب الروائية الاخرى يمكن انتقاده وانتقاء الروايات الصحيحة منه. وكتب العلامة البلاغي رسالة في نقده واورد النقاط التي تطعن في مصداقية الكتاب[4].

والقضية المهمة الاخرى هي ان علي بن ابراهيم القمي وكذلك محمد بن مسعود العياشي لم يتطرق اي منهما في تفسيره الى ذكر شيء عن ذلك الكتاب. وهذه النقطة لا شك جوهرية في الحكم على نسبة الكتاب المذكور.

---

(١) رسالة حول التفسير المنسوب الى الامام الحسن العسكري، مجلة نور العلم، العدد الاول، السنة الثانية، ص١٤٣.

(٢) الاخبار الداخلية ج١ ص٤٩.

(٣) بحث حول تفسير الامام الحسن العسكريعليه السلام، العدد الاول، السنة الثانية، ص١١٨ ـ ١٣٥.

(٤) رسالة حول التفسير المنسوب للامام العسكري، تحقيق الشيخ رضا استادي، مجلة نور العلم، العدد الاول، السنة الثانية ص١٣٧ ـ ١٥١.

**ب ـ كتاب المقنعة:** وهناك كتاب آخر يُنسب الى الامام وراويه هو ابن شهرآشوب، ويظهر انه ورد في احدى نسخ المناقب تحت عنوان كتاب المنقبة كما اشار اليه صاحب الذريعة بنفس الاسم. اما في نسخة المناقب المطبوعة في النجف وقم فقد جاء ذكره تحت عنوان رسالة المقنعة، ومن بعد ذلك اورده البياضي باسم المقنعة او رسالة المقنعة[1]. ويتضمن كلا الكتابين اشارة الى احتواء الكتاب المذكور على مسائل الحلال والحرام، ولا يمكنه اين يكون في المنقبة طبعاً. ولابد ان تصحيفاً قد حصل في الكلمة.

ان ما يزيل اللبس عن الموضوع كاملاً، هو ان النجاشي ذكر في آخر اسم رجاء بن يحيى بن سامان العبرتائي انه كان يروي عن الامام الهاديعليه‌السلام وقيل ان سبب وصلته ان أباه يحيى بن سامان كان قد وكّل برفع خبر ابي الحسنعليه‌السلام، وكان امامياً فحظيت منزلته.

وروى رجاء رسالة تسمى (المقنعة في ابواب الشريعة) عن الامام الهاديعليه‌السلام ورواها عنه ابو المفضل الشيباني[2].

ولو وضعنا الى جانب هذا ما قاله السيد ابن طاووس (نقلاً عن آقا بزرك) وهو ما نقله عن علي بن عبدالواحد وجاء فيه :

«انه اخرج المقنعة من دار ابي محمد العسكري في سنة ٢٥٥هـ»[3]، وجئنا ايضاً بالحديث الوارد في المناقب ويذكر فيه ان رسالة المقنعة للامام العسكري قد

---

(١) المناقب، ج٢ ص٥٢٥، (المطبعة الحيدرية ـ النجف) الصراط المستقيم ج٢ ص٧٥، الذريعة ج٢٣، ص ١٤٩، اعيان الشيعة ج ٤، جزء ٢ ص١٨٨.

(٢) رجال النجاشي ص١١٩.

(٣) الذريعة ج٢٢، ص١٢٤ عن اقبال الاعمال.

كتبت في العام ٢٥٥هـ[١] لاتضح من ذلك ان الرسالة المنسوبة للامام هي نفس كتاب رجاء بن يحيى الذي يرويه عن الامام الهادي وكان موجوداً في دار الامام العسكري، واخرج عام ٢٥٥هـ من ذلك المنزل.

والمثير للانتباه هو ان صاحب المناقب قد صرح بوجود العبارة الآتية في بداية الكتاب:

«اخبرني علي بن محمد بن موسى وهو الامام الهادي عليه السلام، وان المفضل قد نقله عن رجاء بن يحيى في سنة ٣١٤هـ، وهي نفس السنة التي توفى فيها رجاء[٢].

ويسترسل ابن شهرآشوب قائلاً: «ان الحميري اورد قسماً من ذلك الكتاب في كتابه الموسوم بمكاتبات الرجال والذي رواه عن العسكريين».

## رحلة الامام العسكري عليه السلام:

كانت رحلة الامام ـ كما ذكرنا ـ في الثامن من ربيع الاول عام ٢٦٠هـ، وهناك آراء متضاربة حول وفاته هل انها كانت طبيعية أم انه مات مقتولاً؟

فبناءً على ما يرويه الطبرسي وآخرون، يتفق اغلب علماء الشيعة على مصداق الحديث الوارد عن الامام الصادق عليه السلام: «**ما منا الا مسموم أو مقتول**». وخاصة بالنسبة للائمة الذين وردت روايات تدل على استشهادهم، والظاهر ان

---

(١) المناقب ج٣ ص٥٢٥، وخروج من عند ابي محمد في سنة خمس وخمسين ومائتين كتاب ترجمة في جهة رسالة المقنعة، تشتمل على اكثر علم الحلال والحرام.

(٢) الطبرسي، مكارم الاخلاق ص٤٥٨، طبعة الاعلمي بيروت، الذريعة ج٢٢ ص١٢٤، نوابغ الرواة ص ١٣٠.

مثل هذه الروايات نُقلت بشأنهم جميعاً[1].

وعلى اية حال فاستشهاد الامام امر محتمل جداً مع وجود حالات سجن سابقة بحقه، اضافة الى ما كان يشكله من خطورة على العباسيين في جميع الاحوال وكونه شخصية سياسية معارضة، كما ان صغر سن الامام يؤكد هذا الاحتمال، ونظراً لما كان يمتاز به الامامعليه السلام من شهرة ومحبة بين اوساط الناس في مدينة سامراء، فقد ابدى اهالي سامراء حزنهم وألمهم لفقده. يقول احمد بن عبدالله في الحديث الذي اوردنا مقاطع منه سابقاً. «**لما قُبض صارت سامراء ضجة واحدة مات ابن الرضا، ثم اخذوا بتهيئته وعُطلت الاسواق وركب ابي (وزير المعتمد العباسي) وبنو هاشم وسائر الناس الى جنازته. وامر بحمله، فحمل من وسط داره ودفن في البيت الذي دُفن فيه ابوه**»[2].

وكان تواجد الامام وابيه في مدينة سامراء ولمدة تناهز الستة والعشرون عاماً كفيلاً بجعل الناس تتعلق بهم لا في سامراء وحدها، بل ان الكثير من الشيعة قد انهال عليها من اماكن اخرى، اذن فلا عجب لو استحالت تلك المدينة في يوم استشهاده الى اجواءٍ من الحزن والاسى الماً لفقد سبط الرسولصلى الله عليه وآله وسلم .

---

(١) بحار الانوار ج ٥٠، ص٢٣٨، اعلام الورى، ص٣٤٩، الفصول المهمة ص ٢٩٠.

(٢) اكمال الدين ج ١ ص٤٣، نور الابصار ص١٦٨، الغيبة ص ١٣٢.

# الامام الحجة عليه السلام

قال الله تبارك وتعالى: **﴿بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين﴾**[1].

الامام الثاني عشر وهو حجة الله وصاحب الامر امام الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف) الذي عبّر عنه القرآن بـ**﴿بقية الله﴾** اذ قال جل وعلا في كتابه المجيد: **﴿بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين﴾**.

أما بالنسبة لتاريخ ولادته، فلم يبرز فيه سوى اختلاف طفيف في يوم الولادة، اذ اتفقت اغلب المصادر على الخامس عشر من شعبان ـ كيوم لولادته ـ لكن الاختلاف القائم هو في سنة الولادة ومرد ذلك الى اخفاء ولادته، فقد ذكر الشيخ المفيد ان ولادته كانت في العام ٢٥٥هـ، اي ان عمره عند رحلة ابيه كان خمس سنوات[2]. كما ذكر الكليني نفس ذلك العام[3]. وهناك رواية عن حكيمة

---

(١) هود: ٨٦.

(٢) الارشاد، ص٤٣٦.

(٣) الكافي ج١ ص٥١٤.

عمة الامام العسكري تظهر ان ولادة الامام كانت في العام ٢٥٥هـ ايضاً[١].

الا ان هناك من الفرق التي احصاها الاشعري من يعتقد ان ولادة الامام كانت بعد ثمانية اشهر من رحلة الامام العسكري عليه السلام[٢].

وهذا الحديث اضافة الى تعارضه مع الكثير من الروايات لا ينسجم ايضاً مع ما يعتقده الشيعة من عدم خلو الارض من حجة الهية.

والقول الآخر في ولادته، يستظهر انها كانت في السنة ٢٥٨هـ[٣]. ويعتقد المسعودي في اثبات الوصية ان سنه في بداية الغيبة الصغرى كان يبلغ اربع سنوات وسبعة اشهر وهذا يعني انه يحتمل تاريخ ولادته في العام ٢٥٦هـ[٤]. كما ذكر ايضاً في مواضع اخرى انه ولد في العام ٢٥٧هـ[٥].

ومن الواضح ان اكثر الاقوال تشير الى العام ٢٥٥هـ وهي مُسندة بحديث حكيمة بنت الامام الجواد عليه السلام.

اما بالنسبة الى امه فقد تضاربت بشأنها الآراء، ورويت فيها الروايات المختلفة ففي الرواية التي نقلها الشيخ الطوسي جاء ان اسمها (ريحانة)، ولكنه استدرك وقال: وكانت تدعى ايضاً: (نرجس) و(صيقل) [صقيل] و(سوسن)[٦].

واضافة الى ذلك فان الرأي الآخر الذي ذكره الشهيد بقوله (قيل) ان والدة

---

(١) الغيبة للطوسي ص ١٤١ ـ ١٤٣.

(٢) المقالات والفرق ص ١١٤، الفرقة الثالثة عشر.

(٣) كشف الغمة ج ٢ ص ٤٣٧.

(٤) اثبات الوصية ص ٢٣١.

(٥) راجع هامش ص ٨٨ من كتاب تاريخ اهل البيت.

(٦) الغيبة ص ٢٤١، راجع كتاب تاريخ اهل البيت ص ١٢٥.

امام الزمان هي مريم بنت زيد العلوية[١]، وأكدت رواية حكيمة وهي ادق الروايات واشهرها في ولادة الامام صاحب الزمان(عج) على ان اسمها هو نرجس[٢]. واعلن احد المحققين عن رأيه في هذا الصدد قائلاً: «ربما كان اسمها الاصلي هو نرجس، والاسماء الاخرى ـ سوى صيقل ـ سمتها بها مولاتها حكيمة بنت الامام الجوادعليه السلام. وكان الناس في الماضي يطلقون على جواريهم اسماء شتى للاستئناس، ونرجس وريحانة، وسوسن كلها من اسماء الازهار»[٣].

وتتضمن رواية حكيمة معلومات دقيقة نسبياً عن ولادة الامام المهدي، نذكر ملخصها فيما يلي:

**«جاءني رسول الامام وطلب اليَّ المثول اليه، والافطار عنده تلك الليلة ليسعدني الله برؤية حجته والخليفة من بعده، فصرت في تلك الليلة الى بيت الامام حتى ولد له ذلك المولود»[٤].**

وتسترسل حكيمة في سرد الرواية قائلة: **«وجئت في اليوم التالي لكني لم اشاهد الطفل، ولما سألت الامام عنه قال: لقد القيته الى من القت اليه ام موسى بولدها». وبعد سبعة ايام ارسل اليَّ الامام لاصير اليه وعندما دخلت عليه وجدته حاملاً طفله على يده، فقال له: تحدث يا بُني، فنطق امام الزمانعليه السلام بالشهادتين وعد الائمة الواحد تلو الآخر[٥]، ثم قرأ هذه الآية: ﴿ونريد ان نمنَّ**

---

(١) بحار الانوار ج ٥١، ص ٢٨.

(٢) بحار الانوار ج ٥١، ص ٢.

(٣) التاريخ السياسي لغيبة الامام الثاني عشر ص ١١٤ (بالفارسية).

(٤) الغيبة للطوسي، ص ١٤١ ـ ١٤٢) (وهي رواية مستفيضة).

(٥) راجع الغيبة للطوسي، ص ١٤٣، اكمال الدين، ج ٢ ص ٢٤٢ ـ ٢٤٦.

**على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾»[1].**

يتحدث الدكتور جاسم حسين مشيراً الى بعض الاشارات الواردة في الروايات المتعلقة بولادة المهدي عليه السلام ويستشفُّ منها انه عليه السلام قد نُقل بعد ولادته الى المدينة المنوّرة لاخفائه عن عيون الاعادي[2].

## مساعي الحكومة العباسية للعثور على الامام المهدي عليه السلام:

ان المساعي المحمومة التي قام بها العباسيون لمراقبة حياة الامام العسكري في سامراء وبغداد كانت هي السبب في اخفاء ولادة الامام المهدي عليه السلام، مضافاً الى ذلك فان مسألة اخفاء ولادته يوضح ان بني العباس كانوا ـ في الوقت الذي كانت مسألة غيبة الامام امراً شائعاً ومتداولاً ـ يسعون الى اغلاق الطريق امام الشيعة باي نحو كان.

وقد كتب الشيخ المفيد في بداية حياة امام الزمان عليه السلام ما يلي: «وكان قد اخفي مولده وستر امره، لصعوبة الوقت وشدة طلب سلطان الزمان له، واجتهاده في البحث عن امره[3]. واشارت روايات الائمة عليهم السلام ـ من قبل هذا ـ الى اخفاء امر ولادته بل قد اشترطت هذه القضية في العلامات المتعلقة بمعرفته»[4].

فقد ذكرت اغلب المصادر التاريخية ما قام به العباسيون من البحث

---

(١) سورة القصص، الآية ٥.

(٢) التاريخ السياسي لغيبة الامام الثاني عشر ص ١٢٤.

(٣) الارشاد ص ٣٤٥.

(٤) منتخب الاثر ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨.

والتنقيب للعثور على ولد الامام الحادي عشر. اذ ورد في حديث مستفيض رواه احمد بن عبدالله الخاقان وكان على الضياع والخراج بـ(قم)، يذكر فيه شدة الرقابة على دار الامام العسكري عليه السلام واصفاً ذلك الحال كما يلي:

**«لما اعتل الامام العسكري عليه السلام بعث الخليفة الى ابي ان ابن الرضا قد اعتل. فركب من ساعته الى دار الخلافة، ثم رجع مستعجلاً ومعه خمسة من خدم امير المؤمنين كلهم من ثقاته وخاصته، وامرهم بلزوم دار الحسن وتعرّف خبره وحاله. وبعث الى نفر من المتطببين فامرهم بالاختلاف اليه، وتعهده صباحاً ومساءً. فلما كان بعد ذلك بيومين او ثلاثة اخبر انه قد ضعف. فامر المتطببين بلزوم داره، وبعث الى قاضي القضاة فأُحضر مجلسه وامره ان يختار عشرة ممن يوثق به في دينه وورعه وامانته.**

**فاحضرهم فبعث بهم الى دار الامام عليه السلام وامرهم بلزومه ليلاً ونهاراً، فلم يزالوا هناك حتى توفي عليه السلام، وبعث السلطان الى داره من فتشها، وفتش حجرها، وختم على جميع ما فيها، وطلبوا اثر ولده، وجاؤوا بنساء يعرفن الحمل، فدخلن على جواريه ينظرن اليهن، فذكر بعضهن ان هناك جارية بها حمل، فجعلت في حجرة وامر بمراقبتها حتى تبين بطلان الحمل، فقسم ميراثه بين امه واخيه جعفر.**

**وجاء جعفرُ بعد ذلك الى ابي فقال له: اجعل لي مرتبة اخي، واوصل لك في كل سنة عشرين الف دينار، فزبره ابي واسمعه ما يكره»**[1].

---

(١) الكافي ج١ ص٥٠٥/٥٠٦، الغيبة ص١٣١، اكمال الدين ج١ ص٤١، اعلام الورى ص٢٥٩، الارشاد ص٣٤٠، كشف الغمة ص٤٠٧.

وتتحدث رواية اخرى عن مجيء بعض شيعة قم الى سامراء لدفع المال الذي عليهم، فسمعوا وهم في الطريق بوفاة الامام ابي محمدعليه السلام. ولما وصلوا سامراء أخذوهم الى جعفر الكذاب، وارادوا ان يعرفوا ما لديه من العلم فسألوه عن مقدار المبلغ الذي معهم فأظهر عجزه، وقال: (لا يعلم الغيب الا الله)، فلم يعطوه ما معهم من المال.

في تلك الاثناء، نادى عليهم رجل ودلّهم على دارٍ، ولما ذهبوا الى حيث دلّهم اخبروا هناك بمقدار المبلغ الذي عندهم، واعلنوا استعدادهم لدفعه الى من اخبرهم بمقداره، فذهب جعفر بعد هذا واخبر المعتمد العباسي بالخبر، فاصدر امره بتفتيش دار الامام ثانية بل فتش دور جيرانه ايضاً. وهنا ادعت جارية تدعى صيقل انها حامل حفاظاً على حياة الامام صاحب الزمان(عج) فقبض عليها وحُبست لمدة عامين ولما تأكدوا من عدم حملها خلوا عنها[١].

ومن المؤكد ان ذلك الاهتمام الذي كانت تبديه السلطات العباسية وبتحريض من جعفر، كان سببه الرغبة في مراقبة الامام الثاني عشر، او الادعاء على اقل تقدير ان الامام العسكري لم يخلف ولداً فيما لو لم ينجحوا في العثور عليه. وكانوا يستعينون ببعض الاشخاص الموثوقين لاثبات ادعائهم ذاك الذي يهدف الى ايهام الشيعة واضلالهم، ولهذا وردت تتمة هذا الخبر على رواية الشيخ الطوسي «ومن بعد ذلك كانوا يأتون بالاشخاص ليشهدوا انه قد مات[٢] ولم يخلّف ولداً».

الا ان المسألة قد طُرحت في الحقيقة بشكل منظم من الاساس حتى تبقى بعيداً عن اعين الناس بل بعيداً عن اعين الكثير من الشيعة، ولهذا لم تتمخض عنها

---

(١) اكمال الدين، ج ١ ص ٤٧٣ ـ ٤٧٤.

(٢) الغيبة ص ١٣٢.

تعقيدات ومشاكل كثيرة.

## معرفة بعض الشيعة بولادة صاحب الزمان عليه السلام:

وليس معنى ذلك ان اي احد لم يكن مطّلعاً على خبره، أو ان احداً لم يره، فقد كان الكثير من ثقاة الشيعة ووكلاء الامام والخدم العاملين في داره على اطلاع بحقيقة الامر.

فقد نقل الشيخ المفيد عن عدد من الاصحاب والخدم والثقاة المقربين من الامام الحسن العسكري عليه السلام انهم شاهدوا ولده، ومنهم: **محمد بن اسماعيل بن موسى بن جعفر، وحكيمة بنت الامام الجواد عليه السلام وابي علي بن مظهر، وعمرو الاهوازي، وابي نصر طريف الخادم**[1]. **وقد أراهم اياه الامام العسكري عليه السلام واخبرهم انه صاحبكم من بعدي.**

ونقل الشيخ الكليني عن ضوء بن علي العجلي، عن رجل من اهل فارس سماه، قال: «**أتيتُ سر من رأى لرؤية ابي محمد عليه السلام فدعاني من غير ان استاذن ولزمت المنزل مدة اشتري لهم الحوائج. وفي احدى المرات اراني ولده وقال هذا صاحبكم، فما رأيته بعد ذلك حتى مضى ابو محمد، وكان عمره حين رأيته يقدر بسنتين**»[2].

وربما تكون اهم مرة عرض فيها الامام العسكري عليه السلام ولده على الشيعة هي عندما جاء محمد بن عثمان العمري وهو النائب الثاني لامام الزمان عليه السلام مع اربعين

---

(١) الارشاد ص ٣٥٠، وراجع كتاب ـ ينابيع المودة ص ٤٦١.

(٢) الكافي ج ١، ص ٥١٤.

رجلاً من الشيعة الى الامام ابي محمدعليه السلام. اذ أراهم ولده وقال:

**«هذا امامكم من بعدي وخليفتي عليكم، اطيعوه ولا تتفرقوا من بعدي في اديانكم لتهلكوا أما إنكم لا ترونه بعد يومكم هذا».**

ثم قبض الامام من بعدها بعدة ايام[1].

وقد نقل الشيخ الطوسي هذه الرواية بدوره وذكر اسماء بعض الرجال الذين حضروا عند الامام ومنهم: علي بن بلال، واحمد بن هلال، ومحمد بن معاوية بن حكيم، وحسن بن ايوب بن نوح[2].

وجاءت في منتخب الاثر رواية اخرى في هذا الصدد وتجدر الاشارة هنا الى انه كان من غير الجائز التصريح باسمهعليه السلام واكد الامام الهاديعليه السلام ان يدعى فقط بـ**(الحجة من آل محمد)**[3].

## الاختلافات المذهبية بعد رحلة الامام العسكريعليه السلام.

ان المشاكل السياسية والكبت الذي مارسه خلفاء بني العباس ضد أئمة الشيعة، احدثت نوعاً من الاضطراب وعدم الاستقرار في العلاقة بين الائمة والشيعة. وكانت هذه المشكلة تتفاقم بعد رحلة كل امام وحلول آخر محله. وفي مثل هذه الاوضاع كان بعض الشيعة ينساق وراء الشكوك ويبقى حائراً في امره، ويظل مثل هذا الوضع سائداً مدة من الزمن حتى تتقوّض تلك الفرق المنشقة

---

(١) منتخب الاثر، ص ٣٥٥، عن اكمال الدين، راجع كتاب ينابيع المودة ص ٤٦٠.

(٢) منتخب الاثر ص ٣٥٥.

(٣) كشف الغمة، ص ٤٩٩.

وتزول افكارها المنحرفة، وتستتب الاوضاع للامام الجديد.

وربما كانت بعض تلك المشاكل على درجة من الشدة بحيث كانت تؤدي الى سلخ جماعة كبيرة من جسد الشيعة كما حصل بالنسبة للواقفية والفطحية والاسماعيلية.

وتضاعفت هذه الازمة بعد رحيل الامام العسكري عليه السلام بسبب حصول الغيبة وما سبقها من احداث خفية مثل ولادة صاحب الزمان والوصاية له بالامامة. والسند الوحيد الذي ارتكزت عليه امامته في احد جوانبها هو التراث الضخم من الاحاديث الموجودة في اساس قضية المهدوية وما يتعلق بها، وارتكزت امامته في جانب آخر على جهاز منظم وقوي يتمثل في عناصر الاتصال التي تربط بين الامام وشيعته.

اما عن كيفية واسباب الاختلاف التي ظهرت بين الشيعة فقد وردت في كتابي (المقالات والفرق)، و(فرق الشيعة) للنوبختي. كما وأورد الشيخ المفيد الاخبار التي ذكرها النوبختي مع شيء من التلخيص والاضافة.

وقد احصى الاشعري خمس عشرة فرقة، لكل واحدة منها معتقدها الخاص حول الوصي من بعد الامام العسكري عليه السلام، حتى ان بعضهم شك في الامام الحادي عشر وقد ذكر النوبختي في بداية الامر اسم اربع عشرة فرقة، لكنه عندما أتى عليها بالتفصيل ذكر ثلاث عشرة منها. وذكر الشيخ المفيد اربع عشرة فرقة نقلاً عن النوبختي[1]. ودوّن الشيخ الطوسي ايضاً الآراء المهمة لتلك الفرق، والتي سنوردها

(١) ر. ك. المقالات والفرق ص١٠٢ ـ ١١٦، فرق الشيعة ص٩٦ ـ ١١٦، الفصول المهمة ص٢٥٨ ـ ٢٦٦.

فيما يلي بالترتيب، وابدى رأيه فيها من خلال الروايات والاستدلالات الكلامية(١).

ولو دمجنا الفرق الاربع عشرة تلك لاستخلصنا منها الفرق الخمس التالية مقسمة وفقاً لمنهجها الاصولي وكما يلي:

١ ـ **الواقفية**: وهم الذين اعتقدوا بعدم وفاة العسكري عليه السلام واعلنوا انه حي، واعتبروا الامام الحادي عشر هو (المهدي)(٢).

٢ ـ **الجعفرية**: وهم الذين قالوا بامامة جعفر بن علي الهادي عليه السلام. فهؤلاء وبسبب عدم رؤيتهم لولد الامام الحادي عشر، اعتقدوا بامامة جعفر الذي يسميه الامامية بالكذاب. وكانت لديهم آراء متفاوتة فيما بينهم، فبعضهم كان يعتبر جعفراً نائباً عن الامام العسكري عليه السلام وتصوّره البعض الآخر انه هو الامام الثاني عشر.

٣ ـ **المحمدية**: وهم الذين اعتقدوا بامامة الابن الاكبر للامام الهادي عليه السلام اي محمد الذي توفي في حياة ابيه وانكروا امامة الحسن العسكري عليه السلام.

٤ ـ الذين اعتقدوا بعدم وجود امام بعد وفاة الامام الحسن العسكري عليه السلام، كما هو الحال بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

٥ ـ **الامامية**: وهم الذين كانوا يؤلفون اكثرية الشيعة ويعتقدون بامامة المهدي عليه السلام وهذا هو التيار الرئيسي الذي تمحورت حوله الشيعة الامامية(٣).

ولم تحظ الفرق المذكورة بدعم شخصيات مشهورة الا الفرقة القائلة بامامة جعفر بن علي، فقد نالت هذه الفرقة تأييد احد متكلمي الكوفة وهو (علي بن

(١) الغيبة ص١٣٠ ـ ١٣٥.

(٢) انظر كتاب اكمال الدين ج١، ص٤٠، لترى ابطال آراء هذه الطائفة.

(٣) التاريخ السياسي لغيبة الامام الثاني عشر ص١٠٣ ـ ١١٢.

الطاحي)، وكانت تؤازره في هذا الامر اخت فارس بن حاتم القزويني[1]. وما كان هـذه الفرقة ان تدوم لأن جعفر كان معلناً للفسق، ولا يمكن تبرير الفسق بالتقية في نظر الشيعة[2]. ويقول الشيخ المفيد انه ـ اي جعفر ـ لم يحظ حتى بمساندة شخص واحد من الشيعة[3].

اما الفرقة الوحيدة التي ثبتت على صفحة تاريخ التشيع فهي فرقة الشيعة الامامية حيث استطاعت هذه الفرقة ـ التي تعتقد بامامة المهدي(عج) ابن الامام العسكري ـ استقطاب اكثرية الشيعة، وهذه النتيجة تبين لنا ان ثمة اجراءات قد اتخذت، وان هناك ترتيبات قد جرى الاعداد لها من قبل للاستعداد لمثل هذا التغيير. ولابد انها كانت على قدر كبير من السعة والاهمية بحيث انقذت اكثرية الشيعة من السقوط في مهاوي التجزئة والاختلاف.

ويؤكد الشيخ المفيد عند تدوينه لهذا الخبر عدم بقاء اي من هذه الفرق سوى فرقة الامامية، ويُعلن انها اكبر الفرق الشيعة من حيث عدد اتباعها، وعلمائها، ومتكلميها، وزعمائها، وصالحيها، وعبادها، وفقهائها، ومحدثيها، وادبائها، وشعرائها، وهم فخر الشيعة الامامية واعيان المجتمع وثقاة الشيعة[4].

وينبغي رغم ذلك الالتفات الى ان بلوغ مثل هذه النتيجة لم يكن ليتم بلا خسائر. فقضية الغيبة ومع كثرة الاحاديث الواردة في تبيانها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والائمة عليهم السلام كانت مثاراً للشك في العقول العادية.

---

(١) فرق الشيعة ص٩٩.

(٢) انظر: المقالات والفرق ص١٠٩، الفصول المختارة ص٢٦٥.

(٣) الارشاد ص٣٤٥، يمكن مراجعة الكافي ج١ ص٥٠٤، بشأن الاعتراف بفسقه.

(٤) الفصول المختارة ص٢٦١.

وهذا هو السبب الذي حدا بعلماء الشيعة لتخصيص جزء من جهودهم وبحوثهم لموضوع الغيبة وما يتعلق به. فقد الّف ابراهيم النعماني كتابه (الغيبة) لدفع الشبهات التي حصلت لدى الشيعة واودت بهم الى الاختلافات[١]. واعتبر السبب في ذلك عـدم الالتفات الى الروايات الوافرة المختصة بهذا الموضوع، والتي تولّى هو عملية جمعها.

وهناك علماء آخرون غير النعماني الذي كتب كتاب الغيبة في النصف الاول من القرن الهجري الرابع كانوا في المناطق الشيعية المختلفة، وتركوا لنا الكثير من المؤلفات والكتابات في هذا الحقل. في القرن الرابع ايضاً كتب الشيخ عدة مؤلفات عن الغيبة ذكرها النجاشي في كتابه[٢].

واهم كتاب صدر بعد ذلك التاريخ هو كتاب الشيخ الطّوسي (الغيبة) الذي كتبه في القرن الخامس للهجرة (عام ٤٤٧هـ) ومع مرور الزمان كانت الضرورة تستدعي الاجابة على موضوع الغيبة وما يتعلق به[٣]. وهذا ما كان الشيخ يشعر بضرورته وقد اشار اليه في مقدمة كتابه[٤].

ويعد كتاب الغيبة للشيخ الطوسي من اهم الكتب التي تعالج الجوانب المختلفة لمسألة الغيبة وخاصة ابعادها التاريخية.

---

(١) كتاب الغيبة ص٢١.

(٢) رجال النجاشي ص٢٨٢ ـ ٢٨٧.

(٣) للاطلاع على سير عملية التأليف والكتابة في موضوع الغيبة، انظر نور المهدي عليه السلام، مقالة المسار التاريخي لغيبة الامام [بالفارسية] ص٧٧ ـ ٩٥.

(٤) كتاب الغيبة ص٢ ـ ٣.

## تمهيد النبي ﷺ وائمة الشيعة عليهم السلام لغيبة القائم :

من المسلّم به ان روايات كثيرة كانت بين ايدي الصحابة مروية عن الائمة في موضوع الغيبة، ناهيك عما كان لديهم من مباحث كلامية، والقاء نظرة على ذلك الكم الهائل من الروايات التي جُمعت اخيراً، يدلنا على عدم خفاء هذه القضية عن نظر اي من الائمة، بل اكدوا عليها بأجمعهم. فبالاضافة الى الاحاديث ا٤لواردة عن النبي ﷺ التي روى عدد كبير منها الائمة عليهم السلام وجمعت في مجلدين، وردت عن كل واحدٍ من الائمة احاديث متعددة حول الجوانب المختلفة لمسألة الغيبة والمهدوية، وقد بلغت بمجموعها اكثر من ستمائة حديث[1].

وهذا ان دلّ على شيء فانما يدل على مدى الاهمية التي تلقاها مسألة المهدوية في الفكر الروائي للشيعة، حتى ان الكثير من الاشخاص كانوا يتوهمون بعد وفاة او استشهاد اي امام انه هو المهدي، وربما حصل ذلك في حال حياتهم عليهم السلام ايضاً.

ويظهر لنا من خلال سير ابحاث الاشعري والنوبختي حول فرق الشيعة ان احد اهم اسباب ذلك الاختلاف وتلك الفرقة هي مسألة المهدوية، التي كانت تثار من قبل اصحاب بعض الائمة عن نية مخلصة أو لدوافع واغراض غير صحيحة حيث نتجت عنها انقسامات وتشعبات ولو محدودة.

ويجب الانتباه الى ان الاعتقاد بمهدوية محمد بن الحنفية أو مهدوية ذي النفس الزكية[2] وغيرها من الحالات الاخرى انما هي نابعة في الاساس من

---

(١) معجم احاديث المهدي عليه السلام اربعة مجلدات، عن مؤسسة المعارف الاسلامية.

(٢) ادعى فيه الكثير من علماء اهل السنة انه المهدي. ر. ك: مقاتل الطالبيين ص ٢٤٠ ـ ٢٤٩، ونحن نعلم

الاهتمام الذي كان يوليه النبي الاعظمﷺ لمسألة المهدوية.

وادعى بعض اعوان عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر (المتوفى في العام ١٢٩هـ) انه المهدي.

وادعى البعض مهدوية الامام الباقر لكنهعليه السلام استنكر ذلك[١]. وحصل نفس الادعاء بشأن اسماعيل بن الامام الصادقعليه السلام. وهذا نفسه ما حدث للامامين الصادق والكاظمعليهما السلام ايضاً[٢].

وقام بعض العلويين بالثورة على بني العباس من امثال الحسن بن القاسم في العام (٤٠٤هـ) ويحيى بن عمر ومحمد بن القاسم ... الخ[٣].

ان هذه الحالات المتعددة من ادعاء المهدوية في القرون الاولى للهجرة، عند كل من الشيعة والسنة يدل على ان مبدأ المهدوية كان قضية ثابتة، وامراً مقبولاً بين المسلمين وانما حصلت المشاكل في المصاديق. اما في القرون اللاحقة، وخاصة في القرنين الثامن والتاسع للهجرة فقد شهد التاريخ العشرات من حالات ادعاء المهدوية، ونظراً لاهمية هذا الموضوع وحاجته الى التمهيد المسبق فقد تبنّى النبيﷺ والائمةعليهم السلام هذا الدور ومارسوا عملية التمهيد الكافية له.

والتمهيد الآخر الذي ذكره المسعودي في اثبات الوصية هو السلوك الخاص الذي اتبعه الامامان العاشر والحادي عشر في الاعتزال عن الشيعة، والاتصال

---

⇐ ان القاب الخلفاء العباسيين كالسفاح والمنصور ايضاً عناوين تشير الى ادعاءهم المهدوية.

(١) كنز العمال ج١٧، ص٢٧.

(٢) فرق الشيعة ص٧٨، ص٩٠.

(٣) انظر دراسات وبحوث في التاريخ والاسلام ج١ ص٥٧ ـ ٧٥، مقالة المهدوية بنظرة جديدة للاستاذ جعفر مرتضى.

بهم عن طريق الوكلاء والخواص.

وقد اعتبر هذا النوع من الاتصال مقدمة وتمهيداً لغيبة الامام الثاني عشر[1].

## دور المعتقدات الكلامية للشيعة في اثبات غيبة المهدي :

ان ما كان يعتقده الشيعة من الناحية الكلامية حول الامامة، وما يستندون اليه بشأن الانقياد لامامة امام بعد آخر، كان له دور مهم في استتباب مكانة الامام الجديد. وتحولت تلك المعتقدات بالتدريج الى صفة رسمية عند الشيعة لا يُستساغ العدول عنها، وطرحت مجموعة من تلك المعتقدات فيما يخص امامة المهدي عليه السلام. والخبر الذي اورده النوبختي والاشعري بشأن المسائل التي طرحها الامامية حول وصايته يعكس ماهية المعتقدات الكلامية للشيعة في موضوع الامامة وكيفية الاستخلاف. ثم تبلورت المبادئ الكلامية للشيعة فيما بعد بناءً على تلك المعتقدات واتخذت صيغتها الرسمية. وفي نهاية بحث النوبختي حول الفرقة الثانية عشر من الفرق التي ظهرت بعد رحلة الامام العسكري عليه السلام وهي فرقة الامامية يشير الى بعض تلك الاسس قائلاً:

**١ ـ ان الارض لا تخلو من حجة.**

**٢ ـ لا تكون الامامة في أخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام.**

**٣ ـ لو لم يبق على الارض إلّا رجلين لكان المهدي احدهما.**

**٤ ـ لا تكون الامامة في اولاد من لم تثبت امامته،** مثل اسماعيل الذي توفي

---

(١) اثبات الوصية ٢٣١.

في حياة ابيه لا يمكن لابنه محمد ان يصبح اماماً.

ثم يضيف قائلاً: «وهذا الذي ذكرناه هو المأثور عن الصادقينالذي لا تدافع له بين هذه العصابة ولا شك فيه لصحة مخرجه وقوة اسبابه وجودة اسناده، ولا يجوز ان تخلو الارض منحجة، ولو خلت لساخت الارض ومن عليها. ولا يجوز شيء من مقالات هذه الفرق كلها فنحن مستسلمون بالماضي وامامته، مقرون بوفاته، معترفون بأن له خَلَفاً قائماً من صلبه وانَّ خلفه هو الامام من بعده حتى يظهر ويعلن امره كما ظهر واعلن امر من مضى قبله من آبائه، ويأذن الله في ذلك اذ الامر لله يفعلما يشاء، ويأمر بما يريد منظهوره وخفائه كما قال اميرالمؤمنين عليه السلام:

**«اللهم انك لا تخلي الارض من حجة لك على خلقك إما ظاهراً معروفاً أو خائفاً مغموراً كيلا تبطل حجتك وبيّناتك»**، وبذلك امرنا وبه جاءت الاخبار الصحيحة عن الائمة الماضين، لأنه ليس للعباد ان يبحثوا عن امور الله ويقضوا بلا علم لهم، ويطلبوا آثار ما سُتر عنهم، ولا يجوز ذكر اسمه ولا السؤال عن مكانه حتى يؤمر بذلك».

ثم اشار في سياق الحديث الى التقية التي التزم بها الامامان الصادق والكاظم عليهما السلام واعتبر ضرورتها في بداية الغيبة اكثر اهمية من ضرورتها في عصر ذلكما الامامين قائلاً: «**فكيف يجوز في زماننا هذا مع شدة الطلب وجور السلطان وقلة رعايته لحقوق امثالهم**».

ثم يعول على الاخبار والروايات الكثيرة الدالة على ان القائم تخفى ولادته على الناس ولا يعرف. الا انه لا يقوم حتى يظهر ويُعرف انه امام ابن امام، ثم يقول في النهاية:

**«فهذا سبيل الامامة والمنهاج الواضح اللاحب الذي لم تزل الشيعة الامامية الصحيحة التشيع عليه»**[1].

ويشير الشيخ المفيد الى ما يناظر هذه الاستدلالات لتفنيد معتقدات الفرق الاخرى والآراء التي تقول بها حول الخليفة من بعد الامام الحادي عشر، ومن المبادئ المهمة التي يشير اليها هو مبدأ (عدم خلو الارض من حجة الهية)، والحديث الذي يقول: **«من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية»**[2].

وورد ايضاً ما يماثل هذه الروايات وبعض الاستدلالات الكلامية القائمة عليها في كتاب الشيخ الطوسي الموسوم بـ(كتاب الغيبة)، وفيه ردٌّ على آراء الفرق التي ظهرت الى الوجود بعد رحيل الامام الحسن العسكري[3].

وفضلاً عن مبدأ (عدم خلو الارض من حجة الهية) فهناك ايضاً آيتان وردتا في القرآن تعتبران سنداً كلامياً لمسألة المهدوية. اولاهما:

**﴿ونريد ان نمنَّ على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين﴾**[4]. والثانية : **﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون﴾**[5][6].

---

(١) فرق الشيعة ص١٠٨ ـ ١١٢.

(٢) الفصول المختارة، ص٢٦٣ ـ ٢٦٤.

(٣) الغيبة ص ١٣٠ ـ ١٣٧.

(٤) سورة القصص :٥.

(٥) روت حكيمة بنت الامام الجواد عليه السلام : «ان الامام المهدي قد قرأ هاتين الآيتين بعد ولادته». كتاب الغيبة ص١٤٣.

(٦) الانبياء: ١٠٥.

وتطرق الشيخ المفيد خلال حديثه عن الامام صاحب الزمان (عج) الى هاتين الآيتين واستند الى الحديث المشهور الوارد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفيه يقول: «**لن تنقضي الايام حتى يبعث الله رجلاً من اهل بيتي يواطئ اسمه اسمي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً**»[1].

## الامام المهدي عليه السلام والنواب الاربعة:

ابتدأت الغيبة الصغرى مع رحيل الامام العسكري عليه السلام عام ٢٦٠هـ، وانتهت بوفاة آخر النواب الاربعة للامام المهدي وذلك في العام ٣٢٩هـ حيث وقعت الغيبة الكبرى.

وخلال تلك المدة كان الامام يتصل بالشيعة عبر هؤلاء الاربعة، ويدير الامور التي كانت تشمل الجوانب المالية والفقهية والكلامية بواسطتهم، وكان النواب الاربعة من كبار رجال الشيعة كما كانوا معروفين بتاريخهم المشرف وحيازتهم لثقة الائمة السابقين بهم؟ وكان واجبهم يتمثل بالاتصال بوكلاء الامام نيابة عنه، وايصال مطالبيهم وكتبهم اليه، وتقديم الاجابات لهم بما يرتأي الامام.

والمهم في الامر هو ـ اضافة الى اختفاء الا مام عن الانظار ـ قيام النواب بتصريف الامور بعيداً عن الانظار، وكان الوكلاء يتصرفون على نفس المنوال ايضاً. وبما ان الشيعة الامامية لم يُكن لديهم تفكير آني بالثورة ضد الحكومة، وعُرف عنهم ذلك فقد تقلصت المضايقات المفروضة عليهم، وتمكنوا من الحفاظ على انفسهم ـ في العراق والى جانب عاصمة الخلافة العباسية التي كانت تدعم

---

(١) الارشاد: ٣٤٦.

مذهب اهل الحديث والسنة ـ واقرار نوع من التنظيم الواسع الذي يربط الشيعة في مختلف الامصار مع بعضهم.

واصبحت بغداد فيما بعد واحدة من المراكز الاصلية للتشيع مما يعني ان الشيعة كانوا رغم عدم اعترافهم بشرعية الحكم العباسي لا يتخذون اي موقف علني ضده ، واستطاعوا عن هذا الطريق توسيع ومواصلة نشاطهم ونفوذهم في بغداد، ونحن نعلم ايضاً ان السياسة التي كانت تحظى بدعم الائمة هي اقرار عمل بعض الشخصيات الامامية في جهاز الحكم العباسي حتى على مستوى الوزارة(١).

وفيما يلي نورد اسماء النواب الخاصين للامام، ثم نستعرض الاعمال التي انجزوها بامر من الامام:

## ١ ـ عثمان بن سعيد العمري السمان:

أول نائب خاص للامام، واشتهر بالسمان للتغطية على نشاطه لأنه كان اذا اعطوه اموالاً لغرض ايصالها للامام وضعها في ظروف السمن واوصلها اليه(٢). وانتهج وكلاء آخرون نفس ذلك النهج، كما كا يفعل محمد القطان الذي كان يوصل الاموال للامام تحت غطاء التجارة بالقماش(٣). وقد ذكر اخباره الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة. وعثمان بن سعيد من قبيلة بني اسد، ويُعتبر من وكلاء الامام الحسن العسكري عليه السلام ، وكان قبل ذلك من ثقاة الامام الهادي عليه السلام أيضاً ، وكان يصفه

---

(١) انظر خاندان نوبختي [آل نوبخت] ص٩٦ ـ ٩٧. وسنتحدث عنه بالتفصيل فيما بعد.

(٢) الغيبة الطوسي، ص٢١٤.

(٣) بحار الانوار ج ٥١ ص٣٧٦.

لاصحابه بأنه ثقة وامين[١].

ولما جاء جماعة من شيعة اليمن الى الامام العسكري عليه السلام ارسل اليهم عثمان ابن سعيد، ليستلم منهم الاموال التي جاءوا بها نيابة عن الامام عليه السلام[٢].

كما تولى تغسيل وتكفين ودفن الامام العسكري عليه السلام[٣].

ويحتمل انه توفي قبل عام ٢٦٧هـ. وقال البعض انه توفي في عام ٢٨٠هـ[٤].

## ٢ ـ ابو جعفر محمد بن عثمان العمري:

وهو النائب الثاني للامام المهدي عليه السلام وقد آلت اليه النيابة بأمر من الامام بعد وفاة ابيه، اذ اصدر الامام توقيعاً عزّاه فيه بوفاة والده، ودعا له وافضى اليه مهام ابيه[٥].

وكان شأنه شأن ابيه، من خواص الامام العسكري، وجاء في احدى الروايات انه قال:

**«العمري وابنه ثقتان فما اديا اليك فعنّي يؤديان، وما قالا لك فعنّي يقولان، فاسمع لهما واطعهما فانهما الثقتان المأمونان»**[٦].

---

(١) نفس المصدر ص ٢١٥.

(٢) نفس المصدر ص ٢١٤.

(٣) بحار الانوار ج ٥١ ص ٢١٤.

(٤) راجع كتاب: التاريخ السياسي لغيبة الامام الثاني عشر (بالفارسية)، ص ١٥٥ ـ ١٥٦.

(٥) الغيبة ص ٢١٩،.

(٦) نفس المصدر السابق.

ورغم المعارضة التي واجهها من قبل بعض الغلاة الا ان اكثرية الشيعة انقادوا له ولم يشكوا في عدالته ابداً[1].

وظل العمري الابن واسطة بين الامام والناس حتى وفاته في عام ٣٠٥هـ، وكان يؤدي دوراً في مراقبة وتوجيه الوكلاء في المناطق المختلفة. وخلال تلك المدة صدرت عن الامام توقيعات تأييداً له[2].

ويقول الشيخ الطوسي انه كان لديه الكثير من الاحاديث المدونة ، وقد تحولت من بعده الى الحسين بن روح ثم الى ابي الحسن السمري[3].

## ٣ ـ ابو القاسم الحسين بن روح:

وهو الثالث من النواب الخاصين للامام المهدي عليه السلام ، وكان يُعتبر من ثقاة وخواص ابي جعفر (محمد العمري) في بغداد[4]. وكان ابو جعفر يأمر كل من يأتيه بمال او سؤال اليه ليمهد بذلك الارضية له ليحل محله بعد وفاته، وقد امر الامام ابا جعفر العمري بأن يوصي الى ابي القاسم الحسين بن روح، ثم راح الناس يصيرون اليه لدفع المال[5].

وقد ذكر إقبال اخباره مفصلة في كتاب (آل نوبخت) وذكر انه ينتسب الى

---

(١) نفس المصدر ص ٢٢١.

(٢) الغيبة، ص ٢٢٠.

(٣) نفس المصدر، ص ٢٢١، انظر سيرة حياته في تنقيح المقال ج ٢ ص ١٤٩.

(٤) الغيبة، ص ٢٢٣.

(٥) الغيبة ص ٢٢٤.

البرامكة من جهة امه، كما كان يُطلق عليه لقب القُمي ايضاً[1].

وكان الحسين بن روح من اصحاب الامام العسكري عليه السلام، وقد جمع ابو جعفر العمري جماعة من وجوه الشيعة منهم ابو علي همام، وابو عبدالله بن محمد الكاتب، وابو عبدالله الباقطاني، وابو سهل اسماعيل بن علي النوبختي، وابو عبدالله الوجناء، وغيرهم من الوجوه والاكابر واوصى اليه[2].

وروت ام كلثوم بنت ابي جعفر خبراً مستفيضاً يحكي عن مكانة الحسين ابن روح، ودوره في حياة ابيها، والمنزلة الرفيعة التي كان يحظى بها عند الشيعة[3].

وكان له ايضاً نفوذ في البلاط العباسي حينما كانت وزارة المقتدر العباسي بيد آل فرات وهم من المناصرين للشيعة، الا ان الحسين بن روح واجه مضايقات جمة بعد تسلط حامد بن العباس على مقاليد الوزارة، وقد اتخذ هذا جانب خصوم الشيعة. ولا توجد لدينا معلومات دقيقة عن حياة واخبار الحسين بن روح بعد تسلم حامد بن العباس الوزارة سوى انه كان في عام ٣١٢هـ في الحبس وخلّي عنه في العام ٣١٧هـ[4] وكانت له بعد ذلك التاريخ حتى وفاته في العام ٣٢٦هـ مكانة بازرة في بغداد، ولم يتعرض له احد، لوجود آل نوبخت ونفوذهم في البلاط العباسي. قال عنه اقبال: «كان ابو القاسم الحسين بن روح من اعقل واذكى اهل زمانه بشهادة الموالي والمعادي»[5].

---

(١) آل نوبخت ص٢١٣.

(٢) الغيبة، ص٢٢٦.

(٣) الغيبة ص٢٢٧.

(٤) راجع كتاب خاندان نوبختي (آل نوبخت) ص٢١٧ ـ ٢١٨.

(٥) اثبات الوصية ص٢٤٦.

## ٤ ـ ابو الحسن علي بن محمد السمري:

وهو النائب الرابع والاخير للامام صاحب الزمان عليه السلام، وقد اوصى اليه ابو القاسم الحسين بن روح بامر من الامام عليه السلام، وبقي نائباً له حتى العام ٣٢٩هـ، اي انه كان نائباً لمدة ثلاث سنوات.

وكانت ولادته في احدى كور البصرة. ينقل بعض المؤرخين ان الكثير من افراد هذه العائلة كانت لهم املاك كبيرة في البصرة مثل الحسن ومحمد ابني اسماعيل بن صالح وكذلك علي بن زياد، وقد اوقفوا نصف املاكهم للامام العسكري، وانهم كانوا يقبضون خراجها ويرسلونه اليه.

وان اهم حدث حصل في هذه المدة هو التوقيع الذي صدر قبل وفاة السمري ـ وهي الوفاة التي كان امام الزمان عليه السلام قد اخبره بها وبتاريخها من قبل ـ وكان يحمل مؤشرات على بدء الغيبة الكبرى، وكان كما يلي:

**«بسم الله الرحمن الرحيم: يا علي بن محمد السمري، اعظم الله اجر اخوانك فيك، فانك ميت ما بينك وبين ستة ايام. فاجمع امرك ولا توصِ الى احد فيقوم مقامك، بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور الا بعد اذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الامد وقسوة القلوب وامتلاء الارض جوراً. وسيأتي لشيعتي من يدّعي المشاهدة الا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذاب مفتر، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم»**[1].

ويحمل هذا التوقيع الملامح العامة لبداية عهد جديد، ويرسم للشيعة مساراً جديداً الى جانب ما سبقه من احاديث وتواقيع صادرة عن الائمة في هذا المجال،

---

(١) الغيبة، ص٢٤٢.

وهو ايذان لبداية عهد جديد امام الشيعة.

## نظرة على الاعمال التي قام بها النواب للحفاظ على الشيعة:

يجب علينا ـ بغض النظر عن الشؤون المذهبية ومجريات الاحداث وتعليمات الامام التي كانت النواب يتصرفون وفقاً لها ـ اجراء دراستنا هذه بناءً على ما ورد في التوقيعات رغم ان الكثير من تلك التواقيع ـ ومع الاسف ـ ليس في متناول ايدينا مع علمنا انها قد جُمعت في وقت ما، اذ يمكن من خلالها دراسة الجهود المبذولة من قبل النواب في المجالات التالية:

### ١ ـ التصدي للغُلاة:

لقد استعرضنا هذا الموضوع خلال حديثنا عن حياة من سبق من الائمة عليهم السلام، واشرنا الى ان القسم الاعظم من مواقفهم الثقافية والسياسية كان يتجسد في مواجهتهم للانقسامات الداخلية بين الشيعة وعلى رأسهم فرقة الغُلاة، ومن جملة الغُلاة. الذين ظهروا في تلك الفترة محمد بن نصير الذي كان يطرح آراءه المغالية منذ زمن الامام الهادي عليه السلام وما تلاه. قال عنه الشيخ الطوسي: «انه كان يقول بالمعتقدات المغالية التي كان يطرحها الغلاة السالفين من نكاح المحارم

والقول بربوبية الائمة وذلك في زمن النائب الثاني، الا ان ابا جعفر لعنه وتبرأ منه، ثم انقسم اتباعه من بعده الى ثلاث فرق، فتفرقوا فلا يرجعون الى شيء»[1].

وكان من فقهاء الامامية ووكلاء الائمة محمد بن علي الشلمغاني، كان وكيلاً للامام، لكنه مال الى عقيدة الغلاة حباً للجاه ولاسيما عقيدة الحلول، وحاول أغواء اتباعه، وكانوا من بني بسطام، وتفسير اللعن والبراءة التي صدرت ضده من جانب الحسين بن روح بأنه ادرك الحقائق أصرّ على الجهر بها فاصبح موضعاً للطرد واللعنة[2].

وبناءً على ما ذكره الطوسي فان الرجل كان يعتقد ان روح رسول الله ﷺ قد حلت في النائب الثاني، وروح علي عليه السلام قد حلت في الثالث وان روح فاطمة الزهراء عليها السلام قد حلت في جسد ام كلثوم بنت ابي جعفر النائب الثاني، وقد اعلن الحسين بن روح بأن هذه الآراء كفر والحاد، وكشف عن تحايله، ووصف معتقداته بأنها لا تختلف عن معتقدات النصارى في المسيح، ولا عن معتقدات الحلاج[3].

لقد بذل الحسين بن روح جهوداً شاقة من اجل كشف زيف الشلمغاني واخيراً صدر توقيع من الامام صاحب الزمان عليه السلام فخصم الامر بالكامل[4].

ولا يفوتنا الاشارة الى ان الاعيب الشلمغاني تلك قد ساهمت في ايجاد بعض المشاكل في صفوف الشيعة الامامية لمدة من الزمن. ومن المؤكد انه قد

(١) الغيبة ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥.

(٢) الغيبة ص٢٤٨.

(٣) الغيبة ص٢٤٩.

(٤) الغيبة ص١٥٩، راجع كتاب تاريخ الغيبة الصغرى ص٥١٨، اخباره موجودة بالتفصيل في كتاب: التاريخ السياسي بغية الامام الثاني عشر عليه السلام (بالفارسية) ص ٢٠٠ ـ ٢٠٦.

تسبب مع بقية اتباعه في الحاق ابشع التهم بالشيعة الامامية. وفضلاً عمن تزعموا الحركات المغالية فقد كانت الافكار والآراء المغالية ذاتها سبباً احياناً في ظهور بعض المشاكل بين الشعية فقد ذكر الشيخ الطوسي:

**«اختلف جماعة من الشيعة في ان الله عزوجل فوض الى الائمة صلوات الله عليهم ان يخلقوا أو يرزقوا، فقال قوم هذا محال. وقال آخرون بل الله اقدر الائمة على ذلك وفوّضه اليهم، فخلقوا ورزقوا، فرجعوا الى ابي جعفر وكتبوا المسألة وانفذوها اليه، فخرج اليهم من الامام توقيع نسخته: ان الله تعالى هو الذي خلق الاجسام وقسم الارزاق، لأنه ليس بجسم، ولا حالٌ في جسم، ليس كمثله شيء وهو السميع العليم. وأما الائمة عليهم السلام فانهم يسألون الله تعالى فيخلق، ويسألونه فيرزق، ايجاباً لمسألتهم، واعظاماً لحقهم»**[1].

كما صدر توقيع عن الامام في لعن ابي الخطاب المغالي المعروف واتباعه، ونهي المؤمنين عن مجالسته[2]. ويتضح من الكلام السابق ان البحث كان قائماً حول الافكار والمعتقدات المغالية، وكانت احدى المهام التي اضطلع بها النواب هي حل تلك المشاكل ومواجهة العقائد المنحرفة للغلاة.

### ب ـ ازالة الشكوك التي اثيرت بشأن المهدي(عج):

وكان من جملة الاجراءات التي اتخذها النواب ازالة الشكوك المثارة حول وجود صاحب الزمان عليه السلام، وذلك باستعمال شتى الاساليب ومنها اسلوب الاخبار

---

(١) الغيبة ص١٧٨.

(٢) اكمال الدين ج٢ ص٤٨٥.

بالغيب، وكان لهذه المهمة ابعاد واسعة في عهد النائبين الاول والثاني. اما الفترة التي تلتها فقد استمر الوضع كما كان عليه في السابق، وكانت تثار قضايا ومسائل بين الحين والآخر، حتى نهاية فترة الغيبة الصغرى.

ومن جملة توقيعاته التي حصلنا عليها وجدنا بعضها يختص بهذا الموضوع.

ونقل الشيخ الطوسي ان مناظرة جرت بين ابن ابي غانم القزويني وجماعة من الشيعة، وكان يدعي فيها ان الامام العسكري عليه السلام لم يخلف ولداً، فكتب الشيعة قوله ذلك الى الامام صاحب الزمان عليه السلام وطلبوا منه الاجابة عليه.

فورد جواب كتابهم بخطه عليه السلام، استعرض في بدايته موضوع الولاية والامامة واشار الى الائمة السابقين ثم قال: «**ظننتم ان الله تعالى ابطل دينه، وقطع السبب بينه وبين خلقه، كلاّ ما كان ذلك ولا يكون حتى تقوم الساعة**». ثم تحدث بعد ذلك عن ضرورة الغيبة ولزوم الاختفاء عن انظار الظالمين[1].

وجاء في سياق رواية اخرى ان الامام المهدي(عج) اصدر توقيعاً تضمن كلاماً مطوّلاً نسبياً بعد ادعاء جعفر الكذاب الوصاية عن اخيه، تحدث فيه ايضاً عن امامة الائمة عليهم السلام وعلمهم وعصمتهم وتطرق الى الامامة ومستلزماتها والى جهل جعفر بالحلال والحرام، وعدم معرفته الحق من الباطل، والمحكم من المتشابه. ثم قال : فكيف له ان يدعي الامامة[2]؟

وحصلت لدى محمد بن ابراهيم بن مهزيار بعض الشكوك ايضاً، وكان ابوه

---

(١) الغيبة ص١٧٣ ـ ١٧٤.

(٢) الغيبة، ص ١٧٤ ـ ١٧٦.

من وكلاء الامام العسكريعليه السلام، فكتب الامام كتاباً ازال عنه تلك الشكوك[1].

وهناك احاديث اخرى أيضاً في هذا الموضوع[2]، فقد وردت رواية بشأن صدور توقيع آخر منه يثبت فيه وجودهعليه السلام، وتضمن ذلك التوقيع الاجابة على بعض المسائل الفقهية[3]. وقد مر علينا سابقاً ان النواب ورغم تأكيدهم المطلق على وجود الامام الا انهم كانوا ينهون الشيعة عن التشبث لمعرفة مواصفاته، والدافع لذلك هو الحرص على سلامته وحياتهعليه السلام.

### ج ـ تنظيم عمل الوكلاء:

ان سياسة تعيين الوكلاء لادارة شؤون النواحي والولايات وايجاد نظام للاتصال بين الشيعة والائمة، كان اسلوباً متبعاً منذ عهد الائمة السابقين. وفي زمن الغيبة انقطع الاتصال بالامام المهديعليه السلام، وانحصر محور الاتصال بين الوكلاء والامام بالنائب الذي كان يعينه الامام.

وكانت المناطق الآهلة بالشيعة واضحة تقريباً، وكان استقرار الوكيل في المنطقة يكون بحسب الضرورة، وقد يحدث في بعض الاحيان ان يخضع عدة وكلاء في المناطق الصغيرة، لاشراف وكيل آخر يعينه الامام أو النواب لاحقاً. وكان هؤلاء الوكلاء يجمعون الاموال التي تدفع اليهم ويوصلونها الى بغداد، بشتى الاساليب لتسلم الى النواب الذين يصرفونها بدورهم في الموارد الضرورية التي

---

(١) الكافي، ج١ ص٥١٨، اكمال الدين، ج٢ ص٤٨٧.

(٢) الكافي، ج١ ص٥١٨ ـ ٥١٩.

(٣) الكافي، ج١ ص١٧٦.

يعينها لهم الامام.

وقد حظي بعض الوكلاء بمقابلة امام الزمان عليه السلام مرة واحدة كما حصل لمحمد بن احمد القطان الذي كان من وكلاء ابي جعفر النائب الثاني[1]، الا انهم كانوا يؤدون واجباتهم عادة تحت اشراف نائب الامام. وروى احمد بن متيل القُمي أنه كان لأبي جعفر عشرة انفس يتصرفون له ببغداد، وكانوا كلهم اخص به من الحسين بن روح الذي اصبح النائب الثالث فيما بعد[2]، فلما كان وقت مضيّ ابي جعفر وقع الاختيار عليه وكانت الوصية اليه.

ويستشف من بعض الروايات الاخرى وجود وصولات استلام كانت تدفع من قبل الوكلاء ازاء المبالغ المقبوضة، الا ان مثل هذه الوصولات ما كانت تستلم من النائب الخاص للامام. ولما وقع الاختيار على الحسين بن روح وعينه ابو جعفر نائباً امر بعدم مطالبته بالوصولات[3].

كما وردت اخبار بعض الوكلاء في الاهواز وسامراء ومصر والحجاز واليمن، وبعض مناطق ايران كخراسان وقم والري، بشكل متفرق في نهاية بعض المواضع الاخرى في كتابي الغيبة للطوسي واكمال الدين للصدوق.

---

(١) اكمال الدين، ج ١ ص ٤٤٢.

(٢) الغيبة ص ٢٢٥.

(٣) الغيبة ص ٢٢٦.

## د ـ المحافظة على بقاء الامام في الخفاء:

يُستدل من الاخبار التي في متناول ايدينا ان الامام صاحب الزمان عليه السلام كان يعيش في العراق ومكة كما هو الحال بالنسبة لمحمد بن احمد القطان الذي سبق لنا الحديث عنه. ولما شك ابو طاهر محمد بن علي بن بلال في نيابة ابي جعفر العمري، اخذه ابو جعفر ورتب له لقاءاً مع الامام حتى يسمع منه مباشرة تعيينه لأمر النيابة، ثم جعله يعترف في مجلس عامٍّ بصدور الامر من صاحب الزمان بتسليم الاموال الى ابي جعفر(١).

ورغم ذلك فقد كان يتحتم على اولئك النواب المحافظة على سرية وجود الامام واخفاء مواصفاته عليه السلام.

وحين اصبح الحسين بن روح النوبختي نائباً للامام كان احد شخصيات الامامية من هذه العائلة يسكن في مدينة بغداد، ويحظى فيها بمكانة رفيعة وكان اسمه ابو سهل اسماعيل بن علي النوبختي. ولما اختيـر ابن روح لمنصب نيابة الامام، سأل احد الاشخاص أبا سهل عن السبب في عدم انتخابه هو لنيابة الامام، فاجابه:

**«هم اعلم وما اختاروه، ولكنّي رجل القى الخصوم واناظرهم، ولو علمت بمكانه كما علم ابو القاسم وضغطتني الحجة لعلّي كنت ادل على مكانه.**

**واما ابو القاسم فلو كان الحجة تحت ذيله وقرض بالمقاريض ما كشف الذيل عنه»**(٢).

---

(١) الغيبة ص ٢٦٠، نقلاً عن التاريخ السياسي لغيبة الامام الثاني عشر (بالفارسية) ص١٦٦.
(٢) الغيبة ص ٢٥٥، نقلاً عن خاندان نوبختي (آل نوبخت) ص٢١٧.

## وجوب عدم ذكر اسم الامام في الغيبة الصغرى:

هناك روايات متعددة اشارت الى عدم جواز ذكر اسمه، لكن هل ان ذلك المنع كان مقتصراً على فترة زمنية محدودة، أمانه سيبقى ساري المفعول حتى قيامه؟

وقد اختلف الفقهاء والمؤرخون في هذا الشأن، وبادر العلامة المجلسي بدوره الى جمع تلك الروايات في باب خاص افرده لهذا الموضوع واطلق عليه عنوان: (باب النهي عن التسمية)[١].

روى عبدالله بن جعفر الحميري قال: «**كنت مع احمد بن اسحاق عند العمري، فقلت له: اني اسألك عن مسألة هي كما قال الله عزوجل في قصة ابراهيم: ﴿أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾. هل رأيت صاحبي؟ قال: نعم: قلت: وما الاسم؟ قال: اياك ان تبحث عن هذا فانَّ عند القوم ان هذا النسل قد انقطع**»[٢].

وهذا يعني ان بني العباس لما تأكدوا من عدم وجود خلف للامام العسكري تركوا امر البحث عنه، فكان ذلك في مصلحة الامام والشيعة معاً.

وجاء قول صريح في التواقيع التي كانت تصدر من الامام في زمن الغيبة الصغرى يقول فيه: «**من سمّاني في مجمع من الناس باسمي فعليه لعنة الله**»[٣].

---

(١) بحار الانوار ج ٥١، راجع كتاب الكافي ج ١ ص٣٣٧، وذكر الميرداماد في «شرعة التسمية» عشرين حديثاً في هذا الباب.

(٢) بحار الانوار ج ٥١، ص٣٣.

(٣) بحار الانوار ج ٥١، ص٣٣، اكمال الدين ج ٢، ص٤٨٢، الغيبة ص٢٦٣، اعلام الورى ص٤٢٣، شرعة التسمية ص٦٠.

وقد كان هذا الموضوع شائعاً حتى بين نساء الهادي عليه السلام فكن يعلمن أنه امر بعدم التصريح باسمه والاكتفاء بقول: (**الحجة من آل محمد صلوات الله عليه**»[1].

اما الشيخ الصدوق فهو يعتقد بحرمة ذكر اسمه، حتى بعد ذكر الاخبار الواردة في اللوح[2].

وقال الأربلي بعد ان اشار الى الروايات التي تنهى عن ذكر اسمه او كنيته: «ان الشيعة كانوا يُطلقون عليه اثناء الغيبة الاولى (الصغرى) اسم الناحية المقدسة وكان ذلك رمز يعرفه به الشيعة، والرمز الآخر الذي كانوا يستدلون به عليه هو كلمة (الغريم)»[3]. ثم يُضيف قائلاً:

«ومن العجب ان الشيخ الطبرسي (الطوسي)[4] والشيخ المفيد رحمهما الله قالا: لا يجوز ذكر اسمه ولا كنيته، ثم يقولان: اسمه اسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكنيته كنيته عليهما السلام، وهما يظنان انهما لم يذكرا اسمه ولا كنيته، والذي اراه ان المنع من ذلك انما كان للتقية في وقت الخوف عليه، والطلب له والسؤال عنه، فاما الآن فلا»[5].

وبقيت هذه القضية موضع خلاف بين الشيعة، وبعد ان استفتى جماعة منهم الميرداماد[6] في ذلك، كتب رسالة تحت عنوان: (شرعة التسمية في النهي عن

(١) الكافي ج١ ص٣٣٣.

(٢) عيون اخبار الرضا ج١ ص٤١.

(٣) اكمال الدين، ج٢ ص٤٩٢ ـ ٤٩٨.

(٤) يحتمل ان تكون كلمة (الطوسي) هي الصحيحة. ولما نقل آقا بزرك هذا الكلام ذكر كلمة الطوسي في كتابه الذريعة ج١٤ ص١٧٨.

(٥) كشف الغمة ج٢ ص٥١٩ ـ ٤٢٠.

(٦) كتب ميرلوحي: دار نقاش حول القضية من الشيخ البهائي والميرداماد، فكتب الميرداماد تلك الرسالة. ر.ك، فوائد الرضوية ص٤٢٢.

تسمية صاحب الزمان صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وعجل الله فرجه) تحدث فيها بشكل مفصل عن هذا الباب متمسكاً بالاطلاقات الموجودة في الروايات التي تنهى عن التسمية[1].

وكتب العلامة اقا بزرك كتاباً آخر في هذا الموضوع اطلق عليه اسم (كشف الغمة في جواز التسمية) يذكر فيه عن الشيخ الحر العاملي[2]. ومن الواضح ان الشيخ الحر العاملي كان يعتقد بجواز ذكر اسم الامام صاحب الزمان عليه السلام ولا يعتبر ذلك حراماً، وانه ألّف كتاباً في الرد على (شرعة التسمية).

ويفهم من بعض الروايات التي اشرنا الى معظمها ان الظروف السياسية السائدة آنذاك هي التي فرضت عدم جواز التسمية. وقد صرحت احد الروايات التي اشرنا اليها سابقاً ان نائب الامام قال للحميري:

**«محرّم عليكم ان تسألوا عن ذلك، فان الامر عند السلطات ان ابا محمد قد مضى ولم يخلف ولداً وقسم ميراثه... واذا وقع الاسم وقع الطلب»**[3].

وعلى أية حال، فبالامكان مراجعة الكتب التي اختصت ببحث هذا الموضوع للاستزادة والاطلاع على حقيقة الحال.

---

(١) ر.ك. الذريعة ج ١٤، ص ١٧٨.

(٢) الذريعة ج ١٨، ص ٢٣، كتبت عن هذا الموضوع رسائل اخرى، ورد شرحها في مقدمة السيد استادي على «شرعة التسمية».

(٣) الكافي ج ١ ص ٣٣٠.

## اتساع المد الشيعي اثناء الغيبة الصغرى ونفوذهم في البلاط العباسي:

ربما تكون اولى ملامح اتساع النفوذ الشيعي في البلاط العباسي تتمثل في جعل ولاية العهد للامام الرضا عليه السلام، وقد علمنا ان علي بن يقطين قد أُمر من قبل الامام الكاظم عليه السلام بضرورة البقاء في منصبه في الحكومة العباسية، وتقديم العون للشيعة. ويبدو ان تسمية الامام الرضا عليه السلام لولاية العهد، قد صبغت التشيع ايضاً بصبغة حكومية. ومن بعدها كان المأمون يتظاهر بالتشيع على الدوام وان تشيعه ذاك وان لم يكن امامياً، الا أنه يستلزم مناصرة الشيعة ولو بشكل محدود، وقد ورد في الخبر التاريخي ان المأمون وبعد مجيئه الى العراق حاول تفويض شؤون الدولة لبعض الشيعة ممن كان يماشيه. ولما وافق فيما بعد على استخدام اشخاص آخرين في المناصب الحكومية، قرر ان يعين رجلاً من الشيعة الى جانب كل مسؤول من اهل العامة[1].

وجاء المتوكل بعد المأمون والمعتصم وغيّر ذلك السياق، وصار يساند اهل الحديث الذين كانوا من الدّ خصوم الشيعة والمعتزلة. وقد بالغ في اظهار العداء للعلويين حتى أنه عمد الى هدم قبر الامام الحسين عليه السلام وحراثة ارضه وزراعتها[2]. الا ان هذا التوجه لم يدم طويلاً حتى جاء من بعده مجموعة من الخلفاء كانوا يظهرون العداء للشيعة بشكل متطرف او معتدل احياناً..

وبعد مجيء المقتدر للسلطة (في عام ٢٩٥هـ فصاعداً) تهيأت الارضية لنمو واتساع حركة التشيع.

---

(١) تاريخ التشيع في ايران من البداية حتى القرن السابع (بالفارسية)، ص١٦٩.

(٢) مقاتل الطالبيين ص٤٧٨.

وقبل الولوج في تلك الحقبة الزمنية، نرى من المناسب التحدث باختصار عن بعض الشخصيات الشيعية التي كانت تحتل مناصب رفيعة في الحكم العباسي، وربما كان بعضهم من اصحاب الائمة ايضاً.

يروي الشيخ الطوسي في كتاب الاستبصار عن الحكم بن عليا أنه قال: «وليت البحرين واصبت مالاً كثيراً فانفقت واشتريت ضياعاً كثيراً، و... وبعد مدة حملت خمس المال الى الامام الجوادعليه السلام، فقال: أما انه كله لنا، وقد قبلت ما جئت به، وحللتك الباقي»[1].

ويُستدل من هذا النص على رسوخ بعض اصحاب الامام الجوادعليه السلام في مناصب في الحكومة العباسية.

ونقل النجاشي عن حمدويه: «ان محمد بن اسماعيل بن بزيع، واحمد بن حمزة كانا من الوزراء. وكان حمدويه من شيعة الامام الكاظم، ادرك عهد الامام الجواد»[2].

وكان الحسين بن عبدالله النيسابوري من شيعة الامام الجوادعليه السلام ايضاً وكان والياً مدة من الزمن على منطقة بست وسجستان[3].

كما كان نوح بن دراج من الشيعة وقاضياً على الكوفة. وكان يقول اني لم ادخل في اعمال هؤلاء الا بعد ان استاذنت اخي جميل بن دراج الذي كان من خواص الامام الصادقعليه السلام[4].

---

(١) الاستبصار ج٢ ص٥٨.

(٢) رجال النجاشي ص٢٢٢.

(٣) الكافي ج٥، ص١١١.

(٤) رجال الكشي ص٢٥١.

ان مشاركة الشيعة في الاعمال والمناصب الحكومية قد اتسعت كثيراً في عهد الائمة المتأخرين وفي عهد الامام العسكري عليه السلام. واثناء فترة الغيبة الصغرى كان الكثير منهم يعملون كتّاباً في اجهزة الدولة العباسية. ولا تفوتنا ايضاً الاشارة الى ان اليعقوبي المورخ كان من الشيعة وكان كاتباً مرموقاً ايضاً.

ولابد من الاشارة الى البغض الطبيعي الذي كان العباسيون يبدونه تجاه الشيعة، كما كانت الحركات الزيدية سبباً آخر في توسيع شدة المخاطر التي يواجهها الشيعة[1].

وكذلك كان الحال بالنسبة للقرامطة الذي كان عددهم يتزايد في القرن الهجري الثالث في العراق وفي اطراف الكوفة، فهم كانوا يخلقون نفس المشكلة للشيعة. واضافة الى هاتين الفرقتين فان الغلاة كانوا يثيرون سخط المسلمين بادعاءاتهم الغريبة العجيبة، وكان اهل الحديث يحسبونهم على الشيعة.

ورغم كل ذلك فقد استطاع الشيعة من خلال تجنبهم المشاركة في مثل تلك الاحداث، توسيع دائرة نفوذهم في واحد من اهم المراكز الاسلامية هو العاصمة بغداد، بينما كان الاسماعيلية والقرامطة والزيدية قد حصلوا على مراكز نفوذ لهم في الاصقاع النائية في البحرين وشمال ايران واليمن. وتركز نشاط الخوارج لأسباب مشابهة في جنوب شرقي ايران.

وكان ممن شغل مناصب حكومية علي بن محمد بن زياد وهو زوج اخت جعفر بن محمد الوزير، وقد تمكن من احراز عمل في مؤسسات الدولة بسبب

---

(١) فرق الشيعة ص٧٦، الطبري ج٢ ص٢١٨، نقلاً عن : التاريخ السياسي لغيبة الامام الثاني عشر (بالفارسية)، ص١٧١.

ذلك، وقد الف كتاب الاوصياء الذي ذكره العلامة المجلسي عند نقله رواية منه وردت في كتاب النجم الثاقب واثنى المجلسي على كتابه[1].

وذكر عباس اقبال في استعراضه لحياة ابن سهل اسماعيل بن علي النوبختي (٢٣٧هـ ـ ٣١١هـ) كيفية اتساع نشاط الشيعة في تلك الفترة ونفوذ الشيعة في الاجهزة الادارية للحكومة العباسية، وقال: «كان لابي سهل نفوذاً واسعاً وخاصة في الفترة الاولى من خلافة المقتدر ووزارة ابن فرات، وكانت فرقة الشيعة الامامية في تلك الفترة ـ اي في ايام الغيبة الصغرى ـ تتمتع بنفوذ واسع ولها شوكة قوية في بغداد بسبب ما كانت تحظى به من دعم من عائلة آل نوبخت وكبار شخصياتها من امثال ابو الحسين علي بن عباس (م٣٢٤هـ) وابو القاسم الحسين بن روح (م٣٢٦هـ) الذي كانت لهم الرئاسة والسطوة في بغداد وذلك تحت توجيه واشراف ابو سهل اسماعيل بن علي».

ثم اشار ايضاً الى وزارة آل فرات ودعمهم ومساندتهم لآل ابي طالب وقال: «لقد اتسع نشاط عدد من الفرق المعادية لاهل السنة بشكل عام وفرقة الامامية بشكل خاص في ظل المساندة التي كان يبديها آل فرات»[2].

واورد ايضاً في ختام ما كتبه عن حياة الحسين بن روح النائب الثالث للامام المهدي عليه السلام ما يلي: «كان الحسين بن روح ومنذ تعيينه نائباً للامام وحتى اوان وزارة حامد بن عباس[3] (من شهر جمادي الثاني في العام ٣٠٦هـ وحتى شهر

---

(١) ر. ك، بحار الانوار ج٥١، انظر (تاريخ سياسي غيبت امام دوازدهم (التاريخ السياسي لغيبة الامام الثاني عشر) ص٢١٠.

(٢) آل نوبخت، ص٩٦ ـ ٩٩.

(٣) كان حامد يميل الى السنة في مقاتل آل فرات.

ربيع الثاني من العام ٣١١هـ) يحظى بمنزلة واحترام وافر في بغداد وكان منزله محطة يرتادها الامراء والاعيان والوجهاء والوزراء المخلوعين، وبعد التخلية عنه واطلاقه من الحبس[١] عاد الحسين بن روح الى سابق ما كان عليه من العز والاحترام وادارة الشؤون الدينية للشيعة الذين كانوا يدفعون اليه ما عليهم من اموال. ولم يتعرض الحسين بن روح خلال هذه الفترة لأية مضايقات وذلك لوجود شخصيات متعددة من آل نوبخت مثل ابو يعقوب اسحاق بن اسماعيل (المقتول عام ٣٢٣هـ) في البلاط العباسي وفي المراكز العسكرية والادراية المهمة»[٢].

ومن الواضح ان نفوذ الشيعة كان آخذاً في التزايد في مؤسسات الحكم العباسي وهو ما يعد من الاسباب المهمة لتنامي نفوذهم في بغداد، حيث ان حشوداً غفيرة منهم قد حضروا في بغداد، قبيل دخول البويهيين اليها، واتخذت الاوضاع فيها طابعاً لم يتمكن معه اهل السنة من اخراجهم منها الا بمساعدة بعض السلاطين. ومع تسلط السلاجقة على بغداد فيما بعد تعرض الشيعة فيها لمصاعب شديدة.

ويمكن الاستفادة في الوقت نفسه من تلك التجارب التاريخية للاجابة على السؤال التالي:

## ما هو رأي الشيعة في الحكومة؟

ان الشيعة الامامية في حقيقة الامر كانوا يعتبرون الحكومة العباسية غاصبة للخلافة، ومعينة على الجور من جهة، في الوقت الذي تمكنوا وبالالتزام بمبدأ التقية

---

(١) كان في الحبس من عام ٣١٢ حتى عام ٣١٧.

(٢) خاندان نوبختي (آل نوبخت) ص٢١٧ ـ ٢٢٠.

من المحافظة على كيانهم ووجودهم في داخل المجتمع، لا في خارجه كما هو حال الزيدية والاسماعيلية والخوارج من جهة اخرى[1].

وكان احد الاعتراضات التي طرحها الشيخ الصدوق واجاب عليها فيما يخص قضية الغيبة هي السبب في عدم وقوع الغيبة بالنسبة للائمة الذين كانوا عُرضة للقتل والتعذيب في عهد بني امية بينما حصلت في وقت كثر فيه شيعتهم وانصارهم وانتشرت احاديثهم بسبب علاقاتهم الوطيدة مع اصحاب السلطة والنفوذ[2] وقد اجاب الشيخ الصدوق على هذا السؤال : «بأن الحديث كان شائعاً في ان القائم بالسيف هو الامام الثاني عشر، فكانت هذا النقطة هي السبب في المشكلة. كما يمكن الاعتراض في نفس الوقت بأن ازدياد عدد الشيعة ونفوذهم في الجهاز الحكومي للدولة العباسية قد تم ايضاحه فيما سبق بشكل جلي».

## سيرة الامام المهدي عليه السلام:

بعد هذا الاستعراض المختصر للظروف التي مرَّ بها امام الزمان عليه السلام نرى من المناسب هنا تبيان مجموعة من الروايات التي تصف سيرته عليه السلام بعد الظهور ونورد في هذا الخصوص ترجمة ما ذكره الاستاذ محمد رضا حكيمي في كتابه الثمين (شمس الغروب، بالفارسية) لنستفيد من محتوى تلك الروايات ولنستمتع مضافاً الى ذلك بالقلم الادبي للاستاذ المذكور.

---

(١) تحدثنا عن الآراء السياسية للشيعة في مقدمة كتاب (الدين السياسة في الدولة الصفوية) بالفارسية.

(٢) اكمال الدين ج ١ ص ٤٥.

**أ ـ سيرته الدينية:**

المهدي عليه السلام خاشع لله وجلال خشوع النسر إذا بسط جناحيه واحنى رأسه، وانقض هابطاً من عنان السماء.

المهدي خاشع لله تتجلى فية عظمة الخالق، وتملأ وجوده عزة المعبود(١).

المهدي عليه السلام عادل مبارك، طاهر ومطهر، لا يتهاون في مثقال ذرةٍ، ولا يتعداه قيد أنملة، على يده يعز الله الاسلام. خشية الله ماثلة في قلبه ابداً، لا يغره مقام القرب الذي خُصّ به، ولا المنزلة التي هو فيها، لا يبالي بدنيا، ولا يعبأ بمال، ولا يضع حجراً على حجر.

في ظل حكومته .. لا ينال احداً اذى، ولا يصيب انساناً مكروه إلاّ في حدٍّ من حدود الله(٢).

**ب ـ سيرته الخلقية:**

المهدي عليه السلام ذو حشمة وسكينة ووقار، ما يلبس من الثياب إلاّ خشنها، ولا يأكل من الطعام غير الشعير. علم المهدي يفوق الناس علماً وحلماً.. هو سمي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وخُلُقه خُلُقهُ(٣). يمشي في الناس بمشعل الهداية.. ويسير فيهم بسيرة الصالحين(٤).

---

(١) المهدي الموعود.. (بالفارسية) ج١ ص٢٨٠ ـ ٣٠٠.

(٢) نفس المصدر.

(٣) المهدي الموعود، ج١ ص٢٨١ ـ ٢٨٢.

(٤) المهدي الموعود، ج١ ص٢٦٦ ـ ٣٠٠.

ج ـ سيرته العلمية:

اذا قام المهدي عليه السلام سادت المحبة، واستحكمت الالفة، وعمت الوحدة ارجاء الكون. فان احتاج احد شيئاً مدَّ يده في جيب الآخر فاخذ حاجته، لا يمنعه مانع، ولا يحول دونه حائل[1].

في زمن المهدي لا يأخذ المؤمن من مؤمن في معاملة ربحاً[2]، ولا يضمر أحدٌ لاحدٍ حقداً، ويعمّ الامن والاستقرار كل مكان[3].

والمهدي كريم لا يبخل بمال، ولا يملّ النوال، على العمال والولاة شديد، وبالضعفاء والمساكين شفيق[4]، إذ علامة المهدي ان يكون شديداً على العمال، جواداً بالمال، رحيماً بالمساكين[5].

في سيرته أنه يلقم المساكين الزيت والعسل[6].

ويحيا عليه السلام حياة جدّه اميرالمؤمنين عليه السلام، يأكل الجشب ويلبس الخشن[7].

---

(١) الاختصاص، الشيخ الميد ص ٢٤.

(٢) وسائل الشيعة، ابواب التجارة.

(٣) بحار الانوار ج ١٠.

(٤) المهدي الموعود، ج ١ ص٢٧٦ ـ ٢٧٧.

(٥) نفس المصدر، ج ١ ص٢٧٦ ـ ٢٧٧.

(٦) نفس المصدر ج ١ ص٢٩٧.

(٧) الغيبة للنعمني، بحار الانوار ج ٥٢، ص٣٥٩.

**د ـ سيرته الثورية:**

يعيد لكل صاحب ذي حقٍّ حقّه، ولو كان لاحد حق تحت اسنان آخر لاستخرجه من تحت اسنانه وأعاده لصاحبه(١).

اذا ما قام المهدي رُفعت الجزية فلا يبق إلاّ مسلم. يدعو الناس لدين الله بالسيف فمن أبى ضرب عنقه، ومن عصى قتله(٢).

يدخل المهدي عليه السلام الكوفة، فلا يلق شاكاً أو مرتاباً فيها الا قتله.. ويهدم قصورها، ويقتل مقاتلتها، ويأتي على الظلمة وأعوان الظلمة حتى يرضى الله(٣).

اذا بعث الله القائم من اهل البيت حكم بحكم الله، الزاني المحصن يرجمه، ومانع الزكاة يقتله(٤).

يقول زرارة بن اعين: «**سألت ابا جعفر الصادق عليه السلام هل يسير القائم عليه السلام بسيرة محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: هيهات، هيهات، يا زرارة، ما يسير بسيرته،ان رسول الله سار في امّته باللين، كان يتآلف الناس. والقائم عليه السلام يسير بالقتل، بذلك امر في الكتاب الذي معه، ان يسير بالقتل، ولا يستتيب احدا، ويل لمن ناواه**(٥). يقوم القائم وليس شأنه إلاّ السيف، لا يستتيب احداً ولا تأخذه في الله لومة لائم(٦).

---

(١) المهدي الموعود ج١ ص٢٧٩.

(٢) المهدي الموعود، ج١ ص٢٨٢ ـ ٢٨٣.

(٣) الارشاد للمفيد، بحار الانوار ج٥٢، ص٣٣٨.

(٤) اكمال الدين، بحار الانوار، ج٥٢، ص٣٢٥.

(٥) الغيبة للنعماني، بحار الانوار ج٥٢، ص٣٥٣.

(٦) الغيبة للنعماني، بحار الانوار ج٥٢ ص٢٥٣.

**هـ ـ سيرته السياسية:**

في حكومة المهدي عليه السلام تتلاشى حكومة الجبارين والمستكبرين، ويتقوض النفوذ السياسي للمنافقين والخائنين[1]، وتصبح مدينة مكة قبلة لحركته الثورية، وتجتمع فيها طلائع ثورته، يتوافد المسلمون عليها لينضموا اليه.

يقضي المهدي عليه السلام على نفوذ اليهود والنصارى، ويخرج تابوت السكينة من انطاكية، وفيه التوراة والانجيل، فيحكم بين اهل الانجيل بالانجيل، ويدعوهم الى اتباعه، فيسلم بعض[2] ويحارب آخرون. ولا يبقى ذو شوكة وصاحب قوة في الوجود (سواءً من اهل الكتاب او غيرهم)، ولا في العالم سياسة او حكومة غير حكومة الاسلام، وسياسة القرآن.

ويبلغ سلطان المهدي المشرق والمغرب، ويهبط عيسى بن مريم من السماء فيصلي خلفه، ويهتف: «**افتحوا ابواب بيت المقدس**» فينفتح.

ومع الدجال يومئذٍ سبعون الف يهودي كلهم مسلحون، فاذا رأى الدجال عيسى ولّى هارباً فيقول عيسى عليه السلام «**ان لي فيك ضربة لن تفوتني أبداً**»، فيدركه فيقتله. فلا يبقى شيء مما خلق الله يتوارى به يهودي الا انطقه، وما من حجر ولا شجر ولا دابّة الا قال:

«**يا عبدالله المسلم! هذا يهودي فاقتله**»[3]. وهكذا يطهر العالم من لوث وجود اليهود.

---

(١) المهدي الموعود... ج ١ ص ٢٥٢.

(٢) المهدي الموعود... ج ١ ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥.

(٣) المهدي الموعود ج ٢ ص ٥ و ٧.

أجل، حين يظهر المهدي لا تبق ارض الا ارتفع فيها نداء:

**«اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمداً رسول الله»**[1].

### و ـ سيرته التربوية:

في زمن حكومة المهديعليه السلام يُؤتى الناس العلم والحكمة، حتى ان المرأة لتقضي في بيتها بكتاب الله تعالى وسنة رسولهصلى الله عليه وآله[2].

وفي ذلك العهد، تُجمع عقول العباد، وتكتمل احلامهم[3].

في زمن دولة المهديعليه السلام تذهب عن الشيعة العاهـة، وتصير قلوبهم كزبر الحديد، وقوة الرجل منهم بقوة اربعين رجلاً، ويكونون حكّامالارض وسنامها[4].

### ز ـ سيرته الاجتماعية:

اذا ظهر المهديعليه السلام، ملأ الارض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، ولا يبق موضع في الارض الاّ ناله من بركته وعدله واحسانه، فيزدهر في ظل وجوده الحيوان والنبات يشمله من العدل والبركة والخير والاحسان[5].

---

(١) تفسير العياشي، بحار الانوار، ج٥٢، ص٣٤٢.

(٢) بحار الانوار، ج٥٢، ص٣٥٢.

(٣) اصول الكافي، ج١ كتاب العقل الحديث ٢١.

(٤) الخصال للصدوق، الخرائج للراوندي، بحار الانوار، ج٥٢، ص٣١٧ و٣٣٥.

(٥) بحار الانور ج١٠، الروايات الواردة في هذا الباب كثيرة وشائعة.

وفي ظل دولته يستغني كل الناس ولا يبق ذو حاجة ولا مملقٍ[1]. وفي ظل عدالته لا يُظلم احد.

أول ما يُظهر القائم من العدل ان ينادي مناديه ان يسلم صاحب النافلة لصاحب الفريضة الحجر الاسود والطواف[2].

**ح ـ سيرته المالية:**

تُجمع للمهدي عليه السلام اموال الدنيا.. ما في بطن الارض، وما على ظهرها. فيقول للناس: تعالوا الى ما قطعتم فيه الارحام، وسفكتم فيه الدماء، وركبتم فيه محارم الله فيعطي شيئاً لم يعط احد كان قبله[3]. يقوم الرجل ويقول: يا مهدي اعطني، فيقول : خذ[4].

ويقسم الاموال بين الجميع بالتساوي[5]، ولا يفضل احداً على احد[6].

**ط ـ سيرته الاصلاحية:**

المهدي عليه السلام منقذ، يبعثه الله لانقاذ عالم البشرية، فيعيش الناس في دولته عيش رفاه واستقرار، ووفورٍ في النعمة. فتكثر الدواب وتعيش مع سائر

---

(١) بحار الانوار، ج ٥١ ص ١٤٦.

(٢) الكافي ج ٤، ص ٤٢٧.

(٣) علل الشرائع للصدوق، بحار الانوار ج ٥١ ص ٢٩.

(٤) كشف الغمة للاربلي، كفاية الطالب، بحار الانوار، ج ٥١، ص ٨٨.

(٥) شمس الغروب، محمد رضا حكيمي، فصل ١٣، لاحظ عنوان التساوي والمساواة في الاموال.

(٦) المهدي الموعود، ج ١ ص ٢٦٤، ٢٧٧، ٢٧٥، ٢٨٨، ٣١١، ٢٨٥، ٢١٨، ٢٨٧ ج ٢ ص ١١.

الحيوانات بأمن واطمئنان، وتكتسي الارض بالنبات، وتزداد مياة الانهار، وتخرج الارض كنوزها[1]. ولا يبق في عهده ظلم ولا جور، وتزول الفتنة، والحروب، والغارات، والمغازي[2].

المهدي عليه السلام ينقذ البشرية من فتنة كبرى وشاملة ومفصلة[3]، ولا يبق في العالم مكان خرب الاّ عمّره[4].

يملأ انصار القائم ارجاء الارض، ويغلبون عليها، فيطيعهم الناس وكل شيء، حتى وحوش البوادي وطيور الصيد تفرح به، وتسعد لرؤية المبشرين بالدين والعدل والصلاح. حتى تتباهى كل قطعة من الارض على ما سواها بأنَّ انصار المهدي قد وضعوا اقدامهم فيها[5]. ويكون للرجل من اصحاب المهدي قوّة اربعين رجلاً، قلوبهم كزبر الحديد، اذا اعترضتهم جبال من الفولاذ فلقوها، فلا يضعون سيوفهم حتى يرضى الله عزوجل[6].

أجل، إذا ملأت الارض الفتن والاضطرابات، وعمّ الظلم والفساد كل مكان، بعث الله المصلح الاعظم ليهدم حصون الضلال، وينير القلوب القاسية المظلمة بنور العدل والتوحيد والانسانية[7].

---

(١) المهدي الموعود ج ١ ص ٢٦٤.

(٢) المهدي الموعود ج ١ ص ١١.

(٣) نفس المصدر السابق.

(٤) نفس المصدر السابق.

(٥) اكمال الدين، بحار الانوار ج ٥٢، ص ٣١٧.

(٦) اكمال الدين، بحار الانوار، ج ٥٢، ص ٣١٧.

(٧) المهدي الموعود ج ١ ص ٣١٠.

واخيراً نبلغ الى كلام علي(ع) في نهج البلاغة واصفاً تلك المسيرة الاصلاحية وهو يقول:

**«يعطف الهوى على الهدى، اذا عطفوا الهدى على الهوى، ويعطف الرأي على القرآن اذا عطفوا القرآن على الرأي.. ياخذ الوالي من غيرها عمّالها على مساويء اعمالها وتخرج له الارض افاليذ كبدها، وتلقي اليه سلماً مقاليدها. فيريكم كيف عدل السيرة، ويحيي ميت الكتاب والسنة»**[١].

**ي ـ سيرته القضائية:**

في قضاء المهدي(ع) لا يصيب احداً ظلم، ولا ينال انساناً حيف[٢]، يحكم بالدين الخالص (لا يلتفت الى آراء الآخرين وافكار فقهاء المذاهب»[٣]. يضع الميزان القسط بين الناس فلا يستطيع احدٌ ان يظلم احداً)[٤].

ويقضي المهدي(ع) بقضاء جديد[٥]، ويحكم بحكم داود وآل داود، لا يطلب من الناس البينة، يقول الشيخ المفيد: **«واذا قام قائم آل محمد(ص) حكم بين الناس بحكم داود(ع) لا يحتاج الى بينه، يلهمه الله تعالى فيحكم بعلمه، ويُخبر كل قومٍ بما استبطنوه ويعرف وليه من عدوه بالتوسم»**[٦].

---

(١) نهج البلاغة، طبعة فيض الاسلام، ص ٤٢٤ ـ ٤٢٥.

(٢) المهدي الموعود، ج١ ص ٢٨٠ ـ ٢٨٤.

(٣) المهدي الموعود، ج١ ص ٢٨٠ ـ ٢٨٣ ـ ٢٨٤.

(٤) نفس المصدر السابق.

(٥) الغيبة للنعماني، بحار الانوار، ج٥٢، ص٣٤٩ و ٣٥٤.

(٦) الارشاد ص٣٦٥ ـ ٣٦٦.

# الفهرست